



رجاء عليش



رجاء عليش

وزعت شبابى على نســـاء لم يحببننى ومنحت صداقتى
الرجال خانونى وخسرت على طول الخط ·

رجـــاء عليش



نظر عادل الى ساعته وتنهد فى ارتياح عندما وجدها تشير الى الثانية بعد الظهر ميعاد الانصراف الرسمى من العمل فها هو يوم آخر من تلك الايام الكئيبة التى تتوالى كنسخ الكربون قـــد انقضى وبعد دقائق سيكون فى طريقه الى المنزل المكان الوحيـــد الذى يحس فيه بشىء من الهدوء وراحة البال ٠

كانت الحجرة الواســـعة التى تضمه هو وبعض الموظفين الاخرين تكاد تلتهب بحرارة وسط النهار المتدفقة من النـــافذة المفتوحة فى ذلك اليوم الحار من أيام الصيف الفظيعة فى مصر ٠٠ وتحسس عادل فى ضيق قميصه الخفيف ذا الاكمام القصيرة فوجده قد ابتل تماما من الظهـــر وهبطت يده لتتحسس بنطلونه فوجدته مبتلا هو الاخر وملتصقا بفخذه بطريقة مقززة من جراء الجلوس فوقه لفترة طويلة من الوقت ٠٠ وأطفأ عادل باحساس شديد من السأم عقب السيجارة المشتعل بين أصابعه داخل المطفأة التى ضمت عديدا من الاعقاب الاخرى التى دخنها خلال فتـــرة العمل الطويلة ، ثم بدأ فى ادخال الملفات العديدة الموضوعة فوق مكتبه الى داخل الادراج استعدادا للانصراف محاذرا وهو يفعل ذلك أن يلتقى بصره ببصر واحد من الموظفين الجالسين معه فى الحجرة فى نظرات مستقيمة كانت تسبب له ارتباكا شديدا اذ كان يشعر فى قرارة نفسه أنه وهؤلاء الموظفين الاوغاد يتبادلون نوعا من العداء الصامت العميق يكاد يصل الى درجة الحرب بينهما ٠٠ وكان يرجع هذا العداء الى اختلاف نوعيـــة كل منهما عن الاخر وهدفه فى الحياة ٠٠ فبينما كان يمثل هو نوعا من الانسان

الامين المنضبط فى عمله الذى يرتقى فى سلم الحياة بكفاءته وحدها كانوا هم يمثلون النوع النقيض تماما ·· ذلك الانسان الانتهازى المعدوم الضمير الذى يتسلق على أكتاف الاخرين المستعد لعمل أى شىء ليعيش يكذب يرتشى ينصب فخا لانسان أمين مثله ·

وبعد أن فرغ عادل من ادخال الملفات الى أدراج المكتب وتأهب للانصراف الى منزله بعد أن ألقى نظرة أخيرة على الوجوه المتجهمة من حوله وجده فجأة واقفا أمامه ، وكان أكثر ما أثار حنقه أنه لم يحس به وهو يتقدم ناحيته كأنه لص يتسلل لارتكاب جريمة ما ·· كان يحدجه بنظرات غريبة تريد أن تقول شيئا بينما ابتسامة شاحبة تحاول بصعوبة بالغة أن تبدو ودودة مرتسمة على جانب من شفتيه ·· كان هذا الموظف بالذات وهو يدعى ابراهيم من الموظفين الذين يحس عادل تجاههم بنفور غريزى ·· رفع بصره اليه فى ضيق ووجه اليه نظرة متسائلة عن السر فى قدومه المفاجىء ·· لانت ملامح ابراهيم بعض الشىء ومد يده بالسيجارة غير المشتعلة بينأصابعه وقالبلهجة مصطنعة ترى هل أجد معك كبريتا لاشعال سيجارتى دائما اشترى السجائر وأنسى شراء علبة كبريت معها ·· امتلأ وجه عادل باشمئزاز صارخ وهو ينظر اليه بكراهية شديدة اذ لم تكن العلاقة بينه وبين هذا الموظف تسمح له بهذا التطفل الواضح بل محاولته ادعاء صداقة غير موجودة أصلا ·· وفى صمت ناوله عادل ولاعته ، وأشعل ابراهيم سيجارته فى بطىء ونفخ دخانها فى الهواء وهو ما يزال يحدج عادل بتلك النظرة التى تريد أن تقول شيئا بينما الابتسامة التى تحاول أن تكون ودودة ما تزال مرتسمة على شفتيه ·· ونظر اليه عادل بضيق مستحثا اياه أن يقول بسرعة ما جاء من أجله ·

وجلس الموظف فوق أحد المقاعد دون أن يدعوه عادل الى الجلوس ثم بادره قائلا أنا أعلم أن اليوم حار جدا وانك كنت تتأهب للانصراف عائدا الى منزلك لكنى لم أجد فرصة أخرى لمحادثتك فى الموضوع الهام الذى أريد أن أحدثك بشأنه ٠

قال عادل بدهشة موضـــوع هام ٠٠ قال الموظف ببرود استفز أعصاب عادل ٠٠ اسمع يا استاذ عادل لا داعى للمراوغة فأنا متأكد أن لديك فكرة عن الموضوع الذى أريد أن أكلمك بشأنه لذلك سأسمح لنفسى بالتغاضى عن المقدمات وسأدخل فى صــلب الموضـــوع مبـاشرة ٠٠ قال عادل بضيق لينتهى من هذا الامر السخيف الذى يعطله عن الذهاب الى المنزل ٠٠ حسن قل مـا تريد باختصار ٠٠ قال الموظف وهو يحاول اختيار كلماته بعناية مبالغ فيها بحيث بدا مضحكا سخيفـــا ٠٠ قبـــل أن أدخل فى الموضوع هناك سؤال أريدك أن تجيبنى عليه بصراحة تامة لانـــه سيقودنا مباشرة الى الموضوع الذى أريد أن أحدثك بشأنه وصمت برهة جعلت أعصاب عادل تتحفز وقبل أن يصرخ فى وجهـــه أسرع يقول بنفس لهجته الباردة المستفزة ٠٠ أستاذ عادل هـل تعتقد أن الحكومة تنصفنا بالمرتبات الهزيلة التى تعطيها لنـــا مقابل عملنا فى الشركة ٠٠ وأنت تعلم بالتأكيد أننا نقوم بعمـل شاق فى هذا المكان ٠٠ وحدجه عادل بنظرة حاول بها أن يعرفـه ما يخبئه وراء براءة سؤاله ٠٠ وملأه قرف شديد عنـــــدما أستطاع أن يستشف ملامح هذا الغــــرض الذى بدا له ملتويا وخبيثا بصورة مقززة فهذا الموظف البليد الانتهازى هو آخر من يحق له أن يفكر على هذا النحو ٠٠ اذ لو وجد انصاف حقيقى لما استحق مليما واحدا عن عمل لا يقوم به أو فى أحسن الاحوال يقوم به شر قيام ٠٠ قال عادل وعلى شفتيه ابتسامة ســاخرة ولماذا تسألنى أنا هذا السؤال ٠٠ ما شأنى أنا بهذا الموضوع ؟-

هل جئت لتعطلنى عن الذهاب الى المنزل فى هذا الجو الحـــار لتقول لى هذا السخف ؟

قال الموظف بلهجة حاول بها الا تأخذ المناقشة الدائرة بينه وبين عادل نوعا من المواجهة الحادة ·· أستاذ عادل أرجوك ألا تحتد وحاول أن تجيب عن سؤالى لانه المدخل الطبيعى للموضوع الهام الذى جئت لمحادثتك بشأنه ·

ووجد عادل أن الفرصة مهيأة لكى يسخر من هذا الموظف الصفيق فقال له بلهجة شك فى أن يكون قد فهـم مغزاها وهـــل تريد أن أجيب على هذا السؤال بالنسبة لك أم بالنسبة للاخرين كذلك ·· فان هناك فارقا بين الحالتين بالطبع ·· قال الموظف وهو يحاول تجاهل تعريض عادل به ·· بل أريدك أن تجيب على السؤال بصورة مطلقة ·

قال عادل بضيق لينهى المناقشة الغبية الدائرة بينهما ·· حسن يمكنك أن تقول بصفة عامة أن الحكومة تعطينا أقل ممـا نستحق جزاء العمل الذى نقوم به ·· قال الموظف وقـــد تهللت أساريره الان استرحت اذ ما دمت تقر بأن مرتباتنا ليست كافية لكى نعيش فى مستوى لائق فلابد أن تسلم معى بأن من حق كل واحد منا أن يقوم بأى عمل من شأنه زيادة مرتبه ·

قال عادل بعصبية بعد أن اتضحت نية الموظف فى الاتجاه بالمناقشة الى نتيجة يرفضها عادل مسبقا ·· بالتأكيد لـــكن لابد أن يكون هذا العمل شريفا ·· وهنا قال الموظف على الفور وكأن الرد قد فكر فيه مرات كثيرة من قبل ·· لـــكن هل تظن أن من السهل على أى واحد منا أن يحصل على عمل شريف هذه الايام

.. انك بهذه الطريقة تعقد الامور أكثر مما ينبغى .. قال عادل فى ضيق لينهى المناقشة التى لن تصل بهما الى أى اتفاق فكلاهما من معدن مختلف وينظر الى الامور نظرة تجعلهما يتباعدان طول الوقت على أى الاحوال أنت حر فى نوع العمل الذى تمارسه أما أنا فاذا ما اضطرتنى الظروف يوما ما لممارسة عمل اضـافى فلابد أن يكون هذا العمل مشروعا والا فلن أقبله .

قال الموظف بطريقة ناعمة زادت من نفور عادل منه .. لـكن أليس من الاوفق بالنسبة للجميع ألا يشذ واحد منهم بـل يعمل ما يعمله الاخرون ، قال عادل بسخرية لاذعة ، تريد أن تقول أن يصبح لصا مثلهم .. ان هذا بالطبع يتوقف على هذا الشخص .. قال الموظف بجرأة جعلت عادل يحس بنوع من الصدمة حتى وهو يكاد يتنبأ بالاجابة قبل أن يقولها .. ليكن ليصبح لصـا مثلهم أليس هذا أفضل من أن يصبح شاذا بينهم .

قال عادل بغضب شديد أعتقد أن واجب الفرد هو أن يفعل ما يؤمن بأنه حق لا أن يساير الاغلبية حتى لو كانوا على خطـأ خصوصا اذا وصل الامر الى درجة اللصوصية كما تقول .

قال الموظف وقد بدأت لهجته تأخذ طابعا هجوميا مهـلا يا أستاذ عادل كنت أعتقد أنك تؤمن معى أن الناس عندما تمارس سلوكا معينا فلابد أن يكون هذا السلوك شريفا اذ من الذى يضع ضوابط الخطأ والصواب فى نهاية الامر .

انهم الناس .. أغلبية الناس .. قال عادل لينهى المناقشة التى بدا أن الغرض منها أن يصبح لصا مثلهم وهو ما لا يمكن أن يقبله تحت أى ظرف من الظروف .. حسن لقد أوضحت وجهـة

نظرك وأنا لا أعتقد أننى يمكن أن أقتنع بها فى يوم من الايام ٠٠ لذلك أعتقد أنه يحسن بنا أن ننهى المناقشة الآن لانها لن تصل بنا الى أى نتيجة ٠٠ وهنا قال الموظف وقد بدأت ملامحه تأخذ طابعا عدوانيا صريحا حسن أنا أيضا اتفق معك فى ضرورة انهاء المناقشة التى لن تؤدى الا الى مزيد من التباعد بيننا لكن دعنى أقول لك شيئا واحدا اننى الان وبعد الحوار الذىدار بيننا أصبحت مقتنعا بأنك انسان عنيد أحمق لا يريد أن يرى الحياة على حقيقتها ٠٠ وما دمت كذلك دعنى أقدم لك نصيحة صغيرة لا تحاول من الان فصاعدا أن تقف فى طريقنا والا فاننا سنحطمك هل تفهم ٠٠ سنحطمك ٠٠ قال عادل بسخرية وان كان الخوف قد تسلل الى قلبه ٠٠ اذا كان هذا ما تظنه حقيقة اذن دعنى أنا أيضا أقدم لك نصيحة صغيرة ٠٠ ابتعدوا عن طريقى والا فاننى أنا الذى سأحطمكم كلكم ٠٠ قال الموظف وهو يرمق عادل باستهزاء ٠٠ لا أعتقد أن عاقلا يمكن أن يقول ما قلته الان ٠٠ تحطمنا كلنا ٠٠ هل تعرف من الذين تقف فى طريقهم ٠٠ انهم كل موظفى الادارة بما فيهم المدير نفسه ولو تصورت أنهم سيدعونك تعطل مصالحهم فأنت واهم انك فقط تعطيهم الحافز لتحطيمك ٠٠ قال عادل بلهجة هادئة حسن أنا لا أريد أن أسبق الاحداث ولا يمكننى ادعاء معرفة من الذى سيهزم ومن الذى سينتصر ٠٠ لكنى متأكد من شيء واحد فقط هو اننى سأمضى فى طريقى مهما كانت العقبات وسأخوض معكم حربا ضارية حتى لو كنت متأكدا أن فيها نهايتى ٠٠ والان انصرف من جوار مكتبى فانك تعطلنى عن العمل ٠٠ ويبدو أن المناقشة الحادة اللهجة لفتت انتباه باقى الموظفين فى الحجرة فقام الموظف الجالس على يمين مكتب عادل وهو من وجهة نظره يبدو أقل غلاسة من زميله ابراهيم ٠٠ قام لتهدئة

الموقف المتأزم بين زميليه ٠٠ تقدم من ابراهيم ودفعه من كتفه برفق وهو يقول له متوسلا أرجوك يا أستاذ ابراهيم لا داعى لهذه المناقشة الان على الاقل ، حتى تهدأ أعصابكما ٠٠ هيا عد الى مكتبك ودعنى أنا أكلم الاستاذ عادل ٠٠ وعاد ابراهيم الى مكتبه بطريقة معترضة كسولية فتقدم الموظف الاخر من عادل وقد وضع على شفتيه ابتسامة ودودة وقال له أعذره يا أستاذ عادل فربما كان الوقت غير مناسب للمناقشة الحادة التى دارت بينكما لكنه معذور صدقنى ان الاحوال أصبحت قاسية والمرتبات غير كافية لمجابهة التزامات الانسان ٠٠ وأنت أدرى بالحال أليس كذلك يا أستاذ عادل ٠

ونظر اليه عادل باحتقار قبل أن ينفجر فى وجهه قائلا وأنت أيضا ماذا تريد منى الان ؟ هل تريد أن تتناقش فى موضوع هام كما فعل الذى سبقك ، وقال الموظف على الفور كلا انى لا أريد شيئا من ذلك اننى فقط أردت أن أهدئك ٠٠ وصمت برهة ثم قال وهو يضحك بتكلف ٠٠ أستاذ عادل اننى أقيم اليوم حفلا صغيرا بمنزلى بلا أى مناسبة سوى مجرد قضاء وقت لطيف ٠٠ سيكون الجميع موجودين فى الحفل بما فيهم المدير نفسه وبرغم اننى أعلم بأنك لا تحب ارتياد هذه الحفلات الا اننى بعد الذى حدث الان الح فى أن تقبل دعوتى الى الحفل ٠٠٠ اننى واثق أنك ستقضى وقتا لطيفا وأننا سنتمكن من اقناعك بوجهة نظرنا وحدجه عادل بنظرة غاضبة وهو يقول له يمكنك أن تعتبر أنك لم توجه لى هذه الدعوة فأنا لن أحضرها هل تفهم لن أحضرها ٠٠ ثم انك لن تتمكن من اقناعى بوجهة نظرك ليس فى هذا المكان أو فى أى مكان آخر ٠٠ ثم انصرف عنه متظاهرا بالانشغال فى بعض الاعمال ٠٠

فى هذه اللحظة كانت أعصـــاب ابراهيم قد انفلتت منه فاندفع متجها ناحية زميله ودفعه بعنف مبتعدا به عن مكتب عادل وهـو يصرخ فى وجهه قائلا دعه يا أستاذ على فالكلام لا يجدى معـــه انه انسان عنيد يعيش فى وهم اسمه الفضيلة ٠٠ انه يظن أنه أفضل منا جميعا لانه لا يحمل فوق كتفيه مسئوليات جسيمة مثلنا ٠٠ ثم صمت برهة حدج عادل خلالها بنظرة احتقار هائلة قبل أن يردف قائلا بلهجة ساخرة لا أحسبه يتمسك بالفضيلة كثيرا لو عـرف ما الذى يقولونه عليه فى الشركة ٠٠ وانفجر عادل فى وجهـــه قائلا وهى يحس بالمعنى المستتر فى كلام الموظف يغوص كالنصل الحاد فى قلبه ما الذى تعنيه بهذا الكلام ٠٠ هيا تكلم قلت لك ٠٠ لـكن الموظف ظل صامتا وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة فانفجـر عادل فى وجهه من جديد هيا تكلم وقل ما الذى يقولونه عنى فى الشركة ٠٠ قال الموظف وهو يقتحم عادل بعينيه الميئتين بالجراة والوقاحة انهم يقولون عنك أنك انسان غير طبيعى هل تفهم غير طبيعى ٠٠ كان هذا الكلام أكثر مما تحتمله أعصاب عادل فصرخ فى وجه ابراهيم وهو يهم بالهجوم عليه كيف تجرؤ على أن تقول هذا الكلام أيها الوقح الجبان أنت وكل موظفى هذه الشركة كلاب هل تفهم كلاب ٠٠ قال الموظف الصفيق وهو يحس بأنه أهان عادل فى الصميم وما زالت نفس الابتسامة الساخرة مرتسمة عـلى شفتيه ، الان بعد أن عرفت ما الذى يقولونه عنك فى الشركة ألا تعتقد أنه أجدر بك ألا تتعالى علينا بادعائك فضيلة مزيفة ٠٠ نظر اليه عادل باحتقار ولم يتكلم وبدأ يتأهب للانصراف الى منزله ٠٠ وفى تلك اللحظة قامت احدى الموظفتين الوحيدتين بالحجرة وهى فتاة لعوب تدعى شهيرة تصبغ شعرها الطويل بلون أحمر صارخ وترتدى ثوبا ضيقا يرتفع كثيرا فوق ركبتيها وحيث يبدو الماكياج

الموضوع فوق وجهها كثيفا صارخا يليق بفتاة ليل وليس بموظفة محترمة فى احدى الشركات ·· قامت هذه الفتاة وتقدمت صوب مكتب عادل وهى تحدجه بعينها الخضراوتين الناضحتين بالشهوة ثم مالت على مكتبه حتى كاد وجهها يلامس وجهه الشديد الوسامة والذى كانت تشتهيه أكثر مما تشتهى أى شيء آخر فى العالم ·· وبحيث ملئت أنفاسها المعطرة كل صدره وبعثت فيه حالة غيبوبة لذيذة ثم قالت له بلهجة ناعمة مليئة بالضحك استاذ عادل اذا كنت لا تريد حقا الذهاب الى حفل الاستاذ على ما رأيك لو نذهب أنا وأنت للعشاء فى أحد المطاعم ثم نتوجه بعد ذلك للسينما واذا لم يكن معك نقود أنا التى سأدعوك على حسابى ·· ونظر اليها عادل باحتقار اذ لم تكن أبدا برغم أنه يشتهيها فى أعماقه من النوع الذى يحبه أو يحترمه ذلك النوع الرقيق الحالم الذى بدأت سلالته النادرة تنقرض بسرعة من العالم ·

كان كل شيء فيها مصنوعا مزيفا شكلها عواطفها حتى ضحكتها كانت هى الاخرى مزيفة وكان الفستان المفتوح الصدر يكشف عن ثدييها الناضجين وهى تميل بجسدها فوق مكتب عادل بطريقة متعمدة ملئته نفورا منها رغم أنه فى أعماقه كان يشتهيها ومطت الفتاة شفتيها المصبوغتين بطلاء صارخ فى شهوانية عارمة وهى تنظر الى عادل متسائلة عن رأيه فى اقتراحها ·· ولم يستطع عادل أن يمنع أفكارا معينة من أن تلح عليه بشدة وهو يتأمل هذه المخلوقة التى تعرض عليه نفسها بابتذال وأمام جميع الموظفين بالحجرة - أفكارا تقول أن هذه المرأة اللعوب بكل ما يحيط بها لا يمكن أن تعيش على مرتبها فحسب هناك رجل بالتأكيد ينفق عليها بسخاء ويشبع غريزتها المتأججة ·· تاجر نصف أمى من تجار السوق السوداء أو ربما المدير اللص نفسه من يدرى وافاق

عادل من خواطره الغريبة على صوت شهيرة التى ركزت عينيها المشعتين فى عينيه فأصابته بارتباك شديد وهى تسأله قائلة نعم يا أستاذ عادل ماذا قلت فى اقتراحى وقال عادل بجفـــاء وكأنه صفعها فوق وجهها قلت لا ٠٠ لا أريد لاحد أن يدعونى الى العشاء أو أدعو أنا أحدا الى العشاء مفهوم ، وأحست المرأة المثيرة المغرورة بجمالها والتى كانت تنقم على عادل دائما عدم مبالاته بها والتى ربما كان القصد من اقتراحها السخرية منه بطريقة أو بأخرى ٠٠ فاذا به يرد لها الصفعة مضاعفة أحست تلك المرأة فجأة أن عادل مزق كرامتها أمام كل زملائها بطريقة لا تدع لها مجالا سوى الرد عليه بنفس طريقته المتوحشة ٠

صرخت فى وجهه كأنها قطة تنشب أظافرها فى عنقه ٠٠ لم أكن أتصور أنك ساذج الى الدرجة التى تتصور معها اننى حقيقة أدعوك لتخرج بى الى العشاء ٠٠ كلا أيها الانسان الذكى كنت أريد فقط أن أكشفك أمامهم أكشف أنك انسان غير طبيعى كمـــا يقولون عنك فى الشركة وانك لا تقبل أبدا الخروج مع أى امرأة ٠ أنظر الى نفسك يا أستاذ انك أنعم منى ثم أطلقت ضحكة هيستيرية ماجنة ٠٠ أردفت بعدها قائلة وهى تنظر اليه باحتقار شديد ٠٠ اننى أريد رجلا حقيقيا ليدعونى الى العشاء رجلا خشنا كابراهيم مثلا وصرخ ابراهيم من السعادة عندما سمع كلامها وقال بلهجة مسرحية وهو ينحنى بشدة أمامها كفارس قديم ٠٠ آنسة شهيرة أنا تحت أمرك فى كل ما تطلبيه أما هذا الانسان وأشار الى عادل بازدراء فدعيه وشأنه فانه لا ينفعك لا ينفع أحدا على الاطلاق ثم انتابته نوبة ضحك عارمة امتدت عدواها الى شهيرة التى أخذت تضحك هى الاخرى فى غيظ وحشى وهى توجه نظرات تنضح حقدا وكراهية الى عادل الذى بدا معطل الحواس وغير قادر على الرد

على الاهانات التى توجه له ٠٠ وفجأة رفع عادل بصره ليجدها واقفة أمامه ٠٠ أتت دون أن يحس بها ٠٠ كان وجهها طيبا ذا ملامح هادئة وكانت عيناها صافيتين مليئتين بالحب ٠٠ الانسانة الوحيدة ذات الملامح الانسانية فى هذه الحجرة ٠٠ قالت بصوت طيب بعث فيه راحة عجيبة بعد شدة أعصابه المفاجأة ٠٠ أستاذ عادل اننى لا أدرى ماذا أقول بعد كل ما حدث ٠٠ ان أى كلمة أقولها الان ستصبح بلا معنى على الاطلاق ٠٠ لكن رغم ذلك أود أن أقول لك أننى آسفة على ما حدث لقد كان تصرفهم معك مخجلا وأنانيا ٠٠ قالوا كلاما ربما لا يعنونه فى ثورة غضب ٠٠ ربما لانك تتخذ منهم موقفا عدائيا ولا تريد ان تجارى الجو الذى يعيشون فيه ٠٠ نظر اليها عادل بعينين محتجتين وقال لها بصوت ملىء بالانفعال وهل تريديننى أن أجاريهم فى تصرفاتهم رغم علمك بماهية هذه التصرفات كلا يا فاطمة انك آخر انسانة كنت أتوقع أن أسمع منها هذا الكلام ٠٠ قالت فاطمة بصوت حنون أف اننى لم أقصد ذلك بالطبع لكنى أريد أن أقول أنك بموقف العداء الذى تتخذه ضدهم تحفزهم لمهاجمتك والتقول عليك ٠

قال عادل وهو ينظر مباشرة الى عينيها ، وهل تعتقدين أنهم يقولون الصدق يا فاطمة ٠٠ قالت فاطمة بحماس كلا بالتأكيد والا ما كنت قد كلفت نفسى بالمجىء اليك ٠٠ تنهد عادل فى ارتياح ونظر الى فاطمة فى حب وهو يقول لها أشكرك يا فاطمة ان هذا هو كل ما يهمنى سماعه ٠

وصمت برهة ثم أردف قائلا بنفس صوته الحنون على أى الاحوال أشكر لك محاولتك للتخفيف عنى وثقى أنك الانسانة الوحيدة فى هذه الحجرة التى أحبها واحترمها ٠

ونظرت اليه فاطمة بحب نابع من أعماقها ·· حب كانت تحاول دائما أن تداريه عن عيون زملائها فى الحجرة ·· عن عينى عادل نفسه لكنه فى تلك اللحظة أطل من عينيها رغم ارادتها كانت عيناها تحتويان وسامته الشديدة وتتشربانها حتى أعمق أعماقها وتمنت لو كان فى مقدورها أن تميل على شفتيه وتقبلهما بنهم يروى ظمأها الشديد اليه ·· كان عادل يمثل فى نظرها دائما الفتى المستحيل الذى تنظر اليه من بعيد دون أن تطمع فى أن تضع يدها عليه ·· انه أشبه بنجمة تضىء فى عينيها ·· تراها فى أحلامها لكنها تذوب فى ضوء الحقيقة التى تقول أن المسافة بينهما بعيدة ·· بعيدة انه يبدو كما لو كان الها ليس من طينة البشر الاخرين - لا تختلط بلحمه سفالتهم ولا ينضح عرقا مقززا مثلهم - انه نظيف شفاف كزجاج مغسول له من ملامح الاله بروده وبعده السحيق ·· ان وسامته الشديدة تثير حرقتها الدائمة من أول يوم وقع بصرها عليه ·· حرمانها ·· حبها ·· تصنع مزيجا ملتهبا فى داخلها لا يجد منفذا للخروج ·· انها تفكر فيه عندما تصبح وحيدة مع نفسها وما أكثر ما تتعمد أن تصبح وحيدة مع نفسها حتى تفكر فيه انها تعرف كل شىء عنه - تعرف أنه لم يتزوج رغم وسامته الشديدة وهى لا تدرى لماذا - انها ترفض باشمئزاز أن تصدق الشائعات التى تثار من حوله انها ترجعها الى غيرتهم منه ·· الى أنه لا يريد أن يجاريهم فى تصرفاتهم الشريرة لكنه بالنسبة لها رجل حقيقى يثير خيالها ويلهب غريزتها ويشبعها من كل الوجوه ·· انه بوسامته الشديدة وارتفاع مستواه الاجتماعى بغموضه ·· بترفعه عن مشاركة الاخرين رذائلهم وخطاياهم بطيبة قلبه التى تنضح بها كلماته العاقلة الحنونة يبدو لها مخلوقا من عالم آخر بعيد ·· هناك حيث يغسلون الزجاج جيدا قبل صناعة البشر ·· انه يأتى كل

يوم الى الشركة ليس سيرا على قدميه أو متعلقا فى كتلة لحم ضخمة واقفة فوق سلم السيارة العامة كما يفعل باقى الموظفين الاخرين لكن فى سيارته الصغيرة الجميلة التى تثير انبهارها ·· أما هى فاطمة حبيبته المجهولة التى لا يدرى عنها شيئا سوى أنها مجرد زميلته فى الحجرة ، فموظفة عادية سمراء تجدها فى كل مكان ·· بل انها أحيانا تبدو باهتة عندما تقارن نفسها بامرأة جميلة أو وهى تستيقظ من نومها فى الصباح وتقف أمام مرآة حوض الغسيل بوجهها الخالى من المساحيق وشعرها المشعث الخالى من اللون وحتى وقت قريب وقبل أن تتزوج كانت تسكن مع عائلتها فى شقة ذات ايجار منخفض فى احدى العمارات القديمة فوالدها الموظف الصغير بالكاد يستطيع أن يدفع هذا الايجار وكان لديها خمسة من الاخوة ينحشرون معها فى الشقة الصغيرة أصغر وأكبر منها وبعد أن تزوجت وكانت تطمع فى أن يحدث تغيير حقيقى فى حياتها فان هذا التغيير لم يحدث ·· كل ما حدث أن الشقة أصبحت أضيق فى مساحتها ·· شقة تضمها هى وزوجها وابن أنجبته بعد فترة قصيرة من الزواج رغم معارضتها فى ذلك ، اذ كانت تريد أن تتيح لنفسها فرصة تهيئة ظروف أفضل لذلك الطفل قبل أن تسمح له بأن يجىء ·· لكن حماتها الملعونة التى تصر على التدخل فى كل كبيرة وصغيرة فى حياتهما الزوجية أوحت الى ابنها بضرورة الانجاب على الفور حتى تستمتع برؤية حفيدها قبل أن تموت ·· حياة أقل فى عدد الافراد الذين يملآونها لكن لها نفس روتينية وبطىء الحياة السابقة ·· ليس لها تلك اللسعة أو البهجة التى كانت تتصور أنها ستتميز بها عن حياتها فى بيت أسرتها ·· حياة تمضى بلا حزن أو سعادة كالزمن المطلق الذى ليس له بداية أو نهاية ··

الشيء الوحيد الذى يؤكد لها أن الزمن يمضى هو الشيخوخة التى تزحف على وجهها بصورة حثيثة تلك التجاعيد الرفيعة حول العينين ذلك التهدل المفاجيء فى بشرتها المشدودة اللون الابيض المخيف وهو يطل من بين خصلات الشعر السوداء ·· الحزن والاستسلام فى عينيها ·· برودة عواطفها تجاه الحياة ، تجاه زوجها ، انطفاء الشعلة فى داخلها ·· موت الاحلام فى قلبها ·· روتينية تخنق أنفاسها وتجعلها تتساءل عن السبب فى أنها ما زالت تعيش ·· ونظرت فاطمة الى عادل لآخر مرة قبل أن تعود الى مكتبها ·· نظرة حاولت أن تخفيها عن عيون الموظفين الاخرين ·· نظرة فيها من الحب بقدر ما فيها من الاشفاق والتعاطف ·· فى تلك اللحظة دخل الى الحجرة شاب جعل عيون الموظفين الموجودين بها رغم أنها تعودت رؤيته من قبل تنظر اليه بدهشة ممزوجة بنوع من السخرية القابلة للانفجار فى أى وقت ·· وتقدم الشاب وبصره منكس الى الارض وهو يكاد يتعثر فى خطواته من مكتب عادل الذى ما أن رآه حتى قام لمصافحته فى حرارة شديدة ثم طلب منه أن ينتظر بضع دقائق حتى يفرغ من آخر عمل يقوم به ثم ينصرفان معا الى البيت وفور أن أدار عادل وصديقه ظهريهما لباقى الموظفين وبينما كانا على وشك الخروج من الحجرة حتى أطلق ابراهيم ضحكة مفاجئة بدت لعادل متعمدة فالتفت اليه وحدجه بنظرة احتقار هائلة قبل أن يغادر هو وصديقه الحجرة فى طريقهما الى البيت ·· التفتت فاطمة الى زميليها وصرخت فى وجهيهما قائلة وهى فى أقصى درجات الغضب والانفعال ، كيف سولت لكما نفسيكما الحقيرة أن تهينا زميلا لكما على هذا النحو المخجل ·· والادهى من ذلك أن تتقولا عليه بأشياء انتما أول من يعلم بأنها كاذبة وغير حقيقية ·· لماذا لانه

يرفض أن يسايركما فى أعمالكما الاجرامية ·· يرفض أن يصبح لصا مثلكما ·

وانفجر فيها ابراهيم قائلا : اصمتى أيتها اللعينة انك لا تعرفين عن أى شىء تتحدثين ·· صرخت فاطمة فى وجهه وهى تود لو تنشب أظافرها فى عنقه ·· بل أعرف ما الذى أتحدث عنه أيها الوقح المكابر · أعرف أنكما تكرهان عادل لانه مختلف عنكما ·· ليس لصا وسافلا مثلكما ·· انه طيب حنون مستقيم وهذه هى كل جريمته فى نظركما ·· ثم التفتت الى شهيرة التى كانت تنظر فى زجاج النافذة المفتوحة وتساوى شعرها المتهدل وصرخت فى وجهها قائلة وانت يا ست شهيرة أليس هذا هو عادل فارس أحلامك منذ أول يوم القيت فيه نظرك عليه ·· الان أصبح سيئا لانه لا يريد أن يلتفت اليك لكن اطمئنى ان عادل لا يمكن ان يرتبط بواحدة مثلك هل تفهمين ·· انه يريد انسانة طيبة تحبه وتفهمه اما أنت ففتاة سطحية تافهة تستحق واحدا مثلها وصمتت برهة ثم أردفت قائلة كأنها تكلم نفسها ان عادل فنان وأنت لا يمكنك أبدا أن تفهمى انسانا مثله ·

وهنا انفجر فيها ابراهيم قائلا فنان ·· لا تجعليننى أضحك أرجوكى ·· لا أظنك تعنين معارض الرسم الفاشلة التى يقيمها بين الحين والاخر ولا يحضرها أحد ولا يبيع فيها صورة واحدة ليكن هل هذا يجعله أفضل منا جميعا ·· على أى الاحوال اننا نتعب ونشقى من أجل ان نعيش ولا نسمح لانفسنا بأن نمارس العمل التافه الذى يمارسه اننا رجال حقيقيون ولسنا حالمين أو فنانين مثله ·· ونظرت اليه فاطمة باحتقار شديد فقد مثل فى نظرها كل ما هو غبى وغريزى وهمجى انه لا يستطيع أن يدرك أن الانسان يمكن ان يكون فنانا ورجلا فى نفس الوقت ·· ثم

صرخت فى وجهه وهى تنتفض من الغضب جاهل مغــــرور ماذا تعرف أنت عن الفن لتتحدث عنه انك لست سوى موظف كســول لا يستحق حتى المرتب الذى يتقاضاه مقابل عمل لا يقوم به ‥ ان عادل الذى تسخر منه وتتهمه بتلك التهمة الفظيعة التى تعلم أنه برىء منها يساوى مائة واحد مثلك وابتسم ابراهيم فى خبث ليغيظها أكثر ، وقال وهو ينظر اليها بوقاحة شديدة ‥ مفهوم طبعا هذا الحماس الشديد للدفاع عن السيد عادل ‥ اليس هو حبيب القلب وصرخت فيه فاطمة وهى ترتجف من الانفعال لجــــرأته البالغة ووقاحته وضاعف من احساسها بالالم ان التهمة حقيقـة وأنها قيلت لاول مرة فى العلن ، وبوقاحة بالغة وهذا ما جعلهـا تحس كأن نارا لسعتها من الداخل فى مكان لم تكن تظن أن النار يمكن أن تطولها فيه ‥ اخرس ايها الوقح الا يكفيك ما فعلتـــه بعادل لتشنع على أنا أيضا لــكن ابراهيم تابع هجومه الوحشى المدعم بابتسامته الناعمة التى تجعل أعماقها ترتجف من الغضب هل تظنين أننا عميان لا نلاحظ شدة اعجابك بعادل اعجاب امرأة برجل يروقها ‥ لكنـــــك تنسين شيئا هاما يا مدام انك امرأة متزوجة وانه ليس من حقك أن تنظرى الى رجل آخر غير زوجـك المسكين ‥ وسرحت فاطمة بفكرها لثوان قليلة اختفى فيهــــا ابراهيم والكلام المهين الذى يقوله لها وبقيت نفسها فى مواجهـة الحقيقة ‥

نعم اننى أحب عادل ‥ أحبه أكثر من زوجى الـــذى لا تربطنى به عاطفة حقيقية ‥ كنت دائما انسانة تواقة الى الحب ‥ خيالية وزوجى المادى الواقعى الذى لم يقرأ كتابا فى حياته أو يشترى اسطوانة موسيقى ليس هو الرجل الذى يملأ خيـــالى ان عادل وحده هو الذى يجسد صورة الرجل فى نظرى ‥

ان منطقة الخيال والحب فى داخلى جدباء متعطشة لمن يرويها وزوجى لن يكون أبدا ذلك الانسان الذى يروى عطشى الى الحياة ٠٠ وتصحو من خيالاتها وصوت ابراهيم المتهكم يخترق ضلوعها ٠ ألم أقل لكم أن صاحبتنا سرحت ٠٠ مع عادل حبيب القلب بالطبع وتصرخ فاطمة فى وجهه ٠٠ سافل حقير ويصرخ ابراهيم فى وجهها اسمعى هذا الكلام لآخر مرة ويمكنك أن تنقليه الى سى عادل بتاعك لن يمكنكما الوقوف فى طريقنا لاننا اغلبية فى هذه الادارة واذا أراد عادل أن يظل موظفا فى هذه الشركة فعليه ألا يعترض سبيلنا هل تفهمين ؟ وانتهت شهيرة من عملية الاطمئنان الى منظرها العام أمام زجاج النافذة المفتوحة وذهبت تتهادى بطريقتها الخاصة فى المشى صوب ابراهيم ثم أمسكت به من يده وأبعدته عن مكتب فاطمة وهى تقول له بصوت شديد النعومة جعل مرفت تنظر اليها باشمئزاز شديد تعالى يا ابراهيم ودعك منها فأنا أعتقد أنها وعت الدرس جيدا وستقوم بأبلاغه لحبيب القلب عادل ثم توجهت الى باب الحجرة وقبل أن تخرج منها التفتت الى زميليها قائلة لهما أعتقد أنه ينبغى على الانصراف الآن فلدى ميعاد هام جدا مع الكوافير باى باى ثم وجهت نظرة ازدراء الى فاطمة التى كانت جالسة فى صمت الى مكتبها وحزن عميق يسيطر على مشاعرها قبل أن تخرج من الحجرة ٠

* * *

فى سيارة عادل الصغيرة التى أقلتهما الى البيت ٠٠ السيارة التى تشكل نقطة فى بحر من الصفيح الساخن يتحرك ببطء شديد تحت شمس كالجحيم ٠٠ الصمت والحر يوتران أعصاب راكبى السيارة وفجأة ينفجر عادل قائلا لم أعد احتمل

أكثر من ذلك ٠٠ حقيقة لم أعد أحتمل ٠٠ اننى أكاد أجن ويصمت برهة ثم يردف قائلا :

لماذا لا يدعوننى وشأنى ٠٠ لماذا يصرون على تحطيمى ٠٠

وبرغم ان مدحت صديق عادل الحميم كان يعلم بأمر الحرب الناشبة بينه وبين زملائه فى العمل الا أن انفجار عادل المفاجىء بهذه الطريقة ٠٠ كلماته التى تقطر أسى ومرارة أحزنت مدحت وأصابته بنوع شديد من الصدمة اذ لم يكن يعلم بأن أعصاب عادل قد وصلت الى هذه الدرجة من الانهاك الشديد ٠٠ سأله بلهفة تنم عن رغبته فى أن يشاركه أحزانه : عادل ما الذى حدث ٠٠ تكلم أرجوك ٠٠ انها ليست نفس القصة القديمة أليس كذلك ؟ قال عادل وهو يزفر زفرة حارة بل هى نفسها ٠ لقد أصبحت شيئا يتكرر بنفس الطريقة حتى أصبح يصيبنى بالغثيان ٠٠ هل تعلم آخر محاولاتهم معى أنهم يهددوننى بل لجئوا الى اتهامى فى العلن بتهمة أخجل بينى وبين نفسى أن أرددها ٠

وصمت برهة أطلق فيها بصره مع الوهج اللامع فوق سطوح مئات السيارات الواقفة من حوله ثم سأل مدحت قائلا :

هل تعرف ماذا يقولون عنى فى الشركة يا مدحت ؟ ٠٠ عنى أنا ٠٠ وضع مدحت يده برفق فوق كتف صديقه وقال له بحنان شديد : أعرف ما الذى يقولونه عنك يا عادل لكن بحق السماء لا تلقى بالا لهم انك تعرف السبب فى ذلك انهم يريدون أن يدفعوك للاشتراك معهم فى نشاطهم الاجرامى وليس أمامهم سوى اطلاق الشائعات من حولك ٠٠ لكن المهم هو ما تشعر به أنت داخل نفسك لا ما يقوله أوغاد حاقدون ٠

قال عادل بصوت حزين ينضح بالمرارة اننى لا أدرى كيف ينحط الانسان بملكاته الى هذه الدرجة فيتدنى فى تفسير الظواهر التى لا يفهمها أو يكرهها الى

هذه السوقية والابتذال ٠٠ وصمت لحظة سرح فيها ببصره الى بعيد وقد كادت الدموع أن تطفر من عينيه ثم قال بكلمات تقطر حزنا ومرارة هل تعرف يا مدحت لقد بدأت أكره وسامتى ٠٠ تلك الوسامة التى تعتبر نعمة من السماء للشخص الذى تمنح له ٠٠ أما هنا فى هذا المكان الذى يتبادل فيه الناس الكراهية والنميمة فانها تعتبر نقمة مثلها مثل القبح تماما ٠٠ وابتسم فى سخرية وهو يقول أليست هذه نتيجة غريبة فعلا أن يتساوى الجمال والقبح ٠٠ وأن يسبب كلاهما كراهية الناس وعداءهم ٠٠ لكن ما يؤلمنى حقيقة ويسبب حيرتى الشديدة هو كيف يمكن ان تغيب حقيقة الشخص عن عيون الناس الذين يرونه طول الوقت ويتعاملون معه ويتأملونه وهو يعبر عن نفسه ويفكر بصوت مرتفع ٠٠ كيف يمكن أن تتناقض حقيقة الشخص الداخلية مع الصورة التى يراها الناس له ٠

وفجأة علا التصميم وجهه وقال بلهجة تؤكد أنه يعنى ما يقول لكنى لن أستسلم لهم وسأعرف كيف أوقفهم عند حدهم لكن المشكلة أننى لم أعد أطيق العمل ٠٠ لم أعد أطيق رؤيتهم بعد الان خصوصا بعد أن قالوا فى العلن ما كانوا يهمسون به فى السر ٠٠ كيف سيمكننى أن أجابههم بعد الان قال مدحت لعادل : عندى حل للمشكلة التى تجابهها ٠٠ لماذا لا تأخذ أجازة لمدة أسبوع تقضيه بعيدا عنهم حتى تهدأ الامور ثم تعود من جديد ان هذا سيتيح لك أن تفكر بهدوء على الاقل ٠٠ قال عادل بانفعال كلا اننى لن أفعل شيئا من هذا القبيل لانه سيعتبر هروبا فى رأيهم وأنا لن أعطيهم أبدا الفرصة للاستمتاع بهذا الاحساس السعيد بالانتصار على سأذهب اليهم وأتحداهم فى وجوههم ٠ وسأثبت لهم أننى قادر على محاربتهم الى النهاية ٠

قال مدحت وهو يحس بالاشفاق على صديقه عادل من جراء هذه المواجهة الخطرة وان كان فى أعماقه يتمنى له النجـــاح فى مهمته ·· اننى معك يا عادل فى كل ما تقدم عليه ، ومرت لحظـة صمت قال بعدها مدحت بلهجة حزينة : هل تعرف يا عادل اننى أعيش مشكلة مثل مشكلتك تماما ، مشكلة الانسان المختلف عن المجتمع الذى يعيش فيه لكن لسبب آخر تماما اننى لا أشكو من وسامة شديدة مثلك بل أشكو ·· وصمت ولم يستطع أن يكمل وهنا نظر اليه عادل باشفاق شديد ·· الى الجانب الايمن المحروق من وجهه وقال له بحنان شديد : أنا أعرف مما تشكو يا مدحت ·· ضحك مدحت بسخرية وهو يقول لعادل : ان من ينظر اليك يا عادل يظن أنك أجنبى بكل هذا الشعر الاشـــــقر والعينين الزرقاويتين والبشرة البيضاء ، أما أنا فانظر الى اننى أخجل من مجرد السير فى الطريق ·· أحاول أن أتجنب عيون الناس التى تبصقنى فى كل دقيقة كما لو كنت أحقر وأغرب شىء فى العـــالم ·· وصمت برهة ثم قال بحزن شديد : هل تعرف أنه فى مقدورى أن أعيش بوجهى المحروق ·· أعيش حياة عادية ولا أقول سعيدة لكنهم لا يريدون ذلك بوعى أو بلا وعى منهم ·· ان عيونهم التى تحاصرنى فى كل مكان تؤكد احساسي بالغرابة ·· تؤكد لى انهم لن يقبلونى أبدا كواحد مثلهم له حقوق على قدم المساواة معهم ·· ولا ريب أنك لاحظت الابتسامات التى تحيطنى فى كل مكان والتعليقات الساخرة وأحيانا الشتائم البذيئة هل تتصور يا عادل الشتائم البذيئة لى أنا ·· ووضــــع عادل يده برفق على كتف صديقه وقال له وقد أحس بقوة الرابطة التى تجمع بينهما والتى تتبلور حول إحساس المأساة المشترك الذى يعيشه كل منهما ·

اننى سعيد يا مدحت لانك أخرجت كل ما فى صدرك ٠٠
ولمعت عينا مدحت بشعور الامتنان لعادل لانه أحس بما يشعر به فى داخله ويشاركه فيه ٠٠ وفجأة قال له والمرارة تنضح من كلماته ٠٠ عادل لماذا يفعلون بنا ذلك ؟ لماذا يعذبوننا ؟ لماذا لا يفهموننا على حقيقتنا ويعاملوننا على هذا النحو ؟ قال عادل وهو يضحك بمرارة شديدة : يبدو أنك تطلب المستحيل يا صديقى العزيز فالناس دائما سطحيون يحبون رؤية الاشياء كما تبدو لهم من الظاهر ولا يتعبون عقولهم كثيرا فى البحث عن حقيقتها الداخلية ٠٠ ثم ان الناس ينظرون دائما من بعيد ولا يتاح لانسان أن يعرفك على حقيقتك الا اذا اقترب منك ، ودائما هؤلاء هم العدد الاقل وصمت برهة سرح فيها بخياله الى بعيد ثم أردف قائلا بلهجة حزينة انك قد تكون فى حقيقتك عبقريا لكنك تصبح محطا لسخرية الناس اذا بدوت غريبا بينهم ٠٠ ان الناس هنا لا يحترمون الحرية الشخصية ٠٠ حريتك فى أن ترتدى ما تريد ـ ان تربى ذقنك مثلا ٠٠ أن تسير فى الطريق وأنت تجر كلبا صغيرا لذلك يا عزيزى لا ينبغى أن تدهش لان الناس تعاملنا نفس المعاملة لسببين مختلفين ٠٠ هل تعرف لماذا لانهما فى حقيقتهما سبب واحد ٠٠ هو الاختلاف عن الاخرين ٠٠ خذ الرجولة مثلا التى يتفاخرون دائما بوجودها فى هذا المجتمع انها ليست حقيقة أو سلوكا فى نظرهم بل مظهرا فارغا من أى محتوى ٠٠ فأنت رجل لا بقدر حقيقتك الداخلية بل بقدر ما تبدو للاخرين وفق نظرة سطحية محضة بأنك رجل ٠٠ الرجولة دائما نوع من الخشونة المجردة من الانسانية والاخلاق ضعف والرحمة بلاهة ٠٠ انها اعتداء على ضعيف لا يستطيع أن يدافع عن نفسه ٠٠ اهانة لامرأة ينظر اليها كمخلوقة من الدرجة الثانية انها سوقية ٠٠ خشونة ٠٠ سلاطة لسان لكنهم لا يدركون شيئا عن امكانية ان تكون رجلا

لانك أعلم ·· لانك أنبل ·· لانك أرحم ·· كانت السيارة متوقفة أمام اشارة المرور الحمراء مجرد نقطة صغيرة فى شريط طويل من السيارات ينتظر بفروغ صبر أن يسمح له بأن يتحرك من جديد يتحرك ببطىء وتسكع كأنه ثعبان مريض وكان فراغ السيارة الصغيرة قد تحول بفعل الهواء الساخن الداخل من النوافذ المفتوحة الى أتون حقيقى أطلق كل حويصلات العرق فى وجهى راكبى السيارة فأخذت تنز بمخزونها من تلك النقاط البللورية الصغيرة التى أخذت تنزلق فوق بشريتهما بغزارة كانت تدعوهما الى اخراج منديليهما بين الحين والآخر وتجفيفها ·· كان الانتظار مملا والهواء خانقا للانفاس ساخنا كأنه قادم من الجحيم ·· وكانت عينا عادل مركزتين على الاشارة الحمراء التى تحولت فجأة الى اللون الاخضر وبدأت أبواق السيارات المتراصة جنبا الى جنب والتى تريد أن تنطلق من هذا الجحيم تعوى بشدة وتحركت السيارات التى تتقدم عادل الذى تأخر قليلا فى الانطلاق بسيارته مما دفع قائد السيارة الخلفية الى اطلاق نفيرها المزعج كى يحث عادل على الانطلاق بسيارته · وبطريقة مفاجئة اندفع عادل بسيارته الى الامام فى نفس اللحظة التى كان فيها أحد الميكانيكيين الشبان يعبر الشارع أمام السيارة فصدمته صدمة خفيفة مما جعله يتوقف فجأة وينظر الى عادل فى غضب شديد وبمجرد أن رأى وجهه صرخ فيه قائلا : ما تفتح يا خول هل أنت أعمى ·· ونظر اليه عادل وهو يكاد ينفجر من الغيظ خاصة بعد سماعه تلك الكلمة المهينة التى تفوه بها الميكانيكى الشاب فلماذا اختار هذه الكلمة بالذات ؟ ماذا يوجد فى شكله وأوحى له بهذه الفكرة عنه ·

ان هذه الكلمة البذيئة ليست مجرد شتيمة تلقائية تفوه بها هذا الشاب انه اختارها عن عمد دون باقى الشتائم الاخرى لانها

ترمز فى ذهنه لشىء معين خبيث مهين ٠٠ اختارها فى لحظـــة واحدة ودون أدنى تفكير وتألم عادل أكثر لان انسانا أهان انسانا آخر لا يعرفه معرفة حقيقية وكل ما رآه منه شكلا يمكن أن يخدع وسببه بتلك الكلمة المهينة دون أن يفعل شيئا يستحق عليه هــذه الاهانة ٠

وتحولت مشاعر عادل الى غضب جعله يتخلى عن هدوئه المعتاد ٠٠ ضغط بشدة على فرامل السيارة فجعلها تتوقف بطريقة مفاجئة كادت معها السيارة الخلفية أن تصطدم بهـــا مما دفع قائدها الى الصراخ طالبا من عادل أن يتحرك بسيارته من جديد ٠٠ لكن عادل لم يعبأ به وحاول فتح باب السيارة ليؤدب الميكانيكى الذى وجه اليه هذه الاهانة البالغة والذى كان ما يزال واقفا فى مكانه يحدجه بنظرة احتقار واضحة لكن يد مدحت أمسكت به فى اللحظة الاخيرة ومنعته من فتح باب السيارة ٠٠ وبكل قـــوة الاقناع حاول مدحت أن يثنى عادل عن النزول والتشـــاجر مع الميكانيكى الشاب اذ ما جدوى النزول من السيارة وسط كل هذا الزحام والابواق التى لن تكف عن الصراخ حتى تتحرك ســيارة عادل التى تقف وسط الطريق ٠٠ ثم انه بعد أن يتحرك بالسيارة لبضعة أمتار فربما صادف انسانا آخر يوجه له نفس الاهانة من جديد ٠٠ ولم ينزل عادل من السيارة لكن أعماقه كانت تغـــلى من الغضب والشعور بالاهانة ٠٠ أما الميكانيكى الذى شاهد هذا التصرف من عادل فقد ظن أنه جبن عن النزول اليه فنظر اليـــه باحتقار وقد وضع على شفتيه ابتسامة بدت لعادل أفظع كثيرا من الاهانة الصارخة التى وجهها له من قبل ٠٠ انها نفس الابتسامة التى تقابله بين الحين والاخر والتى تقول له انه انسان غريب مكانه ليس بيـن النـــاس الـذين يتحـــركون من حـــوله بل ربما فى قطعـــة صغيرة بعيدا عن الارض ٠٠ وكاد عقل عادل

ن ينفجر من الغيظ وهو يحاول تفسير كيفية اتفاق الناس جميعاً على أمر واحد هو الوحيد المتأكد انه خاطىء تماما .. ان هؤلاء الاوغاد باصرارهم الغريب على توجيه الاتهام له كادوا أن يشككوه فى نفسه .. فى رجولته .. واذا لم تكن الحقيقة هى ما يتفق الناس جميعا على أنه الحقيقة فما عساها تكون لكن الغريب أنه متأكد انهم على خطأ هذه المرة .

كان هذا الاحساس يعذبه ويدفعه أكثر الى كراهية هذه المدينة الخالية من القلب . وصرخ بوق السيارة الخلفية من جديد يستحث عادل على التحرك بسيارته .. لكن حتى بعد أن تحركت السيارة ظل عادل لبضعة أمتار يتابع بنظره الميكانيكى الشاب الذى كان قد عبر الشارع الى الرصيف الاخر واختفى فى الزحام ، وعاد الصمت المشحون بالتوتر والحزن يخيم على جو السيارة من جديد .. وحاول مدحت أن يجد كلاما يخفف به من وقع المأساة على صديقه عادل لكنه لم يجد هذا الكلام بل لم يجد حتى الرغبة فى نطقه .

وفجأة انفجر عادل ضاحكا وهو يشير بأصبعه الى احدى سيارات الاوتوبيس التى ما أن رآها مدحت حتى انفجر ضاحكا هو الاخر ، كانت مكتظة بالبشر بطريقة تدعو الى السخرية وكانت تكاد تنكفىء على جانبها الايمن من فرط الحمولة التى تثقلها والتى كانت تتمثل فى عشرات الاشخاص الواقفين على سلالمها والمحشورين فى كل مكان داخلها وحتى فى زجاجها الخلفى المكسور ورغم ذلك كان سائقها الذى كان مشغولا بالحديث مع رجل يقف الى جواره يحاول أن ينحشر بها بين سيارة صغيرة واقفة الى جوار الرصيف وسيارة أخرى تسير فى الشارع رغم

أن المسافة بين السيارتين لم تكن تسمح على الاطلاق لسيارة الاوتوبيس الضخمة أن تمر بينهما ، وما أن شاهد قائد السيارة الاخرى فى مرآة سيارته الاوتوبيس الضخم وهو يندفع نحوه بهذه الطريقة حتى أسرع يقفز بها بعيدا فى لمح البصر وهو يطلق سيلاً من الشتائم على قائد سيارة الاوتوبيس الذى اندفع كالمجنون فى المسافة التى أتاحها له قائد السيارة المذعور ، وقال عادل لمدحت ضاحكا تأمل هذا المشهد الغريب الذى لا مثيل له فى أى مكان آخر فى العالم .. هل يمكنك أن تتمالك أعصابك من الضحك وأنت تراه حتى لو كنت تراه للمرة الالف .. والغريب أنهم ما يزالون يعتبرونها سيارة أوتوبيس ، وما يزالون يعتبرون هؤلاء بشرا وهذه مدينة ، وصمت برهة ثم قال بحزن شديد حقيقة لقد أصبحت اؤمن أننا وصلنا الى درجة من البلادة بحيث لم تعد تؤثر فينا هذه المناظر المخجلة ، لم نعد قادرين أو حتى راغبين فى التغيير .. أليست هذه هى قمة المأساة .. ومضت السيارة تشق طريقها بصعوبة وسط طوفان السيارات المتحركة فى بطىء شديد من حولها حتى اذا ما كانت تسير بحذاء احدى سيارات الاوتوبيس الضخمة التى كانت تتلوى فى وسط الزحام كدودة شريطية عملاقة وعادل يحاذر أن يقترب منها حتى لا تحطمه اذا بعين مدحت الشديدة الحساسية للاهانة التي توجه له تبصر وجها ضاحكاً يتفرس فيه بطريقة وقحة وهو ينظر اليه من خلال نافذة السيارة المفتوحة .. كانت تتوسط ذلك الوجه عينان مليئتان بالدهشة ولاستنكار وهما تتركزان على الجانب المحروق من وجه مدحت الذى أحس بالاهانة تملأ أعماقه فوجه نظرة غاضبة محذرةلصاحب العينين المدهوشتين لكن العينين ظلتا رغم ذلك مسلطتين عليه كلعنة لا تريد أن تبتعد عنه حتى بعد أن خيل اليه انهما شبعتا

من احتواء غرابة وجهه واهانته ٠٠ ثم بلغت صفاقة صاحب هاتين العينين اللامعتين الذروة عندما بصق على الارض بطريقة واتجاه بصر أكدت لمدحت أنه المقصود بذلك ٠

كان من الواضح أن صاحب العينين اللامعتين يريد أن يؤلمه أكثر ٠٠ يهينه أكثر ليستمتع أكثر وأكثر ٠٠ ثم تحول الوجه الضاحك مع الوقت الى مجرد ابتسامة على الشفتين أحس بها مدحت المجمد الحواس كأنها نصل حاد يغوص في أحشائه ٠٠ أحس المسكين الذى كانت تربكه دائما مثل هذه المواقف المخزية ٠٠ أنه شهيد فى حرب لا يعرف أحد عنها شيئا رغم أن الجميع مشتركون فيها ، جبابرتها وجلادوها ، لكنه أيضا أحس بغضب الانسان المقهور يغلى فى داخله وود لو يفتح باب السيارة ويقفز منها حتى وهى سائرة ثم يظل يعدو وراء سيارة الاوتوبيس حتى يلحق بها ثم ينزل هذا الانسان المجرم من السيارة ويخنقه بيديه العاريتين حتى يزهق أنفاسه ، والتفت مدحت الى عادل قائلا له كأنه يريد منه أن يشاركه محنته ٠٠ هل رأيت ما فعله هذا الوغد الذى يطل من نافذة سيارة الاوتوبيس ، هل رأيت كيف بصق على الارض ٠٠ وضع عادل يده برفق على يد صديقه مدحت ٠٠ وقال له باشفاق شديد نعم رأيت ذلك لكن صدقنى لن يمكنك أن تفعل له أى شيء لن يمكنك حتى أن تحتج ضده ٠٠ فسيقول لك انه لم يقصدك أنت بالذات بما فعل وسيجد عشرات الناس من حوله تصدقه ٠٠ وصمت مدحت بعد أن اقتنع بمنطق عادل البارد الذى لم يستطع رغم ذلك أن يهدىء من حالة الغضب التى تغلى فى داخله ٠٠ كان يتساءل عما يجنيه الناس من تعذيب بعضهم البعض بهذه الطريقة المهينة سوى هزيمة مؤكدة لهم جميعا فى نهاية الامر ٠

ومضت السيارة تشق طريقها اليومى المستحيل حتى وصلت أخيرا الى الضاحية الهادئة نسبيا التى يسكنانها . هناك خف الزحام بعض الشىء وبدأت السيارة تعدو بسرعة أكبر حتى اذا ما وصلت الى الشارع الذى يسكن به عادل ومدحت انحرفت داخلة اليه .. انه شارع هادىء تخيم عليه الظلال الرطبة خاصة أثناء الصيف عندما تصبح باقى شوارع القاهرة كالجحيم .. ظلال تصنعها أشجار وارفة على جانبى الشارع أما العمارات السكنية فمتشابهة وكلها ذات ارتفاع واحد من النوع الذى بنته الشركة التى انشئت الضاحية الجميلة ذات يوم .

وعند ناصية الشارع أبصر عادل أفراد الشله واقفين كما تعود أن يراهم منذ أول يوم سكن فيه ذلك الحى منذ سنوات بعيدة .. الوجوه تتغير .. الصغار يكبرون لكن الشلة دائما واقفة فى مكانها كأنها جزء من علامات الحى نفسه وأحس عادل بشىء من الخوف وهو يعبر بسيارته من أمامهم فالود مفقود لا يدرى لماذا بينه وبينهم وتحقق ما كان عادل يخشى أن يحدث اذ ما ان أبصروه أمامهم حتى راحوا يتفرسون فيه بوقاحة سببت له احساسا شديدا بالارتباك والغيظ بل ان البعض تجرأ وأطلق صفيرا ساخرا نكاية به .. يا الهى ان قصة كل يوم .. كل الناس تتكرر من جديد .. ماذا يريد منه الناس .. لماذا يكرهونه الى هذه الدرجة .. ما الذى ينبغى عليه أن يعمله حتى يفهموه على حقيقته ويدعوه يعيش حياته بسلام .. ونظر اليهم عادل بغيظ شديد لكنه لم ينطق بحرف واحد ديعبر به عما يجيش بداخله .

أما مدحت فلم يكن أقل منه احساسا بالخوف والارتباك فالعيون ترمقه بازدراء هو الاخر بل ان أحد أفراد الشلة بصق

على الارض عندما رآه ‥ وقال عادل لمدحت بعد أن أحس بما يجيش فى داخله يوما ما سيدرك هؤلاء الاوغاد أن ما يفعلونه بنا خطأ فاحش وسيحسون بالندم ونظر اليه مدحت وقال بمرارة شديدة نعم بالتأكيد بعد أن نموت أنا وأنت ‥

وأوقف عادل السيارة تحت شجرة كبيرة أمام منزله وودع مدحت على لقاء قريب فى المساء كى يبقيا لمشاهدة التليفزيون أو يتوجهان الى احدى دور السينما ٠

ودخل عادل الى الشقة التى يسكنها مع أمه حيث تقوم على خدمتهما شغالة متوسطة العمر رفضت أن تفارقهما بعد وفاة أبيه ، وبعد أن تزوجت أختاه وتركتا المنز ل‥ كانت أمه المصابة بالشلل منذ خمسة عشر عاما جالسة فوق كرسيها المتحرك الى جوار احدى النوافذ المفتوحة المطلة على الشارع حيث كانت الستارة نصف المغلقة التى تجلس وراءها كى تحجبها عن عيون الجيران ، تسمح لها برؤية ما يتحرك أمامها فى الشارع وهو ما يبدو أنه تسليتها الوحيدة ، وأيضا صلتها بالعالم الخارجى ٠

التفتت الام ناحية باب الشقة عندما أحست بالمفتاح يدور فى قفل الباب وعندما رأت عادل وهو يدخل من الباب تطلعت اليه بملأ حواسها ‥ وقالت له بلهجة حنونة رقيقة ‥ هل أتيت ياعادل حمد الله على السلامه ‥ هيا أغسل وجهك وغير ملابسك وتعالى لنتناول معا طعام الغذاء ‥ ثم ارتفع صوتها يأمر تفيدة الخادمة بتجهيز الغذاء ثم التفتت الى عادل وقالت له ضاحكة لابد انك جائع جدا فأنت لم تفطر شيئا فى الصباح اطمئن ان تفيدة لن تأخذ وقتا كثيرا فى اعداد المائدة ‥

لكن عادل قال لامه بجفاء صدمها بعض الشيء آسف لن أستطيع أن أتناول معك طعام الغـــذاء لانني أحس ببعض الارهاق ٠٠ وســـأدخل الى حجرتى لأنام ٠٠ لم تصدق الام مـا قاله أبنهـا فالتفتت تسأله فى لهفة ما الذى حدث يا عادل تكلم أرجوك ، قال عادل بعصبية شديدة : لم يحدث شىء كل ما فى الامر اننى أريد أن أدخل الى حجرتى وأستريح بعض الوقت ، لكن احساس الام كان يقول لها ان شيئا ما حدث لابنها وانه يرفض أن يحـــدثها عنه ٠

قالت له بكل حنان الام ولهفتها على ابنها كلا يا عادل ان شيئا قد حدث لك أنظر الى وجهك انه بلون الدم ، انك لا تبدو طبيعيا على الاطلاق ، وهنا لم تستطع أعصاب عادل أن تحتمل أكثر من ذلك صرخ فى وجه أمه والالم يمزقه ومنذ متى كنت طبيعيا يا أمى ٠٠ اننى لم أكن طبيعيا فى يوم من الايام ، اسألى النـاس يقولون لك من أنا وكاد أن يبكى من فرط أحساسه بالغيظ ، قالت الام وهى تنظر الى أبنها بدهشة أننى لا أفهم شيئا مما تقول يا عادل أرجوك تكلم عما يضايقك فربما أمكننى أن أساعدك ٠٠ قال عادل بأحساس شديد بالقهر لن تقدرى أبدا على مساعدتى يا أمى بل انك أحد أسباب شقائى فى هذا العالم ٠

ارتاعت الام وهى تسمع كلام ابنها الذى بدا لها كمفاجأة لم تكن تتوقعها اذ كانت تعتقد دائما انها أم مثالية أعطت ابنها كل ما استطاعت ان تعطيه له من العطف والرعاية ٠

سألته والالم يمزقها ما الذى فعلته لك يا عادل لتتهمنى بهذه التهمة الفظيعة ، ألا يكفيك ما أنا فيه لكى تزيد من عذابى ، تذكر يا عادل اننى عجوز مشلولة وأن زعلة بسيطة يمكن أن تقضى على ،

لكن عادل استمر يقول بنفس انفعاله الغاضب وان كان يحس بالالم
يمزقه لانه قال كلاما مهينا لامه ٠٠ كلاما ما كان يود أن يقوله أبدا
لكنه أحس فى هذه اللحظة أنه سيختنق به مالم يقذفه فى وجه
انسان ما حتى لو كان هو أمه التى يحبها أكثر من أى انسان آخر
فى هذا العالم ، هل تذكرين ماذا كان يسمينى الاولاد فى المدرسة
وأنا طفل صغير البنوتة هل تعرفين لماذا يا أمى ؟ لانك أردت لى أن
أشب شبيها بالبنات ، كنت معجبة بجمال وجهى الابيض المشوب
بالحمرة ، وبشعرى الاصفر المسترسل كالحرير وراء ظهرى ذلك
الشعر الذى تركتيه ينمو كشعر البنات حتى جاء والدى ليقصه
لى بوحشية وهو يصرخ فى وجهى أنا الطفل ذو الخمس سنوات
بأن أصبح رجلا ٠٠ هل تذكرين يا أمى ٠٠ وكانت صديقاتك الغبيات
عندما يشاهدننى يقلن لك باعجاب شديد حلوة جدا أبنتك هذه
ما أسمها ، وكنت تضحكين فى سعادة وتقولين لهم متفاخرة أنها
ليست ابنتى ٠٠ انه ابنى عادل انظروا اليه كم هو جميل انه يكاد
أن يكون فتاة ٠٠ نعم يا أمى كنت تتمنين فى أعماقك ان أكون فتاة
على الاقل لفترة من العمر حتى تتباهى بى أمام صديقاتك الغبيات
٠٠ ليس مهما يحدث لى أنا ٠٠ الدمار الذى تحدثه كلماتك
وكلمات صديقاتك الغبيات فى نفسى ٠٠ آه يا أمى ماذا أقول لك
ماذا أقول لك ، قالت الام تدافع عن نفسها وقد مزقتها كسكين حادة
كلمات ابنها الغاضبة المنفعلة خاصة وانه كان يقولها من قلبه ،
لكنى لم أكن أقصد أن أضرك يا عادل ، كانت المسألة كلها نكتة
نضحك لها ، لكنى أردت لك أن تشب رجلا وأنت رجل فى
نظرى يا عادل مهما قالوا عنك ، لكن عادل قال بمرارة شديدة
ليس مهما رأيك فى يا أماه لكنه رأى الاخرين هل تفهمين ؟

وفى تلك اللحظة رن جرس التليفون رنينا طويلا مزعجا انخلع له قلب عادل المتوتر .. دائما كان يخشى تلك الالة اللعينة ويعرف متى تحمل له نوعا من الازعاج أو الخطر .. وأحس عادل بشعور داخلى فى تلك اللحظة أن هذه المكالمة من هذا النوع .. انها تقصده هو بالذات .. تقصد توتير أعصابه ، مضايقته .. انهم لا يكتفون فقط بمضايقات الشارع لكن لا بد ان يضايقوه أيضا فى المنـــزل فى المكان الوحيد الذى ينبغى أن يشعر فيه بالامان والبعــــد عن التوتر ولم يذهب عادل ليرفع سماعة التليفون بنفسه بل طلب من الخادمة ان تفعل ذلك نيابة عنه لكن الخادمة ما كادت ان تصل الى آلة التليفون وتهم برفع السماعة حتى توقف الرنين فجأة كما بدأ وأسرعت الخادمة الى المطبخ ومرت ثوان قليلة ظل عادل خلالهـــا متوتر الاعصاب يتوقع ان ترن آلة التليفون من جديد ، وفجـــأة عادت تلك الالة الملعونة تصدر رنينها المزعج المتواصل من جـديد وفى هذه اللحظة كانت أعصاب عادل قد انهكت تماما وبصـــوت مهزوز عصبى النبرات طلب عادل من الخادمة ان ترد على التليفون من جديد وهرولت الخادمة الى التليفون وهى تسب هذا المـزعج المجهول الذى يضايقهم هكذا طول النهار رغم عدم وجود فتـــاة فى المنزل مما كان يسبب لها حيرة شديدة ، وما كادتتمسك بسماعة التليفون حتى توقفالرنين فجأة كما بدأ ووضعت الخادمة السماعة بعنف فوق آلة التليفون وهى تقول بعصبية شديدة ، اننى لن أرد على هذا التليفون بعد الان ولو ظل يرن طول اليوم ان ورائى عملا ينبغى أن أؤديه .. وظلعادل يتوقع أن يرن التليفون من جديد وكان عليه هذه المرة أن يقابل الخطر بنفسه اذ كان من الحماقة بل من الهوان أن يطلب من الخادمة أن ترد على التليفون من جديد نيابة عنه وفجاة عاد التليفون اللعين يصدر رنينه المزعج مـن جـديد وهرول عادل اليه وبصعوبة شديدة رفع سماعة التليفون ولميتكلم

فقط أخذ يستمع بقلب واجف الى تلك الهمهمات الغريبة والاصوات المتداخلة وهى تتناهى اليه مختلطة مع بعض الضحكات الخليعة ومصمصة الشفاه ووضع عادل السماعة بعنف فوق آلة التليفون ووقف ينتظر بعض الوقت ثم مالبث أن رفع السماعة ووضعها الى جوار التليفون حتى يمنعه من أن يرن من جديد ٠٠ ونظرت اليه والدته بدهشة وحزن وسالته وهى تحس بالالم من أجله هل سترفع سماعة التليفون من الآن ياعادل ربما يطلبنا أحد ٠٠ ورد عليها عادل بصعوبة شديدة نعم سارفع سماعة التليفون الآن لأننى لم أعد أطيق سماع هذا الرنين المزعج كل دقيقة ٠

وسالته والدته بعد فترة صمت ألن تاتى لتناول طعام الغذاء معى أنك تعلم أننى لا أحب أن أتناوله وحدى ٠٠ أجاب عادل بضيق شديد كلا ويمكنك أن تاكلى وحدك اذا شئتى أما أنا فسادخل الى حجرتى لاستريح بعض الوقت ٠

فى تلك اللحظة أقبلت الخادمة تعلن لسيدتها أن المائدة معدة لكن الأم الحزينة القلب طلبت منها أن تعيد الطعام مرة أخرى الى المطبخ لأنها لاتريد أن تاكل الآن ٠٠ ونظرت الخادمة باشفاق شديد الى سيدتها وقالت لها بحزن عميق لكنك مريضة ياسيدتى ولايمكنك أن تظلى بلا طعـام طول اليـوم ثم أنك لابد أن تتناولى الدواء فى ميعاده لكن الام قالت وهى تشوح بيدها فى ضيق أرجوكى ياتفيدة الا تضايقينى بعد الآن أفعلى ما قلته لك أما الدواء فيمكننى أن آخذه وأنا أتناول وجبة العشاء ٠

وفجاة أحست الام بصداع فى رأسها كما هى العادة بعد أى توتر أو مضايقة تتعرض لها فطلبت من الخادمة أن تذهب وتحضر لها حبوب الضغط وتناولت الأم قرصين صغيرين فى حجـم رأس

الدبوس وأحست براحة بعد أن فعلت ذلك ثم طلبت من الخادمة أن تدفع بكرسيها المتحرك الى جوار النافذة المفتوحة كى تطل على الشارع من جديد تسليتها الوحيدة وصلتها بالعالم الخارجى الذى انقطعت صلتها به منذ أن أصيبت بالشلل منذ نحو خمسة عشر عاما تقريبا ٠



وقف عادل يتأمل صورته فى مرآة التواليت الموجود داخل حجرة نومه والألم العميق يعتصر قلبه ٠٠ كان يفكر كيف يمكن أن يكون الجمال لعنة على انسان ما ٠٠ كيف يؤثر شكل الانسان الخارجى على حكم الناس عليه فيحبونه أو يكرهونه بلا سبب معقول ان ما يعيشه الان هو التطبيق العلمى لهذا المبدأ الذى يعتنقه الناس بالغريزة وبغباء مثير للذهول ٠

ونظر الى وجهه مليا فى صفحة المرآة المصقولة وابتسم فى سخرية ومرارة ٠٠ انه وسيم الى درجة غير عادية تجعله محطا للغيرة من كل من يراه ٠٠ وجهه ناعم الملامح كأنه وجه امرأة جميلة ٠٠ بشرته وردية وعيونه زرقاء صافية وشعر رأسه أصفر لامع لكنه رغم ذلك رجل ٠٠ رجل حقيقى لاشك فى ذلك ٠٠ عواطفه ٠٠ تصرفاته ٠٠ أخلاقياته كلها لرجل لا شك فى رجولته وأحس أنه يكرههم لانهم فسروا شكله تفسيرا خاطئا ٠٠ يكره غباوتهم وسطحيتهم ٠٠ يكره اجماعهم الغريزى على شىء من المؤكد أنه بعيد تماما عن الحقيقة ، وتحولت الكراهية فى داخله الى ضغط عنيف دفعه الى أن يقذف بكوب الماء المثلج الذى يمسكه فى يده الى سطح المرآة الذى انعكست عليه صورته فيتحطم ويتناثر على الارض ، محدثا دويا رهيبا تناهى الى سمع أمه والخادمة اللتين اندفعتا ناحية حجرة نومه لمعرفة ما حدث ٠

واهتزت نفس عادل لما وقع منه خاصة عندما بدا يتـأمل بقايا المرآة المحطمة وقطرات من الماء تنساب فوق سطحهـا المصقول كأنها نوع من الدموع ، ولم يتمالك نفسه جلس علـى حافة الفراش وانخرط فى بكاء عنيف ٠

وفتح باب الحجرة فى تلك اللحظة والتفت عادل ناحيـة الباب ليفاجأ بأمه جالسة فوق كرسيها المتحـرك ومن وراءها الخادمة تنظران بدهشة وذعر الى بقايا المرآة المحطمة ٠ وأدركت الام ما حدث فظهر الالم على ملامح وجهها وقالت لابنها وقلبهـا يقطر حزنا من أجله ، ما الذى حدث يا عادل لتفعل بنفسـك هكذا ؟ صدقنى لا شىء يستحق هذا الذى فعلته بنفسك ٠

كانت عينا عادل مليئتين بالدموع وهو يرنو بهما الى وجه أمه ومرت لحظة صمت مفعمة بمشاعر وحدتهما وجعلت منهـما مخلوقا له روح جبارة لا تعرف الهزيمة ٠ ثم قالت الام بحنان بالغ :

ارحم نفسك يا عادل وارحمنى معك أنا أمك العجوز المشلولة هل سألت نفسك ما الذى سيحدث لى من بعدك اذا حدث لـك شىء ؟ وصمتت برهة وراحت تحدق فى وجه ابنها بنظرات حزينة متوسلة ، ثم لم تقو على مغالبة شعورها فوضعت وجههـا بين راحتيها وانخرطت فى بكاء عنيف ، واندفع عادل ناحيتها وارتمى على صدرها وقد غلبته مشاعره فانخرط فى بكاء عنيف هـو الاخر ، وصهرتهما الدموع ٠٠ حولتهما الى مزيج متجانس من الالم والقوة ٠٠ وراحت يد الام الملهوفة تربت بحنان بالغ عـلى رأس ابنها بينما كانت شفتاها المبللتان بالدموع تقبلان وجهه فى حرقة ٠

ثم قالت الام بصوت مختنق بالبكاء ما الذى يحدث لنـــا يا عادل ، لماذا نعذب نفسنا بهذه الطريقة ، ثم بدأت حدة المشاعر تخف ورفعت الام وجه ابنها الحبيب الى مستوى عينيها وقالت له وهى تغالب دموعها :

لا أريدك أن تبكى بعد اليوم يا عادل هل تفهم ؟ مهما حدث عدنى ألا تبكى بعد الان ، وصمتت برهة ثم قالت بكبرياء اننى فخورة بك يـــا عادل ومهمـــا قـــالوا عنك ستظل ابنى الذى أفخر به دائما ، وقال لها عادل وهو يحس بالالم يمزقه :

لماذا يفعلون بنا ذلك يا أمى :

لماذا يضطروننى لايذاء أحب انسانة الى فى الوجـــود ثم انكفأ على يديها وراح يقبلها فى لهفة وهو يقول لها متضرعا :

ســـامحينى يا أمى لم أقصد أن أســبب لك الما لكن ليس بيدى وقالت له أمه بحنان بالغ وهى تربت على رأسه بيدها :

قلنى مسامحك يا عادل لاننى أعرف كم تتعـــذب وأعرف الاسباب التى دفعتك الى هذا ، وابتسمت الخادمة لهذه النهاية السعيدة وقالت موجهة كلامها لسيدتها هل أحضر الطعام الان يا سيدتى ؟ ونظرت الام الى ابنها متسائلة ولهفة تبدو فى عينيها وابتسم عادل فى حنان وهو يوجه كلامه للخادمة :

نعم يمكنك أن تحضرى الطعام الان يا تفيدة .. فأنا أحس فجأة أننى ميت من الجوع .

★ ★ ★

عادل وقد هدأت ثورة أعصابه يدفع بالكرسى المتحـــرك لواليته تجاه حجرة الطعام ، يجعل المقعد ملاصقا تماما للمائدة وعندما يطمئن الى راحة والدته فى جلستها يذهب ويجلس أمامها

على الطرف الاخر للمائدة يتأمل وجهها بحنان وحب ، فى عينيه اعتذار عما سببه لها من ألم ٠٠ والدته تتبادل معه نظرات عطوفة تؤكد له بها أنها قبلت اعتذاره ، ويصيح عادل بمرح يطلب من تفيدة الخادمة أن تسرع فى احضار الطعام وعندما لا تلبى طلبه على الفور يقول بمرح تفيده اننا نريد أن نتغذى لا أن نتعشى وتدخل تفيدة الى الحجرة متصنعة الغضب وان كانت ملامح وجهها ولمعان عينيها تشى بالسعادة التى تحس بها فى داخلها وهى ترى الوئام يرفرف على الاسرة الصغيرة من جديد ، تلك الاسرة التى تعتبر نفسها من طول معاشرتها لها واحدة منها ٠

وتقول تفيدة لعادل بنفس لهجته المرحة التى تتصنع الغضب وبشىء غير قليل من رفع الكلفة تعتقد بينها وبين نفسها انه أصبح من حقها بعد السنوات الطويلة التى أمضتها فى خدمة الاسرة ، خاصة وأنها تعتبر عادل بمثابة ابنها وتحبه كوالدته تماما ، انت دائما هكذا يا عادل ليس لديك استعداد للصبر ٠٠ عندما تريد شيئا تريده على الفور ٠٠ ماذا تظننى ؟ ساحرة ، أضغط على مجموعة من الازرار فينضج الطعام ٠٠ ويشوح عادل بيده فى الهواء ولا يرد على الخادمة التى تبدأ فى وضع الاطباق على المائدة ٠

فى البداية وضعت سلطانية الشوربة الضخمة ورفعت غطاءها فارتفع فى الجو بخار ذو نكهة نفاذة فتحت شهية عادل ووالدته للطعام ، وقالت تفيدة مخاطبة الام وابنها وبشىء من الزهو :

انها شوربة بصل ستعجبكما كثيرا ، والان سأذهب لاحضر باقى الاصناف ، وينهمك عادل وامه فى تناول الطعام ٠٠ بعد

فترة تنظر اليه وتقول له بحنان شديد هديت خلاص يا عادل
ويقول لها عادل وهو يتشرب الحنان من عينيها :

نعم يا أمى من كان يتصور اننى سأهدأ بهـــذه السرعة والفضل كله لك ، منذ دقائق فقط ضربت المرآة بكوب الماء الذى كنت أمسكه فى يدى والان ها أنذا بفضلك أجلس هادئا لاتناول الطعام ·· وفجأة حانت من عادل نظرة الى وجه أمه التى كانت منهمكة فى تناول الطعام ·· نظرة عفوية لكنه تعمد ألا تحس بها وأحس عادل بانقباض مفاجىء فى مشاعره يتبدد تلك السعادة المؤقتة التى رفرفت عليه شعور غريب كان يدفعه الى أن يرى أمه وشبح الموت يرفرف من حولها باصرار صياد لن يتراجع قبــل اقتناص فريسته ·· ان أمه عجوز مشلولة منذ خمسة عشر عاما طويلة ظلت خلالها تكافح باستمامة من أجل أن تعيش حتى داخل جدران شقة صغيرة كالسجن ·· حتى داخل كرسى ذى عجلات ·· حتى داخل نفسها ، انها انسانة قوية الارادة باسلة لم تعترف أبدا بالهزيمة المقدرة عليها ولم تفقد أبدا ايمانها المطلق بعدالة السماء كما تفهمها لكنها ستموت يوما ما ·· يوما قريبا جدا كما أصبح يؤمن فى قرارة نفسه وستتركه وحيدا ضائعا فى عالم لا يستطيع الانسان أن يعيش فيه بمفرده ·

وأحس عادل بحزن عميق يعتصر قلبه ، حزن يحرقه ويخنق انفاسه ، لكنه ابتسم فى وجه أمه المسكينة حتى لا تشعر بمــا يدور فى نفسه ، وتلاحظ أمه أختلاجة فى وجهه ، حزنا عميقــا يتحرك فى بطىء فوق صفحة مقلتيه ، وتبتسم له هى الاخرى فى حنــان وهى لا تدرى سر التغير المفــاجىء الذى طرأ على وجهه أو معنى هذه الابتسامة الحنونة التى وجهها اليها ، ويحس عادل بحنان جارف يشده نحو أمه المسكينة العاجزة عن الحركة ، عاطفة

قوية تجاه مخلوقة من زجاج قابل للكسرفى أى وقت ولا يشعر بنفسه الا وهو يقوم من مقعده ويتناول فوطة نظيفة يضعها فوق صدر أمه وهو يقول لها بحنان شديد وضعت لك الفوطة حتى لاتتساقطالشوربة فوق صدرك ، ونظرت أمه اليه بامتنان شـــديد وقالت له أشكـرك ياعادل أننى فى الحقيقة لا أدرى ماذا كنت ساصنع بدونك ، مــن كان سيضع لى الفوطة فوق صدرى ، ولم تغب عن عادل رنة الحزن التى انبعث من كلمـات أمه ثم لاحظ بأسى شديد دكيف كـانت أمه المسكينة العاجزة تبذل مجهودا مضنيا كى تضع ملعقتها فى صحن الشوربة ثم وهى تحاول رفعها الى مستوى شفتيها ، كانت قطرات الشوربة الساخنة تتساقط فوق الفوطة الموضوعة على صــدرها وتنزلق على جانب شفتيها مما كان يضرها الى لعقها بلسانها بين الحين والآخر ، وفى ضيق وباحساس بالحرج لاحظ نظرات أمه الخجلى المتوسلة اليه كانها تعتذر عــن عجزها الجسمانى الذى لايد لها فيه ، كانها تدرك من أعماقها أنها منذ أن أصيبت بالشلل لم تعد كسائر الناس بل مخلوقة أدنى منهم فى الدرجة ، وربمـا فسر احساسها هذا اصرارها الشديد على عدم تعريض نفسهـــا لنظرات الجيران الفضوليين عندما تخرج الى البلكونة الصغيرة واصرارها دائما على أن تبقى خلف ستـار النافـذة نصف المسدلة واحس عادل بعطفة عليها يتزايد وبحبها يملا حنانيا قلبه ولم يدر ماذا يفعل أمام نظراتها الحائرة المتوسلة سوى أن يبتسم لها من جديد وقال بشىء من الارتباك الشوربة ساخنة جدا أليس كذلك ، أنا نفسى لا أعرف كيف أشربها ، وعندما لاحظ أن قطرات الشوربة الساخنة لاتزال تتساقط فوق الفوطة المعلقة على صدر أمه تشجع وقال لها هل تريدين أن أساعدك يا أمى فى تناول الشوربة أنها مهمة صعبة حتى بالنسبة لى أنا نفسى وأحس فجاة بندم شديد لأنه

قال هذا الكلام اذ أدرك أنه مس وترا حساسا فى داخلها لاينبغى أن يقربه أحد ٠٠ وكأنما أحست الأم نما يدور فى ذهن اتنها فقالت ضاحكة لتخفف عنـه احساسهبالندم هل تريـد أن تعاملنى كطفلة يا عادل فتسقينى الشوربة بنفسك ، تاكد أننى قادرة على هـذا وحدى ، وصمتت برهة تطلعت خلالها بعطف شديد الى ابنها ثم قالت له لو أنك متزوج ياعادل ولك أطفال ألم يكونوا هم أولى برعايتك منى ، تجهم وجه عادل عندما سمع هذا الكلام وقال لأمه بعصبية واضحة : كم مرة يا أمى قلت لك ألا تطرقى هذا الموضوع ، كم مرة قلت لك أننى لن أتزوجأبدا ولن أنجب أطفـالا ، ألا يكفيكى أن لك ابنتين متزوجتين وأن كل واحدة منهن أنجبت عديدا من الاطفال ألم تدركى بعد أن هذا الموضوع يضايقنى فتكفى عن الكلام فيه، وأدركت الأم أنها ارتكبت حماقة شديدة عندما فاتحت ابنها فى هذا الموضوع الذى يضايقه بعد أن كان قد بدأ يعود الى طبيعته الهادئة من جديد فاسرعت تعتذر له قائلة أننى آسفة ياعادل لأننى أغضبتك بكلامى ، لكن ماذا أفعل كلما رأيتك أجد هذا الكلام على لسانى أننى أحس أننى أتخلى عن واجبى كام اذا لم أفاتحك فى هذا الموضوع كلما وجدت الفرصة مناسبة لذلك ، وصمتت برهة ثم قالت بصوت حزين أنظر الى ياعادل كم تظن أن عجوزا مثلى ستبقى لك على قيد الحياة ليس أكثر من بضع سنوات قليلة ماذا ستفعل بعدها ياعادل تاكد أن أحدا لن ينفعك حتى أختيك لن تنفعاك بشىء ، ستعيش وحيـدا هل هذا ما تريده من الحياة وصرخ عادل فى وجهها بعصـبية ألا تظنين اننى أعرف كل ما قلتيه لكنه أمر خارج عن ارادتى ٠٠ حاولى أن تفهمى ذلك يا أمى أرجوكى ثم ارتفع صوته ينادى على الخادمة تفيدة وقال لها بعد أن غادر المائدة بعد أن تفرغ سيدتك من تناول الطعام خذيها الى الفراش واذا احتجت الى مساعدة

وأنت تضعينها فى السرير نادى على وان كنت أفضل أن تجلس الى جوار النافذة قليلا فالشمس الان هادئة ومفيدة لساقيها ٠٠ ثم التفت الى والدته وقال لها وهو يحاول أن يبُعد بصره عن عينها اننى داخل الى حجرتى لأنــام فــأنا أحس بــارهـــاق شديد فى جسمى ٠

★ ★ ★

حجرة نوم عادل بذوقها الرفيع وأشياءها البعيدة عن النمط التقليدى تؤكد أنه يعتبرها عالمه الصغير الذى يلجا اليه هربا من العالم الكبير الذى يضايقه ، جدرانها مغطاة بنوع راق من ورق الحائط ، صور ممثلات شهيرات تتوسطهن صورة كبيرة لراكيــل ولش معلقة فوق الجدران سيارة سباق من طــراز لمبورجينى ٠٠ تـــوم جونز مستلق على ظهره فوق كومة مـــن القش وعلى شفتيه ابتسامة ساحرة ، فوق احدى الموائد الصغيرة تمثال نصفى صغير لبتهوفن ٠

مكتب وخلفه رفوف عديدة ممتلئة بعشرات من الكتب والمجلات الاجنبية اسطوانات موسيقى معظمها من المؤلفات الكلاسيكية وان كان بعضها لمشاهير موسيقى الجاز ، وتمتد يد عادل لتضع اسطوانة شهرزاد لرمسكى كورساكوف فوق البيكاب ، ثم يخلع حذائه ويلقيه بعيدا فى اهمال ثم يلقى بنفسه على السرير وهـــو مايزال بملابس الخروج وينام على ظهره ٠٠ رأسه تغوص فى حشية صغيرة طرية بينما موسيقى شهرزاد التى تصدح فى أرجاء الحجرة تملك عليه مشاعره تماما وتعيد الهدوء المفقود الى نفسه من جديد٠

فجاة يسمع طرقات خفيفة على الباب ثم يفتح الباب ليرى أمه جالسة فوق كرسيها المتحرك تستاذنه فى الدخول وتدفع الخادمة بالكرسى المتحرك الى داخل الحجرة ثم تنسحب وتغلـــق وراءها الباب ، وتنظر الام الى ابنها فى اشفاق ثم تقول له عادل اريد أن

أكلمك لبضع دقائق ، أرجوك أخفض صوت البيكاب ، وعندما يفعل عادل ذلك تقول له بصوت هادىء ذى نبرة جادة عادل اسمعنى بلا مقاطعة ولا تحاول أن تنفعل مهما قلت لك فانا لا أهدف الا الى مصلحتك ، عادل لقد لاحظت أننى فى كل مرة أفاتحك فيها فى موضوع الزواج فانك تحاول الهروب من المناقشة دون أن تعطينى سببا معقولا لذلك ولقد وافقتك كثيرا من قبل لأننى لم أكن أريد أن أغضبك ، لكنى هذه المرة مصرة على وضع حد للموضوع ، لنتكلم بصراحة لأنك اذا كنت لاتريد الزواج فلا ريب أنك تملك سببا لذلك ومن حقى كامك أن أعرف هذا السبب خاصة وأنا أشعر بدنو أجلى ، كلا .. كلا .. لاتنفعل فانا أشعر بأننى قريبة من الموت هذه الايام ، وقال عادل وهو يشعر بانهمحاصر ويريد الهروب باى طريقة لايوجد سبب لذلك ياأمى سوى أننى لا أريد الزواج .. قالت الأم بدهشة هكذا ببساطة لابد أنك تملك سببا لذلك وصمتت برهة ثم قالت وهى تتامل ابنها بحنان بالغ عادل أننى فى دهشة من اصرارك على عدم الزواج رغم أنك تملك كل مؤهلات الزوج الناجح أنك تشغل وظيفة محترمة ، وسيم ، غنى .. ماذا فى الامر ياعادل كلمنى بصراحة أرجوك ، قال عادل بضيق حسن ساقول لك كل شىء .. نعم لدى سبب لعدم الزواج لكنى لا أستطيع أن أصارحك به ، قالت الأم باستنكار : لاتستطيع أن تصارح به أمك ؟ قال عادل : نعم لا أستطيع ذلك ، وصمت برهة قال بعدها بانفعال شديد أرجوكى يا أمى لاتعذبينى أكثر من ذلك أنه شىء خارج عن ارادتىهذا كل مابمقدورى أن أقوله لك ، قالت الأم وهى تنظر الى ابنها بعطف شديد : عادل أننى لا أعرف شيئا محددا عن السبب الذى يدعوك الى عدم الزواج لكن من لهجتك يمكننى أن أخمن أشياء قد تمت الى هذا السبب بصلة صدقنى يا عادل ليس فيك ما يعيبك على الاطلاق ، لا تستمع الى كلام الناس الذين يحاولون أن يوهموك بغير ذلك ، ثم أنك اذا

تزوجت وأنجبت أطفالا فستخرس كل الألسنة التى تتقول عليك ٠٠

قال عادل بانفعال شديد : أرجوكى يا أمى لآخر مرة كفى عن الكلام فى هـذا الموضوع لأنه لن يؤدى بنا الى أى نتيجة ، قالت الأم فى يأس : حسن ياعادل لن أطلب منك أن تخبرنى عن السبب فى عدم زواجك لكنك تحب مرفت بنت الجيران لماذا لا تتزوجها اذن ٠٠ نظر اليها عادل بدهشة بينما تابعت الأم قائلة هل كنت تظننى عمياء لأعرف شيئا ٠٠ اسمع اذا كنت تريد أن تتزوجها فانا على استعداد لأن أخطبها لك ٠٠ رغم أننى مقتنعة بانها ليست أصلح فتاة لك ، نظر اليها عادل بذهول وقال فى يأس ٠٠ يبدو أنك لا تريدين أن تفهمى لقد قلت لك أننى لن أتزوج على الاطلاق ٠٠ قالت الام بعد أن يئست من الوصول الى نتيجة مقنعة مع ابنها : حسن ياعادل أننى لن أفاتحك فى هذا الموضوع بعد الآن أرجوك نادى على تفيدة لتاخذنى الى حجرتى ٠

★ ★ ★

بعد أن خرجت والدة عادل من الحجرة أدار عادل جهاز البيكاب منجديد وعادت موسيقى شهرزاد تصدح فى أرجاء الحجرة واستلقى عادل على السرير وراح يدخن بشراهة وقد أحس بالتعاسة تكاد تخنقه وفجأة هب واقفا واندفع الى النافذة المفتوحة وراح يراقب أحدى النوافذ فى المبنى المقابل كان يأمل أن يرى مرفت حبيبته الجميلة وهى تطل من النافذة المفتوحة فيشير اليها كى تنزل لمقابلته ، ومر وقت طويل وعادل ينتظر فى قلق دون أن تظهر مرفت فى النافذة وعندما لمحشعرها الاشقر وهو يعبر الحجرة بسرعة أحس بشىء يخطف قلبه ولم يتملك نفسه وأشار اليها بيده ورغم أنها رأت اشارته الا أنها تجاهلتها تماما ، كان وجهها خاليا منأى تغيير ينم عن أنها أحست بوجوده وبهدوء تام جعل عادل يغلى من الغضب تقدمت مرفت من النافذة المفتوحة وأسدلت فوقها ستارة

خفيفا حجب الى حد ما ما يدور داخل الحجرة ·· وأحس عادل بخذلان شديد نتيجة تصرف مرفت غير المتوقع اذ لم يكن ينتظر منها

هذا السلوك البارد المتغطرس ·

واندفع عادل الى آلة التليفون وطلب رقم مرفت وسمع صوت أمها الذى يصيبه فى كل مرة بنوع من الخوف والاحباط الشديد يسال عن المتكلم ودون أن يرد عليها وضع سماعة التليفون فوق الآلة ، وانتظر بضع دقائق ثم أعاد طلب الرقم من جديد وهذه المرة أيضا ردت عليه الأم وسالت بصوت أكثـر حدة عن المتكلم وأعاد عادل وضع السماعة فوق الآلة دون أن يرد عليها ، ثم طلب الرقم للمرة الثالثة ، وهذه المرة سمع صوت مرفت الذى جعل قلبه يثب بين ضلوعه من فرط احساسه بالرهبة لكنه ما لبث أن شعر باحباط شديد عندما تناهى اليه صـوت مرفت يسال فى برود عن المتكلم وما جعل عادل يحس بنذر الخطر من جراء هذا التصرف الغريب هو أنه كان متاكدا أنها عرفت صوته وأنها تريد أن تتجاهله قال لهـا بانفعال شـديد ألم تعودى تعرفين صوتى أم أنك تتعمدين تجاهلى ·

ردت عليه الفتاة بصوت بارد متعال ·· انه أنت اذن لـم أستطع أن أميز صوتك ، قال عادل بغضب بالتأكيد أنه أنا ثم انه لا يبدو عليك أنك سعدتى لسماع صوتى ، ظلت الفتاة صامتـه لبضع لحظات كان عادل خلالها يبذل جهدا مستحيلا كى يسيطر على الغضب الجامح الذى أنفجر فى داخله · قال لها بعتاب هل يمكننى أن أعرف لماذا لم تردى على اشارتى ولماذا أسدلتى ستار النافذة فى وجهى ، أنه تصرف خال من اللياقة من جانبك ، قالت الفتاة بانفعال وماذا كنت تريدنى أن افعل وانت تشير لى بيدك أمام الجيران ، قال عادل بسخرية شديدة الجيران لا أذكر انك

اهتممت بهم من قبل ، اجـابت الفتـــاة بغضب حسن أننى اهتم بهم الآن ٠٠ ومرت لحظة صمت كان عادل خلالها فى قمة التوتر والعصبية بعد أن ادرك أن الفتاة تحاول الهروب منه ثم قـــالت مرفت ببرود أرجوك سأضطر لوضع السماعة الآن لاننى فى عجلة من أمرى ، قال عادل متوسلا لابد أن أراكى الآن يامرفــت انــك لاتدركين كم أنا بحاجة اليك ، أجابت بلهجة جافة لم يتعود سماعها منها آسفة لن استطيع أن اقابلك الآن عندى ميعاد هام مع احدى صديقاتى وسأنزل الآن لمقابلتها ، قال عادل بغضب وهو يشعــر بالحزن يمزق قلبه ، أنك لم تكونى تعبئين بصديقاتك فى كل مرة كنت أريد أن أراكى فيها ما الذى حدث يامرفت تكلمى ارجوكى ٠ قالت بلهجة لا تسمح بأى مناقشة سأضع السماعة الأن والدتى دخلت الى الحجرة ، واحس وهو يسمع تكة التليفون أن علاقته مع هذه الفتاة الجميلة التى لم ولن يحب سواها فى طريقها الى أن تموت أن لم تكن قد ماتت بالفعل ٠

★ ★ ★

دخلت مديحة الى شقة عادل صاعدة من أحد الطوابـــق السـفليه فى العمارة الصغيره التى يملكها عــادل بالارث عن والده وهى فتاة سمراء فى نحو الخامسة والعشرين تعمل مدرسة للعلوم فى المدرسة الثانوية للبنات القريبة من البيت ، كانت تضع منظارها الطبى فوق عينيها ذاتا الحدقتين الصغيرتين واللتين تشعان ذكاء وحيوية وكان المنظار ذو الشنبر الرفيع يعطيها طابع الانسانة المثقفة بطريقة لاتخطؤها العين وكانت هى حريصة على تأكيد هذا الانطباع لدى الآخرين بكمية المعلومات التى تحشوبها عقلها والتى تستعمل بعضها بطريقة طبيعية عندما تتحدث مــع الآخرين ٠ كان وجهها مريحا وعندما تتكلم يكتسب جمالا مؤقتا وأن لم يكن مبهرا ، وجدت باب الشقة مردودا فدخلت لترى والدة عادل جالسة فى مكانها المعتاد الى جوار النافذة ذات الســتار

نصف المغلق تتطلع الى الشارع الذى كان شبه خال من المارة فى ذلك الوقت حيث كانت الشمس على وشك أن تغيب ٠

تقدمت ناحيتها وهى تحس بالسعادة التى بدت واضحة على ملامح وجهها لانها وجدت صديقتها العجوز جالسة فى مكانها المعتاد وأحست من لون وجهها ان صحتها جيدة ، وتهلل وجه الام وهى ترى مديحة ابنة جيرانهم القدامى والتى تعتبرها كواحدة من بناتها تماما تدخل عليها من باب الشقة ٠٠ رحبت بها قائلة أهلا مديحة تعالى أجلسى هنا بجانبى فاننى حقا سعيدة برؤيتك ٠ ومر بعض الوقت ودخلت تفيدة الخادمة الى الشقة ووضعت أمام المرأتين بضع كيزان من الذرة المشوية الملفوفة فى أوراقها الخضراء الطرية وقد بدت رائحتها زكية وشكلها يغرى بالالتهام ، وقالت الام ضاحكة وهى تعطى واحدا من كيزان الذرة الى مديحة ، هذا نصيبك كليه ولا تخجلى وتالق وجه مديحة كطفلة صغيرة وهى تقضم من كوز الذرة باحساس عارم باللذة وأحست الام بعاطفة قوية تشدها الى هذه الفتاة الطيبة التى تمنت دائما لو تكون من نصيب ابنها لكنها سرعان ما أحست بالحسرة فهذه الفتاة رغم أن فيها كل مؤهلات المرأة التى تؤتمن على شرف رجل لم تستطيع أن تحرك الحب فى قلب ابنها عادل الذى بهره الجمال الصاعق لابنة الجيران التى تشعر الام بحاستها كامرأة أنها ستتسبب له فى حدوث كارثة ٠

وقالت الخادمة وهى تهم بالانصراف من أمام المرأتين موجهة كلامها لسيدتها بمرح وبلا تكليف لا تقولى لى أذهبى الى المطبخ وأعدى كوبين من الشاى فانا من نفسى ساذهب وبعد أن انصرفت الخادمة قالت الام ضاحكة الى مديحة : أننى لا أدرى ماذا كنت سأفعل بدون تفيده التى تعرف ما اريد دون أن أنطق بكلمه واحدة

وأيضا بدون هذا الراديو الترانزستور الذى يسلينى طول الوقت ٠
قالت مديحة للام : بالمناسبة هل تتابعين مسلسلة الساعة الخامسة من الاذاعه قالت الام ضاحكة أنها تسلينى الوحيده حتى يبدأ ارسال التليفزيون ٠٠ قالت مديحة وهى تتامل وجه العجوز الطيبة بحب حقيقى ٠٠ حب الابنة لأمها : وأنا أيضا سآتى دائما لتسليتك أنك لاتعلمين كم أحس بالراحة وأنا جالسة الى جـوارك أحس كاننى جالسة الى جوار أمى تماما ، وأخذتها العجوز بين أحضانها وقبلتها بحنان شديد فوق جبينها ، كانت العجوز تحس بمشاعرها الداخلية أن مديحه لا تأتى فقط لزيارتها بل لترى عادل أيضا كانت تحس أن مديحة تحب ابنها عادل دون أن تجرؤ على البـوح بعواطفها لاحساسها بان المسافة بينهما شاسعة ، وقالت مديحة وهى تخرج زجاجة دواء صغيرة من حقيبتها وتقدمها للعجوز أخيرا استطعت الحصول عليها ، أنك تعرفين أن هذا النوع من الدواء غير موجود بمصر لكن زوج احدى صديقاتى فى المدرسة استطاع الحصـول عليه من الخارج ، نظرت الام فى عينى الفتاة لتحدث تاثيرا عميقا لكلماتها فى نفس الفتاة المتعطشة لسماع أى كلمة تصـدر عن الموضوع الصامت المعلق بينهما ٠٠ حبهـا العميق لعادل ، قالت الام بلهجة ذات مغزى لو لم تكونى تحبيننى حقا يا مديحة لما جشمت نفسك عناء احضار هذا الدواء النادر وأحست الفتاة بما تريد أن تقوله الام ، فشعرت بفرح يغمرها ، وخفضت أهدابها الى الارض فى خجل ولم تتكلم ، وابتسمت العجـوز وهى تربت كتفهـا قائلة الحب ليس عيبا يا مديحة عندما كنت فى مثل سنك كنت أحب زوجى الراحل حبا عظيما ، وعادت العجوز تركز بصرها فى عينى الفتاة وهى تقول لها بحنـان شديد : أنك تحبينه أليس كذلك يامديحة ؟ وخفضت الفتاة أهدابها الى الارض فى خجـل فى حين استمرت

العجوز تقول كلا لاتجيبى على سؤالى فانا أعرف كل شىء ٠٠اسمعى للذا لاتحاولين افهامه شعـورك نحوه ، صدقينى فانا لا أتمنى له فتاة خيرا منك ٠

تنهدت مديحة فى حسرة وهى تقول أنها مجرد أحلام مستحيلة بالنسبة لى ، أنه حتى لا يحس بوجودى فكيف أجعله يحبنى؟ وصمتت برهة ثم قالت فى حزن شديد : هل تعرفين أنه يحب مرفت ؟ قالت الام بحزن : نعم أعرف وأعرف أنها لا تصلح له ٠٠ تابعت مديحة قائلة أنها لاتحبه بل تتسلى به ، أنها مستهترة لا قلب لهـا ، لكنه معذور فهى جميلة جدا ، وأحسب أن هـذا هو ما يريده الرجال من المرأة ، قالت الام بحزن وهى تضغط برفق فوق يد مديحة : أنها ليست مرفت التى تحول بينك وبينه أنه ببساطة يرفض الارتباط باى فتاة حتى ولو بمرفت التى يحبها ، حاولت أن أعرف السبب لكنه رفض أن يصرح لى به ٠٠ مديحة أنت صديقته وربما كان فى امكانك أنت أن تعرفى منه السبب ، قالت مديحة بفزع : أرجوكى لاتزجى بى فى هذه المواضيع الشائكة ثم أنه يمكن أن يفسر تدخلى على نحو يخالف الحقيقة وأنا لا أريد أن أضع نفسى فى هذا الموقف السخيف ، لكن الام عادت تقول أرجوكى يامديحة من أجلى ٠٠ قالت مديحة باستسلام حسن ساكلمه ، وصنعت مديحة كوبا من الشاى وقالت للام سأذهب لأعطى هذا الكوب لعادل ٠

★ ★ ★

طرقت مديحة باب حجرة عادل وهى تجاهد الا يظهر شعورها الحقيقى على وجهها وشعورها فى تلك اللحظة كان خليطا من الحب والاحباط ٠٠ كان مطلوبا منها أن تسال انسانا تحبه دون أن تدع له فرصة استشفاف ذلك الحب كانها لاتكن له أى شعور على الاطلاق سؤالا يتعلق بقلبه بالجزء الخاص من مشاعره ٠٠ كانت مهمة

صعبة ودقيقة لكن كان يتعين عليها القيام بها لأنها وعدت العجوز بذلك ، ضحكت وهى ترى وقع المفاجاة على وجه عادل عندما فتح الباب ووجدها واقفة امامه فراح للحظة ينظر اليها بدهشة شديدة كانه لايصدق عينيه ثم ابتسم لها مرحبا وهو يدعوها الى الدخول ، قالت بحنان شديد جئت لكى أعطيك كوب الشاى ، أغلق عادل باب الحجرة ·· تقدم صوب النافذة وألقى منها نظرة سريعة على المبنى المقابل ·· لم تفتها هذه الحركة فنظرت الى عادل نظرة ذات مغزى أحس بالحرج وقال لها بارتباك واضح : سئمت الرقاد على الفراش ففتحت النافذة لالقى نظرة على الشارع ·· ابتسمت بعينيها كانها تقول له أنها لم تصدق حرفا واحدا مما قال ، لاحظ عادل أن مديحة لاتزال واقفة ·· دعاها الى الجلوس فوق أحد المقاعد ، قالت ضاحكة : هل نسيت أننا وحدنا فى حجرة مغلقة؟ قال عادل بسخرية تريدين أن تقولى أن الشيطان لا بد وأن يكون ثالثنا أليس كذلك ؟ ابتسمت ولم تجب أردف عادل قائلا بلهجة حزينة : اطمئنى هذه المرة فان الشيطان لايمكن أن يكون ثالثنا ، نظرت اليه مديحة بدهشة وقالت له : عادل أنك تتكلم بطريقة غريبة ·· أننى لا أفهم شيئا مما تقول ، قال عادل بنفس لهجته الساخرة التى تقطر مرارة لا أريدك أن تفهمى شيئا يا مديحة ، قالت مديحة وهى تتامل عادل بحب لم تستطيع أن تخفيه فظهر واضحا فى عينيها اللتين ازدادتا لمعانا ودفئا لماذا كل هذا الحزن والتشاؤم ياعادل ؟ ألا تستطيع أن تقول لى على الاقل ما الذى يضايقك ؟ ولم يرد عليها عادل اذ كان بصره متجها الى نافذة مرفت ، ولاحظت مديحة بسهولة شديدة تعبير خيبة الامل الواضحة على وجهه الجميل الذى تعبده ·· قالت بحنان شديد وهى تخشى أن يسىء تفسير كلماتها لقد اسدلت الستارة فى وجهك أليس كذلك ؟ أصابه السؤال بنوع من الصدمة ·· تجهم وجهه وقال باستنكار لتدخلها فى شئونه الخاصة اسمعى أننى

لا أسمح لك أو لاى مخلوق آخر بان يكلمنى بهذه الطريقة ·· وبرغم أن لهجته آلمتهاالا أنها أردفت قائلة بلا انفعال هل تعرف المغـزى الحقيقى لما فعلت أم أنك تحاول أن تتجاهل ذلك لتريح نفسك ؟ حاول أن يحتج على الاقل بملامح وجهه على كلامها ، أن يوقف صـوت الحقيقة المدوى فى كلماتها لكنها لم تعطه الفرصة لذلك ، وأردفت تقول : ساقول لك الحقيقة فى وجهك لاننى أعتبر نفسى صديقة لك ، أن المعنى الحقيقى لاسدالها الستار فى وجهك أنها لم تعد تريدك ·

أحس عادل أن كرامته كرجل وعاشق قد طعنت فى الصميم كانت كلماتها تنضح بالحقيقـة التى يحاول عبثـا أن يتجاهلها ، لكنها الآن تبدو كشمس تشرق فى عينيه ·

قال بانفعال أننى لا أصدق حرفا واحدا مما تقولين ، أن مرفت تحبنى والرابطة التى تجمعنا لا يمكن أن تنفصم بهذه السهولة ، قالت مديحة ساخرة : عادل لاتضحكنى أرجوك أن مرفت لم تحبك أبدا ، متى تدرك هذا الاسر الواضح البسيط ، انك بالنسبت لهـا لست سوى أنسان تتسلى به · تضعه على الرف ثم تمد يدها اليه عندما تحتاجه · قال باستنكار شديد :

ماذا تعنين بذلك ؟ قالت بصراحة مؤلمة :

أن مرفت الجميلة تعتقد أنها تستحق رجلا أفضل منك رجلا يستطيع أن يضمن لها تحقيق كل احلامها فى حياة مترفه فاذا لم تجد هذا الرجل الغنى جدا فى الوقت المناسب مدت يدها الى الرف وأخذتك أنت ·· صرخ عادل فى وجهها قائلا :

أنك تقولين هذا الكلام لانك تغيرين منها فحسب لانها أجمل منك ، أحست مديحة بأهانته تمزق أحشائهـا ·· وضـعت كوب الشاى بأنفعال فوق المنضدة وتوجهت ناحية باب الحجرة ·

تنبه عادل فجأة الى مدى الفظاعة فى كلمـاته ٠٠ اسرع
يحول بينها وبين الخروج من الحجرة ، ثم قال لها وهو يكاد يبكى
من الانفعا لصدقينى يا مديحة اننى لم أقصد أهانتك أننى لا ادرى كيف
تفوهت بهذه الالفاظ التى لاأعنيها لكنى أحبها هل تفهمين ؟ أنهـا
الشىء الوحيد الثمين فى حياتى كلها ، ثم جئت أنت لتقولى أنها
لا تحبنى وصمت لحظة ثم قال وهو يتطلع الى عينيها ، اننى آسف
على كل ماقلته لك يامديحة ٠

قالت مديحة وهى تبتسم فى طيبة :

ولماذا تأسف ياعادل وأنت لم تفعل سوى أن عبرت عن نفسك
بصراحة أما أنا فيبدو أننى الانسانة المدينة لك بالاعتذار لاننى
تدخلت فيما لايعنينى ، وصمتت لحظة قبل أنتردف بلهجة ساخرة
عيبى أننى أحلم كثيرا ولا أريد أن أرى الواقع كما هو ٠ سامحنى
ياعادل أرجوك ٠

قال عادل بحنان شديد مديحة أنكملاك ٠ومرت لحظة صمت
مفعمة بمشاعر جياشة متضاربة ، قالت بعدها مديحة وهى تناول
عادل كتابا كانت تمسكه فى يدها وتحاول أن تبتسم أحضرت لك
الكتاب الذى طلبته منى فى المرة السابقة ٠ أستعرته لك من مكتبة
الكلية ٠

وتناول عادل منها الكتاب وهو يشكرها بكلمات رقيقة ،
ثم عاد يوجه بصره من جديد الى نافذة المبنى المقـابل ، قـالت
مديحة بطيبة أنك تنتظرهـا حـتى تنزل من البيت أليس كـذلك ؟
أومأ عادل برأسه موافقا أردفت مديحة قائلة حسنهناك فرصـة

حقيقية كى تعرف شعورها نحوك ، قل لها أنك تريد أن تتزوجها فورا ، وانظر ماذا سيكون ردها ٠

قال عادل بانفعال : مديحة انك لا تريدين أن تفهمى ٠٠ كلكم لاتريدون أن تفهموا شيئا على الاطلاق ٠٠ لا أريد أن أتزوجها لا أريد أن أتزوج أى امرأة قالت مديحة باشفاق وان كانت لم تستطع أن تخفى الدهشة التى استولت عليها :

اذن لماذا تعذب نفسك بهذه الطريقة يا عادل ، صرخ عادل فى وجهها قائلا : لاننى أحبها هل تفهمين ؟ لاننى أحبها ، وفى تلك االحظة وهو يطل بطريقة عابرة من النافذة المفتوحة أبصر مرفت تخرج من باب العمارة ، التفت الى مديحة وقال لها بأضطراب شديد آسف يا مديحة لأنى مضطر الى الخروج الآن لكنى واثق من أنك تقدرين الظروف وقبل أن يخرج من باب الحجرة توجه الى مديحة قائلا أرجوكى أذهبى وأجلسى مع والدتى حتى أعود بعد قليل ، ثم اندفع خارجا من الحجرة ٠

★ ★ ★

وبينما كان عادل يهبط الدرج بلهفة شديده حتى يلحق بمرفت كاد أن يصطدم بمدحت الذى كان صاعدا فى الطريق اليه ونظر اليه مدحت بدهشة اذ لم يسبق له أن رآه يتصرف على هذا النحو الغريب خاصة وأن بينهما ميعادا لرؤية التليفزيون أو التوجه الى السينما ، وقال عادل لمدحت وهو مايزال يتابع نزوله السريع على درجات السلم :

آسف يا مدحت لأننى مضطر للنزول الآن لامر هام لكنى سأعود بعد قليل ، ارجوك اصعد واجلس مع والدتى فانها تحب ان تراك دائما كما تعلم ثم ان هناك انسانة تجلس معها الآن اريدك ان تراها ، وسأله مدحت بلهفة :

ومن هى هذه الانسانة ياترى ؟ ابتسم عادل قائلا : انهـا مديحة
ـ هيا اصعد اليها ولا تضيع الوقت ، وفور ان سمع مدحت اسم
مديحة حدث تغير فى وجهه ، بدا وكأنه يحلم وسيطر عليه ذلك
الشعور الذى كان يحس به فى كل مرة يسمع فيها اسم مديحـة
الشعور بالامل بالدفىء بالانتماء لشخص ما لكن ما لبث القلق
ان تسلل الى قلبه بطريقه احزنته ، ان مديحة هى بالتأكيد الفتاة
المناسبة له لكن المشكلة هى هل توجد حقا فتاة مناسبة له ؟ هل
توجد فتاة مناسبة لانسان مشوه الوجه واحس بالحزن يخيم على
نفسه فهو يشعر انه لن تواتيه الجرأة على مفـاتحتها بشعوره
الحقيقى نحوها خشية ان تصدمه وهو لم ينس بعد ما حدث له
ايام الكلية ، ولايدرى لماذا تذكر تلك الحادثة الفظيعة فى هذه
اللحظة بالذات وهو صاعد لمقابلة مديحة .

كان من عادة افراد الشلة التى ينتمى اليهـا ان يخرجوا
بسيارة واحد منهم بحثا عن امرأة من الطريق يمارسـون معها
الحب ، كان يحدث هذا على فترات متقطعة ، وبرغم انه كـان
حساسا ربما بطريقة مرضية من ناحية وجهه المشوه ويخشى ان
ترفضه المرأة التى خرجوا يبحثون عنها هذه المرة وبرغم رفضه
لدعوات مماثلة من قبل ، الاانه هذه المرة وجد نفسه يقبل الخروج
معهم فى جولتهم .

ولم يجد افراد الشلة صعوبة فى العثور على المرأة التى
ارادوها وعادوا بها الى شقة صاحب السيارة وهناك التفوا من
حولها كل يريد ان يكون الاول فى الدخول معها الى حجرة النوم
كانت المرأة التى عثروا عليها اكبر منهم جميعا فى السـن ولم
تكن جميلة الملامح بل ذات طابع سوقى واضح

نظرت اليهم بسخرية و هم يحومون حولها كصبية مراهقين وقالت لهم : وهل انتم جميعا ستنامون معى ؟ صاحوا فى نفس واحد : نعم نحن جميعا ، آه ياالهى انه لن يستطيع أبدا ان ينسى تلك اللحظة من حياته صوبت اليه المرأة نظرها فى استنكار شديد كأنها تنظر الى اغرب انسان فى العالم ثم قالت وكأنها تدفع بنصل حاد الى قلبه ، وهل هذا ايضا سينام معى ؟

قال صاحب الشقة محتجا : بالتأكيد ، لماذا تظنين انه جاء معنا ثم انه سيعطيكى نقودا مثلنا جميعا ، لكن المرأة صرخت قائلة كله الا هذا ولو اعطانى مال العالم كله ، احس فى تلك الحظة انه يتلاشى امام عيون أصدقاءه فى الوقت الذى راحت فيه المرأة تتفرس فى الجانب المحروق من وجهه بطريقة أربكته وجعلته يتمنى لو يقبض على عنق المرأة ويخنقها بيديه العاريتين ولم يشعر بنفسه الا وهو يقوم مندفعا ناحية باب الخروج ثم يغادر الشقة ويهيم على وجهه فى الشوارع آملا أن تصدمه اول سيارة تعبر به ، وضع اصبعه فوق الجرس وتمنى لو تفتح له مديحة الباب احس بأنه سيسقط مغشيا عليه من فرط الارتباك الذى شعر به وهى تنظر اليه بعينين متساءلتين ، استجمع شجاعته وقال لها: قابلت عادل على السلالم وهو الذى طلب منى ان اصعد وانتظره حتى يعود

ابتسمت وهى تدعوه الى الدخول · فى داخل الشقة ابصر والدة عادل تبتسم له وتدعوه الى الجلوس الى جوارها ، وقدمت له قدحا من الشاى وهى تربت كتفه بحنان وجاءت مديحة لتجلس بينه وبين السيدة العجوز وأحس بالثقة بنفسه تعود اليه من جديد احس بشعور هادىء مطمئن يتسلل الى قلبه ·· نوع من الدفىء يشعر به كلما جلس مع اناس مثل مديحة والسيدة العجوز لكن هناك فى اعماقه كانت لاتزال تلك البقعة من مشاعره تتحرك

باضطراب مبعثه الشعور غير العادى الذى يحسه تجاه الفتاة الجالسة الى جواره ·

وبدأ يختلس اليها النظرات بين الحين والأخر الى الفتاة اللغز الجالسة على بعد سنتيمترات قليلة منه · لم تكن جميلة بمقاييس الجمال العادية لكنها كانت مريحة وما هو الجمال اذا لم يكن احساسا يبعث الراحة فى قلبك ·· يهدىء مشاعرك ، هو ايضا ليس جميلا ···

ابتسم فى سخرية الاصح أن يقول مشوها وهو يحاول ألا يلاحظه أحد تسللت أصابعه فى خفة وهدوء وتحسست الجانب المحروق من وجهه · وأمتلأ قلبه بالحزن من جديد · واختلس نظرة جديدة الى مديحة ·· انها ترتدى منظارا طبيا ذا اطار رفيع فوق عينيها اللتين تلمعان بذكاء خلف زجاج النظارة الشفاف ·· عينان كالبليتان الصغيرتان لكنهما تحتويان على معان تثير انبهاره ، صورتها تنطبق تماما على صورة مدرسة للعلوم باحدى مدارس البنات عيناها المرهقتان بعض الشىء رغم ديناميكيتهما الواضحة تؤكدان انها تستعملهما كثيرا لغير الاغراض التى يستعملهما من اجلها باقى الناس ·

انها من النوع المفكر الحالم ·· النوع المثالى النظيف · فأرة الكتب الصغيرة التى تصلح له تماما ·· انه هو ايضا فأر كتب مدمن · ان امله الوحيد فى ان تحبه هذه الفتاة ان تكون من من النوع الذى يقدر قيمة الشخصية الانسانية اكثر من محتواها الخارجى ، وهو يحس فى داخله ان مديحة من هذا النوع ، ربما كانت أكبر منه قليلا فى السن لكن متى كان الحب يعترف بهذا الحاجز الوهمى

احس بالاثارة فى ان يتزوج بأمرأة تكبره فى العمر وتحسس من جديد هذا الجانب المشوه من وجهه ليس بأصابعه هذه المرة لكن بخياله وهو افظع كثيرا من اصابعه فى نقل الاحسـاس بالتشويه الى قلبه واحس بنوع من التراجع السريع فى احلامه انها يمكن ان تموت فى لحظة واحدة ، ربما كانت مجرد احـلام لن تتحول ابدا الى واقع ٠٠

كان داخله ممتلئا بالكلام والكلام هو صلته الوحيدة بهذه الفتاة التى يمكن ان تنقل اليها مشاعره الحقيقية ٠

واحس فجأة بعينى الفتاة تقتحمـانه فى جرأة وبلا تردد عينان ليس فيهما خبث او التواء عيون الآخرين ، عينان تسافران فى داخله بحثا عن شئ مجهول تتطلعـان اليه جزيرة نـائية او نجمة وحيدة او مكـان طـاهر تأويان اليه ٠٠ بطريقة غريزية احتقرها من نفسه وجه بصره بعيدا عن عينى الفتاة المقتحمتين قالت تحاول اخراجه من صمته الذى طال اكثر من اللازم ٠ انك لست من النوع الذى يحب الكلام اليس كذلك ؟ قال لها متشجعا بلهجتها فى الكلام :

على العكس اننى احب الكلام كثيرا لاننى اؤمن بأنه الصلة الوحيدة بين الانسان والانسان وصمت لحظة ثم قـال بشىء من الخجل لكنى غالبا لاأجد انسانا اكلمه ٠ نظرت اليه الفتاة بدهشة وهى تقول له :

ولماذا لا تجد أحدا لتكلمه ، أجاب وهو يحاول تفـادى نظراتها المقتحمة : ربما لانهم لا يريدون ان يكلمونى ، أعتقـد أن هذا هو التفسير الوحيد ٠

قالت الفتاة بحنان بدا له غريبـــا وغير مألوف ربمـــا كنت تبالغ فى احساسك هذا ، لماذا لا تأخذ الناس كما هم فى الواقع ليس كملائكة أو شياطين ، بل كبشر لهم عيوبهم ونقائصهم ٠

قال بحزن صدقينى اننى أحاول أن أفعل ما تقولين لـكن كل ما أطلبه فى المقابل هو ان يفهمنى الناس من الداخل وليس كما ترانى عيونهم من الخارج ، أعتقد أن هذا صعب للغـــايـة وهذه هى المشكلة فى رأيى ، كيف يتسنى لانسان أن يرى انسانا ليس بعينيه بل بمشاعره الداخلية ، وصمت برهة ثم قال :

هل تصدقين لو قلت لك اننى احس اننى مجهول تماما من الآخرين ، واننى الوحيد الذى يعرف حقيقة نفسى ، قالت وعيناها تلمعان بشدة من خلف الزجاج الشفاف للمنظار يخيل الى انك من النوع المفكر ، ثم ضحكت قائلة :

اتعس نوع يعيش على ظهر هذه الارض ٠ اجاب قائلا :

هذه مصيبتى ، ضحكت من جديد وهى تقول مصيبتنا نحن الاثنين فأنا ايضا من هذه السلاله التعيسة من البشر ، لكن لابد ان نسلم ان التفكير هبة عظيمة منحت للانسان ولا بد ان يدفع ثمنا لها ، قال بسخرية شديدة :

صدقينى اننى ادفع ثمنهـــا باستمرار وهو ثمن ليس فى مقدور معظم الناس أن يدفعوه ٠ قالت وهى تنظر اليه بفضول :

انك تعمل مع عادل فى نفس الشركة اليس كذلك ؟ اجاب قائلا : نعم فى ادارة شئون العاملين ٠ قالت بدهشة :

انت قانونى اذن كم هذا مثير ·· وصمتت لحظة ثم اردفت قائلة وهل تحب عملك ؟ قال بحزن : انه مجرد عمل · تساءلت بدهشة : هل تعنى انك لا تحبه ؟ قال بلهجة تقريرية :

نعم كنت أفضل العمل بالمحاماة ولحسلبى الخاص ·· قالت لماذا لم تعمل بالمحاماة مادمت تحبها ؟ قال بسخرية اذا أردت أن أجيبك على هذا السؤال فينبغى أن أقص عليك حياتى كلها ·· نظرت اليه بطريقتها المقتحمة التى اضافت اليهـا قدرا كبيرا من الدهشة ثم قالت له :

انت حقا انســان غريب ، يخيل الى انك تريد ان تهرب من الناس ، لذلك فضلت عملا مكتبيا على المحاماة ، ولاول مرة نظر الى عينيها بشىء من الجرأة استمده من موضوعية وصراحة الحوار الدائر بينهما وقال لها :

وهل تلومينى على ذلك ؟ تفرست فيه طويلا ثم قــالت لكن الانسان لا يستطيع ان يهرب من الناس بهذه الطريقة ، لابد ان يكون شجاعا فى التعامل معهم ، قال بسخرية من الســهل عليك أن تقولى هذا الكلام لانك لم تعيشى التجربة التى عشتها ، قالت بعد فترة صمت :

وماذا تمارس كهواية بخلاف العمل · قال بلهجة تقريرية:
معظم الوقت اقضيه فى مكتبى بالمنزل اقرأ كثيرا ، واول مجموعة قصص لى فرغت من كتابتها وانا الان ابحث عن ناشر لها · اضاء وجهها من السعادة وهى تقول له :
هل انت كـاتب حقا ؟ ان هذا مدهش فعلا · هل تعرف ان هذه هى المرة الاولى التى اقابل فيها كاتبا وجهالوجه ؟ ثم صوبت اليه

عينين مليئتين بالدفىء ٠ احس بشعور غريب يَنبثق فى داخله ، يولد من مجهول او فراغ ، شعور يجتاح كل رتابة حياته ٠٠ كل بلادتها وجمودها ، شعور طالما تسائل فى اى بئر سحيقه يوجد؟

لماذا لايظهر كشمس الآخرين عندما تشرق فى داخلهم ؟

وهاهو الآن يصعد من مخبئه يملأ فراغ نفسه المخيف ، شعور دافىء كالشمش بارد كالمطر عذب كنسمة رقيقـة تمسح جراحات قلبه شعور لايصدق فهاهى امرأة من لحم ودم ٠٠ امرأة عاقلة تدرك ماتقول تصارحه بانه انسان مدهش وهذا يعنى ضمنا أنه يروقها ، امرأة لاتمتعض عندما ترى الجانب المحروق من وجه ٠٠ قال بخجل شديد وهو يحاول أن يبعد بصره عن عينيها المقتحمتين اسمحى لى أيضا أن أقول لك أنك انسانة مدهشة ٠٠ غريبة ٠

اول امرأة اقابلها فى حياتى تقدر قيمة العقل وحده جميع الفتيات اللاتى قابلتهن مثلهن الاعلى نجوم السينما والكرة رجال ميزتهم الوحيـدة وسامة ملحوظة ولا شىء آخر ، أما الرجل الذى يحمل كتابا فى يده فيأتى دائما فى المؤخرة قالت دون تردد :

ان الفتيات اللاتى قابلتهن تافهـات واعتقد انه آن الأوان لكى تقابل نوعا آخر من الفتيات ٠ قال بشىء من التردد والخجل لكنك تعجبين بعادل رغم انه وسيم جدا ، اجابت قائلة :

ليس لانه وسيم كما تقول بل لإنه يستحق الإعجاب لصفاته كرجل ، واعتقد انك كصديق له تعرف ماهى هذه الصفات ٠ قال حنان وهو ينظر الى عينيها :

كلامك يريحنى كثيرا ·· يعطينى الامل فى ·· وتوقف عن الكلام · وابتسمت له بعينيها ، احس من نظراتها انهـــا فهمت ما يعنيه ·· ملاه هذا الاحساس بشعور عميق بالدفىء · سألته بعد لحظة صمت :

هل اتطفل عليك اذا ســــألتك عن موضوع مجـموعتك القصصية ؟ قال وكأنه يكلم نفسه : موضوعى المفضل هو موقف المجتمع من الانسان المختلف اننى أقيس تحضر أى مجتمع بموقفه من هذا الانسان ، المجمع المتحضر هو الذى لا يقسو على الانسان الضعيف بل يتيح له فرصة التغلب على ضعفه · قالت ضاحكة : هل ستعطينى نسخة من هذه المجموعة فور صدورها ، سأغضب منك اذا لم تفعل ذلك ، قال بحماس لم يحاول اخفائه :

ساحتفظ لك بأول نسخــــة وساقدمها اليك وفوقها اهـــداء ممهور بتوقيعى · قالت بعد لحظة صمت عــــادل لديه مجموعة اسطوانات رائعة وما دامت صديقة فاعتقـد أنك أنت أيضا تحب الموسيقى · قال على الفور

اننى اعبدها خاصة الموسيقى الكلاسيك ، وانا نفسى لدى بضعة اسطوانات منها ، قالت وهى تتأمله بدهشة :

غريب ان يكون بيننا كل هذا القدر من الاشياء المشتركة ، قال بحماس :

اننى سعيد بذلك · كنت دائما اتمنى ان تتاح لى الفرصة للكلام معك لاننى كنت ارجو ان تعرفينى عن قرب · قالت ضاحكة

حسن يمكنك الان ان تتأكد انك قطعت نصف الطريق الى ذلك ، ومر بعض الوقت وهبت مديحة واقفة وقالت وهى تنظر الى ساعتها :

يبدو ان عادل سيتأخر فى العودة وانا ورائى كراريس لابد ان اصححها · قالت الام بلهجة حنون :

يمكنك الانصراف يامديحة اذا أردت فمدحت وتفيدة سيبقيان معى حتى يعود عادل من الخارج ، لكن مدحت فاجأها بقوله :

وانا ايضا سأضطر للانصراف الآن وعلى اى الاحوال سأمر على عادل فى وقت آخر ·

ونزل مدحت مع مديحة وقال لها وهما يهبطان الدرج اننى سعيد لاننا اقتربنا من بعضنا البعض لكن ارجو الا تكون هذه هى مقابلتنا الاخيرة ، نظرت اليه بدهشة وهى تقول له وما الذى جعلك تظن انها يمكن ان تكون مقابلتناالأخيرة · قال بحزن :

دائما يحدث لى ذلك مع الاشياء السعيدة فى حياتى وهى قليلة جدا لو تعلمين ، اقابل فتاة أتصور انها يمكن ان ترانى على حقيقتى وفجأة تختفى الفتاة من حياتى حدث هذا مرات عديدة حتى أصبح موقفا مزمنا ، ضحكت من تشاؤمه وقالت تطمئنه : هذه المرة سيخيب فألك لانك ستظل ترانى حتى تضطر للهروب منى ثم لاتنسى اننى سأستعير كتبا عديدة من مكتبتك لذلك لابد ان اراك

ووصلها مدحت الى باب شقتها ووقفا يتصافحان قال وهو يحتوى يدها بحنان بالغ :

ساعتبر هذا اليوم بداية صداقة حقيقية بيننا وساتطلع الى ان اراكى فى اقرب فرصة ، لاننى مشوق لاستئناف مناقشتنا مرة اخرى ٠ وهو ينزل الدرج احس من فرط احساسه بالنشوة انه طفل صغير يمكنه القفز فوق السلالم لا ان ينزلها واحدة واحدة كما تعود أن يفعل من قبل وفكر لماذا لايفعلها أنه الآن طفل سعيد ، والعمر تحدده لحظات كهذه وأطلق ضحكة من قلبه وأسرع يقفز فوق السلالم كما اراد تماما ٠



كانت مرفت فى طريقها الى محطة الاوتوبيس فى الشارع العمومى عندما توقفت الى جوارها سيارة عادل الذى هبط بسرعة من السيارة وأمسك بها من ذراعها فى شىء من الخشونة وقال لها بلهجة آمرة :

تعالى اركبى السيارة أريد أن اكلمك ، لكن مرفت أفلتت ذراعها من قبضته بشىء من العنف وقالت له بعصبية شديدة :

ماذا تريد منى ثم كيف تتجرأ على امساكى بهذه الطريقة أمام الناس ٠٠ قال عادل بشىء من اللين أننى آسف يامرفت لم اقصد أن اضايقك لكنك اضطررتنى لذلك ، كل مافى الامر أننى أريد أن أكلمك ٠

أعتقد أنك مدينة لى بنوع من التفسير بعد سلوكك معى ٠٠ قالت مرفت ببرود لن أستطيع أن اقابلك الآن فانا ذاهبة الى احدى صديقاتى لنذاكر معا ٠٠ قال عادل بغضب شديد :

فلتذهب صديقتك الى الجحيم ، أن الموضوع الذى أريد أن أكلمك بشانه أهم من صديقتك ثم أمسك بها من ذراعها ودفع بها الى داخل السيارة وهى تحاول أن تقاومه دون جدوى ومضى فى

طريقه الى أحد الكازينوهات القريبة من البيت ‥ هناك جلسا الى مائدة متطرفة فى حديقة الكازينو الشاسعة ‥ نفس المائدة التى اعتادا الجلوس اليها من قبل كحبيبين ، نظر اليها فى حب شديد ‥ شـــديد ‥

وقبل أن يتكلم قالت له ببرود أذهله : والآن ماذا تريـد أن تقول تكلم بسرعة لأننى لابد أن أنصرف ‥ قال بلهجة تقطر مرارة غريب جدا أن أسمع منك هذا الكلام ، على مدى ثلاث سنوات لم أكن أسمع منك سوى كلمات الحب وحدها ، ماالذى جرى يامرفت ؟ لماذا تعاملييننى بهذا البرود ؟ قالت بلا مبالاة :

دعك من هذا الكلام العاطفى وقل باختصار ماذا تريد ؟ نظر اليها والالم العميق يطل من حدقتى عينيه اذ أيقن أنه فقـد أغلى مخلوقة فى حياته ، مخلوقة تدله فى حبها ومايزال ٠

تامل وجهها الجميـل وشعـرها الاشقر الذى ينسدل فوق بشرتها الوردية وغاص فى خضرة عينيها الواسعتين اللتين طالما تشرب منهما الحب والحنان والآن أصبح لايجد فيهما ســـوى الغطرسة والتعالى ، تامل هذا كله ، وعز عليه أن يفقده دون أن يرتكب جريمة ما ٠

قال بلهجة رقيقة أقرب الى الحب : هل تعرفين ما الذى كانت تقوله عنك احدى جاراتى منذ قليل ؟ كانت تقول أنك لم تحبيننى أبدا ‥ وأنك كنت تمثلين على طول الوقت لكنى لم أصدقها ‥ والآن أصبحت أميل الى تصديقها بعد ما رأيته من معاملتك الغريبة لـى ٠

وصمت برهة ثم قال بحزن شديد وهو ينظر الى عينيها ‥ هل يمكن أن يكون ما قالته صحيحا يامرفت ؟ هل يمكن أن تكون

ثلاث سنـــوات طويلة من الحب نوعا من السراب ؟ أنى لا أكاد أصدق ذلك أفضل أن أموت على أن أصدقه قالت مرفت بعصبية وبنفس لهجتها الباردة المتغطرسة :

عادل ماذا تريد أن تعرف منى على وجه التحديد ؟ قال وقلبه يخفق بشدة :

أريد أن أعرف هل مازلتى تحبيننى أم لا ؟ قالت ببرود :
وماذا يجدى اذا كنت ما أزال أحبك ·· أن حبنا ميئوس منه أنت قلت هذا يوما ما ·· وصمتت برهة ثم نظرت اليه باشفاق وهى تقول له :

عادل متى ستتعلم أن تعيش فى الواقع أم أنك مصر على أن تظل الرومانسى الحالم الذى يرفض أن يتعامل مع حقائق الحياة · قال عادل والالم يمزقه :

لم تكونى تقولين هذا الكلام من قبل يامرفت ، قالت بحزم :
لأننى كنت طفلة غريرة تعيش فى الوهم ·· وصمتت برهة ثم قالت من أعماقها :

عادل لقد انتظرت طويلا أن تتخذ خطـوة جادة فى سبيل مستقبلنا لكنك لم تفعل وعندما طالبتك بذلك صارحتنى بانك عاجز عن أن تتزوجنى أو تتزوج أى فتاة أخرى ورغم ذلك طلبت منى أن استمر فى علاقة بك بلا أمل أو نهــاية ، الا تسمى ذلك أنانيـــة بغيضة ·

قال عادل وهو يتطلع على عينيها بينما وجهه يبتهل اليها كى تصدقه :

الحب ليس له بداية أو نهاية أنه حالة نعيشها حتى تفنى من تلقاء نفسها ، الحب كالنهر لماذا نضعه فى قنوات ، هواء طليق لماذا نعبئه فى زجاجات ؟ لماذا نحول الحب الى شىء دنيوى رخيص قالت مرفت بعصبية :

ها أنت ذا تعود الى أحلامك الرومانسية من جديد ·· تلك الاحلام التى جعلتنى أنفر منك ·· عادل :

أننى مخلوقة من لحم ودم ، أريد أن أعيش فى الواقع لا فى الخيال ، أريد أن أتزوج وأنجب أطفالا ومع رجل يشعر بانوثتى لكنك قلت لى أن هذا مستحيل ·· اكتسى وجه عادل بمسحة ألم عميقة وهو يقول لمرفت نعم أذكر أننى قلت لك ذلك يوما ما ، بل ما زلت أذكر الكلمات بنصها ·

قلت لك أننى زهرة جميلة لكن بلا رائحة ·· زهرة خالية من حبوب اللقاح ستظل جميلة طالما بقيت حية ·· لكن عندما تموت لن تترك وراءها زهرة أخرى لتحل محلها ·

قالت مرفت بحزن وهى تتطلع الى وجه عادل :

أننى آسفة من أجلك لكنك لاتستطيع أن تطلب منى أن أشاركك ماساة لم أشترك فى صنعها ·· أننى أريد حبا كاملا حاول أن تفهم ذلك ··أريد مخلوقا من لحم ودم يستطيع أن يعطينى حقى فى الحياة والحب ·· أما أنت فليس فى مقدورك أن تعطينى سوى مجرد سراب ·· قال عادل والالم يمزقه :

لقد أعطيتك أثمن ما أمتلك أعطيتك شرفى ورجولتى وحبى كيف تقولين أننى لم أعطيكى شيئا وصمت برهة ثم قال وهو يكاد

يختنق ·· آه ·· كم كنت مخدوعا عنـدما أحببتك ·· تصورتك مختلفة عن الاخريات تصورتك زهـرة فى صورة امرأة ، ريحا تتسلق الجبال ولم أتصورك مخلوقة من لحم ودم تبحث عن الزواج والإطفال كاى امرأة أخرى ٠

قالت مرفت بحزن : هذا خطؤك وحدك ياعادل ·· أنت تريد مخلوقة لا وجود لها ولا تريد أن تعترف بان هذا وهم لن يتحقق أبدا ·· أما أنا فاأريد انسانا من لحم ودم يعطينى حقى فى الحياة كامرأة تعيش الواقع لا الاحلام ·· امرأة لا تطمع أن تكون زهرة برية أو ريحا تتسلق الجبال ٠

قال عادل بانفعال عبرت عنه كل ملامح وجهه ٠
لكنى انسان مختلف يامرفت لا يمكن أن تخضعيه لمقاييس الانسان العادى ثم أن كل ما أطلبه منك هو مجرد الحب هل هذا كثير يا مرفت ؟ قالت مرفت بعصبية شديدة :

أنك تطلب منى أكثر من مجرد الحب ، أنك تريد أن تمتلكنى دون أن تملك المبرر لذلك ٠ قال عادل بحزن وهو ينظر الى وجهها : كنت أظنك مختلفة عن الأخريات ٠

قالت بلا مبالاة : وها أنت ترانى علـى حقيقتى ·· قال بتوسل :
ارحمينى يامرفت ·· أننى أتعذب ، أنك تمزقيننى بهذا الكلام الذى تقوليه ·· وصمت برهة ثم قال بصوت يكاد يختنق بالبكاء :

يا الهى لماذا احببتك منذ البداية ؟ لماذا أنت جميلة الى هذا الحد ؟ رأسى يكاد ينفجر ·· واحست مرفت بعـذاب حقيقى من

أجله ، فهو انسان أحبته من قلبها ذات يوم ورثت له عندما عرفت سره ٠٠ وتالمت لانها ليست مثالية الى الدرجة التى تقنعها بان تعيش معه حياة لا تمت الى عالم الناس الحقيقى بصلة ٠

قالت بصدق وهى تتمنى لو تعثر على الطريقة التى تخرجها من المازق الغريب الذى وضعتها فيه الظروف ٠

عادل : يمكننا أن نظل صديقين ٠٠ قال عادل وهو يرتعش من الغضب لأنه أحس بالاهانة تنضح من كلماتها :

كلا لا أريد صداقتك الحب أو لا شيء ٠٠ قالت فى ياس اذن انسانى ياعادل ٠٠ أنا واثقة أنك تقـــدر على ذلك اذا أردت ٠٠ لاتحاول من الآن أن ترانى أو تتصل بى وثق أن هذا يسهل الامور علينا نحن الاثنين ثم قامت بسرعة واتجهت ناحية باب الخروج وظل عادل الذى أذهلته المفاجاة يتابعها ببصره حتى غابت عن عينيه ٠



كان عادل عائدا الى منزله فى المساء وتوقف عند البقال الكائن محله عند ناصية الشارع ليبتاع علبة سجائر ٠٠ أمام دكان البقال كان أفراد الشلة يقفون كالعادة ، حدجوا عادل بنظرات تنم عن كراهية عميقة ٠٠ نظرات أصابته بارتباك شديد وشعور بالخوف ٠٠ كانوا دائما يوجهون الى عادل هذه النظرات التى يحار فى تفسيرها والتى كان يحاول بقدر طاقته أن يتجنبها ، هذه المرة حدجهم عادل بنظرات مليئـــة بالاحتقار والتحدى جعلتهم يشيحون بأبصارهم عنه وأن كان ذلك لم يمنعهم من النظـــر اليه بطريقة مريبة بين الحين والآخر وفجاة أبصر عادل صديقه الحميم

بحلق واقفا أمام دكان البقال ومعطيا ظهره له وابتسم فى سعادة ٠

كان بامكان عادل أن يميز هذا الظهر الغريب حتى لو رآه وسط آلاف أخرى من الظهور ٠٠ كان محدبا بصورة منفرة تعلوه طبقات سميكة من الشحم وفوقهتستقر رأس بحلق الضخمة ذات الشعر الكثيف الذى تحول الى اللون الرمادى والشبيه بشعر الغوريللا والذى ينزل على جبهته الضيقة ويكاد يصل الى عينيه الضخمتين الجاحظتين ، وضع عادل يده برفق بالغ فوق كتف صديقه وهو حريص على ألايصيبه بالفزع لكنه فوجىء بتلك الرجفة التى انبثقت فى ذلك القلب المذعور بالغريزة وهى تسرى فى يده ٠

والتفت بحلق ناحية عادل وقد بدا الذعر فى عينيه الغريبتين اللتين ربما كانتا السبب فى اطلاق هذا الاسم عليه بينما اسمه فى انحقيقة مكرم منقريوس بطرس ٠٠ وهدأت ملامح بحلق عندما أدرك أن الذى وضع يده على كتفه كان صديقه عادل وتبادل الصديقان ابتسامة ودوده ، وسأل عادل بحلق قائلا :

ماذا تفعل خارج المنزل حتى هذه الساعة المتاخرة من الليل ؟
وأشار بحلق الى كيس كبير من النايلون وقال وعيناه تلمعان :

كنت اشترى بعض الاشياء للعشاء وامتدت يد عادل لتخرج من الكيس الكبير الذى بدا له أشبه بكيس الحاوى بعض الاشياء التى اشتراها بحلق ثم أعادها من جديد وهو يبتسم ٠٠ لكن بحلق فاجاه قائلا :

لكنى اضررت أن أدفع رهنا للبقال مقابل زجاجتى كوكاكولا ابتعتهما منه وساله عادل عن المبلغ الذى دفعه له ، لكن بحلق قال

له بسذاجة لم تكن غريبة على عادل الذى تعود منه على هذا السلوك غير المالوف ، لكنى لم أدفع له نقودا ، لقد أعطيته ساعتى ٠

ونظر عادل على الفور الى حيث أعتاد أن يرى الساعة الثمينة حول معصم بحلق لكنها لم تكن فى مكانها ٠

وقال عادل بذهول : هل تعنى أنك دفعت ساعة ثمينة مقابل زجاجتى كوكاكولا ؟ ورد بحلق بنفس السذاجة المذهلة لقد رفض أن يعطينى الزجاجتين الا أذا أعطيته الساعة ، وأحس عادل أنه يكاد ينفجر من الغيظ ونظر الى البقال بطريقة جعلته يرتعد من الخوف فأسرع بأخراج الساعة من احد الادراج وناولها لعادل قائلا وهو يتصنع الضحك :

لا تصدقه ياأستاذ عادل أننى لم اخذها منه على سبيل الرهن بل على سبيل المزاح وكنت سأردها له قبل أن ينصرف ٠ ونظر بحلق الى البقال بدهشة فقد كان يدرك أن مايقوله مجرد أختلاق لكنه لم يستطع أن ينطق بحرف واحد ليقول له فى وجهه أنه كاذب ٠ نفس التهمة التى يحاول هذا الانسان الشرير أن يلصقها به ، وقال عادل للبقال وهو يرمقه فى ازدراء اننى أعلم أن مكرم لا يكذب ابدا فاذا قال أنك أخذت منه الساعة على سبيل الرهن فلابد أنك فعلت ذلك وهذا يعنى أنك كنت تنوى سرقتها منه ٠ أعترف ايهاالوغد وألا سلمتك الى البوليس ٠

وظل البقال صامتا يحاول بملامح وجهه المستجدية أن ينفى التهمة عن نفسه ٠

وأخيرا انفجر قائلا وهو يشير الى أفراد الشله هؤلاء الملاعين هم الذين اغرونى على اخذ الساعة منه ٠ ونظر اليهم عادل بكراهية وصرخ فيهم قائلا

ألن تقفوا ابدا عند حد ، على اى الاحوال حسابكم ليس

الآن لكنى سأعرف كيف اوقفكم عند حدكم ذات يوم ، ونظر اليه افراد الشلة بازدراء وقال واحد منهم بتحد :

نعم نحن الذين حرضنا البقال على اخذ الساعة منه ، كنا نضحك عليه ، اليس من حقنا ان نضحك كما نريد ؟ وصرخ عادل فى وجهه قائلا :

ان ما فعلتوه لم يكن ضحكا كان سرقة يعاقب عليها القانون ثم بأى حق تضحكون على انسان لم يفعل لكم شيئا . ونظر اليه أفراد الشلة ببلاهة ثم انفجروا ضاحكين . وقـــال واحد منهم مشيرا للبقال :

أليس هو اولى بالســـاعة من هذا المعتوه الغبى ؟ ماذا يفعل انســـان مثله بســـاعة كهذه غير ان يغرى الآخرين على سرقتها منه .

وحدجه عادل باحتقار ثم جذب بحلق من يده كى ينصرفا الى منزليهمـــا وفى تلك اللحظة اكتشف ان يد بحلق تضم كمية من النقود بعضهـــا اوراق نقد والبعض الآخر عملات معدنية وكان بحلق يحاول ان يضعها داخل جيب سترته لكن يد عـــادل منعته من ذلك فى اللحظة الاخـــيرة وفتحت القبضة التى تضم النقود وصاح عادل قائلا باستهزاء وهو يوجه كلامه الى البقال . ارجـــو ألا تكـــون قد أخذت منه رهنـــا آخـــر . ورد البقـــال وقد بدا عليه الذعر :

كلا ، انها باقى النقود التى اعطيتها له ، ثم صاح فى وجه بحلق قائلا هيا انصرف من هذا المكان بوجهك الغبى انك دائما تسبب لى المتاعب وتجعلنى عصبيا · وبينما كان بحلق على وشك الانصياع لكلام البقال استوقفه عادل قائلا لحظه واحدة يامكرم دعنا نلقى نظرة على هذه النقود ، وعدها فوجدها ثلاثة وثلاثون قرشا · فسأل مكرم قائلا كم دفعت للبقال ؟ فأجاب قائلا

أعطيته جنيها ، فسأل البقال قائلا : وبكم بعته هذه الاشياء فقال البقال متلعثما وهو يخشى النظرات المحذرة فى عينى عادل بتسعه وأربعون قرشا ، قال عادل وهو ينظر بازدراء الى البقال اذن كان ينبغى ان تعطيه واحدا وخمسين قرشا لكنك بدلا من ذلك اعطيته ثلاثة وثلاثين قرشا فقط ·

مد البقال يده بسرعه الى الدرج وأخرج باقى النقود ووضعها على الفترينه الرخامية وهو يقول لعادل بذعر أؤكد لك انها غلطة غير مقصودة إننى لا أدرى ما الذى يحدث لى عندما أتعامل مع هذا المخلوق انه يصيبنى بالارتباك · قال عادل بازدراء للبقال : على اى الاحوال ان مكرم لن يأتى وحده فى المرة القادمة الخادمة ستأتى معه واننى احذرك من محاولة غشه مرة اخرى والا سيكون لى حساب معك · وركب عادل وبحلق سيارة عادل الصغيرة التى انحرفت الى الشارع الذى يسكنان به والذى كان هادئا فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، يسير به بضعة افراد قلائل وتبدو معظم مصابيحه مطفئة مما جعل الشارع يسبح فى شبه ظلام تخيم عليه ظلال الاشجار الكبيرة على الجانبين والتى كست الارصفة واسفلت الشارع اللامع بنوع غريب من العشب الاسود اللون واضائت كشافات السيارة القوية الشارع وبرغم التعاسة التى كان يشعر بها عادل بعد حادثة بحلق التى حركت

احزانه القديمة الا انه شعر بسكينة تسرى الى روحه نوع من الصفاء الغريب شبيه بنسمات الصيف العذبة التى تدخل اليه من نافذة السيارة وعلى ضوء الكشافات القوية ابصر بضعة كلاب ضاله تجرى وراء بعضها البعض كأنها تمارس لعبة مرحة وقد هيج غرائزها جو الليل المثير المحيط بها وارتسمت أبتسامة ساخرة على شفتى عادل وهو يتساءل فى حزن عن نوع المجتمع الذى يستحق ان نسميه مجتمع الكلاب انه يعرف ان الحيوان لا يؤذى حيوانا آخر لمجرد اشباع هواية الضحك والعدوان فى داخله على الاقل لا يحدث هذا فى معظم الاحوال لابد ان يوجد صراع على البقاء بينهما لكن الانسان ذلك الكائن المغرور الانانى يلذ له دائما ان يمارس العدوان على اخيه الانسان دون وجود حاجة حقيقية للبقاء لديه ٠

انه العدوان من اجل العدوان وهذا ما يجعله فى مرتبة أدنى من الحيوان والتفت عادل فى حزن الى بحلق ٠٠ كان وجهه جامدا كأنه تمثال من الحجر وربما كان هذا من حسن حظه فالتماثيل تبدو أقل تأثرا من البشر بالاستفزاز الموجه لها ٠

وقال لنفسه ان بحلق بالتأكيد يحتاج الى اكثر من مجرد خادمة تبتاع له حاجياته من السوق انه فى حاجة الى تغيير المجتمع بأسره ، وهذا ما ليس فى مقدور انسان ان يفعله ٠

ووضع عادل يده برفق على كتف بحلق الذى التفت اليه بدهشة اذ لم يدر سببا لهذا التصرف الغريب لكن اللمعان المفاجىء فى عينيه كان يؤكد انه ممتن لهذا التصرف من جانب صديقه ٠

وتوقفت السيارة أمام منزل بحلق الذى اصر على نزول عادل كى يشرب معه قدحا من الشاى ٠

وحاول عادل الاعتذار عن قبول الدعوة بأن الوقت متأخر وبأن والدته تجلس وحيدة فى المنزل ، لكن بحلق راح يتطلع اليه بعينيه اللتين اكتسبتا قدرة فائقة على التعبير وبملامح وجهه التى تحولت فجأة من مطاط الى لحم ودم يموج بالانفعال والعاطفة الجياشة ·

وابتسم عادل وهو يقول له فى استسلام حسن سأدخل معك بشرط ألا أتغيب كثيرا ، وأمتلأ وجه بحلق بتعبير فرح حقيقى هز مشاعر عادل لفرط بساطته وأنسانيته فى نفس الوقت مما حدا به الى ان يسأل نفسه عن حال العالم لو ان اغلبية الناس فيه كانوا من نوع بحلق الطيب البسيط كان سيكون عالما أفضل بالتأكيد ، وترجل بحلق وعادل من السيارة وتقدما صوب باب صغير من الخشب به قفل ضخم فتحه بحلق ليجدا نفسيهما بعد ذلك فى الحديقة الصغيرة التى تفتح عليها شقة بحلق المكونة من حجرتين بالطابق الارضى ·

كان الظلام والسكون يخيمان على الحديقة المليئة بالنباتات المختلفة بطريقة عشوائية تجعلها اقرب ما تكون الى الغابة الصغيرة وكان ثمة مشاية فى الوسط على جانبيها بعض اصص الورد وفى وسط الحديقة كانت تقوم تلك الشجرة الضخمة التى تلقى بظلالها السوداء على كل ماحولها ، وكانت بضع شعاعات من مصباح الشارع الكائن خلف سور الحديقة المكسو بالنباتات تتسلل من بين فروع الشجرة الكثيفة وتستلقى فوق المشى المفروش بالرمل صانعة كثيرا من الدوائر اللامعة البيضاء وسط كثافة وسواد الظلام المحيط بها وبينما كان عادل وبحلق يجتازان المشى

الصغير فى طريقهما الى باب الشقة ندت من بحلق صيحة فزع نتيجة المشهد البشع الذى رآه امامه ·

لقد جمدت ملامحه فجأة وماتت الابتسامة على شفتيه وحاول أن ينطق بكلمة لكنه لم يستطع · كانت ملابسه النظيفة المغسولةقبل ساعات قليلة والتى نشرها فوق الحبل لتجف ، ملقاة على ارض الحديقة المروية وقد علاها الطين وبدت فى حال يرثى لها ، وكان من الواضح ان احدهم قد قص الحبل عن عمد لتسقط الملابس النظيفة على الارض ·

واحس عادل بحزن مؤلم من اجل صديقه المسكين وحاول ان يجد كلمات يخفف بها عنه لكنه لم يستطع واخذ يفكر فى الشيطان الذى سولت له نفسه ان يقدم على هذا العمل الوضيع ما الذى سيكسبه من وراء فعلته هذه وفجأة اهتزت نفس عـــادل بشدة عندما وجد بحلق ينفجر بالبكاء بصورة مؤلمة· لم يكن بحلق يبكى ملابســـــه الموحلة والجهد الذى يتعين عليه ان يبذله كى تعود ملابسه نظيفة من جديد ·

كان يبكى نفسه ·· احساسه بالقهر فى مجتمع لا يـرحم · ووضع عادل يده برفق بالغ فوق كتف صديقه وقال له :

اطمئن يامكرم سأدع الخـــادمة تغسل لك كل الملابس من جديد · ثم سأله عمن قام بغسل الملابس له فأخبره بأنها زوجة البواب ، فنادى عادل على البواب بصوت مرتفع مكررا النداء اكثر من مرة قبل انيرد عليه ثم جاء أخيرا وهو يحـــاول فتح عينيه بصعوبة اذ كان نائما عندما نادى عليه عادل ·

وأشار عادل الى الملابس الملقاة على الارض وقال بغضب شديد : هل تعرف من فعل ذلك ؟ وصمت البواب لحظة وكأنه يفكر بملامحه البليدة الغبية ثم ضرب رأسه بيده وهو يصيح قـائلا :

انهم هم لا يوجد غيرهم · وسأله عادل بلهفة : مـن تعنى بذلك ؟ وقال البواب :

الصبية الذين يلعبون فى الشارع انهم دائما يفعلون ذلك معه ، وسأله عادل بغضب شديد :

واين كنت عندما فعلوا ذلك هذه المرة · قال البواب بضيق:

كنت نائما بالطبع ، هل تريدنى ان اظل جالسا طول الوقت امام البوابه لاحرسه · ان لى مصالح ينبغى ان اقضيها كمـا تعلم ·

وحاول عادل ان يثير شفقه البواب على بحلق المسكين فقال له بلهجة ودودة :

انظر اليه انه مخلوق لايستطيع ان يؤذى ذبابة ، ومع ذلك يمارســـون معه هذا العمل الحقير اننى اطلب منك ان تقف الى جواره · وان تساعده ، هل تفهم ؟ وبدا من نظرات البواب الغبية التى كان النوم لايزال يطل منها انه لم يفهم حرفا واحدا ممـــا قاله عادل لكنه حاول ان يبدو متعاطفا مع مأساة بحلق المسكين فأخذ يردد قائلا : صبية ملاعين لادرى ماذا افعل معهم ·

وقـال له عـادل ان بحلق اخبره بأن زوجته هى التى تقوم بغسل الملابس له · ويرد البواب قائلا :

نعم نحن نحاول ان نأكل عيشنا بالخدمات التى نؤديها للسكان والنقود التى نأخذها منه لاتختلف عن النقود التى نأخذها من غيره • وبرغم ان زوجتى ليست راضية عن خدمته الا انها تفعل ذلك من اجل لقمة العيش •• ويقول له عادل باحتقار :

حسن قل لزوجتك المتضررة الا تأتى فى الصباح لتغسل له ملابسه لاننى سأرسل خادمتى لتفعل ذلك بدلا منها وينصرف البواب وهو يتثائب بينما ينحنى عادل وبحلق على الارض ويحملان الملابس الملوثة الى داخل الشقة • فوق الباب الذى يفتح على الحديقة كانت توجد كلمة مكتوبة بالطباشير وبخط ركيك ما ان قرأها بحلق حتى ظهر الألم على وجهه ووقف للحظة جامدا ينظر اليها بعينين تكاد ان تغرورقا بالدموع •

وقرأ عادل الكلمة واحس بالالم يمزقه هو الآخر ومد يده ومسحها من فوق الباب • كانت الكلمة المكتوبة فوق الباب هى بحلق • ووضع عادل يده برفق فوق كتف بحلق وقال له ضاحكا

هيا بنا ندخل الى الشقة لاننى فى اشد الحاجة الى قدح شاى الآن • فى داخل الشقة كان الهواء مكتوما محملا برائحة غبار واضحة وبرغم ذلك احس كل من الرجلين المرهقين بالراحة •• بأمان لا يدرى له سببا •

وكانت شقة بحلق أنيقة رغم فقر الاثاث الموجود بها •• ودائما كانت توحى لعادل بسكينة النفس ربما لان ساكنها هو صديقه الطبيب المسكين بحلق ، الانسان الوحيد الذى يشعر معه بطمأنينة كاملة ولا يتحرج من ان يكاشفه بأدق اسراره رغم انه فى معظم الاحوال لايقوم بأكثر من دور المستمع المتعاطف العاجز فى نفس الوقت عن فهم ماهيه المشاكل التى تقال له

وفى الصاله الصغيرة جلس الرجلان فوق اريكة وثيرة اصطف امامها مقعدان من نوع الفوتى وامام الاريكة كانت ثمة مائدة صغيرة من الخشب فوقها اناء من الفخار ملىء بالورود التى جمعهابحلق من حديقته ٠ وعلى الحائط كانت هناك صورتان بالزيت لمنظرين طبيعين من احد البلاد الاوربية ، كان من الواضح ان الذوق والاحساس بالجمال ينقصهما بشدة ٠

وفوق رف صغير على الحائط كان ثمة تمثال نصفى لامرأة جميلة ، كان يعادل قبح الصورتين الزيتيتين المعلقتين الى جواره لكن الصالة بصفة عامة كانت مريحة وتوحى للجالس بها بطمأنينة غريبة حيث كان السكون يسود الشقة الصغيرة ٠٠ سكون يشبه ذلك الذى يحسه الانسان خارج الزمن خارج حياة الناس الصاخبة ، ففى داخل هذه الشقة يعيش مخلوق لايجد احدا ليكلمه سوى نفسه واحيانا وعلى فترات متباعدة صديقه الحميم عادل الانسان الوحيد المستعد لسماع ما يقوله هذا المخلوق الغريب٠

وبعد فترة من الوقت هب بحلق واقفا وقال وهو يضرب جبهته العريضة بيده :

ما أغبانى كدت ان انس الشاى ، ثم التفت الى عادل وقال وعيناه تلمعان بدفىء طيب :

هل تحب الشاى بالنعناع لدى منه الكثير فى الحديقة ؟ وبرغم ان الفكرة راقت لعادل الا انه لم يحبذ خروج صديقه الى الحديقة فى هذا الوقت من الليل اذ لاأحد يعرف ما الذى يمكن ان يحدث له اذا خرج ٠

وحاول ان يثنيه عن عزمه لكن بحلق اصر على الخروج الى الحديقة وقطف بضع اعواد من النعناع الاخضر التى ما ان دخل بها الى الشقة حتى فاحت رائحتها فى المكان مثيرة شهية عادل الى كوب شهى مرطب من الشاى ·

ودخل بحلق الى المطبخ ليعد الشاى ولحق به عادل على الفور وقال له ضاحكا وهما يقفان امام وابور الجاز :

دعنى اساعدك فى اشعال هذا الجهاز العتيق · وابتسم عادل وهو يتذكر اليوم الذى كان بحلق يملك فيه موقدا للطهى يعمل بالبوتجاز وكيف اشتعلت النار فى ملابسه عندما حاول اشعال الموقد ذات يوم بحيث كادت ان تلتهم الشقة بأسرها لولا مسارعة الجيران باخماد النيران فى الوقت المناسب ·

لكن بحلق أصيب بجروق نقلوه بسببها الى المستشفى ليرقد فيه خمسة عشر يوما تحت العلاج لم يزره خلال تلك المدة سوى صديقه عادل حتى اخوه الشقيق لم يكلف نفسه عناء زيارته وعندما عاتبه بحلق فى ذلك بعد خروجه من المستشفى أجابه ببرود شديد

وماذا كنت سأصنع لك أكثر مما صنعوه لك فى المستشفى وعندما سمع عادل تلك القصة من بحلق احس بأنه يرغب فى مقابلة هذا الاخ وصفعه على وجهه ·

نصح عادل صديقه بحلق بعد تلك الحادثة ببيع موقد البوتاجاز الذى يبدو أنه لايحسن استخدامه والاكتفاء بباجور الجاز العتيق فهو اقل خطورة من الآخر ، اشعل عادل موقد الطهى ووضع فوقه اناء الشاى ثم جاء بحلق بأعواد النعناع التى غسلها جيدا واسقطها داخل الاناء ومضى الاثنان يتأملان الماء

وهو يغلى داخل الاناء وذلك البخار المتصاعد فى الجو محملا برائحة النعناع الذكية ·

فى خلال ذلك بدأ عادل يلقى بنظره فيما حوله ملئته بأسف حقيقى من اجل صديقه بحلق ، كانت الاوانى النحاسية المحملة ببقايا الطعام مكومة فى حوض الغسيل وكانت الاطباق القذرة منتشرة فى كل مكان تمرح بينها الصراصير الصغيرة . وفوق رخامة حوض الغسيل كانت توجد سلة صغيرة بها ثوم وبصل وكمية هائلة من الصراصير وفى ركن المطبخ كانت توجد صفيحة القمامة ممتلئة حتى حافتها بالمخلفات التى تطن من فوقها كمية هائلة من الذباب ·

ورفع عادل بعض أغطية الاوانى التى يوجد بها الطعام ليرى ما بها على سبيل الفضول وهاله ما رأى ، كان الطعام متجمدا تعلوه طبقة من الشحم تشبه الفازلين جعلت عادل يشعر بتقزز عميق ، اما الارز اليابس الذى تحول الى كتلة طباشيرية واحده فقد كان مليئا بالحصى والدنيبة الصغيرة وكانت ارغفة الخبز الجافة مكشوفة للذباب والصراصير تمرح حولها ، وقد تعفن بعضها وعلته تلك النقاط البيضاء المقززة ، وسأل عادل صديقه قائلا بعد ان لاحظ وجود بقايا عدس فى احدى الاوانى النحاسية·

كم مرة اكلت عدسا هذا الاسبوع يامكرم واطرق مكرم ببصره الى الارض وقال بخجل شديد : ثلاث مرات ·

وهنا سأله عادل بدهشة اذن كم مرة تتناول اللحم ؟ أجاب بحلق وهو مايزال مطرقا ببصره الى الارض مرة كل عشرين يوما او شهر ·

وسأله عادل قائلا : من الذى يطبخ لك كلا لا تقل لى انها زوجة البواب ، وظل بحلق صامتا بينما قال عادل لنفسه لا ريب انها تسرقه هى الاخرى مثل البقال الوغد · والا فما الذى يدعوها الى خدمة انسان مثله · وبعد ان فرغا من شرب الشاى خرجا الى الحديقة الصغيرة ليقضيا بعض الوقت ·

كان الليل ساحرا والهدوء يخيم على الشارع الذى نام فيه كل شىء فيما عدا الاشجار الضخمة التى كان الهواء العذب المحمل بشذى الورود يتلاعب بفروعها العالية ·

ونظر عادل الى السماء وقد احس بهدوء غريب يتسلل الى قلبه ، كان السحاب الرمادى الذى يتحرك ببطىء فى سماء شديدة السواد يشبه عمالقة ضخام يثيرون الرهبة فى قلب الناظر اليهم ، اما القمر المستدير اللامع فكان اشبه بقطعة من الزجاج المصنفر تتدفق من خلالها اشعة بيضاء تغلف كل ما تقع عليه بغلالة من الضوء الشاحب واحس عادل انه يمكن ان يعيش هذه اللحظة الى الابد ·

لكن فجأة حدث ما عكر صفو الصديقين ومزق سكون اللحظة التى يعيشانها لقد انبعث صوت ممطوط ذو نبرة خاصة اقرب الى العواء صوت به قدر فاضح من الرعونة والاستهتار يصيح قائلا :

بحلق ·· بحلق ·· أين أنت أيها الحيوان القذر هل نمت مبكرا ؟ هيا اخرج الينا وأرنا نفسك فأننا نريد ان نحادثك · وانتفض بحلق واقفا وقد بدأ يرتعش من الغضب والخوف ، وراح يدير بصره فيما حوله لعله يعرف مصدر الصوت لكن كان من الواضح انه يبحث عن أشباح لن تظهر ابدا ·

ودفعه عادل بسرعة الى داخل الشقة وأغلق الباب حتى لا تصيبه طوبة يقذف بها الصبية الاوغاد الذين عادوا يصيحون من جديد ·· بحلق ·· بحلق ·· وصح ما توقعه عادل وجاءت طوبة ضخمة لتصطدم بالباب فى دوى مرعب جعل عــادل يرتعش من الغضب ويصمم على الخروج الى الشارع وتلقين الصبية درسا لا ينسوه · واندفع عادل خارجا من الشقة رغم محاولات بحلق المستميتة لمنعه من الخروج ·

قال له أن الصبية سيغادرون المكان بعد أن يصابوا بالملل ·

لكن عادل صمم على الخروج اليهم ووقف عادل على رصيف الشارع فى الوقت الذى بدأ فيه الصبية يلوذون بالفرار · لكنه اســتطاع رغم ذلك ان يميز بعضهم من احجامهم والملابس التى يرتدونها وأدرك أنهم نفس الصبية الملاعين الذين يلعبون الكــرة فى الشارع طول النهار ويحركون سيارته من مكانها او يجرحون طلائها بالدبابيس الرفيعة وأمواس الحلاقة ·

وعاد عادل الى الشقة ليجد بحلق واقفا فى انتظاره بملامح جامدة لا تظهر انفعاله الحقيقى ، لكن كان من الواضح من نظرات عينيه انه متألم خائف كما ينبغى لاى انسان فى ظروفه ان يكون ــ كان انسانا لم تعد تؤثر فيه الاهانات من كثرة ما تلقى منها فى حياته ·

ونظر اليه عادل بأسف حقيقى وردد بينه وبين نفسه قائلا ربما كان هذا من حسن حظك يا صديقى المســكين والا لتحولت الحياة الى جحيم بالنسبة لك ·

ودخل الصديقان الى الشقة من جديد وجلسا متجاورين فوق اريكة الصاله وفجأة قام بحلق وكأنه تذكر شيئا هاما وغاب بعض الوقت وعـاد يحمل صندوقا من الكرتون من النوع الذى توضع به الاحذية ومد يده داخل الصندوق وتناول كعكة من النوع الذى يصنع فى العيد فوقها كمية ضخمة من السكر قدمها لعادل وعيناه تلمعـان بشدة وهو يقول له خذ هذه الكعكة وقل لى مـا رأيك فيها ؟ وألقى عادل بنظره داخل الصندوق واحس بالغثيان كان هناك عدد رهيب من الصراصير الصغيرة يمرح بداخله بين اعداد الكعك الذى تفتت بعض منه وتحول الى مسحوق ٠

وقال عادل لبحلق وهو يدفع بيده الممسكة بالكعكة بعيدا عنه كلا لا أريد كعكا فان معدتى ليست على مايرام ٠ لكن بحلق عاد يقول متوسلا بكل خلجه فى وجهه الطيب القبيح :

ارجوك يا عادل ذق الكعك وقل لى ما رأيك فيه ؟ انه جميل جدا ٠٠ هيا خذ الكعكة من يدى ٠

وأبتسم عادل وهو يتناول الكعكة من يد صديقه فى الوقت الذى كانت فيه معدته تفور بنوع شديد من الغثيان ، كان لا يريد ان يجرح مشاعره ، او يخدش طيبته النادرة التى لم يجدها فى أى انسان غيره لكن فكرة ان يتناول هذه الكعكة التى التهمتها الصراصير من قبله كانت مستحيلة تماما بالنسبة له وقال لبحلق محاولا التخلص من المأزق الذى وضعه فيه لكن بلباقة شديدة لا يشعر معها بحلق باحساس عادل الحقيقى :

حســن سأخذ قضمة واحدة وأبلعها بكوب الماء ولا شيء أكثر من هذا حـتى لا تظن أننى لا اريد كعكك الجـميل وبعد ان قضم عادل قطعة من الكعكة التى كان طعمها قديما وسيئا للغاية

بدأ يلوكها فى فمه وهو يحاول ان يخفى احساسه الحقيقى عن عينى صديقه اللتين كـانتـا تنظران اليه طول الوقت فى فضول طيب غريب ، وبعد ان وضع عادل كوب الماء الذى كان يرتشف منه طول الوقت لكى يضيع الاثر السيء لطعم الكعكة فى فمه سأله بحلق بلهفة ساذجة :

الكعك حلو أليس كذلك ؟ وكاد عادل ان ينفجر بالضحك، فهاهو انسان يجسد الطيبة فى أوضح صورها ومع ذلك يكرهه الناس من اعماقهم ·

وقام بحلق وادار راديو ترانزستور صغير فسبحت الصالة فى أنغام موسيقية حالمة هدأت من حدة توتر الرجلين اللذين عادا الى الصمت من جديد ، وفجأة دخلت قطة بحلـق الصغيرة وهى تموء بشدة فأسرع اليها وأخذها بلهفة بين يديه ·
وأخذ يمسح فوق فراءها الناعم بيده الضخمة التى تشبه يد ملاكم عملاق ·

ثم قبلها فى رأسها بحنان شديد ثم التفت الى عادل قائلا:
كـانت نائمة فى حجرة النوم · أنهـا تنـام معى فى الفراش ، أستيقظت الان لانها جائعة وماءت القطة من جديد · ثم أندفعت هاربة من بين يدى بحلق متجهة الى المطبخ وهنا قال بحلق لعادل الذى كان يراقب ما يحدث امامه بحب حقيقى لا يخلو من دهشة:

سأذهب لاضع لها قليلا من اللبن فى الوعاء ، ثم عـاد بعد قليل وجلس الى جوار عـادل وقد بدا الصفاء الحقيقى يطل من قسمات وجهه التى بدأت تأخذ صورة أكثر أنسانية من ملامحـه الصخرية المعتادة ، وابتسم عادل وهو يسأله قائلا :

أنك تحب القطة كثيرا ، اليس كذلك ؟ قال بخلق وعيناه تلمعان بشدة :

نعم أكثر من أى شىء آخر فى العالم ، أنها تسلينى خصوصا وأنا أعيش وحيدا · وأردف عادل قائلا :

وتحب الموسيقى أيضا ، اليس كذلك ؟ وابتسم بحلق وهو يقول فى زهو :

وأنا أستهلك بطاريات كثيرة للراديو لأنه طول اليوم مفتوح على البرنامج الموسيقى ····· وفجأة وقعت عينا عادل على بعض المجلات الاجنبية العارية ، مد يده وأخذ واحدة راح يقلب صفحاتها وهو ينظر الى بحلق بدهشة شديدة ، اذ لم يكن يتصور أن أنسانا مثله يمكن أن تثيره هذه الأشياء ، ولاحت على شفتيه أبتسامة خفيفة طيبة وهو يقول لبحلق من أين أتيت بهذه المجلات الفاضحة يامكرم ؟ قال بحلق وهو ينكس بصره الى الأرض اشتريتها من بائع الروبابيكيا وسأله عادل بخبث :
بالتأكيد فانك تحب النساء الجميلات الموجودات بها والا ما كنت قد أشتريتها ، هيا أعترف ولا تنكر ·

وقال بحلق وهو يحاول أن يتجنب نظرات عادل التى لم تكن تخلوا من دهشة :

وما الخطأ فى هذا ، أننى رجل ، اليس كذلك ؟ ونظر اليه عادل متفرسا كأنه أفاق على هذه الحقيقة لاول مرة فى حياته ·

★ ★ ★

وأحس عادل بندم عميق لأنه لم يصل الى هذه الحقيقة الا الآن · كان دائما ينظر الى بحلق نظرته الى مخلوق لا يدرى له نوعا ·· مخلوق طيب يستحق العطف والآن هاهو يكتشف أنه رجل كالآخرين ·· وقال له عادل بخبث :

حسن أنك تحب النساء الجميلات كأى رجل آخر ·· ماذا تفعل لو أتوا لك بواحدة من النساء الموجودات بهذه المجلة ، وفوجىء عادل باجابة لم يكن يتوقعها ·· لقد ظهر الخجل الشديد على بحلق ·· حتى بدا كما لو كان طفلا صغيرا أرتكب خطيئة فظيعة وقال بتلعثم :

لقد كذبت عليك عندما قلت لك أننى أحب النساء الموجودات بهذه المجلة · وضحك عادل قائلا بل أنك تحبهن بالتأكيد كأى رجل آخر وصمت وهو يقول لنفسه :

لكن المشكلة هى أن واحدة منهن لن تفكر فى النظر اليك طالما أنك تملك هذا الوجه القبيح · ومر بعض الوقت وقام بحلق فجأة وفتح درجا صغيرا فى أحد المناضد وأخرج منه ورقة يانصيب قدمها لعادل وهو يقول له فى فرح شديد :

أشتريتها هذا الصباح · بائع اليانصيب قال لى أننى سأكسب ألفين من الجنيهات · قال عادل بانفعال :

وهل صدقت هذا الوغد ؟ ألا تعلم أنه يقول نفس الكلام لكل من يشترى منه ورقة يانصيب · قال بحلق وقد ظهرت على وجهه خيبة امل شديدة :

لم أكن أعلم ، هو قال لى ذلك وأنا صدقته ، قال عادل وهو ينظر الى بحلق باشفاق نتيجة سذاجته الشديدة التى يمكن أن يستغلها كل من لا ضمير له :

حسن ليكن هذا درسا لك وعدنى من الآن ألا تشترى أوراق يانصيب أخرى ·

ثم وضع عادل يده برفق فوق كتف بحلق الذى نظر اليه بحنان شديد · وقال عادل وهو ينظر الى ساعته :

لقد سرقنا الوقت دون أن ندرى سأذهب الآن ، وسأرسل لك الخادمة فى الصباح لتغسل لك الملابس وتبتاع لك ما تريد من السوق ·

وحانت من عادل نظرة الى الدرج الذى أخرج منه بحلق ورقة اليانصيب ولشد ما أصيب بالدهشة وهو يرى بعضا من الاوراق المالية الكبيرة الحجم مبعثرة بداخله · فسأله بانفعال :

لماذا تحتفظ بهذه النقود داخل المنزل ؟ ألا تخشى أن يسرقوها منك اذا عرفوا بأمرها ؟ وأجاب بحلق والدهشة تطل من عينيه :

ولماذا يسرقونها منى ، أنها نقودى اليس كذلك وأبتسم عادل وهو يقول لبحلق :

الافضل أن نذهب أنا وأنت ذات يوم لنضع هذه النقود فى البنك لكن لا تحتفظ فى المنزل الا بما يكفى نفقاتك اليومية ، هل تفهم ؟ ونظر عادل الى وجه بحلق ، كان مليئا بالرعب بنفس القدر الذى كان مليئا بالسذاجة · وقال عادل لنفسه وهو يحس بعطف شديد على صديقه :

مسكين أنت يابحلق أنك فى حاجة الى انسان يرعاك طول الوقت ، لكن المشكلة هى من أين ناتى بهذا الانسان ؟ من أين ناتى به ؟ ·

عندما عادل الى منزله بعـد زيارته لبحلق وجـد والدته جالسة أمام شاشة التليفزيون كالعادة ، قبلها فى جبينها بحنان وجلس الى جوارها فوق أحد المقاعد الوثيرة ، قال متاوها وهو يفرد ذراعيه فى الهواء :

آه كم أنا متعب وفى حاجة الى الراحة بعد مجهود اليوم الطويل ، لكن انظرى ماذا يقدمون لنا على شاشة التليفزيون ، أليست هذه هى المسرحية التى سبق أن شاهدناها أكثر من مرة حتى كدنا نحفظها ؟ وضحكت والدته قائلة :

نعم هى بعينها ، وأردفت بعد لحظة صمت عادل ما الذى أخرك حتى هذه الساعة ؟ أكاد أجزم بأننى رأيت نور سيارتك يلمع فى الشارع منذ أكثر من ساعة وتوقعت أنك ستصعد على الفور ، ورحت أنظر الى الباب بين لحظة وأخرى لكنك لم تظهر ، لقد أقلقتنى عليك ، أين كنت ؟ وضحك عادل قائلا وقد ظن أن والدته تبالغ فى القلق عليه :

اطمئنى ياأمى فليس لدى مكان آخر أذهب اليه حتى لو أردت كل مافى الامر أننى قابلت مكرم أنت تعرفينه بالتاكيد أنه ذلك الانسان الغريب الذى يقيم فى آخر الشارع ودعانى الى قدح من الشاى فى بيته فاضررت للذهاب معه وهناك مر الوقت سريعا دون أن أدرى لكن اطمئنى ها أنذا أمامك سليما معافى ، نظرت اليه والدته بدهشة واستنكار وقالت له :

وما الذى جعلك تذهب مع هذا المخلوق الغريب الى منزله ؟ ما الذى بينك وبينه ، قال عادل بحزن :

كان لابد أن أذهب معه · هل تعرفين أين قابلته ؟ عند البقال الكائن محله عند ناصية الشارع وهل تعرفين ما الذى فعله معه ؟ لقد أخذ منه ساعة ثمينة مقابل زجاجتى كوكاكولا ·· الوغد ·· اللص ·· وكان لايمكن أن أدعه يذهب الى المنزل وحيدا ، أنه صديقى وكان لابد أن أواسيه بعد أن أثبت له أن البقال سرقه وصمت برهة ثم أردف قائلا بلهجة حزينة :

ربما كنت انا نفسى فى حاجة الى من يواسينى فأنا لا اعتقد اننى افترق كثيراعن مكرم المسكين فأنا مثله بشكل أو بآخر ، قالت والدته باستنكار : كيف تساوى نفسك بهذا المجنون ·· أرجوك ياعادل لاتقل هذا الكلام مرة أخرى ·· قال عادل وهو يربت يد والدته برفق بالغ بينما هو فى قرارة نفسه يشعر بالرثاء من أجلها لأنها لاتدرك ما تقول :

أولا هو ليس مجنونا يا أمى وأن كان الناس يظنون أنه كذلك · أنه فقط انسان مختلف سىء الحظ صدقينى أننى لم أجد انسانا فى مثل اخلاصه أو طيبته ·

هل تعرفين أنه الانسان الوحيد الذى يمكننى أن أفاتحه بما فى نفسى دون أن أشعر بالحرج ، أنه يستطيع أن يفهم أكثر من أى انسان آخر عرفته ، ربما لأنه عرف معنى أن يكون الانسان مضطهدا وصمت برهة ثم قال ضاحكا :

ليتك كنت معى وشاهدته وهو يفعل المستحيل للترحيب بى ·· هل تتصورين أنه أصر على أن يقدم لى كعكا هو بالتأكيد من بقايا العام الماضى ، وآه لو شاهدتى كمية الصراصير التى كانت تمرح داخل صندوق الكعك ، آه كم هو طيب ومسكين مكرم هذا ، وسالته والدته باستنكار :

وهل أكلت من الكعك ياعادل رغم ذلك ·· قال عادل ضاحكا :
لم يكن لى الخيار ولما رأى أن والدته تنظر اليه بدهشة شديدة
أردف قائلا :

صدقينى لم أرد أن أجرحه أنه انسان طيب مسكين لايستطيع
الانسان أن يفعل معه ذلك ، وصمت برهة لمعت عيناه خلالها بحنان
غريب قبل أن يقول :

هل تتصورين أنه يربى قطة صغيرة فى شقته وأنه يعاملها
بحب شديد يدهش الانسان أن يصدر عن مخلوق مثله ، أنها أول مرة
أعرف فيها ذلك عنه ، ولقد جعلنى هذا الاكتشاف ألمس جانبا أنسانيا
فى شخصيته جعلنى اقدره أكثر من قبل ·

وصمت برهة ثم أردف قائلا وهو يتطلع الى وجه أمه بحب
شديد : هل تعرفين ما هو الفارق بين الانسان الحقيقى والانسان
المزيف فى هذا العالم أنه موقفهما من الحيوان أو الكائن الضعيف
الذى لايمكنه الدفاع عن نفسه ولو أنك رأيتى مكرم وهو يحتضن
قطته الصغيرة بأقصى درجات الحنان الذى يمكنك أن تتخيليه لأدركتى
كم هو انسان حقيقى ذلك الكائن الغريب الذى يضحك منه كل الناس
ويسومونه العذاب لأنهم هم البشر المزيفون ·

خيل الى وأنا أشاهده يحنو على قطته بهذه الطريقة الفريدة
أنه لم يأت بها الى المنزل لتؤنس وحشته بل ليؤنس هو وحشتها ،
أحسست أنه هو الذى يعطيها لا هى التى تعطيه أو على الأقل أنه
يعطيها أكثر مما تعطيه ·

قالت والدته وقد هزها كلامه وان كانت لم تفهمه تماما : يبدو
أنك معجب به الى حد بعيد ·· قال عادل من قلبه :

نعم هل تعرفين لماذا لأنه انسان صادق وبسيط فى عالم مليء بالشر لكنه يجعلنى أشعر بالحزن من أجله فهو عاجز تماما عن الدفاع عن نفسه أنى أتخيله أحيانا كائنا هلاميا ضعيفا يعيش وسط مجموعة من جمبرى البحر المتوحشة التى تنهش لحمه بلا رحمة دون أن يتمكن من وقفها ٠

أحيانا أحس من فرط ادراكى لماساته أننى مسئول عن حمايته كاننى خلقت خصيصا من أجله وأنى اذا ماتركته يهزم فقد تركت قطعة من نفسى تهزم ٠٠ ومرت لحظة صمت التفت بعدها الى والدته وقال لها بلهجة متوسلة :

هل تستطيع تفيـــده أن تذهب اليه كل بضعة أيام لتقضى له حاجياته ، أننى ساكون ممتنا جدا لو أنها وافقت على ذلك ويمكنك أن تطمئنيها باننى على استعـداد لأن أدفع لها أجـرا مجزيا لقاء عملهـا ٠

وارتفع صوت والدته ينادى على الخادمة التى جاءت وقـد أرتدت ملابس الخروج اذ كانت على وشك العودة الى منزلها وكان القلق من تاخرها حتى هذه الساعة والغضب المؤكد لزوجها الذى ينتظرها فى المنزل باديا على ملامح وجها ٠٠ قالت لها الأم بلهجة اعتـذار :

أننى آسفة ياتفيدة لأنك اضطررت للبقاء حتى هـذه الساعة لكن لم يكن الأمر بيدى ، فقـد جاء عادل متاخرا على غير العادة وقالت الخادمة باخلاص حقيقى :

أنك تعلمين ياسيدتى أنه لو كان الأمر بيدى لبقيت معكم طول اليوم لكنه زوجى الملعون الذى يمنعنى من ذلك وأراهن أنه واقف

الآن بانتظارى أمام باب الحجرة ليحولها الى معركة ضارية فور وصولى اليه ٠

قالت الأم بلهجة حنونة اسمعى ياتفيدة لدى فكرة أعتقد أنها ستهدىء من ثورة زوجك المحتملة ٠٠ افتحى الثلاجة وخذى بعض ما بها من طعام وفاكهة وعودى بها اليه وأنا واثقة أن غضبه سيزول على الفور ٠٠ قالت الخادمة وقد هدأت أعصابها :

أشكركياسيدتى على كرمك ، أنها حقا فكرة جيدة ، فنحن الفقراء لايهدىء من ثورتنا غير هدايا من هذا النوع خصوصا زوجى النهم الذى لايشبع أبدا ٠٠ لكن هل كنتى تريدين شيئا آخر ياسيدتى ؟ قالت الأم :

نعم ولهذا ناديت عليك لكن ما أريده ليس من أجلى بل من أجل عادل ٠

نظرت الخادمة الى عادل متسائلة فقال لها بلهجة متوسلة :

أن الخدمة التى أريدها منك ليست من أجلى بل من أجل صديق لى ليس له أحد فى هذا العالم ٠٠ أظنك تعرفينه ياتفيده ؟ أنه بحلق الذى يسكن فى آخر الشارع ٠٠ واتسعت عينا الخادمة من الدهشة وارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيها وهى تقول :

بحلق ، وهل هناك أحد فى الشارع لايعرفه يكفى وجهه الغريب الذى لاينساه الانسان حتى لو شاهده مرة واحدة فى حياته ٠٠ أنه طيب مسكين ، لكن الناس يعاملونه بقسوة فظيعة ٠٠ قال عادل وقد شجعته لهجة الخادمة المتعاطفة ٠٠

اذن هل تقبلين الذهاب اليه وقضاء بعض الحاجيات له ليس بصفة دائمة بالطبع بل فى الاوقات التى تشعرين فيها بانك قادرة على ذلك وأنا على استعداد لأن أدفع لك كل ماتريدين ٠

وارتسمت ابتسامة خافتة على شفتى الخادمة وقالت بطيبة شـــديدة :

ساذهب له ياسى عادل من أجلك أنت ولا تهتم من أجل النقود فهى آخر شىء أفكر فيه ٠٠ هتف عادل من أعماقه :

أشكرك يافيده ، هذا ما كنت أتوقعه منك على أى الأحوال ، ثم تنهد قائلا :

آه الآن تخلصت من عبىء ثقيل كان يرزح تحته قلبى ، ودخلت الخادمة الى المطبخ لتعمل بنصيحة الأم وعادت بعد قليل وهى تحمل سلة كبيرة مليئة ببعض آنية الطعام الصغيرة التى أخذتها من الثلاجة وبعض الفاكهة وصف من أرغفة الخبز ٠

وقالت ضاحكة للام وهى تهم بالخروج من باب الشقة ، اذا لم يكفه هذا الطعام ليهدىء من ثورته فاننى ساسكبه فوق رأسه أو ساطلب منه أن يطلقنى ، ثم غادرت الشقة وأغلقت وراءها الباب ٠
وفور خروج الخادمة التفتت الأم قائلة لابنها وفى صوتها رنة حزن غريبة :

هل تعرف ياعادل أننى أشعر دائما بالانقباض كلما غادرتنا تفيده الى منزلها كل مساء أشعـــر أن فردا من العائلة يغيب عنهـــا بلا سبب معقول ٠٠ ورد عادل قائلا بلهجة حنونة :

وكيف لاتصبح فردا من العائلة وقد عاشت بيننا منذ أن كانت طفلة صغيرة بل أنها تزوجت من هذا المنزل ، ثم أنك تعاملينها كما لو كانت احدى بناتك تماما ٠

وبدأ عادل يتذكر اليوم الذى جاءت فيه تفيده الى المنزل لتعمل فى خدمتهم ٠

كان أصغر منها ببضع سنوات فى ذلك الوقت وكان كلاهما فى مرحلة المراهقة ، كانت تفيدة فى حوالى الخامسة عشرة صبية سمراء خجولة قادمة لتوها من الريف ٠

وكانت ملامح وجهها هادئة جميـلة وكانت ترتدى الجلباب الأسود التقليدى لبنات الريف جلباب يعلوه الغبار وممزق فى أكثر من مكان وكانت والدته لم تمرض بعد ووالده مازال على قيد الحياة وأخذتها والدته الى الحمام وأعطتها حماما ساخنا أزال عن جسمها الغض الهزيل كل الأوساخ العالقة به ٠

ثم طلبت من خادم عجوز كان يعمل فى البيت أن ياخذها الى الحلاق ليحلق لها شعر رأسها زيرو ، وكانت والدته تهدف من وراء هذا العمل أن ينمو شعر الخادمة الصغيرة ناعما غزيرا وخاليا من براعم القمل اللاصقة بفروة رأسها وكانت واثقة أنه مع توالى الغذاء الجيد الذى ستحصل عليه من الآن فصاعدا والحمام الساخن بين الحين والآخر وبعض أنواع الزيوت والمقويات التى توضع على فروة رأسها فان شعرها سينمو من جديد فى لمح البصر ٠

ابتسم عادل وهو يسترجع فى خياله منظر تفيـده المسكينة وقد لفت رأسها المحلوقة بمنديل ، ظل موضوعا فوقه حتى بدأ الشعر

ينبت من جـــديد فوق فروة رأسها ، عندئذ سارعت بخلع المنديل والظهور برأس يشبه رأس الصبية فى الشارع مما عرضها لبعض السخرية وجعلها تزداد خجلا وانطـواء على نفسها لكن الصبية الصغيرة كانت قوية عنيدة وأصرت على أن يبقى شعرها طليقا ينمو تحت الهواء والشمس وعيون الآخرين ٠

كانت تقابل السخرية بمثلها وأحيانا كانت تتشاجر مع الصبية فى الشارع عندما يشيرون الى شعرها ساخرين لكن مع الوقت بدأ شعر الصبية الصغيرة ينمو من جديد ناعما غزيرا كما تنبأت الام عندئذ أصبحت تفيدة تسير فى الشارع رافعة الرأس مزهوة بجمالها تتلقى بدلا من كلمات السخرية عبارات الغزل والحب ، وأعطتها أختاه بعض ما أمكنهما الاستغناء عنه من ملابسهما القـديمة وجلست الصغيرة فى المطبخ لتتناول لأول مرة طعاما بالملعقة وبدأت تفيدة تنسلخ من حياتها القديمة وتصبح فتاة قاهرية فى طباعها وعاداتها حتى فى لهجتها ٠

أحس عادل بشعور دافىء يملأ قلبه وهو يسترجع هذه الذكريات العزيزة عليه ، لكنهسرعان ما أحس بشعور حزين يطغى على شعوره الأول ويكاد يقضى عليه وهو يتذكر اليوم الذى غادرت فيه تفيـدة المنزل لتعيش مع زوجها الذى أصر على منعها من العمل فى منازل الأغراب على حد تعبيره لكن تفيـده بشجاعة لم تكن غريبة عليها وبوفاء زرعته فى قلبها معاملة الأسرة الطيبة لها وقفت فى وجهـه وأصرت على أن تبقى فى منزل الاسرة مما اضطر زوجها فى النهاية للرضوخ لها ٠

وأصبحت تفيدة تقضى نهارها فى المنزل وتعـود الى زوجها فى المساء وازداد تمسك تفيدة بالأم بعد مرضها بالشلل ووفاة زوجها

بعد ذلك بقليل برغم محاولات زوجها الدؤوبة كى تكف عن العمل لدى الأسرة ، لكن تفيدة التى أصبحت تشعر أنها واحدة من العائلة وقفت أمامه تتحدى ارادته كانهـا نمرة هائجة تدافع عن صغارها مما اضطره للرضوخ لها فى نهاية الأمر ٠

وبعد أن رحلت أختاه عن المنزل على أثر زواجهما وبقى هو ووالدته وحيدين فى المنزل توثقت العلاقة أكثر بين تفيدة والام التى أصبحت تعتبرها كواحدة من بناتها تماما ٠

أحس عادل وهو يسترجع هذا الشريط من الذكريات بافكار غريبة تلح عليه فعندما يحتاج البشر الى بعضهم البعض الى هذه الدرجة وعندما يقتربون من بعضهم البعض بدرجة كافيـة ويسود بينهم التفاهم ويبدأ ذوبان الجليد من حرارة العواطف والاجسام المتلاصقة تصبح كلمة الطبقة بلا معنى ، أو يصبح ماترمز اليه بغيضا الى النفس ٠

وتسقط حواجز الغنى والفقر واللـون وتصبح الحاجة الى الانسان وقدرته على العطاء والفهم والحنان هى قيمته الحقيقية فى نظر الآخرين ٠٠ أنه لم يحس فى يوم من الايام أن تفيده تنتمى الى طبقة أقل من طبقته ، أنه يحس أنها واحدة من العائلة فلو أنها ماتت لحزن عليها بنفس القدر الذى يحزن به على موت أمه أو واحدة من أخواته البنات ٠

لو أن انسانا تعرض لتفيدة فى الشارع لأحس بان شرفه قد أهين ولدافع عنها حتى بحياته نفسها ، بل أنه يستطيع أن يفهم من مشهدها وهى عائدة الى بيتها فى المساء بسلة مليئة بالطعام وزوجها الذى سيسامحها على تاخرها فى العودة عندما يطل برأسه ويرى

الطعام الموجود بالسلة يستطيع أن يفهم من هذا المشهد أكثر بكثير مما يمكن أن يفهم من المقالات الطويلة التى تقسم الانسان الى طبقة ولون وغنى وفقر وكل هذه التقسيمات الغريبة التى تتجاهل الصلة الوثيقة بين انسان وانسان والحواجز التى يمكن أن تذوب نتيجة هذه الصلة .

أفاق عادل من خواطره عندما قالت له والدته أن أخته الكبيرة زارتها فى الصباح وأنها تسلم عليه .

ارتسمت على شفتى عادل ابتسامة ساخرة وهو يقول لها : لكنها كالعادة لم تمكث طويلا أليس كذلك ؟ وصمت برهة ثم أردف قائلا :

قولى لى يا أمى لأن ذاكرتى لاتسعفنى متى كانت المرة الأخيرة التى زارتك فيها .. منذ شهر أو شهرين .. قالت والدته باستنكار :

عادل أرجوك لا تتكلم بهذه الطريقة عن أختك الكبيرة لماذا تتحامل دائما عليها ؟ قال عادل بلهجة حزينة : هل تعلمين شيئا يا أمى أنى لم أحس فى يوم من الايام أنها أختى الكبيرة .. فلماذا أجاملها لماذا لا أقول الحقيقة عنها مهما كانت مؤلمة .. هل نسيت أختى الكبيرة بانها مسئولة عنك عن أم عجوز مريضة فى حاجة الى رعاية دائمة .

قالت الأم بلهجة هادئة عادل لا تنسى أنها امرأة متزوجة وأن مسئوليتها الاولى هى تجاه بيتها وزوجها .

صاح عادل بغضب وتجاهك أنت أيضا ألست أمها التى أنجبتها ثم أنك فى حاجة الى رعاية انسانة تشعر نحوك بعاطفة خاصة ·· ابنتك وليست خادمتك ·

قالت الأم بنفس لهجتها الهادئة : لكنها تاتى لزيارتى كلمـا استطاعت ذلك ·

قال عادل ساخرا وهو يحس بمرارة عميقة فى قلبه :

نعم أنها تأتى بالتأكيد لتمنع الناس من أن يقولوا عنها أنها جاحدة بامها العجوز المريضة لا لأنها تريد أن تاتى حقيقة لزيارتك ·· قالت الأم بغضب واستنكار :

عادل لماذا تقول هذا الكلام المخجل عن شقيقتك ؟ صاح عادل قائلا : لأنه حقيقى وأنت تعرفين ذلك ·· اللعنة ، لقد أصبحت أكره اخواتى البنات وكل الناس ·· قالت والدته فى دهشة :

ولماذا تكره كل الناس يا عادل ·· أن الناس طيبون ما الذى فعلوه لك لتكرههم على هذا النحو ؟ نظر اليها عادل وكانه يحس بالرثاء من أجلها لأنها تجهل عالما يموج بالشر والحقارة بينما هى تظنه عالما طيبا مسالما كمـا كان فى الماضى ·· ثم قال لها بلهجة مشفقة :

قولى لى ياأمى متى كانت آخر مرة غادرتى فيها المنزل آد دعينى أتذكر أن هذا كان منذ وقت طويل جدا أعتقـد بعد فترة وجيزة من اصابتك بالمرض ·

Twitter: @ketab_n

نعم أننى أتذكر اليوم جيدا الآن لقد ذهبنا بك فيه الى طبيب العظام عندما شرخت ساقك ، هل تعرفين ما الذى حدث خلال هذه المدة الطويلة يا أمى ؟ تغير مذهل فى المجتمع الذى تظنيه طيبا ·

كان النـاس أشرارا فأصـبحوا أكثر شرا ·· كانوا أنذالا فأصبحوا أكثر نذالة صدقينى يا أمى أنك لا تعرفين شيئًا عن الغابة التى تتحرك فيها الوحوش خارج هذا المنزل ·

نظرت اليه والدته والحزن يملأ قلبها ثم قالت له بلهجة عطوفة : أتدرى ماهو الشيء الذى يجعلك ترى الحيـاة بهذا المنظار الاسود ياعادل ؟ أنك تعيش وحيدا ولم تتزوج حتى الآن رغم ان ذلك كـان ينبغى انيحدث منذ فترة طويلة وصمتت برهة ثم اردفت قائلة بلهجة حزينة :

عادل ما الذى يمنعك حقيقة من أن تتزوج ، أنك بالنسبة لى أنسان لاينقصه شيء لكى يتزوج ·· غنى وسيم ماذا ياعادل ؟ أطل حزن عميق من عينى عادل وهو يقول لامه انه قدر يا أمى لا يمكننى الهروب منه ·· لا يمكننا كلانا الهروب منه · نظرت اليه والدته بعتاب وقالت له :

ولا تريد أن تشاركنى هذا القدر ياعادل · انك تنسى اننى امك وأن من حقى ان اعرف كل شيء عن حياتك تنسى انه لا ينبغى ان تكون بيننا أسرار ثم اننى امرأة عجوز يا عادل ومريضة هل فكرت فى مصيرك من بعدى ·

ظهر التأثر الشديد على وجه عادل الذى حول بصره بعيدا عن عينى امه حتى لا ترى الدموع فى عينيه وقال لها :

ارجوكى يا امى لا فائدة من هذا الكلام انك تؤلمينى بهذه الطريقه ولا حظت الام ان ابنها يختلس نظرات الى النافذة المقابلة فقالت له باشفاق شديد انك مازلت تحبها ياعادل ، اليس كذلك ؟ قال بسخرية:

اشك بعد مقابلتى لها اليوم انها احبتنى فى يوم من الايام ·
قالت والدته وهى تحس بحزن حقيقى من اجله : لكنك مازلت تحبها برغم كل ما فعلته بك هذه الشيطانة الملعونه · قال عادل باستنكار:

ارجوكى ياامي كفى عن استعمال هذه اللهجة الجارحة وانت تتكلمين عنها ·

ونظرت اليه الام بحزن ولم تتكلم · وعـاد عادل يختلـس النظرات الى نافذة حبيبته المضيئة من جديد ·

انها هناك بالتأكيد جالسة الى مكتبها الصغير تستذكر دروسها ، او مستلقية على الفراش بقميص النوم بينما شعرها الاشقر الطويل نائم الى جوارها فوق الحشية الصغيرة ·

انها ملاك هذه الفتاة بجمالها الخارق لا يمكن الا ان تكون ملاكا ، وهو لا يملك الا أن يحبها حتى النهاية ، وأحس بشىء من البهجة تملأ قلبه وهو يتذكر اول مرة رآها فيها · كان عائدا من العمل بعد الظهر ورأى عربة نقل الاثـاث الضخمة التى كان يتوقع ظهورها بين يوم وآخر وهى تقف امام باب العمارة المقابلة لهم·

كان يعرف من بواب هذه العمارة بأن الشقة الخالية بالطابق الرابع والتى كانت تشغلها احدى العائلات الاجنبية المهاجرة قد اجرت لاسرة مصرية صغيرة سأل عنها البواب وهو يدردش معه فقالله بانها مكونة من موظف كبير على المعاش وزوجته التى

Twitter: @ketab_n

تصغره كثيرا فى السن وابنتهما الوحيدة الطالبة باحدى المدارس الثانوية وقال له البواب :

انه ينتظر حضورهم خلال بضعة ايام ·· وطلب منه عادل ان يحدثه عن ابنة هذه الاسرة ولا يدرى لماذا داخله احساس غريب بأنه ستنشأ علاقة ما بينه وبين هذه الفتاة · لا يدرى لماذا تصورها جميلة بطريقة فريدة مع انه كان من الجائز ان تكون عادية أو حتى قبيحة ·

كان عادل فى المرحلة من العمر التى يصبح فيها الحب معادلا للحياة · بكل شىء يتنفس او يحس فى داخله كان يتطلع الى الحب ، مهيئا نفسه له مستعدا لذلك الانقلاب المثير فى حياته· فقط كان ينتظر الانسانة المناسبة ·· ابتسم البواب وهو ينظر الى عينى عادل بعمق كأنه يريد ان يستشف عما وراء سؤاله ثم قال له وعيناه تبرقان بشدة ياسبحان الخلاق ··

لقد مكثت بوابا لهذه العمارة أكثر من عشرين عاما لكنى لم ار واحدة بمثل جمالها سكنت فيها · ان شعرها طويل كأنه خيوط من الشمس وعيناها زرقاوتان صافيتان كأنهما قطعتان من البحر وبشرتها صافية كأنها ضوء خالص تشوبه حمرة خفيفة مغرية ·

اما جسمها ، وهنا قال له عادل اصمت فقد سمعت ما فيه الكفاية · وصعد عادل السلالم الى شقته عدوا ودخل الى حجرته وأغلق وراءه الباب وأستلقى على الفراش وهو ما يزال بملابس الخروج وبصره مركز على النافذة المغلقة فى الشقة المقابلة يتوقع أن تفتح بين الحين والآخر وتطل منها حبيبته··

نعم ان قلبه يقول له انها ستصبح حبيبته ، خياله الجامح صورها كأنسانه خارقة الجمال · أنسانه تستطيع أن تجسد حلم انسان مثله يتذوق الجمال ·

كان عادل أشبه بأرض مهيئة للأنبات لا ينقصها سوى هطول المطر فوقها ·· مطر الحب العذب الذى لا يدرى متى يجيء ولا من اى سحابة يهبط عليه ·

كان وسيما الى درجة الكمال ، انتهى من دراسته الجامعية ثم التحق بشركة المقاولات الكبيرة التى يعمل بها ،وهو يملك سيارة انيقة يمكن ان تحمله مع حبيبته الى كل الاماكن التى يحلمان بزيارتها ، هناك بعيدا عن الزحام وعيون الآخرين المليئة بالفضول ، كان لا ينقصه سوى الحب الذى يملأ حياته ··

وكان لا يريد ان يحب أى فتاة ·· كان لابد ان تكون مخلوقة مثالية فى جمالها وشاعريتها ومضى خياله يرسم له صورة الانسانة التى ستطل عليه من النافذة المغلقة ذات يوم ·

وفى ذلك اليوم عندما أبصر سيارة نقل الاثاث واقفة امام باب العمارة المقابلة أدرك ان النافذة المغلقة ستفتح وستطل منها حبيبته وأسرع بالصعود الى شقته والمرابطة الى جوار نافذة حجرته المفتوحة حتى يكون فى انتظار حبيبته عندما تطل من نافذة حجرتها ·

كان يريد ان يكون اول انسان يقع بصرها عليه عندما تفتح نافذة حجرتها ،

كان هناك بعض العمال يحملون بعض قطع الاثاث يبدون له من خلال النافذة المفتوحه وكان يقف بينهم رجل عجوز نحيل يوجههم الى الاماكن التى يضعون فيها قطع الاثاث وأدرك عادل انه رب الاسرة الجديدة · كان وجهه ابيضا تلوح عليه امارات الطيبة الشديدة

وأحس عادل ببهجة تتسلل الى قلبه الذى أخذ يدق دقات عنيفة فلا ريب ان ابنته قد اخذت عنه بعض طباعه الهادئة وايضا ملامح وجهه البيضاء الوسيمة لكن اين هى فتاته الجميلة لماذا لا تأتى الى النافذة المفتوحة لتطل منها ، كان باليكاد يمسك اعصابه من شدة تلهفه على رؤيتها وفجأة ، لاح شبح أمرأة تدخل الى الحجرة شعر كستانى طويل يتأرجح فى حركات متماوجة والمرأة تقترب من وسط الحجرة

ودق قلب عادل بشدة فأخيرا هاهى اللمحة النسائية بدأت تظهر فى النافذة المفتوحة لكن عادل مالبث ان شعر بخيبة امل شديدة فالشعر الكستنائى الطويل لم يكن لفتاته الجميلة بل لامها ، غير أن خيبة أمله مالبثت أن تحولت الى أمل عظيم فالأم أجمل مما تخيلها بكثير واكثر شبابا فكيف تكون الابنة اذن · واقتربت المرأة من النافذة المفتوحة وألقت نظرة منها على النافذة المقابلة التى كان هو واقفا فيها ·· فى عينيها لمح شبح ابتسامة خافتة موجهه اليه ·

وأحس باضطراب لذيذ يتحرك داخله ·· نوع من الاحساس الغامض بان رابطة من نوع خاص جدا ستشده الى هذه العائلة الوافدة ، وظل عادل ينتظر بأعصاب مشدودة الحدث الاكبر الذى

يتوقع ان يحدث بين لحظة وأخرى ظهور الابنة فى النافذة المفتوحة ٠

انه الآن بعد ان شاهد العنصرين اللذين أنجبا هذه الابنة اصبح على يقين ان كل خيالاته التى نسجت جمالها ستصبح اقل من الواقع بكثير ٠

واخيرا تحققت المعجزة فهاهو الملاك الجميل يدخل الى الحجرة وأحس عادل أنه تحول فى تلك اللحظة الى عاطفة مجرده حنان عذب مجرد لكنها عبرت النافذة بسرعه لم تتح له ان يتأملها جيدا لكن هذه اللمحة الخاطفة أكدت له كل انطباعه السابق عنها ، بل ان خياله ليبدو ضئيلا محدودا الى جوار جمالها الخرافى الذى اضاء فى عينيه للحظة كانت كافية لاحداث اكبر اضطراب لذيذ فى حياته كلها ٠

كان شعرها الاشقر الطويل يتأرجح وراء ظهرها كأنه موجات من الشمس الطليقة ٠

وكانت عيناها الزرقاوتان تخطفان البصر بذلك البريق اللامع المنبعث منهما ، اما ملامحها الجانبية فكانت لامرأة رومانية قديمة منحوتة فى اجمل رخام وردى وقعت عليه عيناه وبسرعة خرجت من الحجرة كما دخلتها ٠

وظل عادل ينتظر باعصاب مشدودة ان تدخل الى الحجرة من جديد ٠ هذه المرة صمم على أن يلفت نظرها اليه بأى وسيلة سيقف امامها فى النافذة المفتوحة بطريقة لا يمكنها ان تتجاهله هذه المرة لا بد ان تضىء الشرارة بينهما هذه الشرارة التى ظل ينتظرها طل حياته ٠

ولمح الشعر الاصفر يتوهج فى باب الحجرة الداخلى ووثب قلبه فى ضلوعه وظلت عيناه المفتوحتان على آخرهما تتبعانها وهى تقترب من النافذة المفتوحة · كانت ترتدى ثوبا خفيفا عـارى الظهر والاكمام يبرز جمال جسم لم ير له مثيلا من قبل جسم دميه جميلة دبت فيها الحياة ··

ووقف فى منتصف النافذة تماما حتى يمكنها ان تراه ، ولم يصدق نفسه عندما رآها تقترب من النافذة عندما أبصرته واقفا أمامها ، احس انها تعمدت ذلك ، واحس بنشوة تموج فى داخله وأخيرا ها هى أمامه توجه اليه نظرات فضولية جريئة وقد أرتسمت على شفتيها أبتسامة خفيفة سـاحرة يالهى أنها أجمل فى الحقيقة من كل ما وصل اليه خياله وابتسم لها هو الأخر ·· ابتسم بشفتيه ، بعينيه اللتين لمعتا فجأة بطريقة غريبة ، بملامح وجهه المبتهلة السعيدة ·

واحس انها استجابت له عندما اتسعت الابتسامة اكثر على شفتيها يالهى ان الشرارة التى ظل ينتظرها طول حياته قد حدث الآن ، ببساطة لقد نجح فى أصعب وأقصـر أمتحـــان فى حيـــاة الرجل وهو يرى البريق اللامع فى عينيها وهما تحتـــويان صورته · كثيرون لا يدركون ان علاقة رجل بأمرأة يتحدد طابعها وعمرها فى تلك اللمحة الخاطفة عندما يرى كلاهما الآخر للمرة الاولى ·

انه امتحان ليس له اعادة ومهما حاول رجل سبق له الفشل فى هذا الامتحان ان يعاود الكرة من جديد فانه يبذل مجهودا بلا طائل ، كان بيدها ورقة تريد القاءها من النافذة المفتوحة · تريثت قليلا وهى تقذف بها الى الشـــارع · نظراتهمـــا متصلة

تتبادل رسائل صامتة ، دارت الى الوراء ·· ســـــارت بضعة خطوات ثم التفتت ناحيته من جديد ، هذه المرة لم تخطىء عيناه رؤية الابتسامة الواضحة فوق شفتيها وكاد يقفز فى الهواء من شدة الفرح ·

خرج الى حيث كانت والدته جالســـــة الى جوار النافذة المفتوحة تراقب اثــاث الجيران الجدد وهو يصعد الى الشــقة المقابلة ، أنحنى على جبينها وقبلها فوقه بحنان جعلها تنظر اليه بدهشة شديدة اذ لم تكن هناك مناسبة لذلك · ضحك قائلا لها :

أعرف ما تفكرين فيه لكنى فقط اردت أن اقبلك لآننى أشعر اننى اعيش واحدة من اســـعد لحظات حياتى ولا تسألينى عن السبب فلن أقوله لك على الاقل ليس الآن وصمت برهه ثم قال :

اننى جائع جدا استطيع ان التهم حصانا · ونظرت الام الى نافذة الجيران ورأت مرفت واقفة فى الحجرة ولا تدرى لماذا ربط قلبها بين الفتاة الجميلة وبين حالة السعادة الغريبة التى يعيشها ابنها ، واحست الام بالدفىء يملأ قلبها وعقلها يقول لها ان ابنهـــا على وشك ان يعثر على الحب الذى ظل ينتظره طول حياته ·

وابتسمت الأم ولم تتكلم ·· طافت سحابة حزينة بوجه عادل وهـــو يتذكر هذه البداية السعيدة للعلاقة بينه وبين مرفت ، لأن ماحدث بعد ذلك كان يشكل ماساة حقيقية ·

فى صباح اليوم التالى انتظرها بسيارته فى الشارع حتى رآها تخرج من باب البيت فسار وراءها دون أن تحس به ودق قلبه بعنف شديد عندما وجدها تنظر الى نافذته المفتوحة وفى اللحظة التى أرتد

فيها بصرها وقد ارتسمت فوقه خيبة أمل واضحة لأنها لم تجده واقفا فى النافذة التقت عيناها بعينيه الشاخصتين اليها من وراء زجاج السيارة الأمامى ٠٠ ورأى الابتسامة تشرق فوق شفتيها من جديد ٠٠ ابتسامة واضحة دافئة لاشك فيها ، وتحرك بالسيارة وانتظرها بعيدا عن البيت ٠٠ هناك فى الشارع العمومى ، أحس وهو ينظر اليها فى مرآة السيارة الصغيرة أنه وجـد أخيـرا الانسانة التى ستشاركه عمره ، أنها لن تكون مجرد نزوة عابرة وتنتهى ٠

لكن ستكون المعادل الحقيقى لحياته نفسها ، أن حياته من الآن فصاعدا ستشرق فيها شمس واحدة هى حب هذه الفتاة الجميلـة التى تقترب منه الآن دون أن تدرى بالمشاعر الجياشية التى تهدر فى داخله ٠

كانت ترتدى يونيفورم المدرسة الأجنبية التى تذهب اليها ٠٠ شعرها الاشقر الطويل الذى يشبه شمس الصباح الصافية ينساب بحرية وراء ظهرها يجعلها شبيهة بآلهة من آلهة الاولمب تشق المياه الزرقاء وشعرها الاشقر الطويل عائم من حولها ، خطواتها الرشيقة تجسد أنوثة المرأة ورقتها كما لم يحس بهما من قبل ، رأسها الرومانى الجميـل ذو الملامح الوردية الدقيقة مرفوع بكبرياء من تدرك أنها جملية ، أخاذة ، ساحرة ، مخلوقة مختلفة متميزة عن سائر المخلوقات العادية التى تتحرك من حولها ، كانت تحتضن حقيبة كتبها بحب شديد كما لو كانت تحتضن وليدا تحنو عليه ٠

وأعجبه هذا منها ، أعجبه الاختلاف والغرابة والحنان الذى يتدفق من كل ذرة فى جسدها وراحت عيناه تتابعانها فى مرآة السيارة الصغيرة وهى تقترب منه بينما أخذت ضربات قلبه تعلو حتى خيل اليه أنه يوشك أن ينفجر ، وعندما أصبحت الى جوار نافذة السيارة المفتوحة لايدرى من أين واتته الشجاعة ليخاطبها قائلا :

آنسة لحظة واحدة أرجوكى تاكدى أننى لا أريد مضايقتك أننى جارك الذى رأيته فى النافذة بالامس هل تذكرين ؟

وازدادت ابتسامة الفتاة اتساعا وهى تحدق فيه بفضــول ، لكنها ظلت سائرة دون أن تتوقف لمخاطبته لكنه أحس من ارتعاشة جسمها كله أن كلامه لم يضايقها بل بعث فيها حالة سرور خفى ، نوع من الزهو العميق الذى حركته كلماته الرقيقة التى مست وترا حساسا فى مشاعرها ، وشجعته استجابة الفتاة له فسبقها ببضعة خطوات ثم أوقف السيارة من جديد ٠

وعندما أصبحت الى جواره ٠٠ قال لها بشجاعة لم يشعر بها فى المرة السابقة ، اسمحى لى يا آنسة أن أقول لك أنك أجمــل فتاة رأيتها فى حياتى حتى الآن ونظرت اليه الفتاة وابتسمت بعينيها وقد استطاع أن يحس من ملامح وجهها أن كلمــاته قد أحدثت حالة من النشوة العميقة فى داخلها ٠٠ تشجع وقال لها بجرأة أكبر اسمى عادل وأنت ؟

وابتسمت الفتاة له من جديد ، ولم ترد عليه ٠٠ وكان الناس قد بدأوا يزحمون الشارع ورأى عادل أن يكتفى بهذا القدر الذى تحقق اليوم ٠٠ وعلى مدى الأيام التى تلت ذلك ظل يسير وراءها فى الطريق وهو يحاول أن يشرح لها شعوره ناحيتها ٠

ولم تكن الفرص دائما متاحة أمامه ٠٠ أحيانا وهى ذاهبة الى المدرسة أو عائدة الى البيت كانت تقــابل احدى صديقاتها فتضطر للسير معها بقية الطريق ، حينئذ كانت تسلك معه سلوكا متجفظا فلا تنظر اليه ولاتبتسم له لكنه كان قادرا رغم ذلك أن يحس بالذبذبات غيــر المرئية الصــادرة عن جسمها وهى تخترق قلبه وأحيانا كان

يلمحهـــا وهى تختلس نظرة ســريعة من وراء ظهر صديقتهـا كــان يشعر بهـــا كأغلى شيء فى العـــالم وبعد فترة قرر أن يكف عن هذا السلوك الصبيانى الذى لا يليق بانسان مثله ، وقرر أن يكتب لها خطابا يشرح فيه كل ما لم تتيحه له الظروف كى يقوله لها وجها لوجه ، لكن المشكلة كانت هى كيف يوصل هذا الخطاب اليها ، أنه بالطبع لا يستطيع أن يرسله لها بالبريد حتى لا يقع فى يد أسرتها ·

والصدفة وحدها أوصلته الى الحل السعيد لهذه المشكلة فقد جاءت جارتهم مديحة لتزور والدته فى أحد الايام حاملة لها تحيات والدتها وهى صديقة العجوز الحميمة ·· وبرقت فى ذهن عادل فكرة غريبة فها هى أمامه الحمامة الزاجلة التى ستحمل رسالتـــه تحت جناحها وتطير بها عبر الشارع وتسقطها فى النافذة المقابلة ·

لكن المشكلة التى لم يعمل حسابا لها كانت هى كيف يفاتح مديحة فى أداء هذه المهمة الحساسة وهو يلاحظ من نظراتها اليه وارتباكها عندما يجتمعان على انفرادأنها تكن له شعورا خاصا أكبر من مجرد الصداقة العادية بين شخصين ·

بل أنه كان متاكدا أن مديحة تحبه فى أعماقها وأنها تتحرج من مصارحته بشعورها نحوه وهو من ناحيته كان يتغابى عن هذا الشعور ويتجاهله فمديحة بالنسبة له لم تكن أكثر من مجرد صديقة طيبة لكنها أبدا لم تكن تمثل فتاة أحلامه ·

وكان لا يريد بحال من الاحوال أن يجرح شعورها ولم يكن مستعدا أيضا أن تجرح هى شعوره عندما تحس أن كرامتها قد أهينت بشكل أو بآخر ، وكانت هذه النقطة بالذات هى التى تمثل المواجهة الحرجة بينه وبين الفتاة اذ كيف يتصور أن يطلب من فتاة تحبه أن تحمل رسالة الى امرأة غيرها ·

لكنه كان على استعداد لأن يغامر والذى كان يشجعه على المغامرة أنه يعلم أن المرأة عندما تحب تفعل أى شىء من أجل حبيبها حتى لو كان توصيل رسالة غرام الى امرأة أخرى ٠٠ كان يعلم أن عمله يتصف بالانانية والجبن لكنه كان يريد أن يصل الى حبيبته باى طريق حتى ولو على حساب مشاعر وكرامة انسانة تحبه وطلب منها أن تاتى معه الى حجرته لكى يسمعها اسطوانته الجديدة ، طلب منها ذلك فى لهجة حنون آسرة لاتستطيع أن تقاومها ، وفى داخل الحجرة المغلقة لم تجد الاسطوانة التى حدثها عنها ، كان البيكاب مغلقا ونظرت اليه مديحة والشك يطل من عينيها وأسرع عادل قائلا بلهجة اعتذار :

آسف يامديحة : الاسطوانة كانت مجرد حجة للانفراد بك ، أننى أريد أن أحدثك فى موضوع يهمنى ٠٠ موضوع يمكنك أنت أن تحليه ، ونظرت اليه بتساءل فاردف يقول :

أرجو ألا تفهمينى خطا يامديحة ، لكن مديحة لم تسمع كلماته الاخيرة فقد انتفض شىء فى داخلها شىء ظل نائما بارادتها وحدها حتى أيقظته كلمات عادل التى تشبه مطرا ينزل على نبات طال جفافه ٠ ترى هل‌يعنيها هى بهذا الكلام ؟ هل يمكن أن يكون قد أحس أخيرا بشعورها نحوه ؟ هى الفتاة السمراء العادية التى ترتدى منظارا طبيا فوق عينيها المليئتين بالحب والذكاء والتى لا يمكن أن تكون أبدا فتاة أحلامه ٠٠ المنطقة الوسط بين الجمال والقبح ٠٠ الظاهرة غير الملفتة لعينى أى رجل يبحث عن الجمال ٠

أن عادل يمثل فى خيالها حلمها الوحيد المستحيل الذى تتمناه من أعماق قلبها ٠٠ عادل الوسيم الاشقر حلم الفتيات السمراوات من أمثالها ، كانت تنظر الى المرآة ولا تدرى هل تحس بالسعادة أم

بالقرف ؟ ماذا يكون شعور فتاة باهتة لاتدرى هل هى جميلة أم قبيحة ؟ لكنها كانت واثقة أنها تملك شيئا فى داخلها يعوضها عن ميوعة شكلها ٠

وكانت تقرأ كثيرا لتبلور ذلك الشيء في داخلها وتجعله محسوسا من الآخرين ، الكتب غذاءها الحقيقى أما الطعام فهو لمجرد ابقاءها على قيد الحياة ٠٠ كتب تشتريها من أى مكان ولا تشاهد أبدا بدونها ، وكانت أيضا تتردد بصفة تكاد تكون منتظمة على مراكز الغذاء العقلى فى المدينة ، لتاخذ نصيبها المشروع منها ، وكانت تحس أنها قوية ٠٠ حرة ٠٠ طليقة كطائر لم يوضع أبدا داخل قفص ، تدخن اذا أرادت أن تدخن وفي أى مكان ٠٠ تناقش أى موضوع ومع أى انسان بلا حرج ٠٠ الناس لايهمونها كثيرا مادامت تؤمن بانها على صواب ٠٠

لكن كانت هناك رغم ذلك تلك الحسرة العميقة فى قلبها من أن يفوتها القطار ، كانت تتنهد فى حزن وتقول :

أى قطار ٠٠ لقد أوشكت أن تصبح ما يسميه المجتمع القاسى عانسا وحيدة ، تخشى من أعماق قلبها ألا تصبح مطلوبة الا من ناظر مدرسة على المعاش أو مفتش كهل فاته قطار الزواج ، وهاهو عادل الانسان الذى يجسد كل حلمها فى الرجل ٠٠

المطر الذى يهطل فجاة على أرضها المتشققة الملحة فيعطيها شيئا من الأمل ، هاهو ينكأ جراحها القديمة التى تحاول باستمرار أن تبقيها مغلقة ٠٠ يفتح الاقفاص المغلقة بارادتها العاقلة وحدها ويخرج منها كل الجن المحبوسة بداخلها ٠٠ كل الأحلام المتوحشة ويتركها لتهيم على وجهها وتعربد كيف تشاء ٠٠ ترى أى شيء يريد أن يقوله لها الآن ؟

أحست أنها فى قمة التوتر والعصبية وهى تتطلع الى شفتيه تنتظر ما ستقولانه لها ، وتكلم عادل وهــو يركز بصره فى عينيها ليحدث فى داخلها التأثير المطلوب :

مديحة اننى لاأدرى من أين أبدأ لكنى أريد أن أئتمنك على سر تتوقف عليه حياتى باسرها ، ابتسم وهو يقــول لها بلهجته الآسرة التى تذيبها :

هل تكتمين السر يامديحة ، فى عينيه يلمع حنان كانه شمس تشرق فى داخلها ٠٠ كلماته ناعمة مغطاة بطبقة من كريم الاصابع كلمات تنزلق على روحها بانسيابية فظيعة لايمكن أن تقاومها ، روحها تتوثب لسماع النبا الذى سيهز كيانها كله ، أرضها تلتوى وتتمزق فى انتظار المطر الذى سيهطل فوقها ، قالت بملامح متوسلة وعيناها مليئتان بالحنان الجارف الذى تكنه له :

نعم ياعادل ، ماذا تريد أن تقول ؟ ٠٠

مديحة ٠٠ لأول مرة فى حياتى أحس بالحب تجاه انسانة معينة انسانه رائعة لامثيل لها ، لكنها لاتعلم بعد بشعورى ناحيتها ، وصمت عن الكلام وتطلع الى عينيها وكاد قلبها ينفجر من شعور الفرح الذى ملأه فجاة ٠٠ أنه بالتاكيد يعنيها هى بهــذا الكلام والا فما معنى النظرات الطويلة المفعمة بالحنان والكلمات التى تنزلق على روحها بانسيابية قطع الثلج وهى تنزلق على سطح من الزجاج المصقول ، والحجرة المغلقة وكل هذا الجو الغامض الذى أحاطها به ، لابد أنه اكتشف فيهــا شيئا لم يره من قبــل ليس من الضرورى أن يكــون الجمال على أى الاحوال ٠٠ ثم أنها ليست قبيحة الى هذه الدرجة لتتصور أنه لا يمكن أن يحبها ٠٠ وبملامحها المتوسلة وعينيها اللتين تتقدان حبا تطلعت اليه وقالت بصوت ناعم حنون : نعم ياعادل أننى

مصغية ٠٠ قطرات المطر بدأت تنهمر فوق أرضها المتشققة ٠٠ روحها تتوثب من جديد ٠٠ مديحة : أننى لا أدرى ماذا أقول ؟ أخشى أن أكون على وشك ارتكاب خطا فظيع ٠٠ خطا لايمكن اصلاحه لكن مايشجعنى على الكلام أنك انسانة عاقلة ويمكن أن تفهمينى ، نظرت اليه بدهشة وقد بدأ القلق يساورها ٠٠ أردف عادل قائلا : الخدمة التى ستؤدينها لى لن أنساها لك ما حييت ، أحلامها تغوص فى دوامة سفلية رهيبة روحها المنطلقة بعد سنوات من الحــرمان تنكمش وتدخل سجنها الحديدى من جـــديد ٠٠ صاحت بعصبية : أى خدمة تريدها منى ياعادل ، ومد عادل يده الى سطح مكتبه وتناول مظروفا كان موضوعا فوقه وناولها اياه وهو يقول لها بشىء من التردد والخجل : أريدك أن توصلى هذه الرسالة لمخلوقة أحبها كثيرا وأنوى الزواج منها ، مادت الارض من تحت قدميها ٠٠ أحست أنها مثلجة المشاعر والجسد ولاتدرى بماذا ترد عليه تصنعت الهدوء وسالته وابتسامة تقطـر مرارة مرتسمة على شفتيها : ومن هى المحظوظة التى تريد أن تبعث لها بهذه الرسالة قال بلهجة حالمة : أنها مرفت الساكنة الجـديدة رأيتك تكلمينها على محطة الاوتوبيس فقلت لنفسى هاهى الظروف قد ساقت لك الانسانة الطيبة التى ستحمل رسالتك اليها صدقينى يامديحة أننى لم أكن أريد أن أضعك فى هذا الموقف لكن لا حيلة لى فى ذلك ٠٠ لابد أن أبعث اليها بهذه الرسالة وأنا أخشى لو أرسلتها اليها بالبريد أن تقع فى يد أسرتها ، والآن ماذا تقولين يامديحة هل ستؤدين لى هذه الخدمة ٠٠ أرجوكى فكرى قبل أن تقولى لا ٠٠

انفجرت مديحة فىوجهه وجسمها يرتعش من الانفعال : أننى لن أوصل هــذه الرسالة ، هل تفهم ؟ لن أوصلها ٠٠ أحس عادل بصدمة من اجابتها غير المتوقعة لكن لم يكن من الصعب عليـــه ان يدرك السبب من وراءها ٠ يبدو انه لم يقدر عمق مشاعر الفتاة

من ناحيته أنه بغباء شديد وبانانية لا تقل عنه طلب من فتاة تحبه من أعماقها أن تتجرد من مشاعرها تماما وأن توصل رسالة حب الى غريمتها .. قال بحنان شديد : أننى آسف يامديحة ..

صدقينى لم أكن أعرف ولم أكن بحال لاضعك فى موقف يسىء اليك . لكنىأحب الفتاة حـاولى أن تفهمى ذلك .. وانا اريد ان أتأكد من حقيقة شعورها نحوى قبل ان أتقدم لزواجها .. انك صديقة ولقد تصورت ربما عن خطأ انك يمكن ان تؤدى لى هذه الخدمة التى لن أنساها ما حييت .. ظلت مديحة صامتة وهى تنظر اليه بملامح باهتة .. لكنها كانت تقلب الامر على كافة جوانبه وانتهت الى انها ماكان ينبغى لها أن تنفعل بالطريقة التى حدثت ، اذا كان عادل لن يحبها فما الداعى اذن لغضبها الشديد اذا ماأحب أنسانة سواها . قالت له وقد ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتيها اذا كنت تريد أن تتزوجها لماذا لاتتقدم الى أهلها لتخطبها منهم ؟ قال عادل بلهجة حازمة ليس قبل أن أتأكد من مشاعرها أولا . ثم راح يوجه اليهـا نظرات متضرعة جعلت كل مافيها يرتعش .. جعلتها تنسى الاهـانة التى وجهها لها ولاتفكر الا فى أنها تحبه وعلى استعداد لان تفعل له كل مايريد ..

قالت وهى تغالب مشاعر تتدفق فى داخلها كأنها شـــلال مخيف ..

حسن أعطنى الرسالة لأوصلها لها ، لكن ثق أنها المرة الأولى والأخيرة التى أفعل فيها ذلك .

ابتسم فى مرارة وهو يتذكر تلك الحادثة البعيدة . بعد ايام قليلة تقابل مع الفتاة بعد أن ردت على رسالته برسالة بعثت بها اليه مع خادمتها الصغيرة تحدد له فيها ميعادا للقاء..

ضمتهما مائدة على النيل فى اصيل احد ايام الشتاء الدافئة.
تعانقت عيناهما طوال فترة بقاءهما معا ·· فتح كل منهما قلبه للآخر
تعاهدا على الحب حتى نهاية العمــر ·· ضحكا بشدة من مطاردة
عادل الصبيانية لها بالسيارة كانه مراهق صغير واستمرت قصة
الحب لأكثر من ثلاث سنــوات توشك أن تنتهى الآن نهاية لم يكن
يتوقعها لها يوم أن بدأت ، أنه بقلب الانسان المرهف الحس القادر
على سماع النذر مهما كانت خافتة يشعر بأن النهاية أصبحت أقرب
مما يتوقع ، نهاية حزينة كغروب الشمس ، كانزواء قيمة فاضلة ··

قال لوالدته بعد ان عــاد من رحلته البعيدة من الذكريــات
سأدخل لاستلقى قليلا فى حجرتى وبعد ان ينتهى ارسال التليفزيون
سآتى لآخذك الى الفراش · هل تريدين شيئا قبل ان اذهب زجاجة
كوكاكولا مثلا ··

ابتسمت والدته وهى تقول له فى حنان بالغ :

كلا ياعادل اذا احتجت شيئا سأنادى عليك ·· ودخل عادل الى
حجرته وترك نور الحجرة مطفأ ووقف يرقب النافذة المضاءة فى
المبنى المقابل ··

انها الآن هناك لا تدرى اى عذاب يغلى فى داخله · كان
يؤمن ان ما فعلته به هذه الفتاة يعتبر غدرا فظيعا من جانبها ·
فماذا تريد منه اكثر من حبه لها ·· وهو لم يتوقف بعد عن
هذا الحب ··

ولن يتوقف أبدا ·· أنه لا يمكــن مهمــا حاول أن يقتنــع
بمنطقها الواقعى البارد · فى الحب لا توجد سوى عاطفة جياشة
لا تعرف التوقف · لا يعرف احد من اين تجىء ولا متى تنتهى ·

·· كل ما عدا هـذه العاطفة لا يهمه ولا يعبأ به ·· أنه كان على استعداد لكي يعطيها عمره كله ·· فماذا أخذ مقابلا لذلك ؟ الخيانة ··

كان كتلة من المشاعر الغاضبة المتأججة التى ترفض ان ترى الامور فى واقعية شفافة واضحة لانه لو فعل ذلك لعذر الفتاة على موقفهـا منه فأى فتـاة فى العالم ترفض ان تحب بلا امل بعيدا عن ظروف الواقع التى تربطها بالمجتمع والناس ·· وأضاء نور الحجرة وبيد مرتعشة أمسك سماعة التليفون وادار رقمها وعندما سـمعت صوته أغلقت السكة فى وجهه وتضاعفت نقمته على الفتاة الجاحدة التى اخذت من عمره ثلاث سنوات كاملة وترفض ان تعطيه فرصة جديدة ··

أنه لن يسمح لها بأن تدير ظهرها له ثم تمضى فى بساطة كأنها لم تفعل شيئا ·· طلب نمرتها من جديد وفى هذه المرة لم يسمع صوتها بل سمع ازيزا طويلا يتردد بصورة دائمة وأدرك انها رفعت سماعة التليفون ··

راح يقطع الغرفة جيئة وذهابا كأنه نمر حبيس داخل قفص ·· كان عقله عاجزا عن التفكير السليم ·· هل عرفت رجلا آخر؟ هل كانت تتسلى به طول المدة السـابقة وأحس انه يكرههـا من أعمـاقه لكن الكراهية كانت تختلط بحبه العميق لها صانعة مزيجا من نار

واستلقى على فراشه واغمض عينيه وفجأة سمع صوت والدته تنادى عليه فقفز من فوق الفراش واسرع اليها ودفع بكرسيها المتحرك تجاه الحمام ثم ذهب بها الى حجرة النوم وساعدها على النوم فى فراشها · ثم انحنى على جبينهـا وهو يدثرهـا بالاغطية الثقيلة

وطبع فوقه قبلة وضع فيها كل ما يجيش بداخله من عواطف ثم اسرع بمغادرة الحجرة قبل أن ينفجر باكيا على صدر أمه ·



وضع آخر قطعة ملابس فوق جسمه وهو واقف امام مرآه التواليت فى حجرة نومه تم نظر الى الشارع فى شىء من العصبية ليرى ما أذا كانت الانسانة التى يتوقع خروجها من باب العمارة المقابلة قد خرجت أم لا ··

كانت أعصابه متوترة وهو يفكر بأنه على وشك أتخاذ خطوة مصيرية فى حياته لا يدرى ما اذا كانت مصيبة أم خاطئة ، وسأل نفسه كما لا ريب أنه سألها عشرات المرات من قبل : هل من حقه أن يحب كأى انسان آخر أم لا وتنهد فى ضيق ومرارة اذ لم يبد له السؤال دقيقا ومعبرا عن مشاعره الداخلية حيث كان ينبغى أن يكون هل توجد انسانة تحبه أم لا ؟ وأحس بيأس قاتل يستولى على نفسه وبنوع شفيف من الحزن يسرى مع مشاعره الداخلية وهو يدير رأسه ناحية اليسار ويرى الجانب الأيمن المحروق من وجهه منطبعا على صفحة المرآة التى يقف أمامها ، كأن شيئا فظيعا ينفر أى فتاة منه ·· شيئا يبعث على الحزن والأسى ·· وتوافدت على ذاكرته على الفور قصة المرأة التى رفضته أمام زملائه فى الكلية وأحس بنفس الألم العميق الذى كان يشعر به فى كل مرة يتذكر فيها تلك القصة الحزينة· نفس الالم ونفس الاحساس بالمهانة الذى كان يغوص فى مشاعره حتى يصل الى نخاع عظامه · لكنه الان بدأ يفكر فى المسألة من زاوية اشاعت فى نفسه شيئا من الامل ··

بدأ يقول لنفسه ان احدا فى هذا العالم لايمكنه ان يقاوم الحب او يدعى ان بأمكانه ان يعيش بدونه فالحياة حينئذ تتحول الى جفاف فظيع أولى بالانسان ألا يعيشه نفس الجفاف

الذى يخنقه الآن والذى يبذل محاولة مستميتة للافلات من قبضته واذا كانت كل الفتيات قد رفضنه حتى الآن فما الذى يمنع نظــريا على الاقل ان توجد فتاة واحدة فى هذا العالم ··

·· واحدة من ملايين لاتنفرها تلك الرقعة المحروقة من وجهه ·· فتحس ناحيته بشيء ما ·· عاطفة من اى نوع حب ·· صداقة ·· أعجــاب ·· اى شيء على الاطــلاق ، واحس بشيء من الانتعــاش يسرى فى روحه الذابلة الميتة ثم زاد هذا الانتعاش وهو يدير وجهه الى الناحية الاخرى ويرى الجانب الايسر منه هذا الجانب الذى بقى سليما عندما اشتعلت فيه النار ذات يوم ··

أن هذا الجانب الذى يبدو على شيء من الوسامة يحيى فيه تلك الشعلة الصغيرة التى تحاول ان تضيء وسط ظلام دامس يعيش فى داخله ·· ظلام ابدى لا يريد ان ينمحى على الاطلاق ·

لكنه الآن وبشعور غريب ينمو فى داخله مع الوقت يحس ان هذا الظلام يمكن ان يتبدد بين لحظة واخرى كما لو ان معجزة قد حدثت ·· لكن الأمر فى حقيقته ليس معجزة لكنه منطق يحكم الواقع الذى يعيشه ، هذا الواقع الذى يقول له انه لا يطلب حب فتاة غريبة عنه ··

·· فتاة تراه على البعد وتركز بصرها فوق تلك الرقعة المحروقة البشعة من وجهه ولا ترى شيئا ســواها ، لكنه يطلب حــب فتــاة اقتربت منه الى درجة نسيان بشاعته الشكلية ·· الى درجة اكتشاف اشياء فى داخله تثيرها ·· تحرك عواطفها نحوه فتحبه بشكل او بآخر · وملئت كلمة الحب قلبه الظاميء بعاطفة جياشة اكتسبته

قوة وثقة بالنفس لم يعهدهما من قبل . ونظر من النافذة المفتوحة في واحدة من المرات العديدة التي فعل فيها ذلك ودق قلبه بعنف شديد عندما ابصر فتاته تخرج من باب العمارة وتسير على الطوار على عكس ما كان يتوقع ان يفعل اي ان يندفع خارجا من الحجرة ليلحق بها فانه لبث لحظة مترددا واخذ يطيل النظر الى وجهه من جديد في المرآة .. الى الجانب المحروق منه ، وأحس بالحزن يهاجمه من جديد بضراوة متوحشة ..

.. أحس بيأس قاتل يهد قواه المعنوية ويدفعه الى العزلة المخفية التي يعيش متواريا خلفها ، فان هذا الجانب المحروق من وجهه هو ساحة حرب لا تهدأ بينه وبين نفسه وبينه وبين الآخرين وبرغم انه كان يقدر قيمة الثواني غير المحدودة في ذلك الوقت الا انه لم يستطع ان يقاوم رغبة تسلطت عليه في ان يتأمل وبأحساس عزيز من العذاب والشعور بالرثاء لنفسه جرحه الدامي من جديد في واحدة من المرات العديدة التي فعل فيها ذلك والتي تركت مرارة لا تنمحي في قلبه وجعلته يعرف كل تفصيله دقيقة في تلك الرقعة المشوهة من وجهه قد لا تزيد على رأس الدبوس . وأحس بسخط عارم ينفجر في داخله ، سخط على حظه القليل وعلى الناس الذين يركزون بصرهم دائما على الرقعة المشوهة من وجهه كأنهم لا يرون غيرها .

انه متأكد في قرارة نفسه ان احدا في هذا العالم لن يحبه طالما هو يملك ذلك الوجه القبيح المشوه وفي ثوان قليلة احس ان حياته كلها طموحة .. احزانه .. مخاوفه .. احلامه قد تركزت في بؤرة صغيرة مساحتها بضعة سنتيمترات من اللحم المحروق المشوه لا يستطيع أن يرى شيئا غيرها .

وانبعث فى داخله تصميم مؤلم على عدم النزول لمقابلتها وكاد يخلع ثيابه ويستلقى على الفراش من جديد ويدع الحلم الوحيد فى حياته يضيع بسهولة مروعة لكن شيئا مضادا فى داخله ··

·· شيئا يمكن أن نسميه الأمل أو الرغبة فى الحياة جعله يسرع بمغادرة الحجرة كى يلحق بفتاته السائرة فى الشارع · وعندما خرج من باب العمارة رآها تسـير بخطى سريعة فى طريقها الى الشارع الرئيسى وأسرع هو فى خطواته كى يلحق بها وبعد بضعة ثوان كان قد أصبح على بعد خطوات قليلة منها وأحس بقلبه يكاد ينفجر من الانفعال الشديد الذى يحمله ·

كان فى لحظة فاصلة لا يدرى ماذا يفعل فيها ؟ كانت فرصة الهروب متاحة امامه وايضا كانت فرصة الاقتراب واكتشاف المجهول متاحة بنفس القدر ·· واختار أن يتقدم ·· كفراشة مخمورة ·· تقترب من نار مدمرة ·· وأسرع فى خطواته حتى أصبح ملاصقا لها ، واحس براحة شديدة عندما نظرت اليه وابتسمت فى طيبة ، كان فى عينيها شعاع ضاحك اليف بلور كل الدفىء والحنان فى داخله ·

احس فجأة ان كل شىء فيه قد عاد الى طبيعته الهادئة من جديد وان فى مقدوره ان يبرر موقفه بأعصاب أكثر هدوءا ·

ابتسمت وهى تقول له : لا تقل لى انها مصادفة تلك التى جعلتنا نلتقى اليوم ، وبشعور بالمتعة راقبت الخوف وهو يتجمع فى عينيه كأنه سحاب مذعور والبراءة التى جعلته يقول دون أن يفكر : انها ليست مصادفة بالتأكيد · قالت ضاحكة وهى تحس بسعادة تملا قلبها :

لو انك قلت لى غير ذلك لقلت ان شخصا آخر هو الذى يتكلم· وبالطبع لم أكن لأحترمك من أجل هــذا ·· تشجع وقال بشىء من الخجل

هل تعنين انك لست غاضبة منى ، كنت اخشى طول الوقت ان اسبب لك ازعاجا بشكل أو بآخر · نظرت اليه بدهشة وقالت بلهجة حنونة :

ولماذا تعتقد انك تسبب لى ازعاجا ، انك تعرف اننى مدرسة ولست مراهقة صغيرة وانت ايضا رجل ناضج وكلانا مسؤل عن تصرفاته ، ثم أننا نعرف بعضنا عائليا ونلتقى فى ضــوء النهار ، قال بسعادة : اشكرك تأكدى انك ارحتنى كثيرا بهذا الكلام ·

وصمت برهه ثم أردف قائلا بخجل شديد هل يضايقك لو سرت معك بعضا من الطريق ؟ تأكدى اننى لم اكن لا طلب منك هذا الطلب لو لم يكن لدى الكثير لاقوله لك · تصنعت الدهشة النسائية المعتادة وهى تقول له فى خبث وفى اى شىء تريد ان تتكلم معى وبنفس الصراحة التى تعودتها منه · قال لها لا ادرى ·· لكنى اردت ان اراك ·· ان اتحدث معك ·· بعد لقاءنا الاخير احسست اننى لابد ان افعل ذلك ارجوكى سامحينى اذا كنت قد سببت لك اى نوع من الازعاج · ونظرت اليه وعيناها مليئتان بالحنان فتشجع وقال لها :

فى آخر مرة التقينا قلت لى انه يسعدك ان نصبح صديقين ·· ثم اننى أتيت لك بنسخة خطية من آخر قصة كتبتها ·· والتى سأضمها الى مجموعة القصص التى أنوى نشرها قريبا ·· سأكون ســـعيدا جدا لو عرفت رأيك فيها · ثم ناولها مظروفا مغلقا به

القصة ؟ سألته قائلة وقد بدأت الالفة تسود بينهما هل تكتب القصة منذ مدة طويله ؟ اجاب قائلا :-

منذ اصبت فى الحادث وانا فى الرابعة عشرة من عمرى احسست انى لابد ان اكتب منذ تلك اللحظة • سألته بدهشة : ولماذا منذ الحادث ؟ لماذا ليس قبله أو بعده ؟ تردد فى الاجابة وظهر عليه الحرج والارتباك • نظرت اليه بحنان من خلف زجاج منظارها الشفاف وقالت له :

اذا اردت ان نصبح صديقين فلا ينبغى ان تتحرج من ان تصارحنى بأى شىء مهما كان • ظهر الحزن على وجهه فجأة وقال كأنه يتأمل وجهه المشوه فى المرآة :

منذ ان اصبت فى الحادث بدأت اعتزل الناس •• لم اكن اقابلهم الا للضرورة القصوى ، بدأت أراهم على حقيقتهم •• وأحسست اننى عشت السنوات السابقة على الحادث فى وهم اسمه طيبة الناس ، واننا لابد ان نوضع فى محنة حتى نكتشفهم على حقيقتهم • احسست اننى ملىء بمشاعر لابد ان اعبر عنها . وهكذا امسكت بالقلم وبدأت اكتب • نظرت اليه بعمق وقالت له :

استطيع ان أتنبأ لك بالنجاح حتى دون ان أقرأ لك • هل تعرف لماذا لانك تكتب لتعبر عن حاجة حقيقية فى داخلك وليس لمجرد انك تريد ان تحقق شهرة عن طريق الكتابة ؟ وصمتت برهه ثم اردفت قائلة :

هل تعرف ما هو الفارق الحقيقى بين الكاتب الموهوب والكاتب غير الموهوب ؟ انه ليس الفارق بين الذكاء العظيم والذكاء المحدود لكنه الفارق بين الحاجة الحقيقية للكتابة والحاجة المزيفة •

قال وأبتسامة حزينة مرتسمة على شفتيه أننى اوافقك تماما على ماقلتيه فأنا أعيشه بنفسى لكن كم بودى أن تعرفى الثمن الذى أدفعه مقابلا للصدق فى الكتابة أنه حياتى كلها ٠٠ أنه احساسى التام بالآدمية الناقصة ٠٠ نظرت اليه بعطف شديد كما لو كان طفلا بحاجة الى رعايتها وبشىء من الاندهاش والغرابة كأنه لغز لم تكتمل كل حلقاته بعد ٠٠ مسألة لم تستطع أن تحلها ، ثم قالت له : هل تعرف ما الذى ينقصك حقيقة لتصبح كالآخرين قليل من الثقة بالنفس ٠ قال بلهجة تقطر مرارة ارجوكى دعينا لانكرر القصة القديمة من جديد ٠ سألته بدهشة : أى قصة تعنى ؟ قال : قصة الانسان الواقف على شاطىء البحر ويريد أن يعلم انسانا آخر فى خضم الامواج كيف يعوم ٠ قالت بلهجة عتاب رقيقة : أذا كان هذا هو رأيك فى كلامى فأرجوك انسى اننى قلتة لك ٠ احس انه اغضبها دون مبرر فقال لها بلهجة استعطاف : ارجوكى لاتفهمينى خطأ وتأكدى اننى أقدر تماما حقيقة دوافعك ٠٠ أعرف أنك تريدين مساعدتى لكنك لاتعرفين العالم الذى أعيش فيه ٠٠ أنه ليس عالم بشرلكنه عالم ذئاب ٠٠ ان هذه الرقعة المحروقة من وجهى قد حولتهم جميعا الى ذئاب ٠ كلا لا اظن أنك أو أى أنسان آخر يمكنه أن يدرك حقيقة شعورى وحولى الآف العيون تتفرس فى وجهى كأنها لعنات ابدية ٠٠ عيون تحمل قدرا فظيعا من الكراهية والازدراء قالت وهى تسكب فى عينيه شحنات عميقة من الحنان صدقنى أننى أفهم ما تقول واحس به ٠٠ لكنك تريد ان تصبح كاتبا اليس هناك ثمن تدفعه مقابلا لذلك ٠ ثمن من سعادتك واحساسك بالمساواة مع الآخرين ٠ قال بحماس :

بالتأكيد وهذا الثمن هو حياتى نفسها ٠ لكن ما يؤلمنى حقيقة ان هناك اناسا اصبحوا كتابا مرموقين دون ان يدفعوا نفس

الثمن الذى أدفعه انا . ان حياتهم كانت دائما سهلة ميسره ..
فلماذا يتعين على وحدى ان اتعذب دون الآخرين . قالت وهي
تضحك لاتدع أحدا يخدعك بالمظاهر فمن تتصور أن الأضواء تغمرهم
ليسوا دائما من سيبقى فى النهاية . صدقنى انهم اناس عاديون
يحكون عن تجارب عادية ويتصورون أنهم يكتبون أدبا .. أما أنت
وعادت تسكب الحنان فى عينيه من جديد فأمامك الفرصة لكى
تصبح مختلفا عنهم . تصبح كاتبا حقيقيا لان فى حياتك الم عظيم.
قال واحساس بالراحة يسرى فى داخله : انك لا تعلمين كم تسعديننى
بهذا الكلام الذى اسمعه لاول مرة من انسان آخر . انك تجعليننى
أنسى أننى انسان مختلف عن الآخرين وأنهم أبدا لايغفرون هذا
الاختلاف . ضحكت قائلة :

انك لن تقول عن نفسك هذا الكلام عندما تصل الى القمة لان
الناس جميعا سيرونك جميلا وستجرى وراءك كل الفتيات الجميلات
أليس هذا هو ماتريد ؟ ثم نظرت بخبث الى عينيه .. قال كمن يدفع
عن نفسه اتهاما خطيرا :

لاأظنك تعتقدين اننى اريد هذا حقيقة . ان كل ما اريده هو
الحب لذلك فأمرأة واحدة حتى لو كانت متوسطة الجمال قادرة
على أن تعطينى الحب هى ما أريد .. أنها تستطيع أن تغنينى عن كل
نساء العالم . ومرت لحظة صمت مفعمة بمشاعر غريبة داخل
كل منهما . كان كل واحد فيهما خلال تلك اللحظة يختبر مدى الصدق
والصراحة فى كلام الآخر . يذوب فى قطعة من نفسه .. ابتسمت
عندما لمحته يختلس النظر الى عينيها بطريقته الخجولة المحببة الى
نفسها . قالت بجرأتها المعتادة :

لا تقل لى انك تحب عينى والا فأنى سأوقن بانك تكذب على

فأنا لا اعتقد ان رجلا فى كامل قواه العقلية يمكن ان يحب عينى فتاة ترتدى فوقهما منظارا طبيا ٠٠ قال بجرأة لا يدرى من أين واتته :
بل اننى أحب عينيك تماما كما هى ٠٠ قالت ضاحكة :

وفوقهما المنظار الطبى ٠ قال ضاحكا : وفوقهما المنظار الطبى ومرت لحظة صمت أردف بعدها قائلا : هل تعرفين الم يرمز المنظار الطبى فوق عينيك ، انه يرمز الى قوة شخصيتك الى انك فتاة تهتم بعقلها بنفس القدر الذى تهتم فيه بجمالها ، يرمز الى انك لست من النوع الذى يعد الطعام لمعدته بينما شخصيته خاوية مجوفة من الداخل ٠ قالت محتجة وهى تضحك من اعماق قلبها :

لكنى احيانا ادخل الى المطبخ واعد الطعام بنفسى ودائما ارتدى المنظار الطبى وانا افعل ذلك ٠ قال مبتسما : مازلت متمسكا برأيى ان الجمال شىء ينبغى ان نتعب قبل ان نراه ٠ ثم سألها فجأة وهو يحس باضطراب عظيم فى داخله :

هل تعرفين اسرة عادل منذ فترة طويله ٠ اجابت قائلة : منذ أتينا للسكنى فى هذا الشارع أى منذ نحو خمسة عشر عاما تقريبا ٠ قال وهو ينظر الى عينيها شاعرا بالاضطراب يتزايد فى داخله ٠ ان عادل وسيم جدا اليس كذلك ؟ نظرت اليه متساءله، فأردف يقول : لكنى لا اعتقد انه سعيد بوسامته هل تتصورين ذلك هل تتصورين أن تصبح الوسامة كالقبح مثلا نقمة على صاحبها ٠٠ قالت وهى تنظر بعمق الى عينيه : أننى لا ادرى ما الذى تهدف اليه بكلامك هذا لكن اذا كنت تلمح الى ان اعجابى بعادل مبنى على وسامته وحدها فأنت مخطىء فى هذا أننى أعجب بعادل لأنه رجل وانسان قبل كل شىء ٠ قال وهو يتجنب النظر الى عينيها المتفرستين فيه ، عينيها المليئتين بالصدق والصراحة كشمس تتوهج داخلهما

·· لكنك لا تعنين بذلك أنك تغضين من شأن الوسامة ·· ما أريد ان اقوله هو هل كان من الممكن ان تعجبى بعادل لو انه كان اقل وسامه ؟ قبيحا مثلا · وجهت اليه عينيها الجريئتين وقد بدا واضحا ما يلمح اليه غير أنهما امتلئتا هذه المرة باشفاق حقيقيى من أجله وقالت دون تفكير نعم كان يمكن ان اعجب به وبنفس الدرجة ، انت نفسك قلت ان الجمال شيء ينبغى ان نتعب قبل ان نراه وجمال عادل الحقيقى هو فى داخله وليس على سطح جلده · احس بسعادة ترتعش فى داخله لكلماتها التى بعثت املا حقيقيا فى نفسه كاد ان يموت ··

نظر اليها بامتنان ولم يتكلم · وصلا أخيرا الى المدرسة التى تعمل فيها مديحة التى قالت له ضاحكة وهى تشير الى المبنى الكبير الذى بدا فى تلك اللحظة اشبه بعش عصافير تنبعث منه أصوات انسانية صارخة حادة النبرات تصل بسرعة الى قلبها ··

السجن المؤبد الذى اخترته لنفسى · انظر كم هو جميل وباعث على الراحة ولمح فى عينيها تلك اللمعة الدافئة التى أطلت منهما وهى تقول ذلك فأدرك انها تتكلم من قلبها · قال بحنان شديد وهو يضمها بعينيه :

يبدو انك تحبين هذا المكان اكثر من اى مكان آخر فى العالم؟ قالت ووجهها يتألق بالسعادة : لقد اخترت بنفسى ان اسجن فيه طول حياتى لاننى احب التدريس من اعماق قلبى ولم اكن لاختار مهنة أخرى بدلا منه ·

كانت فتيات المدرسة اللاتى يرتدين اليونيفورم الموحد ذو اللون الأزرق الغامق ·· الفتيات اللاتى تتفجر وجوههن

الجميلة بالشباب والحيوية يحيين مدرستهن الشابة بوجوه تنطق بالحب الذى يكنونه لها حيث كانت المدرسة والشاب الذى يصاحبها يقفان امام بوابة المدرسة وتلك الجماعات من الفتيات يعبرون بهما ٠ ومدت مديحة يدها الى صديقها الجديد مصافحة ٠ قال لها وهو يضغط على أصابعها برفق ويحاول أن يبقيها فى يده فترة اطول من المعتاد ٠٠ لكنى لا اعتقد ان مهنة التدريس وحدها كافيه لكى تملأ حياتك اعنى ان اى امرأة لابد ان تفكر فى الزواج يوما ما ٠ قالت وهى تضحك بالتأكيد لكن لنقل اننى أنتظر الرجل المناسب وصمتت برهة ثم أردفت بلهجة ساخرة :

وارجو الا يضيع عمرى كله فى الانتظار ٠ أقبلت عليهما فى تلك اللحظة وبينما هما مشغولان بالمشاعر الصامتة التى يتبادلانها بعيونهما احدى المدرسات من زميلات مديحة ٠ امرأة متزوجة منذ سبعة عشر عاما ٠٠ بيضاء ٠٠ فى حوالى الاربعين من العمر لها وجه مكتنز كان يضحك وهو يقبل عليهما ٠٠ نموذج للمرأة التى تحس بالشبع فى حياتها الزوجية التى تمثل بالنسبة لها كل شىء حتى الحياة نفسها اما التدريس كما كانت تصرح دائما بلامبالاة فهو ليس اكثر من وسيلة للمساعدة فى نفقات المنزل ، وكثيرا ما كانت تضحك وهى تقول لزميلاتها انه فى اليوم الذى سترث فيه عما مجهولا فى البرازيل او تكسب عشرة آلاف جنيه فى اليانصيب فأنها لن تتردد فى اعتزال مهنة التدريس متفرغة لانجاب عدد اكبر من الاولاد ٠ اقبلت تلك المرأة على مديحة وصديقها فى تلك اللحظة التى كانا فيها فى حالة عناق عاطفى مشبوب ضاحكة كالعادة ٠٠

فى عينيها الواسعتين البليدتين كعينى بقرة كسولة ترعى فى حقل من البرسيم تساؤل طيب ٠ انها اول مرةترى فيها زميلتها الشابة تكلم احدا من الرجال الغرباء ٠٠

وتفرسبت العينان المدهوشتان فى الجانب المحروق من وجهه واحست بامتعاض يستولى على مشاعرها ٠٠ نوع من الرجفة تسري فى اوصالها لكنها حاولت الا تطفوا مشاعرها على ملامح وجهها لكنها سرعان ما احست براحة تستولى عليها عندما نظرت الى الجانب الأخر من وجهه ولمحت الحنان المتدفق من عينيه وهما تنظران الى وجه صديقتها الشابة وبغريزة الانثى ادركت انها امام قصة حب تولد امامها ٠ واحست ببهجة تشرق فى قلبها فهى تكن عاطفة حقيقية تجاه زميلتها ٠ سرى اضطراب مفاجىء بين الفتى والفتاة عندما فاجأتهما المرأة بهذه الطريقة خاصة بعد ان لمحا نظرات التساؤل والدهشة فى عينيها ، سحبت مديحة يدها بسرعة من يد مدحت ثم قدمته لزميلتها قائلة :

الأستاذ مدحت جارنا فى المنزل وصديق العائلة ثم أشارت الى زميلتها قائلة ٠٠ علية زميلتى فى المدرسة وأختى الكبيرة ثم ضحكت قائلة ٠٠ ويمكن أن تقول عنها أنها كاتمة أسرارى رغم أنه ليست لى أسرار خطيرة ٠٠ وظل الثلاثة يحدقون فى بعضهم البعض بشىء من الحرج والاضطراب وأحس مدحت أن وجوده غير ضرورى فصافح المرأتين واستأذن فى الانصراف ٠٠ اتجهت المرأتان فى صمت الى باب المدرسة ، التفتت عليه الى مديحة وقالت لها ضاحكة :

صديق العائلة هيه ، منذ متى وهو صديق العائلة ؟ اليوم بكل تأكيد ٠ قالت مديحة وهى تبتسم صدقينى ليس بيننا شىء على الاطلاق بل انها المرة الاولى التى نتقابل فيها خارج المنزل لكن اكذب عليك اذا لم اصارحك بأنه من الرجال القلائل الذين صادفتهم فى حياتى واحترمتهم انه انسان غريب جدا لكنه طيب جدا فى نفس الوقت سألتها علية بدهشة ماذا تعنين بأنه غريب جدا ؟ قالت مديحة بحزن :

أنه يتصـور أن شكله يجعله مختلفا عن الآخـرين ٠٠ أنك رأيت بالطبع الجانب المحروق من وجهه ٠٠ وظهر الامتعاض على وجه عليه رغم انها حاولت ان تخفيه وقالت انه فظيع لكن الجانب الاخر من وجهه يبدو وسيما ٠٠ اردفت مديحة قائلة دون ان تعبأ بكلام عليه : وهو ايضا فنان ٠٠ انه يكتب القصة القصيرة وينوى نشر اول مجموعة له فى القريب العاجل ٠ قالت عليه وقد احست من كلام مديحة انها تميل اليه وان الرقعة المشوهة فى وجهه لا تقف حائلا بينهما ٠ مديحة هل تريدين نصيحتى لا تترددى انه فرصة لا ينبغى ان تفلتيها من يدك ثم اننى رأيت النظرة التى اطلت من عينيه وهو ينظر اليك مديحة انه يحبك صدقينى انه يحبك من قلبه٠ ابتسمت مديحة وقد امتلا قلبها بالسعادة بينما اردفت عليه تقول ضاحكة قولى الصدق اليس هو افضل من ناظر المدرسة الارمل الذى تقدم لك او المفتش الذى جاوز الخمسين ٠٠ لو سـألتينى رأيى لقلت لك انهما اشبه بالفاكهة المعطوبة التى ينبغى ان تلقى فى صفيحة القمامة ٠ وضحكت مديحة من قلبها وسحبت عليه من يدها واتجهتا الى باب المدرسة ٠

★ ★ ★

كان واقفا أمام محطـة الأوتوبيس بعد أن عاد من توصيل مديحة الى المدرسـة وهو فى حـالة سرحـان مع فيض الخواطر المتدفق فى داخله ٠ لاول مرة فى حياته يحس بالبهجة تملا قلبه يحس بالثقة فى قدرته كأنسان فى التكيف مع الواقع الذى يعيشه وافاق على صوت عادل الذى توقف الى جواره بسيارته دون ان يحس به وهو ينادى عليه بصوت مرتفع لفت أنظار الواقفين على المحطة فسبب له ذلك بعض الحرج ودعاه عادل الى ركوب السيارة وبعد ان استقر فى المقعد المجاور له سأله ضاحكا ما الذى جعلك سارحا إلى هذه الدرجة وتصنع مدحت الدهشة وهو يقول له هل حقا كنت

سارحا اننى لم أنتبه الى ذلك · قال له عادل انك لم تكن ســارحا فحسب انك لم تكن موجودا على الإطلاق · هيا اخبرنى ما سبب كل هذا ولا تحاول أن تخفى شيئا عنى هل تفهم ··

ابتسم مدحت فى سعادة من لهجة عادل الطيبة التى عكست اهتمامه الحقيقى به كصديق مخلص وقال وعيناه تلمعان ببريق دافىء يطل منهما · لقد قابلت مديحة اليوم ياعادل وأوصلتها الى المدرسة رفع عادل حاجبيه فى دهشة وهو يقول أحقا ·· وما الذى دار بينكما هيا أخبرنى بكل شىء ·· كان عادل سعيدا ومندهشا من التغيير الذى طرأ على صديقه فلأول مرة يراه مبتهجا واثقا من نفسه ·· قال مدحت وهو يحاول أن يسيطر على انفعاله الجياش لم يحدث شىء محدد يمكننى أن أقوله لك كل ماحدث أننا تعارفنا فقط قال عادل بدهشة ·· تعارفتما فقط لكنكما تعارفتما من قبل فى منزلى ·

قال مدحت وهو يبتسم فى سعادة اننا تعارفنا حقيقة هذه المرة لقد اقتربنا من بعضنا البعض وفهم كل منا جانبا من شخصية الآخر وهذا لم يحدث بدرجة كافية خلال مقابلتنا الاولى · قال عادل بحماس اننى سعيد من اجلك يامدحت ان مديحة فتاة ممتازة وانت تستحقها · نظر اليه مدحت وهو غير مصدق وسعادة حقيقية تملأ قلبه ثم قال له هل تعتقد ذلك حقيقة يا عادل ·· هل تعنى أنها يمكن أن تحبنى حقيقــة وضع عادل يده برفق بالغ فوق كتف صديقــه وقال له بحنان شديد بالتاكيد والا ماكنت قلت لك هذا الكلام ·

وبدأ عادل يدرك مايرمى اليه مدحت فقال له بجدية كاملة اسمع يامدحت لا تدع مسألة وجهك هذه تقف فى سبيل سعادتك انك انسان ممتاز ومديحة ليست فتاة طائشة لاتعرف ماهى مقدمة عليه إنها

مدرسة ناضجة ويهمها أن تحب شخصا تكتشف فيه صفات تدعوها الى احترامه وثق انها عندما تعرفك اكثر ستنسى تماما مسألة شكلك هذه ولن تعود ترى فيك غير الصفات التى حببتها فيك :

ومرت لحظة صمت قال مدحت على اثرها بلهجة لبقة للغاية وان كان فيها فضول لم يخف على ذكاء عادل ·· ان مديحة تقدرك للغاية · قال عادل بلا اهتمام احسب أنها تفعل ذلك ثم نظر الى عينيه ينتظر منه ان يفصح عما فى داخله · قال مدحت بنفس لهجته الحذرة الواقع انه ليس مجرد تقدير انه اعجاب حقيقى بك احسبك كنت تعلم به من قبل اليس كذلك · قال عادل وقد بدأ يفهم ما يرمى اليه مدحت اذا كنت تظن ان شيئا بينى وبين مديحة فأنت مخطىء فى ذلك ولن يكون فى المستقبل · اعتقد انك واحد من قلائل يعرفون تماما من احب وثق اننى لن اقف عقبة فى طريقكما مهما حدث ·

ظهر الارتياح واضحا وعميقا على وجه مدحت الذى عادت عيناه الى اللمعان من جديد · قال عادل وهو يبتسم ليبدد جو التوتر الذى خيم عليهما خلال اللحظات السابقة ·· مدحت أننى لا انوى الذهاب الى العمل اليوم ··

اشعر اننى فى حالة نفسية لا تمكننى من ذلك لذلك ارجوك يا مدحت ان تقدم لى طلب اجازة لمدة اسبوع · نظر اليه مدحت فى دهشة وقال له وماذا ستفعل خلال اسبوع بأكمله ونحن الآن فى الشتاء · أين ستذهب ؟

قال عادل بحزن اننى لن اذهب الى اى مكان سأراقب مرفت لاعرف ماذا تفعل بعد ان تخرج من البيت صدقنى يا مدحت لابد ان افعل ذلك لابد ·

وصمت برهة قبل أن يردف قائلا ان الامور لا يمكن ان تستمر بهذه الطريقة لابد ان اجد حلاً معها : قال مدحت وهو يشعر بالاشفاق على صديقه عادل ولا يدرى كيف يجد الكلمات التى يقولها له

عادل لماذا لا تحاول أن تنسى مرفت بعد أن رفضتك ماذا تريد منها بعد ذلك ثم انها لم تحبك ابدا يا عادل صدقنى والا لما ارتضت لنفسها ان تعاملك بهذه الطريقة المشينة ·

قال عادل بغضب أرجوك يامدحت دعنا لا نتكلم فى هذا الموضوع مرة أخرى ·

قال مدحت معترضا لكن يا عادل فقال له عادل بحدة اسمع يامدحت المسألة ليست أنها تحبنى أم لا لكن هى أننى مازلت أحبها وأنا لست على استعداد لنسيان ثلاث سنوات من الحب فى لحظة واحدة · هل تعرف من هى الفتاة التى تطلب منى نسيانها ببساطة شديدة انها المحور الذى ظلت تدور حوله حياتى حتى الآن قال مدحت بيأس حسن يا عادل اننى لن افاتحك فى هذا الموضوع مرة اخرى لكن ارجوك فكر فيما قلته لك ·

وفجأة نظر عادل الى مرآة السيارة الصغيرة وعلى الفور ظهر التوتر واضحا على ملامح وجهه اذ ابصر مرفت تسير على الطوار فى طريقها الى محطة الاوتوبيس التى يقفان امامها وبطريقة لا شعورية لكز مدحت فى جنبه وهو يقول له بعصبية شديدة مدحت انزل من السيارة على الفور فمرفت قادمة فى الطريق وارجوك لا تنسى موضوع الاجازة وبعد ان غادر مدحت السيارة خاطب عادل من النافذة قائلا سأمر عليك فى المساء لاحمل لك آخر الاخبار ·

ولم يرد عليه عادل الذى كان بصره يسير مع مرفت خطوه بخطوه بعد أن تجاوزت محطة الاوتوبيس ووقفت بعيدا عنها بعد أن رأت سيارته واقفة امام المحطة · واستوقفت مرفت احدى سـيارات الاجرة ودلفت اليها بسرعة وبعد ان تحركت بها السـيارة رآها تنظر اليه من النافذة الخلفية واستطاع رغم بعد المسافة بينهما أن يرى التوتر واضحا فى محياها الجميل لكن كان فى نظراتها رغم ذلك هذا القدر من التعالى الذى كان يثير اعصابه بشدة ويجعله ينقم عليها رغم انه ما يزال يحبها بعمق ·

وانطلق عادل بسيارته خلف سيارة الاجرة حتى وصلت الى الجامعة فأندفع داخـلا من البوابة الكبيرة ثم توقف امام بـاب الكلية وترجل من السيارة · ثم وقف يحدق فى مرفت وهى قادمة باتجاهه واستطاع أن يلمح تعبير الغضب الذى ظهر على وجههـا عندما رأته واقفا فى انتظارها لكنهـا تصنعت عدم الاهتمـام به ونظرت اليه بواحدة من نظراتها الباردة المتعالية التى تجعله يحس بأنه صغير جداً ثم اتجهت بوجه ضاحك ناحية افراد الشلة الواقفين امام باب الكلية ·

وتوجه عادل الى البوفيه ليضيع الوقت انتظارا لخروج مرفت من قاعة المحاضرات ودق قلبه بعنف شديد عندما رآها تخـرج وسط أفراد الشلة الذين كانوا يتبادلون الصيـاح والضحكات وهم فى طريقهم الى باب الخروج وتعمد عادل أن يريها نفسه ·· وأحس بصدمة شديدة عندما قابلته بنفس الوجه المتجهم الغاضب والنظرات الباردة المتعالية وظل عادل يتابعها بعينيه حتى ركبت مع بعض أفراد الشلة سيارة صغيرة انطلقت بها خارج فناء الجامعة ·· وبسرعة اندفع عادل بسيارته وراء السيارة الاخرى حتى توقفت أخيرا أمام

أحد كازينوهات النيل .. ووقف عادل بعيدا بحيث يمكنه أن يرى مايحدث أمامه دون أن يراه أحد من ركاب سيارة المقدمة وفجأة أحس عادل بصدمة تكاد تشل حواسه وهو يرى مرفت الجميلة التى مايزال يحبها من أعماق قلبه وهى تتابط باستهتار ذراع قائد السيارة الشاب بينما كان أفراد الشلة فى طريقهم الى داخل الكازينو .

كان الشاب يحيط خصرها بذراعه بطريقة استفزت مشاعر عادل وجعلته يحس بالهوان والتعاسة وبانه كان مخدوعا فى هذه الفتاة طول الوقت .

أما مرفت فكانت تضحك منقلبها لمداعبات الشاب المفضوحة خاصة عندما وضع يده على شعـرها وراح يلعب باصابعه بين خصلاته بطـريقة أوحت لعادل أنها ربما لا تكون المرة الاولى التى يفعل فيها ذلك وأحس عادل أنه لم يعد يقوى على البقاء أكثر من ذلك ومشاهدة هذه المناظر التى تجعـل دمه يغلى من الغضب .. ركب سيارته وانطلق بها بعيدا كأن قوى من الجن تطارده .



رجع الى المنزل وظل واقفا فى نافذته المفتوحة ينتظـر قدوم مرفت بفارغ الصبر .. كان داخله يغلى من الغضب وهو يسترجع شريط الذكريات التى حدثت له خلال الايام القليلة الماضية .. وما كان يعذبه أكثر هو احساسه بانه فقد الشىء الوحيد الجميل فى حياته الى الابد لكنه رغم ذلك كان مصمما على الحرب الى آخـر دقيقـة للاحتفاظ بذلك الشىء وعندما أبصر مرفت قادمة من أول الشارع أسرع بمغادرة الشقة ليلحق بها قبل أن تدخل الى منزلها .

وفى مدخل العمارة امسكها بقوة من ذراعها وقال لها وعلامات الاصرار بادية على وجهه هل كنت تظنين أنك ستفلتين منى بهذه السهولة أعلمى أيتها الساذجة أنه فى امكانى أن أطاردك فى كل مكان تذهبين اليه وأن أحول حياتك الى جحيم لايطاق ..

نظرت اليه بكراهية شديدة ثم نزعت ذراعها من يده القابضة عليها وقالت له وهى ترتعش من الغضب ماذا تريد منى وبأى حق تفرض وصايتك على أنك لست خطيبى ولا حق لك فى أن تحاسبنى على تصرفاتى .. رمقها عادل بنظرة شذراء وهو يقول لها بسخرية شديدة ربما لاأكون خطيبك لكنى حبيبك أم تراك نسيتى ذلك .

قالت له أن كل شىء قد انتهى بيننا ولا يحق لك أن تخاطبنى بعد الآن ثم حاولت أن تسير وتتركه خلفها لكنه أمسكها من ذراعها ومنعها من الحركة ثم نظر الي لفافة تحملها فى يدها وقال لها ساخرا وما هذا الشىء الذى تحملينه في يدك أنك لم تكونى تحملينه فى الصباح عندما خرجت من المنزل ثم حاول نزع اللفافة من يدها كى يرى ما بها فى الوقت الذى تشبثت هى بها فتمزق غلافها الرقيق وظهر مابداخلها .. وقال عادل وهو يتصنع الدهشة آه تويئز رائع من الصوف الانجليزى المستورد ترى كم يساوى هذا الشىء الثمين .. دعينى أفكر ليس أقل من عشرين جنيها .. وصمت برهة ثم أردف قائلا بسخرية شديدة أنك بالطبع لم تدفعيها من جيبك لابد أن واحدا من المعجبين بجمالك الأخاذ قد اشتراها لك .

دفعت يده بعيدا عن اللفافة وقالت له بغضب شديد وما شانك أنت بهذا أسمع ابتعد عنى والا ناديت على البواب هل تفهم .. ابتسم عادل فى سخرية وهو يقول لها سأدعك تفلتين هذه المرة لا لأننى خائف منك بل لأدعك تفكرين فى حبنا الذى يحزننى أن ينتهى بهذه الطريقة

المؤسفة وامتلأت عيناه فجأة بحب لم يستطع أن يخفيه ·· نوع من التوسل الصامت العميق وهو يقـول لها مرفت أننى لا أستطيع أن أتصور أنك أنت الانسانة التى أحببتها من قلبى ذات يوم وما زلت على استعداد لأن أعطيها عمرى يمكن أن تتخلى عنى بهذه الطريقـة القاسية أنه ليس أنت يامرفت ·· ليست طبيعتك ونظرت مرفت الى عينيه اللتين طالما غاصت فيهما بحثا عن الحنان والدفء وتأملت ملامح وجهه الوسيمة التى يطل منها الحزن وأحست بعاطفة قوية تتحرك فى داخلها شىء خارج عن ارادتها الحديدية التى كانت تحاول السيطرة على مشاعرها الجامحة أحست بالحزن من أجله اذ لم يكن هناك شىء يمكنها أن تفعله سوى ذلك ·

الحب من ناحيتها قد انتهى الى الابد وبقى العقل وحده يمارس حساباته الباردة ·· عند النقطة التى يموت فيها الحب لا يملك الانسان الا أن يدير ظهره للآخر ويبتعد عنه وهذا ما صممت عليه بالنسبة لعلاقتها بعادل ·· لكنها أحست بشىء من الاشفاق عليه كاد يدفعها الى أن تقول له بصدق حقيقى عادل لم أخدعك فى يوم من الايام ·· أحببتك من أعماق قلبى لكن الحب انتهى الآن كما يمكن لأى شىء أن ينتهى ·· كما ستنتهى الحياة نفسها ذات يوم عادل أنك لا تريد امرأة لتحبك بل ملاك يعيش على الارض لكنها بدلا من أن تقول له ذلك اذ بها تدير له ظهرها وتسير بهدوء داخلة من باب العمارة ·· أما عادل الذى أحس بأن حبه ينزلق من أطراف أصابعه الى الابد فقـد ظل واقفا يتابعها ببصره حتى اختفت تماما من أمام عينيه ·



استلقى عادل على الفراش وهو مايزال بملابس الخروج اذ لم يجد فى نفسه الرغبة فى عمل أى شىء آخـر حتى خلع ملابسه ··

وراح يدخن بشراهة وهو يسترجع شريط ذكرياته الحزين ٠٠ كانت الصورة الاولى لطفل صغير فى الخامسة من العمر طفل يثير البهجة فى القلب ٠٠ كان جميلا كانه دمية دبت فيها الحياة ٠٠ رأسه يغطيها شعر أشقر غزير يتهدل فوق عينيه ٠٠ عيناه الواسعتان قطعتان من السماء الصافية أو موجتان زرقاوتان فى بحر بلا شطئان ٠٠ طفل جاء عبر البحار الواسعة محمولا فى سلة طافية فوق الأمواج ٠٠ الأمواج حطت به على شاطىء الوجوه السمراء النحاسية ٠

أحس فجاة بالحزن يملأ قلبه وهو يشاهد شعره الجميل ملقى على الأرض بينما رأسه المستديرة تحولت الى مساحة جرداء تعلوها مرتفعات ومنخفضات من شعر نابت مقصوص يشبه العشب ٠ والده أمسك بالمقص وانهال على شعره الاشقر الجميل فى مجزرة وحشية لايمكنه أبدا أن ينساها ٠٠ فكت الاصابع الغليظة الفيونكات الحمراء من بين خصلات شعره الاشقر الطويل الذى يشبه شعر البنات وتركت المقص يعمل بحرية بين خصلات الشعر فى الوقت الذى طوقت فيه ذراعان قويان جسمه الصغير وهو جالس فوق ركبة والده حتى لايتمكن من الفرار ٠

تحسس الطفل الصغير رأسه الحليقة باصابعه وأطلق صرخة مدوية وبكل ما فيه من غضب واحساس بالهوان راح يدق بقبضتيه الصغيرتين صدر والده العريض وهو يصيح فى وجهه أكرهك ٠٠ أكرهك هيا أحضر لى شعرى من جديد ٠٠ أحضر لى شعرى من جديد هل تفهم وعندما وصل الى درجة الانهاك والياس اندفع هاربا من بين ذراعى والده ليرتمى على صدر أمه ويجهش ببكاء عنيف ٠٠ ارتاعت الام لمرأى الرأس الحليقة لطفلها الصغير فاحتضنته فى حنان محاولة تهدئته لكن الغضب سرعان ما انتقل منه اليها فتوجهت كلبؤة

مفترسة الى حيث كان زوجها قابعا فى انتظارها متحفزا هو الآخر لاطلاق كل الغضب المحبوس فى داخله فى وجهها ٠

صرخت فى وجهه ماذا فعلت بالطفل الصغير أيها الوحش اللعين كيف طاوعك قلبك على أن تفعل به ذلك ٠٠ أى نوع من الآباء أنت لابد أنك مجنون هل تفهم مجنون صرخ فى وجهها قائلا اصمتى أيتها المرأة الحمقاء والا حطمت لك رأسك لقد فعلت به ذلك ليشب رجلا هل تفهمين أنك بتدليلك الدائم له وبشعره الاشقر الطويل كشعر البنات وفيونكاته الحمراء ستحولينه الى مخلوق خال من الرجولة وأنا لن أسمح لابنى أن يشب بهذه الطريقة ٠٠ أنه ينبغى أن يصبح رجلا كابيه وجده وكل سلالته هل تفهمين ٠٠ صرخت المرأة فى وجهه وهى تحاول أن تنشب أظافرها فى عنقه لكنه طفل صغير أيها الاحمق اللعين ٠٠ لايدرى شيئا عن الرجولة ٠٠ أن كل الامهات يفعلن ذلك مع أطفالهن الصغار ورغم ذلك يشبون رجالا كاملين ٠

صرخ الزوج فى وجهها قائلا لكن مع ابنى أنا لن تفعلى ذلك وأنا أحذرك من أن تربى له شعر رأسه من جديد والا فانى ساقصه مرة ثانية هل تفهمين ٠٠ خيم جو من التوتر على البيت بسبب طفل صغير لم يرتكب أى ذنب لكنه أحس بغريزته بانه السبب فى هذا التوتر ٠٠ أنه مايزال يذكر هذا اليوم الحزين جيدا ٠

كان والده عائدا من العمل مرهقا ينز بالعرق ٠٠ فى هذا اليوم الحار من أيام الصيف وفى مدخل العمارة التى يملكها والتى ما زال هو ووالدته يسكنانها ٠٠ أبصر مشهدا جعل الدم يغلى فى عروقه كما لو كان يتدفق من فوهة بركان ٠٠ كان طفله الصغير ذو البشرة الوردية والشعر الاشقر الجميل المتهدل فوق عينيه الزرقاوتين جالسا فوق ساقى البواب الصعيدى الضخم الجثة القبيح الوجه والذى يشبه

غوريللا آدمية .. وكان البواب الذى يبدو غائبا عما يدور حوله تماما يحتضن الطفل الصغير بطريقة أثارت الأب وجعلت الغضب يتدفق فى داخله كالحمم . كان يقبل الطفل فى شفتيه ويتحسس فخذيه العاريين الممتلئين والمكتنزين بالدم بأصابع يده الغليظة السمراء التى كانت سرعان ماتمتد الى شعر الطفل الاشقر وتحسسه فى شهوة واضحة .. وأحس الاب أنه يكاد يصاب بالجنون اندفع ناحية طفله الصغير ورفعه من فوق ساقى البواب ثم صرخ فى وجهه قائلا وأصابعه تطبق على رقبته تريد أن تخنقه ماذا كنت تفعل بطفلى الصغير أيها الوغد هيا تكلم والا قتلتك وظهر الرعب على ملامح وجه البواب وهو يصرخ مدافعا عن نفسه اقسم لك ياسيدى لم أكن أفعل شيئا أننى كنت أداعبه فحسب .. انظر اليه أنه طفل صغير مثل أولادى تماما .

وصرخ فيه الأب وأصابعه تزداد اطباقا على رقبته تداعبه بهذه الطريقــة الفاجـرة أيها الكلب أننى لابد أن أقتلك هل تفهم لابد أن أقتلك .. ثم أخذ يصرخ فى وجهه وهو ينهال عليه بقبضة يده قل ماذا بينك وبين ابنى أيها الكلب ماذا فعلت به وراح البواب الذى تخضب وجهه بالدم يقول لاهثا وهو يكاد يبكى بالدموع اقسم لك ياسيدى لم أفعل به أى شىء لم أفعل به أى شىء ..

كان الطفل الصغير يراقب المشهد الذى يحــدث أمامه بذهول بينما الدموع تملأ عينيه المرعوبتين وكان يدرك باحساسه الطفولى أن صراع الرجلين الرهيب يحــدث بسببه هو .. وكان داخله يمــوج بالتعاسة والاحساس بالهوان .. وصرخ الأب فى وجه البواب وهو يشير بيده الى باب الخروج اجمع حاجياتك على الفور وغادر هــذا المكان ولا تعد الى هنا أبدا ثم امتدت يده لتسحب الطفل الصغير من شعره فى قسوة لايدرى لها سببا وصعد به الى الشقة وفى حجـرة نوم الأب جلس يستجوبه عما حدث بينه وبين البواب ..

أسئلة صعبة لم يفهمها الطفل الصغير ولم يستطع أن يجيب عليها لكنها كانت تصيبه بالضيق والشعور بالخوف خاصة عندما كان والده يغوص بعينيه الرهيبتين فى داخله كانه يريد أن يرى كل ما بها بحثا عن ذلك الشيء الذى لا يستطيع الطفل الصغير أن يفصح عنـه ٠

كان الطفل يبكى ويستعطف والده أن يدعه يهرب بعيدا دون جدوى اذ كان الأب مصرا على المضى فى استجوابه الرهيب الى أن يحس بانه اقتنع بان شيئا لم يحدث بين طفله الصغير والبواب ولم يكن ماحدث بينهما أكثر مما رآه الأب وهو قادم من الطريق ٠

ثم حدثت مجزرة الشعر الرهيبة ٠٠ حدثت فى لحظة جنـون غاضب من الأب الذى لم يستطع أن يدرك كنه الفعل الذى حدث بين طفله الصغير والبواب وقد دفعه الظلام الذى تخبط فيه الى أن يصب نقمته على شيء مادى ملموس بدا له رمزا وسببا لكل ما حدث ٠٠ تلك الجدائل الذهبية ذات الفيونكات الحمراء التى تعلو رأس طفله الصغير ٠٠ عاش يكره والده فى بقعة سحيقة من أعماقه لما فعله به هذا اليوم الذى لايمكن مهما عاش أن ينساه ٠

لكنه عاش يكره والدته أيضا بنفس القدر وفى نفس البقعـة السحيقة من أعماقه لأنه كان مقتنعا بانها كانت السبب وراء كـل ماحدث له ٠٠ لكنه كان يحب والديه على السطح وكان حبهما يملأ كل الفراغ الذى لاتوجد به بقعة الكراهية الدفينة فى أعماقه تتحرك بين الحين والآخر ولدى أى مؤثر خارجى لكنها لا تلبث أن تهدأ من جديد وتعود الى حجمها الحقيقى مجرد بقعـة صغيرة من الطين تترسب تحت مياه عميقة شفافة ٠

وكان كل من والديه نقيضا للآخر وبينهما كان يحس بانه تائه ممزق تتجاذبه قوتان متعارضتان كل منهما تريد تشكيله على الصورة التى تريدها وربما لم يعلم أى من والديه أن مايرسمه الآخر من خطوط فى شخصية الطفل الصغير يمسحها الآخر على الفور عندما يرسم فوقها خطوطا جديدة ٠٠ لكن التجاعيد وحدها هى التى كانت تبقى مرسومة فوق نفسية الطفل الصغير ٠

كان أبوه هو الصرامة والانضباط والعنف ٠٠ كان هو المواعيد والاسلاك الشائكة فى الوقت الذى كانت فيه والدته الهـواء الذى يدخل الى كل فراغ والعاطفية الهلامية التى لا تتخذ شكلا محددا ٠٠ أحيانا كانت تبدو له كزهرة فوق رابية بعيدة أو قمرا يتلألأ فوق حقول تمتد بلا نهاية ٠٠ أحيانا كانت يدا تنقذه عندما كانت ترفض كل الأيدى الأخرى أن تمتد لانتشاله ٠

كان أبوه يريده رجلا منذ البداية حتى وهو فى الخامسة من العمر وطريقته هى العنف والصرامة فى حين أن والدته كانت تعتقد أنه ما زال طفلا صغيرا وأن الرجولة يمكن أن تنتظر حتى ياتى دورها ٠ كانت والدته لا تجد حرجا فى أن تضع له الفيونكات فى شعره ٠٠ وكان والده ينزعها فى غضب ويلقى بها على الأرض ٠٠ تركت والدته خصلاته الذهبية تطول كشعر البنات فى حين قصها والده بلا رحمة أما هو فكان لايدرى ما هو الطريق الأمثل لكى يصبح رجلا هل هو طريق والده أم طريق والدته أم ترىهناك طريق ثالث ٠

كان ينظر الى نفسه من الداخل فلا يستطيع تحديد ماهيته هل هو الكائن الخشن الحليق الشعر كما يريده والده أم الطفل الأشقر الجميل ذو الفيونكات الحمراء واسم التدليل النسائى كمـا تريده

والدته اذ حتى بعد أن قص له والده شعر رأسه الجميل بلا رحمة فان والدته لم تكف عن معاملته كفتاة صغيرة تضع لها الفيونكات فى شعر رأسها فى نفس اللحظة التى يغادر فيها الأب البيت ٠

بعد أن تجاوز مرحلة الطفولة وذلك الاعصار الابوى الاموى يتجاذبه أخذ يطيل النظر الى المرآة فيعذبه شكله الجميل الناعم كالنساء ٠٠ فى داخله يدوى اسم التدليل النسائى كناقوس ضخم يكاد يصيبه بالصم ٠٠ ذلك الاسم الذى حرم على والدته أن تناديه به محذرا اياها بانه سيهرب من البيت لو فعلت ذلك ٠

وفى المرحلة الثانوية اراد أن يكون رجلا حقيقيا بعيدا عن نعومة شكله التى ترعبه والتى كانت تجعله يرى المستقبل بمنظار شديد السواد ٠٠ أطلق لحية شقراء كثة حول وجهه الشمالى الجميل جعلته يشبه ماردا من الفايكنج وسط مجموعة من زملائه تختلف عنه كثيرا فى الشكل ٠٠ ومن نظراتهم اليه أحس بانهم يغيرون منه لأنه أكثر منهم وسامة ٠٠ ومن ثم بدأت الحرب الخفية بينه وبينهم ٠٠ أحس أنهم يتحرشون به بلا سبب ويطلقون من حوله الشائعات المغرضة اذ ما الذى يدعو فى نظرهم فتى طبيعيا أن يطلق لحيته فيبدو مختلفا عن زملائه اذا لم يكن هناك سبب لذلك ٠٠ وهذا السبب هو احساسه بانه أقل رجولة عن الآخرين واطلاقه لحيته هو لتعويض ذلك النقص الذى يحس به ٠

كانت عقدته منذ صغره أن يصبح طبيعيا فى نظر الآخرين رغم أنه فى داخله كان يشعر تماما بانه طبيعى لكن نظرات الشك فى عيون الآخرين ٠٠ رجولته الضائعة بين صرامة والده وميوعة والدته

Twitter: @ketab_n

كانت تسبب له أزمة خانقة · كانت تجعله يبذل المستحيل كى يبدو خشنا فى نظر الآخرين ·· أكثر طبيعية منهم رغم أن ذلك كان يتعارض تماما مع رغباته الحقيقية ·

عشقه الحقيقى كان أن يترك نفسه على سجيتها تمارس الهدوء والعزلة التى يحبها ·· أن يطلق كل العواطف المكبوته داخله بطريقة تلقائية لاتعرف التظاهر أو المداراه ·· كان يريد أن يصبح رجلا فى نظر نفسه قبل أن يصبح رجلا فى نظر الآخرين ·· لكنه كان يعيش فى مجتمع لايرحم ·· يرى الرجولة من الخارج لا من الداخل وكان لابد أن يستجيب لرغبات هذا المجتمع حتى ولو على حساب رغباته الحقيقية ·

كان يحاول أن يخفى عن نظر زملائه فى المدرسة ذلك النسيج الرقيق الذى يكون نفسيته حتى لايؤكد انطباعهم عنه بانه ناعم وغير طبيعى ·· وبدأ يتجـه الى ممارسة الألعاب العنيفة ليبدو خشنا ذا مظهر رجولى بل أنه بدأ يتعمد التحرش ببعض زملائه الضعاف ليثبت لنفسه أولا وللآخرين بعد ذلك أنه رجل مثلهم ·· فالرجولة كما يعرفها المجتمع من حوله والده وزملائه فى المدرسة هى الخشونة المطلقة ومشاجراته مع الآخرين كانت تترك آثارا واضحة على وجهه كان يتعمد أن يبقيها لفترة أطول كرمز لرجولته المزيفة التى كان يكرهها بمثل ما كان يكره نعومته المزيفة أيضا ·

كان عاجزا عن أن يعيش رجولته كما يحسها فى داخله لأن المجتمع لن يعجبه ذلك ·· فى أعماقه كان معجبا بجماله يريـد أن يستمتع به لا أن يخفيه عن عيون الآخرين أو يخجل منه ·· كان يريد أن يعيش حرا طليقا ناعما هادئا كما فطرته الطبيعية لا أن يعيش رجلا

مزيفا لأن المجتمع يريد ذلك ·· بل أنه كثيرا ماسأل نفسه عن المعنى الحقيقى للرجولة لان المجتمع الذى يعيش فيه لم يكن يعطيه الجواب وبالتاكيد لم يكن ليطمئن الى الكلمات الطائرة على ألسنة زملائه حول معنى الرجولة ·· فالرجولة فى نظرهم احساس غريزى ·· لا يناقش أنها قيمة يشكلها المجتمع من حولهم وعليهم أن يمارسوها كما هى وهناك مفهوم للرجولة اكتسب نوعا من القداسة حولته الى صنم ومن يات لمحاولة هدم هذا الصنم أو من لا يحاول حتى السجود له يصبح فاقدا للرجولة ·

فانت بالتاكيد لن تصبح رجلا الا بعد أن ينبت لك شارب وليس مهما عدد المحاولات التى تبذلها كى ينبت لك هذا الشارب سريعا ولن تصبح رجلا الا بعد أن تنفجر فيك غريزتك الجنسية ويغلظ صوتك وتبدأ تحس بذاتك وبشىء من الغرور والوقاحة فى معاملتك للآخرين خصوصا للأكبر سنا والا بعد أن تشعر بانك على استعداد للتشاجر من أجل نظره لم تعجبك أو كلمة قيلت عن غير قصد والا بعد أن تصبح البنت هى محور حياتك هى حلم اليقظة والمنام فى أيامك ·

وضحك عادل رغم احساس المرارة الذى يملأ قلبه وهو يتذكر تلك الأيام البعيدة وهو يسترجع فى خياله ما حدث لصديقه فؤاد ·· كان فؤاد مثله يميل الى العزلة والهدوء عاطفيا ينفـر من العنف والتظاهر بالرجولة المزيفة لكن مضايقات الصبية من حوله دفعته الى مجاراتهم فى مفهومهم الخاص للرجولة ·· وزادت أزمته النفسية عندما لم ينبت له الشارب المرتقب بالسرعة الكافية ·

كان أمرد الوجه جميلا كأنه فتاة صغيرة وبدأ احساسه بالنقص يعذبه ·· كانت أمنية حياته أن ينبت له فوق وجهه شعر غزير كانه دغل ليقول للصبية فى المدرسة الذين كانوا يتفاخرون بالشعيرات

النابتة فوق شفاههم بانه رجل مثلهم لكن الشعر تاخر فى الظهور وبدأ يحس بان الشعر ربما لا يظهر على الاطلاق ․․ وكان الصبية من ناحيتهم لا يدعونه يهدأ فما أن عرفوا عقدته حتى أصبحت كل مضايقاتهم تتركز حولها ․

فهذا واحد منهم يعبث بشاربه أمامه بطريقة تستفز مشاعره خاصة وهو يوجه اليه نظرات تحمل اتهاما بشىء لم يستطع أن يحدده لكنه اتهام على أى الاحوال ․․ أو يمر بيده فوق لحيته المحلوقة فى الصباح تلك اللحية الخضراء التى تعذبه بينما عيناه مليئتان بالضحك والسخرية ․

وفى يوم رآه أفراد الشلة التى تعودت أن تضـــايقه قادما ناحيتهم وما أن تاملوا وجهه عن قرب حتى انفجروا ضاحكين ․․ كان لفؤاد شنب خفيف متقن الصنع فوق شفتيه لكن العين الخبيرة كانت تكتشف زيفـه على الفور وأنه مصنوع بقلم حواجب نسائى لا ريب أنه يخص والدته ․․ تصور فؤاد المسكين أنه سيخدع زملائه بهذه الطريقة ولم يدر بخلده أنها ستتحول الى فضيحة يتحدثون عنها على مدى الايام والاسابيع التالية وكلما لذ لهم أن يضحكوا أو يعثروا على موضوع يتحدثون عنه ․

ولا ينسى عادل منظر فؤاد المسكين وقد طرحه أفراد الشلة أرضا وهو يقاومهم دون جدوى وقد شل اثنان منهم حركته فى حين قام ثالث بواسطة منديل مبلل بالماء بمسح رمز رجولته المزيفة ․․ كان فؤاد يصرخ ويتوسل اليهم أن يتركوه وكانت الدموع تملأ عينيه لكن رجال المجتمع المزيف أبوا ذلك فقد كان مادة عظيمة للضحك والتسلية ․․ واندفع فؤاد يجرى بعد أن انفضوا من حوله متجها ناحية ســـور

المدرسة وقفز من فوقه ولم يعد بعد ذلك على الاطلاق وعندما زاره عادل بعد ذلك فى المنزل سمع من والده أنه حاول الانتحار أكثر من مرة ٠

ومن مظاهر الرجولة أيضا أن تكون لك مغامرات نسائية عديدة حتى لو كانت مع أحط صنف من ساقطات الطريق ٠٠ وترتفع رجولتك الى الذروة اذا أعطتك واحدة منهن مرضا تناسليا ٠٠ والرجال الحقيقيون هم الذين لا يعبئون كثيرا بتثقيف عقولهم خارج محيط المدرسة بل انك اذا أردت أن تصبح محطا لكراهيتهم واحتقارهم فدعهم يشاهدوك وأنت تمسك كتابا فى يدك ٠ والرجال الحقيقيون هم الذين يملكون الجسارة المطلوبة لارتكاب كل الاعمال المحرمة كسرقة ادوات زملائهم من الادراج او خطف الطعام من فوق الموائد قبل نزول باقى الطلبة الى المطعم ٠

واخيرا القفز من فوق سور المدرسة للتسكع فى الشوارع حتى يحين موعد العودة الى المنزل ٠٠ أو لعب الورق فى المتنزه القريب وتدخين سجائر الحشيش ٠ وبالتأكيد عليك ان تصبح وقحا فظا فى معاملتك مع مدرسيك حتى لو اضطررت الى تهديدهم بالضرب خارج المدرسة ٠

وكان هذا المفهوم الفج للرجولة عاجزا عن اقناع عادل به ٠٠ اذ فضلا عما فيه من زيف واضح فانه كان يستبعد اناسا لا يشك احد فى رجولتهم فقط لانهم لا يعيشون بالعنف او الوقاحة او لانه لا توجد فى حياتهم علاقات نسائية او امراض سرية او لانهم يؤمنون بان السرقة جريمة والاعتداء على ضعيف عمل لا اخلاقى يستحق الزراية ٠٠

اناس يفكرون للانسانية ولا يعيشون بغـرائزها الوضـيعة اناس يحرمون انفسهم من المتع الدنيوية لكى يخطوا بالانسـانية بضعة خطوات الى الامام .

وبدأ عادل يعود بذاكرته الى أيام الطفولة .. وهو لا ينسى كيف كانت والدته تقتل فيه احساسه النامى بالرجولة بالطريقة التى كانت تعامله بها .

كانت شديدة الاعجاب بجماله الفريد فهو بالنسبة لها دمية جميلة تريها لصديقاتها لتحصل على شهقاتهم . وفى يوم اقبلت سيدة من معارف امه لزيارتهم فى المنزل وكالتقليد المتبع نادت عليه أمه ليسلم على ضيفتها .. لكنها نادت فى نفس الوقت على أخته التى تكبره ببضع سنوات لتأتى معه .

كانت اخته عادية تماما اذا ما قورنت به . بل كانت باهتة لذلك قبلتها السيدة بسرعة ثم افلتتها من بين يديها . اما هو الطفل الاشقر الجميل الذى يشع جـاذبية والذى تشـبه عينـاه بحيرتين صافيتين تلمع فوقهما اشعة غريبة ودائمة تأسر مشاهدها بحيث لا يمكنه الافلات من تأثيرها فقد كان نصيبه اكثر من مجرد القبلات لقد استبقته السيدة طويلا بين ذراعيها وراحت تقبله بنهم وتمسح على شعر رأسه الناعم الغزير المنسدل على كتفيه .

فى عينيها حسد كان يبهج قلب الام فقد اثارت دميتها الجميلة الاعجاب ولم تفلته السيدة من بين ذراعيها الا بعد أن بدأ يتململ ويحاول الفرار . وبينما هو واخته مايزالان واقفين امام ضيفة امهما اذا بها تسألها سؤالا عجيبا عن ايهما البنت وايهما الولد .

وضحكت والدته فى سعادة لهذا السؤال الذى كانت تتمنى ان توجهه لها السيدة وقالت مشيره اليه وقد بدأت اعصابه تتوتر بحيث ود لو يفر من امام المرأتين اللتين تعاملانه كدمية بلا مشاعر ·· دمية تلهوان بها ·· انه هو الولد بالطبع كيف امكنك أن تخطىء بينهما الى هذا الحد · لكن ضيفة والدته قالت مدافعة عن نفسها لكنه اجمل كثيرا من اخته ثم كيف كان يمكننى ان اعرف انه ولد وشعره طويل كالبنات ثم تلك الفيونكات الحمراء التى تضعينها فى شعره ·

وضحكت امه فى سعادة فقد كان هذا هو كل ما يهمها · واندفعت اخته تجرى الى حجرتها وبقى هو وحيدا يحس بالعصبية أمام المرأة التى كانت تتوسل اليه أن يقترب منها لتعطيه مزيدا من القبلات التى عافتها نفسه الى درجة المرض ··

فأندفع يجرى هو الآخر خارجا من الحجرة ولحق بأخته فوجدها منكفئة فوق الفراش تبكى بحرقة ·· فأقترب منها وقد احس انه هو السبب فيما تشعر به من تعاسة · وعندما رفعت وجهها وأبصرته واقفا أمامها ينظر اليها بعينين حزينتين متوسلتين استشاطت غضبا فأمسكت بمخدة السرير وقذفته بها وهى تصيح فى وجهه قائلة اغرب عنى ايها اللعين البنوته لاننى لا اريد ان اراك بعد الآن هل تفهم ··

اننى لا احبك ·· لا احبك ووقف الطفل الصغير يحدق فى اخته بذهول وهو لا يدرى سر هذه الكراهية العنيفة التى تكنها له· لكنه أدرك سر هذه الكراهية عندما وصل الى سن تمكنه من الفهم ·· ادرك انها كرهته بدافع الغيرة منه لانه أجمل منها وليس من المفروض ان يكون الولد اجمل من الفتاة ·

وعندما وصلا الى سن البلوغ كانت الغيرة ما تزال سائدة بينهمـا وهو لا ينسى اليوم الذى دخل فيه الى حجرته فوجد اخته واقفة امام دولاب ملابسه تمسك مقصا فى يدها وحولها ملابسه ملقاة على الارض وممزقة . تحول فجأة الى شخص مجنون انهال على اخته ضربا مبرحا حتى كاد يصيبهـا بالاغماء لكنه بعد ذلك احس بأسف عميق لانه فعل ذلك واحس بأسف اكثر لان اخته ماتزال تغير منه لسبب لا يستطيع أن يفعل شيئا حياله .

وظلت العــلاقة بينه وبين أختــــه متــوترة غاضـــبة كلمـــا رأت العيــون تنظـر الى أخيهـا الجميل أكثر مما تنظر اليها هى .. وكبرا معا .. كبر عقلاهما وتعــددت تجاربهمـــا وادركا شيئا عن الحظ والصدفة وان الانســان السـعيد عليه ان يغمض عينيه عما فى ايدى الآخرين وتأصل فى اخته هذا الشعور الجديد وبدأت تنسى غيرتها القديمة بل ان جمال اخيها تحول الى نوع من الفخر بالنسبة لها .

كانت تقدمه الى زوجها وصديقاتها وهى تقول لهم مزهوة انظروا الى أخى هل رأيتم فى حياتكم رجلا اكثر منه جمالا ..
وكان هو يضحك بسعادة لان جماله اصبح لا يعذب اخته.. اصبح يعذبه هو وحده .

★ ★ ★

بعـد المشادة العنيفة التى حدثت بينها وبين عادل راحت مرفت تهرول صاعدة سلالم بيتها وهى فى قمة الهياج والعصبية .. وضغطت جرس الباب بعنف شديد ولم ترفع اصبعها من فوق الجرس

الا بعد ان فتحت لها والدتها الباب وقد ارتاعت لمرای وجهها الذی ارتسمت فوقه كل اثار الصدمة بوضوح ·

ودون ان تنطق مرفت بكلمة واحدة راحت تعدو صوب حجرتها وفى داخل الحجرة طوحت بحقيبتها بعيدا ثم انكفئت على الفراش وراحت تبكى بطريقة هستيرية اصابت امها التى كانت تقف بالقرب من الفراش بحالة ذعر شديد فسألتها والدهشة تملأ عينيها :

ما الذى حدث يا مرفت تكلمى · لقد أصبتنى بالرعب · وعدلت مرفت من وضع جسدها ليصبح وجهها فى مواجهة عينى أمهـــا المليئتين بالفضول وقالت وصوتها يرتعش من الغضب هل تعرفين من كان يطاردنى الآن فى مدخل العمارة وكاد ان يضربنى ··

انه عادل المجنون ·· قالت أمها بدهشة واستنكار ·· يضربك كنت أظن أنك قطعت علاقتك به الى الابد ·· قالت مرفت وهى تطلق زفرة حاره · وانا ايضا كنت اظن ذلك لكنه اثبت اليوم انه ليس مصرا فقط على علاقته بى رغم اننى قلت له بوضوح وصراحة اننى لم اعد احبه واننى لن اربط مصيرى بمصيره بعد الآن بل اثبت ايضا انه مجنون وقادر على ارتكاب حماقة فظيعة ·

قالت امها بغضب شديد والكراهية تطل من حدقتى عينيها اننا لابد ان نوقف هذا المجنون عند حده والا فـــانه قـــادر على ان يسبب لنا فضيحة مدوية ·

قالت مرفت بصوت مخنوق بالبكاء ·· لم أعد أطيقه وأصبحت أومن اننى اضعت معه ثلاث سنوات من عمرى دون جدوى ·· هل

تتخيلين انه اصبح يطاردنى فى كل مكان ‥ فى الشارع فى الجامعة حتى هنا فى مدخل البيت ٠ لقد اصبحت اخاف منه ثم اشارت الى اللفافة الممزقة وقالت لها انظرى ماذا فعل بها وهو يحاول ان ينزعها منى بالقوة ليرى ما بداخلها ‥ وتناولت والدتها اللفافة وأخرجت ما بها ثم هتفت قائلة وعيناها تلمعان بشراهة واضحة الله توينز رائع من الصوف المستورد لكن من اين اتيت بالنقود اللازمة لشرائه ٠

حدجتها مرفت بنظرة باردة ثم قالت لها بتحد واضح فى نبرات صوتها اننى لم اشتريه لقد اعطاه لى صديق ٠ نظرت اليها أمها بدهشة ثم قالت ‥ أحقا وهل تظنين أن من أعطاكى هذا الشىء لن يطالبك بالمقابل ٠

اكتسبت نظرة مرفت طابع التحدى من جديد وقالت وهى تحدق بوقاحة وجرأة فى عينى امها ولنفرض انه يريد شيئا في المقابل ماذا يهمك انت من هذا ثم اطلقت ضحكة مستهترة وهى تقول لها انه يريد منى انا لا منك انت وتقدمت والدتها منها وهى ترتعش من الغضب وصفعتها بعنف فوق وجهها وهى تصرخ قائلة صفيقة لا اجد كلمة اخرى اصفك بها ٠

ضحكت مرفت من جديد بأستهتار وتحدى ثم صرخت فى وجه امها قائلة لست انا الصفيقة الوحيدة فى هذا البيت ٠ وصرخت امها فى وجهها قائلة وهى تهزها بعنف من كتفيها اخرسى ايتها اللعينة لقد اصبحت فاجرة وبلا حياء حتى مع امك التى ولدتك ٠

هل تريدين ان تسببى لنا فضيحة فى هذا البيت ٠ صرخت مرفت بدورها فى وجه امها وهى تقول لها بتحد لن اخرس ولست

انا التى ستسبب فضيحة فى هذا البيت انه انت وصمتت برهة حدجت فيها أمها بشماتة ثم أردفت قائلة آه كم تمنيت أن أقول لك الحقيقة فى وجهك منذ زمن طويل ٠

صرخت الام قائلة ايه حقيقة تعنين ايتها الوقحة اننى لا ادرى عن اى شىء تتحدثين ٠ قالت مرفت وهى تحدق مباشرة فى عينى امها اللتين تتظاهران بعدم الفهم اننى اتحدث عنك انت وابى المسكين ٠٠ عن هذا البيت ذى الجدران المتهاوية والذى يوشك ان ينقض فوق رؤوسنا جميعا لانه قائم على الكذب والنفاق ٠

وصمتت برهة ثم قالت لامها بسخرية وعيناها تحدقان فيها بازدراء ٠ هل تريدين ان تستمعى الى المزيد ام تراك اكتفيت بهذا القدر ٠ قالت الام بذهول من لم يعد يبالى بشىء بعد ان هدم جدار الخوف والاحترام بينها وبين ابنتها التى اثبتت لها بكل تعبيرات وجهها وعينيها وبالكلمات الوقحة التى استعملتها انها تكن لها قدرا من الحقد لم تكن تتصور انها تحمله لها ٠٠

بل استمرى فانا اريدك ان تخرجى كل مافى قلبك من كراهية٠ قالت مرفت بسخرية حسن مادمتى تريدين ذلك ٠ انك يا امى العزيزة لا تخشين على سمعتى لان صديقا قدم لى هدية متواضعة والا لكنت انت نفسك قد راعيت هذا فى سلوكك ٠ كل مافى الامر انك تغيرين منى لاننى اصغر واجمل منك ٠٠

آه لا تنكرى ذلك فالغيرة واضحة فى عينيك ٠ وصمتت برهة ثم قالت وعلى شفتيها ابتسامة جعلت امها ترتعش من الغضب انك

لم تغفرى لى ابدا اننى ابنتك بدلا من ان إكون اختك الصغيرة ان هذا يجعلك عجوزا اليس كذلك يا امى ..

لم تغفرى لى أبدا أن عيون الرجال أصبحت تنظر لى أنا بدلا منك .. هزتها أمها بعنف من كتفيها وصرخت فى وجهها قائلة أننى لست عجوزا كما تتصورين أيتها المغرورة الوقحة أننى مازلت جميلة ومرغوبة من الرجال أكثر منك .

قالت مرفت بسخرية لكن ليس من أبى المسكين على أى الاحوال .. زوجك المحترم المخدوع . وصرخت الام مستهولة ما قالته ابنتها خصوصا لأنه حقيقى ومخيف أخرسى أيتها اللعينة كيف تجرؤين على قول هذه الافتراءات . أن من يسمعك تتكلمين لا يظن لحظة واحدة أنك ابنتى .

لكن مرفت مضت تقول بهدوء وعلى شفتيها نفس الابتسامة الساخرة هل تظنين أننى مازلت الطفلة الصغيرة التى يمكن شراء سكوتها بقطعة من الشكولاته كلا يا أمى العزيزة لقد أصبحت فتاة كبيرة الآن وأصبحت أدرك كل ما يدور من حولى .

صرخت أمها فى وجهها قائلة ماذا تقصدين بذلك .. ضحكت مرفت وهى تقول بسخرية شديدة انظرى الى نفسك أنك جميلة ومتأنقة أكثر من اللازم ترى من القادم على الغذاء اليوم أنه مراد أليس كذلك .. هل تريدين أن أحكى لك عما سيحدث بينكما بعد أن يأتى الى هنا . أنا سأدخل الى حجرتى لاذاكر . على الاقل سأتظاهر بذلك .. لان نظراتك تجبرنى على ذلك أما أبى فسيدخل الى حجرته ليريح جسده المتعب بعد الغذاء كما يحدث دائما وبذلك يخلو لكما الجو لتنفردا ببعضكما البعض وتفعلان ما تشاءان .

صرخت فيها الام وجسمها يرتعش من الغضب : وقحة ملعونة كل ما تقولين كذب وافتراء ·· صرخت مرفت بدورها فى وجه أمها بل أننى أقول الحقيقة التى لايمكنك أن تنكريها أما اذا أصررت على الانكار فساضطر لان أقول لابى على كل شيء ·· قالت الام بسخرية أثارت مرفت ودفعتها الى مزيد من التحدى أبوك يحبنى ويثق بى ثقة كاملة ولن يصدق حرفا واحدا تقولينه له ·· ثم أنك تقامرين على موته بهذه الطريقة ·· ودون تردد خرجت مرفت من حجرتها وتقدمت صوب حجرة نوم أبيها وعينا أمها تحدقان فيها بذهول ثم راحت تطرق الباب طرقا عنيفا متواصلا وهى تصرخ قائلة أبى أخرج هنا على الفور أريدك لامر هام ·

وخرج الرجل مذعورا يجد صعوبة فى الوقوف على ساقيه المريضتين وراح ينظر الى ابنته فى تساءل ودهشة ولم تدع له مرفت الفرصة كى ينطق بحرف واحد بل عاجلته قائلة :

أبى أرجوك لاتدع هذا السافل مراد يدخل الى هنا مرة أخرى ونظرت اليها أمها متوعدة وأن كان فى نظراتها شيء من التوسل والخوف أما الأب فقد نظر الى ابنته بملامح رجل لا يفهم شيئا مما يقال له ·· فهو لم يلاحظ على مراد شيئا غريبا وهو يثق به الى درجة تركه مع زوجته بالساعات والدخول الى حجرة نومه ليستريح بعد الغذاء وأخيرا قال الأب ولماذا تطلبين منى هذا الطلب الغريب الذى لا أجد له أى مبرر هل حدث شيء من مراد ·

نظرت مرفت الى أمها بتحد وقالت لها هل أقول له أم تقولين أنت ·· ضحكت الأم فى ارتباك واضح وقالت لتخفف وقع الصدمة على زوجها الذى كان يحس أن المرأتين تتشاركان سرا مشينا ترفضان الافصاح عنه له ·· سرا يتعلق به هو شخصيا ·· هل تتصور أن

مرفت تشك فى وجود علاقة مشينة بينى وبين مراد وعادت تضحك من جديد ذلك الضحك المجوف الذى يؤكد عصبيتها الشديدة ٠٠ ولماذا ؟ لأنى نصحتها بعدم قبول هدايا من رجال غرباء ٠٠ وظهر الألم واضحا على وجه الأب الذى تقلص فجاة وشحب لونه الابيض حتى بدا كوجه من الشمع ، وهو يسمع كلاما مخزيا لم يكن يتصور أن يسمعه من أحب انسانتين له فى الوجود كل منهما فى حق الاخرى ٠٠ واكتشف الرجل فجاة والعار يجلله أنه لم يكن يعرف شيئا عن المرأتين اللتين تشاركانه الحياة تحت سقف واحد واللتين تحملان اسمه والمفروض فيهما أن‌تصونا شرفه وكرامته ٠ اكتشف فجأة أنه مجرد رجل عجوز طيب أكثر من اللازم وأن الزمن قد توقف بالنسبة له منذ فترة طويلة هيئت له أن العالم لم تعد تدور فيه مثل هذه الافعال المشينة رغم أنها لم تزل تحدث داخل بيته نفسه ٠

وصرخت مرفت فى وجه أبيها الجامد المذهول لتدفعه الى اتخاذ موقف يثبت فيه رجولته المفقودة ولو مرة واحدة فى حياته لاتصدقها يا أبى أنها تخدعك ٠٠للمرة الاخيرة أفق من غفوتك وضع حدا لهذه المهزلة التى تحدث فى بيتك ٠

وأحس الرجل أن الارض تميد به وأن كلمات ابنته الفظيعة تدوى فى داخله كأجراس ضخمة تكاد تصيبه بالصمم ٠٠ فوضع كفيه فوق اذنيه وصرخ قائلا كفى لا أريد أن أسمع أكثر من ذلك ٠٠ أن هذا جنون زوجتى وابنتى تكيل كل منهما الاتهامات القذرة للأخرى يا الهى ماذا فعلت لاستحق هذا العذاب ٠٠ وأحس الاب فجاة أن جسده العجوز المرهق الذى لم يتحمل الماساة التى انقضت فوقه على وشك أن يتهاوى بين لحظة وأخرى فوضع يده على أحد المقاعد ليستند عليه حتي لايسقط علي الارض ٠

وصرخت الام فى وجه ابنتها ارحمى أباك العجوز أنه لايتحمل هذه الصدمة ·· وصرخت مرفت بدورها قائلة لابد أن يعرف كل شىء · الى متى سيظل مخدوعا ·· وهنا نظرت الام بوجه متوسل الى زوجها وقالت له لا تصدقها أرجوك لقد اخترعت هـذه القصة لتغطى على سلوكها المعيب ·· أسالها من الذى أعطاها الهدية التى أحضرتها اليوم ·· وصرخت مرفت فى وجه أمها قائلة أنه ليس بحاجة الى أن يسالنى لانى ساقول له كل شىء ثم أننى لم اخترع قصة وهمية كما تدعين لاغطى سلوكى المعيب وحدجت أمها بازدراء ثم التفتت الى أبيها قائلة أنه خطاك أنت يا أبى لقد كنت طيبا معنا أكثر من اللازم وكنت تثق بنا ثقة عمياء لانستحقها والآن انظر الى النتيجة نعم أنا كما تقـول أمى أتلقى الهدايا من الرجال وبالطبع ليس بلا مقابل ·· اننى انسانة تريد أن تعيش وتستمتع بحياتها لكنها هى الاخرى تخدعك وتكذب عليك ·· أنها تخونك مع هذا الوغد الذى فتحت له بيتك واستامنته على شرفك وصرخت أمها فى وجهها قائلة أيتها اللعينة لقد هدمت هذا المنزل فوق رؤوسنا جميعا وهمت بصفعها على وجهها عندما فوجئت بجسد زوجها يتهاوى على الارض وهو يطلق آهة ألم عميقة بينما يده موضوعة على الجانب الأيسر من صدره وشلت المفاجاة المرأتين لكنهما استطاعتا بسرعة السيطرة على أعصابهما وحملتا المريض الى حجرة نومه وأراحتاه على الفراش ·

وصرخت الام فى وجه ابنتها بينما عينا الرجل المريض تتابعان ماتقوله فى ألم وعجز عن الكلام لكن بقـدرة على تمييز مايقال أمامه ·· انظرى ماذا فعلتى بابيكى المسكين قالت مرفت بحزن وأسف على ماحدث كان لابد أن أقول له الحقيقة حتى لايعيش مخدوعا كان لابد لنا جميعا أن نرى الوجوه الحقيقية لبعضنا البعض ودق جرس الباب فى تلك اللحظة واضطربت الأم وحاولت الخروج من الحجرة لفتح

الباب لكن مرفت نظرت لها محذرة وقالت لها كلا أنك لن تخرجى للقاءه هذه المرة ·· ليس بعد ما حدث لأبى أنا سافتح الباب بنفسى وسالقن هذا الوغد درسا لن ينساه مدى حياته وحاولت الام المهتاجة المشاعر أن تخرج من الحجرة رغم ارادة ابنتها لكن مرفت التى كانت تغلى بالغضب والكراهية لامها دفعتها بيدها فاسقطتها على الفراش وهى تصرخ فى وجهها قائلة ·· أنك لن تخرجى للقاءه وأنا أعنى هـذا الكلام هل تفهمين ·

وكان الرجل العجوز الذى كان كل شىء فيه ساكنا باستثناء عينيه المتحركتين فى محجريهما يتابع المرأتين اللتين تتشاجران أمامه بلا خجل ومن أجل رجل غريب باحساس عميق بالمهانة وفقدان الرجولة وأسرعت مرفت تعدو الى باب الشقة وعلى وجهها علامات التحدى التى ستقابل بها الرجل الذى يطرق الباب والذى كان خالى الذهن تماما من المفاجاة التى أعدتها له ·· وما أن فتحت الباب ورأته واقفا أمامها وفوق شفتيـــه ابتسامة مطمئنة سعيدة وفى يده صحبة ورد صغيرة كأى عاشق حقيقى حتى أحست باشمئزاز يفور فى أعماقها ·· لقد رأت فوق عينيه الضاحكتين ·· عينيه الشهوانيتين المفجوعتين صورة أبيها الراقد فى الفراش بين الحياة والموت ·· أبيها الضحية المخدوعة ·· وحاول الشاب أن يخطو داخل الشقة ببساطة كما تعود أن يفعل دائما لكن مرفت اعترضت طريقه وصرخت فى وجهه قائلة وهى ترتعش من الغضب من الآن فصاعدا لن تدخل هذا البيت مرة أخرى هيا أخرج من هنا ولا تعد بعد ذلك ·

قال الشاب وقد أذهلته المفاجأة وان كان قد حاول أن يبتسمليدارى اضطرابه الشديد واحساسه بالمهانة حسن وماذا أفعل بباقة الورد هذه التى أحضرتها معى أنك تعلمين أنه ليس من اللائق أن أعود بها

مرة أخرى ٠٠ ولمعت عينا مرفت بطريقة غريبة وبلا تردد أخذت منه باقة الورد وألقت بها فى بئر السلم ثم قالت بسخرية وهى تبتسم حسن أعتقد أنه لم تعد لديك مشكلة بعد الآن والآن انصرف من هنا ولا تعد مرة أخرى فلا أحد فى هذا البيت يريد أن يراك ٠٠ وكانت الام قد أقبلت عندما سمعت المشادة الحادة بين مرفت والشاب الذى أخذ ينظر اليها بدهشة وتوسل كانه يدعوها الى انقاذه من ورطته لكن الام التى كانت فى حالة نفسية متدهورة نتيجة افتضاح أمرها بهذه الطريقة الدرامية غير المتوقعة نظرت اليه بتوسل طالبة منه أن ينصرف والا يسبب فضيحة قائلة أنها ستتصل به فى القريب لتشرح له كل شىء ٠٠ ولم يملك الشاب سوى الاذعان ٠

وقالت الام لابنتها بعد أن أصبحتا وحيدتين فى البيت ٠٠ والان ماذا سنفعل مع أبيك المريض ٠٠ لابد أن نحضر له طبيبا ودواء وهذا يحتاج الى مصروفات كثيرة وردت الابنة ببرود هذه مشكلتك أنت وليست مشكلتى أنا فانت التى فعلتى به ذلك ثم أنه زوجك أليس كذلك ؟ انفجرت فيها الام غاضبة انها مشكلتنا نحن الاثنتين ولن يحلها التشاجر وتوزيع الاتهامات وصمتت برهة ثم قالت بصوت ناعم وملامح وجه متوسلة اسمعى أنك ابنتى وعلى شاكلتى تماما فلا تراوغيننى بهذه الطريقة هل تفهمين أعتقد أن بامكاننا نحن الاثنتين أن نصل الى نوع من التفاهم لو كفت كل واحدة منا عن كراهية الاخرى ٠

ثم نظرت الى عينى ابنتها تنتظر جوابها وابتسمت مرفت فى وجه أمها فقد وجدتها تقول كلاما يمس وترا حساسا فى داخلها فهى أولا وأخيرا ليست أفضل منها لتنصب من نفسها قاضية عليها ٠٠ أحست مرفت أن أمها خصم عنيد يملك نفس أسلحتها وأن المعركة

بالنسبة لها خاسرة ولا بد من السلام بشكل أو بآخر .. قالت لأمها بصوت حنون وماذا تريديننى أن أفعل الآن يا أمى .

قالت الأم وقد هدأت ملامحها المتوترة وأحست بسعادة تستولى عليها لاشىء نتصافح وننسى ما كان بيننا .. وفجاة تذكرت الأم الرجل طريح الفراش فقالت لابنتها بلهفة اسمعى أطلبى الطبيب بالتليفون وقولى له أن ياتى على الفور وجاء الطبيب بسرعة وأجرى الكشف على المريض وقال لهما وهما واقفتين معه بالصالة ويده ممدودة بروشتة طويلة من الأدوية أنه مصاب بازمة قلبية حادة وفى حاجة الى الراحة فى الفراش لبضعة أسابيع والا يحدث له ما يضايقه ثم تركهما وانصرف .

وظلت المرأتان لبضع لحظات تحدقان فى بعضهما البعض كأنهما تبحثان عن مخرج من الازمة التى حطت عليهما وفجأة التفتت الام الى ابنتها قائلة ساكلم مراد بالتليفون واطلب منه الحضور ليبتاع لنا الدواء ثم راحت تنظر الى عينى ابنتها لترى وقع هذا الاقتراح عليها وأحست الأم بسعادة بالغة عندما قالت لها ابنتها وابتسامة ترتسم على شفتيها أعتقد أنه اقتراح وجيه هيا يا أمى أسرعى الى التليفون وكلميه .



فى المدرسة الثانوية بدأت ماساة عادل تاخذ بعدا أعمق وأكثر وضوحا فقد بلغ سن المراهقة العنيفة وبدأ يسمع من زملائه تلك القصص الغريبة الحقيقية منها والمزيفة عن الجنس الآخر .. عن الساقطات وبنات الجيران وقصص الحب التى تبدأ فى أول الصيف وتنتهى فى آخره والأمراض السرية التى كانوا يتحدثون عنها بفخر ورعب كما كان البحارة فى العصور القديمة يتحدثون عن البهارات

والذهب التى يجلبونها من البلاد البعيدة القابعة وراء الشمس وبحار الظلمات .. كان زملاؤه فى المدرسة يروون أمامه هذه الحكايات العجيبة بنوع من الزهو والاستمتاع كان يخلق فى داخله شعورا بانه مطالب لكى يصبح واحدا منهم بان يقص عليهم طرفا من مغامراته حتى ولو كانت من صنع خياله .. لكنه اكتشف فجاة أن كل ما فى مقدوره أن يقدمه لهم هو مجموعة من الاكاذيب لا تمت الى الواقع بصلة .. اكتشف أنه انسان عاجز عن القيام بمغامراتهم العنيفة فى الواقع وأنهم سيكتشفون كذبه أن عاجلا أو آجلا حينئذ سينبذونه من مجتمعهم وستصبح نظرتهم اليه نظرة ازدراء وكراهية .. وبدأ ينظر الى نفسه نظرة تأمل حزينة كانت تنتهى به دائما الى احساس عميق بالاختلاف عن الآخرين .

كانت عواطفه تجاه المـرأة تشبه عواطفهم تماما كان يحبهـا ويشتهيها مثلهم لكنه اكتشف فى النهاية أنه عاجز عن اجتياز هذا الحد . كان يحس أنه تمثال مجرد من العروق النابضة بالدم الساخن الذى يجرى فى عروق الآخرين .. أنه مجرد غريزة مشبوبة عاجزة عن التعبير عن نفسها .. وبدأت قصص زملائه فى المدرسـة عن مغامراتهم العجيبة تسبب له احساسا عميقا بالألم وبدأ اعتـذاره المتكرر عن عدم مشاركتهم تلك المغامرات العجيبة يسبب له احراجا كبيرا أمامهم .. فبماذا عساهم يفسرون عزوفه الدائم عن مشاركتهم تلك المغامرات الا بانه انسان مختلف لايستطيع أن يكون مثلهم .. وبدأ هذا الاحساس بالاختلاف يتعمق فى داخله مع الوقت مسببا له عذابا رهيبا .

كان يتمنى لو كان واحدا منهم يبحر بمركب شراعى صغير فى بحر الظلمات البعيدة ويعود محملا بحفنة من الأساطير يسكبها فى آذان عصابة المدرسة لكنه دائما كان يبدو عاجزا عن القيـام بمثل

تلك المغامرة مكتفيا بالوقوف على الشاطىء يراقب وحـزن عميق يعتصر قلبه تلك الأشرعة البيضاء الصغيرة وهى تندفع وراء المجهول ثم تعود لتقص مغامراتها العجيبة التى تدفعه الى مزيد من الاحساس بماساته العميقة ·· كان يريد لتلك الدماء الجيلاتينية الباردة فى عروقه أن تتحرك وتفجر جدرانها الرقيقـة وتكتسح كل مايعترض طريقها كانها شلال لا يعرف التوقف ·· الشرف ·· الخجـل ·· المبادىء ·· كل شىء ·· كان يريد أن يصبح وغدا مثلهم لديه الكثير ليقصه على الآخرين ويثير انبهارهم ·· رجلا من دم ولحـم مثلهم وليس مجرد تمثال جميل خال من العروق النابضة بالحياة لكنه فى نقطة بعيدة من داخله كان يتمرد على تلك الرغبة الفجة التى تستبد به كان يستنكر هذا المفهوم الضحل للرجولة الذى يبدو له مزيفا وغير حقيقى ·· كان يقول لنفسه أنه لابد وأن يوجد مفهوم آخر للرجولة لا يقنع باللحم والدم والغريزة وحدها ·· وانزعج كثيرا عندما تاخر صوته فى التحول الى نبرة المراهقين الغليظة وعندما تاخر نمـو لحيته وشاربه عن التوقيت المألوف وعندما نبتا كانا أشبه بشعيرات صغيرة عاجزة عن النمو لأن الأرض التى انبتتها ليست على درجة عالية من الخصوبة ·

وبدأ يحس من نظرات زملائه الغريبة له ·· النظرات التى تهينه دون أن تقول كلاما محددا أنهم بدأوا يفهمون سـره الغريب ومن ثم بدأ يبتعـد عنهم وينطوى على نفسه أكثر ·· وبعد عذاب رهيب قرر أن يتوجه لمقابلة طبيب يضعه وجها لوجه امام الحقيقة مهما بلغت مرارتها وأجرى له الطبيب الفحوص اللازمة ثم قال له وكانه يمهد لقنبلة سيفجرها فى وجهه بين لحظة واخرى أن الرجولة ليست دائما علاقة جسمانية بين رجـل وامرأة وأن الرجل يمكن أن يعيش حياته ويستمتع بها بعيدا عن المرأة ·

وأحس عادل أنه لم يعد يحتمل الكلمات التى تريد تمويه الحقيقة التى جاء يسعى اليها فقال للطبيب بعصبية ما أريد أن أعرفه هو شىء واحد هل سيمكننى أن أعاشر النساء أم لا ·· وقال الطبيب ببرود كلا لا أعتقد أنه سيمكنك ذلك فى يوم من الأيام بالطبع نستطيع أن نحاول لكنى أشك فى النتيجة وفر عادل من أمام الطبيب بعد أن قذف فى وجهه بالحقيقة المخيفة التى جاء يسعى اليها ·

ابتسم عادل فى حزن وهو يتأمل صورته فى المرآة ·· الدموع تملأ مقلتيه بينما أشعة شمس الأصيل تحيط وجهه الوسيم بهالة درامية حزينة بحيث بدا كما لو كان شخصية اسطورية يحركها قدر محتوم لا مهرب منه ·

أكتشف عادل بعد زيارته للطبيب أنه أمام طريق صعب ليجد نفسه ليصبح رجلا كما يريد هو لا كما يريد الآخرون وبدأ يضع كل همه فى الرسم هوايته القديمة ·· وفوق سطح العمارة أقام مرسما له سقف من الزجاج يسمح بدخول أكبر قدر من الضوء · وبدأ يقضى معظم أوقاته داخل المرسم ·· وأراد أن تكون دراسته للرسم أكاديمية فقرر الالتحاق بكلية الفنون الجميلة لكن والده هدده بالطرد من المنزل لو فعل ذلك وكان لابد أن يلتحق بكلية تضمن له موردا للرزق بعد أن يأخذ أجازتها لكنه أبدا لم ينس طريقه الأصلى نحو الشمس الوحيدة التى تشرق فى ظلام حياته ·· الرسم ·· وبدأ يأخذ دروسا فى القسم الحر بكلية الفنون الجميلة ··

المشهد الآخير فى سلسلة الذكريات التى تتدفق على عادل الآن يشبه اسدال الستار على مأساة مروعة ·· على خشبة المسرح يرقد البطل منتحرا وفى قلبه نصل لامع بينما باقى المسرح يسبح فى ظلام دامس ·

أحد الكازينوهات المطلة على النيــل مساء أحد أيام الصيف الجميلة هــو ومرفت جالسين وجها لوجه الى مائدة متطـرفة فى الكازينو ·· كان كل شىء كفيلا بجعله أسعد انسان فى العالم الهواء البارد القادم عبر المياه اللامعة المتدفقة تحت الكوبرى القريب من الكازينو والذى تندفق فـوقه آلاف السيارات باضواءها الخاطفة والموسيقى التى لايدرى من أين تاتى والتى يسمعها هو وحده والعيون التى ترمقه بحسد لأنه يجلس مع أجمل فتاة فى الكازينو لكنه على العكس من ذلك كان حزينا يشعر بتعاسة غامرة تزحف على قلبــه وهــو يفكر بانه من الممكن أن يفقد كل شىء عندما يصارح الفتــاة الجالسة أمامه بالحقيقة التى لم يعد قادرا على كتمانها عليها أكثر من ذلك حقيقته كرجل ·

كان يعصر ذهنه محاولا ايجاد طريقة تسبب أقل قدر من الضرر والشعور بالحرج ليفاتحها بما جاء من أجله وما جاء من أجله لن يسبب لها حزنا أقل من الحزن الموجود فى قلبه ·· كان يتوقع عندما يصارحها بالحقيقة أن تكرهه وتهرب من وجهه لأنه أضاع عليها ثلاث سنوات من عمرها دون جدوى ·· ونظر الى السماء كأنه يبحــث عن حل فى تلك الرقعة الشاسعة من الظلام الدامس التى أحس بانها توشك أن تنقض فوق رأسه ثم راح ينظر الى عينى حبيبته يملؤهما الحنان والحب ودرجات غير محدودة من التفاؤل ··

عندما يصــارحها بمأســاته ســتتجمد هــاتــان العينان فجــأة كأنهمــا لتمثال من الحجر ستلعنه من أعمــاقها ·· سيهرب من أمامها لأنه لا يســتطيع احتمــالنظرة الاحتقار فى عينيها ·· وأمسك بيدها فى قلق محاولا أن يركز أكبر قدر من الحنان فى عينيه وهو ينظر بهما اليها ··· برودة غريبة سرت فى أصابعه وهى تنظر اليه بعينيها المتساءلة ·

قال محاولا أن يبدد القلق الذى استولى عليه مرفت أنك لا تبدين طبيعية اليوم ·· هل حدث شيء تودين مصارحتى به ·· سحبت يدها الباردة من يده فى جفاء ملامحها الجميلة تجهمت فجاة بطريقة تنذر بالخطر ·· بان الحلم الجميل الذى عاشه معها يوشك أن يتبدد بين لحظة وأخرى ·· قالت بلهجة لم يتعودها منها فيها شيء من الجفاء والعصبية عادل هل أنت على استعـداد لكى تثبت لى حبك بطريقة لاتدع مجالا للشك فى نفسى قال عادل بحماس وهو يحاول أن يحتوى يدها بين أصابعه من جديد بالطبع ياحبيبتى أى شيء تطلبينه ·

قالت على الفور وهى تقتحمه بعينيها عادل أريدك أن تتزوجنى حالا ·· أريدك أن تتقدم الى والدى طالبا يدى منه ·
قال عادل بطريقة لاشعورية عبرت عن احساسه الشديد بالمفاجاة ماذا تقولين ياحبيبتى أتزوجك اليوم أن هـذا مستحيل ·· قالت مرفت بعصبية وهى تسحب يدها المثلجة من يده ·· أن رجلا تقدم الى أبى يطلب يدى منه وهو ووالدتى يلحان على بالموافقة وأنا لا أستطيع أن أؤجل الموضوع أكثر من اللازم عادل أرجوك اذا كنت ما تزال تريدنى تقدم الى والدى وأطلب يدى منه ·· أن هذا هو الحل الوحيد لابعاد تلك الكارثة ··

لكن يامرفت ··

·· نظـرت اليـه باستنكـار ·· لكـن ماذا ·· كنت أظنك لن تتردد لحـظة واحـدة فى موافقتى على مـا أقـول ·· وصمتت برهة ثم عادت تقول بحماس عادل هل تدرك ماذا سيحدث اذا لم تتقدم لطلب يدى من أبى رجل آخر سيخطفنى منك الى الأبد ·· قال عادل بلهجة حنونة مرفت أرجوكى لاتظنى لحظة واحدة أننى أتردد فى طلب يدك لأننى لا أحبك فانا أعتقد انك مقتنعة تماما أننى لم أحب انسانة سواك لكن :

قالت بلهفة لكن ماذا يا عادل ما الذى يمنعك من الزواج بى ·· أرجوك لابد أن تصارحنى بالحقيقة أن من حقى أن أعرف ··

قال عادل وهو ينظر الى عينيها ساكبا فيهما كل الحنان الذى يشعر به تجاهها ثقى بى عندما أقول لك أننى أحبك أكثر من أى شىء آخر فى العالم وأننى لن أتخلى عنك أبدا مهما حدث لكنى لاأستطيع الزواج بك الآن ··

قالت مرفت بحدة عادل لاتراوغنى قل لى بصراحة ما الذى يمنعك من الزواج بى ·

نظر اليها عادل وألم عميق يطل من عينيه وقال والحزن يغلف كلماته لا أستطيع كل ما بمقدورى أن أقدمه لك الآن هو حب بلا حدود ولكنى لن أستطيع أن أتزوجك ·· أرتاعت مرفت لقول عادل الصريح المؤلم الذى بدا لها نوعا من الصدمة غير المتوقعة حقيقـة هما لم يتناقشا فى موضوع الزواج من قبل لكنه بالنسبة لها كان دائما النهاية الطبيعية لعلاقة حب استمرت أكثر من ثلاث سنوات ·

قالت ونظراتها تلمع بكراهية عميقة اذن كنت تخدعنى طول الوقت تركتنى أتوهم أنك ستتزوجنى بينما لم يكن هذا فى نيتك على الاطلاق ·· قال عادل بحماس صدقينى يامرفت أننى لم أخدعك لقد كنتأحبك والحببالنسبة لى ليسله بداية أو نهاية أو هدفحتى الزواج نفسه أنه حالة رائعة ينبغى أن تستمر فى معيشتها طالما نحن أحياء لقد تصورت الحب على أنه فناء تام بينى وبينك ولم أتصوره طريقا يوصلنا الى الزواج ·· حاولى أن تفهمينى يا مرفت أرجوكى ·· قالت فى شبه انفجار عادل لا تراوغنى ·· كل هذه السنوات كانت بلا ثمن وتدعى أنك تحبنى ·· قال عادل من أعماقه أننى أحبك يامرفت وسأظل أحبك الى الأبد لكنى لن أتزوجك ·· لا أستطيع ·· قالت

ووجهها مليء بالدهشة والعجز عن فهم موقفه الغريب لماذا ياعادل اذكر لى سببا واحدا يمنعك من الزواج بى ·· أنه من حقى أن أعرف · ساد صمت ثقيل بينهما حاول عادل خلاله أن يجد طريقة أقل ايلاما له ولها ربما أقل حرجا كى ينقل اليها مشاعره الحقيقية دون أن يبدو صغيرا فى نظرها ·· دون أن يهين رجولته ·· وبصوت حزين نابع من قلبه قال لها دعينى أوجه لك سؤالا لا تظنى لحظة واحـدة أنه محاولة من جانبى للهروب أو المراوغة ·· لكنه مدخل لما أريد أن أقوله لك وحتى لا تصيبك صدمة تجعلك تلعنيننى لأنني غررت بك طوال السنوات التى عرفتك فيها ·· مرفت أريد أن أعرف لماذا أحببتنى على وجه الدقة أعنى ما هو الشيء أو الصفة التى أحببتنى من أجلها ·· هل أحببتنى مثلا لأننى وسيم ·· غنى مثقف طيب ·· لماذا يامرفت ·· قالت مرفت والدهشة تملأ عينيها ولماذا تريد أن تعرف لماذا أحببتك لماذا لا تكتفى بأننى أحببتك فحسب ·

قال بحلم شديد حتى لا يفقدها البقية الباقيـة من أعصابها المتوترة حسن دعينى أضع السؤال بصيغة أخرى لنفرض أن شيئا هاما ينقصنى شيئا جوهريا يجعل قيمتى أقل اذا لم يكن موجـودا عندى هل تظلين على حبك لى رغم ذلك ··

قالت بغضب شديد عادل لماذا تلجأ دائما للالغاز لماذا لا تقول ماتريده بصراحة ووضوح ·· قال عادل بهدوء أرجوكى يامرفت لاتغضبى وحاولى أن تجيبى على سؤالى لأن الاجابة يتوقف عليها كل شيء ·

قالت وهى تمسك أعصابها بصعوبة شديدة لابد أولا أن أعرف ماهية ذلك الشيء قبل أن أجيبك على سؤالك ·· قال عادل بحزن وهو يبعد بصره عن عينيها ·· أنه أثمن ما يمتلكه الرجل ·· قالت وهى

تركز بصرها فى عينيه ما زلت لا أفهم شيئا ·· قال عادل بهدوء سأحاول أن أقرب الصورة من ذهنك ·· كانت أمامهما على المائدة آنية صغيرة من الصفيح بها مجموعة من الورود الجميلة الخالية من الرائحة ·· قطف واحدة منها وقربها ببطىء من أنفه وقال بأسى عميق أننى مثل هذه الوردة الجميلة يا مرفت بلا رائحة ·

خيم عليهما صمت ثقيل تجمدت خلاله حواسهما تماما وقد بدأ من نظرات عينيها وهى تصوبهما اليه أنها فهمت ما يعنيه ·· وفجأة تدفقت هذه المشاعر بصورة حادة كأنها طوفان يكتسح كل شىء مشاعر من الخجل المتبادل والاحساس العميق بالحزن وقدر غير محدود من الارتباك ·

ومد عادل يده المرتعشة ليمسك يدها وذلك ليستمد منها شيئا من القوة يجابه بها ربكته الداخلية الفظيعة ·· ولم تسحب منه يدها كما فعلت فى المرات السابقة تركتها له خالية من الدماء والحياة ·· يد محنطة بها أثر من ثلج المشرحة ·· عيناها فيهما عمق المأساة التى يعيشانها ·· تعاسة بلا حدود لكن ليس فيهما الحنان أو الفهم اللذين كان يتوقع أن يجدهما فيهما ·· عينان زجاجيتان تحول فيهما الدفىء الى ثلج والحب الى موت ·· وترك أصابعها الميتة تنزلق من بين أصابعه وهو يحس أنه خسرها الى الأبد ·· خسر هذه الانسانة الدنيوية الجميلة كملايين الناس فى هذا العالم ·

★ ★ ★

افترقا على أمل أن يلتقيا فى موعد تحدده الظروف وكانا واثقين أن ذلك الموعد لن يتأخر طويلا فهما يسكنان فى نفس الشارع ويخرجان الى العمل فى نفس الوقت ويسيران فى نفس الطريق ·· وسرعان

ماجمعتهما الصدفة فى منزل عادل ذات يوم اذ كان مدحت يريد أن يلقاها بفروغ صبر وتوقع أن يجدها هناك فهى كثيرا ما تذهب لتجلس مع والدة عادل يشاهدان التليفزيون ٠٠ أو يستمعان الى الراديو وحاول مدحت ان يقنع نفسه وهو متوجه الى منزل عادل أنه ذاهب اليه ليخبره بما تم فى أمر الأجازة لكنه كان يعلم تماما أنه ذاهب لرؤيتها هى ٠٠ رؤية مديحة أما هى فكان لديها احساس غامض مثير وهى متوجهة الى منزل عادل ذلك اليوم أنها ستلقاه هناك خاصة وتلك الجملة العابرة التى قالتها لها زميلتها فى المدرسة تسيطر على عقلها الباطن مثيرة كل أحلام الفتاة المكبوتة فى داخلها ٠٠ أنه يصلح زوجا لك ولا ينبغى أن تضيعى هذه الفرصة من يدك ٠٠ لكنها ربما تحت ضغط كرامتها الانثوية المترسبة فى أعماقها تحت الحاح الفكرة الشائعة بأن المرأة لا ينبغى أن تطلب بل تطلب كانت تحاول أن تطرد ذلك الخاطر الملح من عقلهاالباطن محلة خاطرا آخر بدلا منه هى أنها تريد فقط أن تراه لأنها ارتاحت اليه ولأنه قريب من تفكيرها أكثر من أى انسان آخر ٠٠ لكن عقلها الواعى كان يسخر من هذه المحاولة الساذجة من جانب عقلها الباطن وكان الصراع بين الاثنين يثير فى نفسها حالة من السرور الخفى المدهش ٠

وتقابلا فى المساء وجلسا متجاورين بالقــرب من الأم التى كانت مشغولة بمشاهدة التليفزيون وانتهزا الفرصة وتبادلا بضع نظرات من وراء ظهرها ٠٠ نظرات تعكس لهفة كل منهما على رؤية الآخر ورغبته الشديدة فى توثيق العلاقة الوليدة بينهما ٠

ونظرت اليه مديحة بدهشة واعجاب اذ كان حريصا على أن يبدو أنيقا ذلك اليوم تفوح منه رائحة كولونيا غالية الثمن ٠٠ ابتسمت وهىتقوللنفسها لا ريبأنه أعد نفسه خصيصا لهذه المناسبة وأحست بقلبها يمتلىء بالسعادة ٠ أما هىفكالت ترتدىفستانا أنيقا وتضع

فوق وجهها المتوسط الجمال طبقة من المكياج جعلته يبدو متألقا نضرا بطريقة جذبته بشدة اليها وجعلته يقع على اكتشاف مثير · اكتشاف الانثى فى مديحة فلأول مرة يحس أنها ليست مجرد فتاة عاقلة مثقفة يتآلف معها عقليا بل هى ايضا أنثى مغرية يمكن أن يحبها بقلبه وغريزته ودق قلبه بعنف شديد وهو يتأمل وجهها الجديد المغرى كثمرة ناضجة وأحس بصخور ثقيلة تتحرك فى داخله وهو يفكر بأن فى مقدوره الاستمتاع بكل هذه الفتنة ذات يوم عندما تصبح ملكا له ·
وقامت مديحة فصبت أقداح الشاى ببساطة أسرته ·· أعدت أولا فنجانا للأم ثم التفتت اليه تسأله عن عدد قطع السكر التى يريدها وأخبرها بالعدد وقد راح يفكر بأنهما اذا اجتمعا ذات يوم تحت سقف واحد فستفعل له ذلك كل صباح · ستفعل له كل أشياءه الروتينية البغيضة التى يقوم بها كواجب ثقيل مفروض عليه وبطريقة تؤكد احساسه الشديد بالوحدة وبخواء حياته وتفاهتها ·· وابتسم فى سعادة وهو يقول لنفسه أنه حتى لن يأخذ حماما منفردا على الاطلاق ، ستكون مديحة دائما الى جواره تدلك له ظهره وتصرخ معه فى مرح وهما واقفين تحت مياه الدش الباردة وقد غطا الصابون المنزلق جسميهما العاريين بينما امتدت أناملها الرقيقة لتداعب جلده فى مرح وسعادة ·

وأحس بقلبه يمتلىء بشعور دافىء جعله يشعر لأول مرة أن الحياة يمكن أن تكون سعيدة وأنها تستحق أن تعاش بشكل أو بآخر وأدرك أن مايشعر به الآن هو الحب ·· هو الانتماء لشخص آخر ومشاركته كل تفاصيل الحياة الدقيقة · اذابة السكر فى فنجان شاى حبيبك ·· وضع فرشاة الأسنان والمعجون حيث يتوقع شريكك فى الحياة أن يجدهما ·· سماع اسطوانة موسيقى بأذن واحدة قراءة كتاب بعين واحدة · صيد كل الاشياء الصغيرة بشبكة واحدة ·
قالت له مديحة وهى تقتحمه بعينيها بينما ابتسامة خفيفة مرتسمة

على شفتيها قرأت قصتك انها جميلة ومثيرة للاهتمام · وصمتت برهة ثم قالت بعينين ضاحكتين أعتقد أنك ستحقق نجاحا كبيرا في المستقبل · تألق وجهه بسعادة غامرة وهو يستمع الى كلماتها · أضافت قائلة وهى تبتسم بطريقة غريبة بطلها يشبهك تماما ·· أرجوا أن تكون مجرد صدفة فأنا معترضة بشدة على التشاؤم الموجود بها ·· نظر اليها بتحفز وقال معترضا اسمحى لى اولا ان اوضح لك وجهة نظرى فى هذا الموضوع ·· فى العمل الفنى لايوجد ما يمكن ان نسميه تفاؤلا أو تشاؤما بصفة مطلقة ان مايعبر عنه الكاتب هو احساسه الشخصى بظاهرة قد يراها أنسان آخر فى صورة مختلفة تماما ولا بد اولا ان نتفق على حقيقة مؤكدة بصدد الظواهر المختلفة لنقرر بعد ذلك مبدأ التشاؤم والتفاؤل المهم دائما أن يكون الكاتب صادقا مع نفسه فلا يزيف مشاعره ·

وصمت برهة ثم أردف قائلا ووجهه ممتلىء بالامتعـــــاض اننى أكره الكاتب الذى يخترع دنيا لا وجود لها ليرضى قراءه ـ انه يشبه السياسى الذى يقول كلاما مزيفا ليرضى ناخبيه · قالت ضاحكة لتخفف من التوتر الذى ساد المناقشة حسن ليكن ما تقوله صحيحا

لكن لماذا جعلت بطلك متشائما طول الوقت ألم يكن فى مقدورك أن تجعله سعيدا بعض الشىء ضحك قائلا أولا أنا لم أجعله متشائما لكن الظروف هى التى جعلته واعتقد ان هذا يعفينى من المسؤلية اليس كذلك وصمت برهة ثم اردف قائلا انظرى من حولك اليس من المألوف ان تجدى انسانا يشعر بتعاسة طوال الوقت ولا يقلل من احساسه بالتعاسة بضع ضحكات يطلقها بين الحين والآخر ليس من المفروض حينئذ أن أزيف مشاعره بل أن أبررها ·

وصمت من جديد قبل أن يقول والحزن يطل بعمق من عينيه هل تتصورين أن فى هذا العالم اناسا لم يعرفوا الحب طول حياتهم · أناسا عاشوا برودة الجحيم لأنهم لم يتلاقوا مع الآخـرين · أني أكتب عن هؤلاء الناس لانني واحد منهم · قالت بمرح لتخرجـه من دوامة الحزن التى تدور به ولماذا ايها المؤلف القاسى القلب لم تجعل له امرأة تشاركه مشوار حياته الا تعلم ان نصف سكان العالم من النساء · قال ضاحكا انك تصرين على انه فى مقدرى ان افعل المستحيل ان اعطى الحب لمن خلت حياتهم من الحب وان اعطى الثروة لفقراء العالم وتعساءه وهذا ليس فى مقدورى بالتأكيد ·· اننى لست الها ياعزيزتى لكنى كاتب يصور الحياة كما هى ولو كان فى مقدرى ان اعطى بطل قصتى الحب على الورق لكان فى استطاعته هو ان يحصل على الحب فى الواقع لكن هذا مستحيل بكل تأكيد ·

وصمت برهة ثم اردف قائلا هل تعرفين ان اقناع امرأة واحدة من نصف سكان العالم كما تقولين بحب بطل قصتى قد يكون أصعب من نقل جبل من مكانه · ان هناك اناسا لا يحبهم الآخرون وهذه هى الحقيقة التى ينبغى ان نعترف بها ببساطة ولا اقول نرضى بها · قالت ضاحكة وهى تضع يدها فوق كتفه بطريقة عفوية وان كانت قد أحدثت فيه نوعا من الصدمة الكهربائية حسن يمكنك عندما تنفرد ببطلك هذا المساء أن تقول له دع التشاؤم وابدأ الحياة ـ قل له أن يفتح عينيه جيدا فيما حوله فربما وجد امرأة بالقرب منه تحبه وتفهم مشاكله ·

ونظر مدحت الى عينيها ومن الشعاع العميق المطل منهما أدرك أنها تعنيه هو بهذا الكلام واحس كأن زلزالا يهزه من الداخل · مشاعره كلها هفت للمرأة التى منحت له باب الأمل للمرة الأولى فى

حياته · قال لها بلهجة ذات مغزى وهو يتشرب الحنان المنبعث من عينيها أحقا يمكنني ان اقول له ذلك أعني هل هذا وعد منك ؟ ضحكت قائلة وهي تبادله نفس النظرات الحنونة نعم هذا وعد مني على شرط أن يكف عن التشاؤم وينظر الى الحياة بطريقة متفائلة ثم ناولته مظروفا كانت تمسكه في يدها وهي تقول له بمرح وانا ايضا لدي شيء أريد أن أعطيك اياه · انه قصيدتي الجديدة ارجو أن تخبرني برأيك فيها في المرة القادمة · قال وهو ينظر الى عينيها بعمق ومن ادرلكي انك ستجديني هنا ؟ هل كنت تتوقعين حقا ان تجديني لذلك احضرت معك القصيدة · قالت وقد احمرت وجنتاها وانخفضت اهدابها الى الارض · كنت ارجو ان اراك ، فأنت الذي قلت لي انك تأتي كثيرا لزيارة عادل · واحس بسعادة غامرة تملأ قلبه فقد تأكد له ان هذه الفتاة الغريبة قد بدأت تبادله نفس مشاعره ·

ودخل عادل بعد قليل يرتدي فانلة ملونة من الصوف تظهر تكوين جسمه البديع ومن فتحتها يظهر دغل من الشعر الاصفر الغزير جعله يبدو أكثر رجولة وجمالا وكان يرتدي بنطلونا من الجينز الازرق الضيق وينتعل خفا من خيوط مجدولة بيضاء تعود أن يرتديه في المنزل وكانت تفوح منه رائحة الاولدسبايس كولونياه المفضلة اما شعر رأسه الاشقر الغزير فكان مصففا بعناية وقد بدأ مبلولا بعض الشيء في الوقت الذي بدت فيه بشرته البيضاء التي لوحتها الشمس محمرة قليلا وشفافة بطريقة اعطته جاذبية لا تقاوم · ابتسم وهو ينظر في سعادة الى صديقيه الجالسين في انسجام تام الى جوار بعضهما البعض وقد أدرك أن العلاقة بينهما تتطور بسرعة ·

وعندما ابصرته مديحة واقفا امامها بقامته الفارعة الجميلة وقد انعكست على وجهه الوسيم اشعة الشمس الغاربة حتى احست بمقاومتها له تتلاشى · وودت لو تقوم فتحتويه بين ذراعيها وتفنى

فيه تماما كان الاله الجميل الذى تعبده ولا تملك الفرصة كى تعبر له عن مشاعرها الحقيقية نحوه · وعراها اضطراب ملحوظ وعادل ينظر اليها بعينيه ويبتسم لكنها تمالكت نفسها بسرعة حتى لايلاحظ مدحت شعورها الحقيقى نحو عادل فيخطىء فى فهمه ـ كانت تدرك ان مدحت الحساس لن يقبل اى جرح لمشاعره وكانت تواقة الى اعطاء العلاقة الوليدة بينهما كل فرصة للبقاء والتطور وبدأت تفكر بطريقة تجعلها تنسى حبها الميئوس لعادل وتقترب أكثر من مدحت ·

أن مدحت رغم الجانب المحروق من وجهه ليس منفرا جدا ثم أن عينيه تبدوان جميلتين مليئتين بالصدق عندما تتألقان وهو ينظر بهما اليها · انه نوع من التحدى يجب ان تقبله وقال عادل لمدحت هل لى ان اراك فى حجرتى لبضع دقائق عن اذنك يامديحة ·وفى الحجرة تبادلا حوارا عن العمل وعن شعور الموظفين العدائى لعادل الذى قال فى نهاية الحوار بينه وبين مدحت انه لا ينوى التراجع بل سيمضى فى الشوط الى نهايته · ووضع مدحت يده برفق على كتف عادل وهو يقول له وانا معك ياعادل بكل ما أملك من قوة · وادرك عادل من تألق عينى مدحت انه يحس بالسعادة فقال له وهو يبتسم ارى انك ومديحة قد أصبحتما صديقين حميمين اليس كذلك ؟ قال مدحت بسعادة لم يستطع ان يخفيها نعم اعتقد انه يمكنك ان تقول ذلك ··

هل تعرف ياعادل فى كل يوم أكتشف فى مديحة جديد يقربنى اليها يكفى انها الانسانة الوحيدة التى لم تنفر منى والتى عاملتنى كأنسان له مشاعر وقلب · ووضع عادل يده بحنان بالغ على كتف صديقه وقال له مدحت لا تضيع هذه الفرصة من يدك ان مديحة هى الفتاة المناسبة لك · ابتسم مدحت وهو يقول لعادل بحماس شديد

صدقني يا عادل أنني لا أنوى أن أضيع هذه الفرصة على الاطلاق · وتبادل الصديقان ابتسامة أكدت لهما انهما يتشاركان فى نفس الشعور ·



كان عادل منهمكا فى العمل فى احدى اللوحات عندما سمع طرقات على باب المرسم فقام ليفتح الباب وهناك وجد الموديل الجميلة التى كان يتوقع حضورها بين لحظة واخرى واقفة بقوامها الفارع الذى يتفجر انوثة وقد راحت تنظر اليه بعينين لامعتين بطريقة غريبة فدعاها للدخول وهو يتوجس خيفة من تلك النظـرة المتوحشة فى عينيها والتى يعرف من تجاربه السابقة معها ما وراءها ·

كانت محاولاتها لاغرائه لا تكاد تتوقف وتلميحاتها واضحة تماما بالنسبة له لكنه كان يعرف دائما كيف يوقفها فى الوقت المناسب قبل ان تصل الى حد لا يريد لها ان تصل اليه · اما اليوم فيبدوا له من نظرات المرأة الجريئة اليه انها جاءت وفى نيتها ان تسفر له عن رغبتها الحقيقية دون ادنى محاولة للتمويه · كانت المرأة فى قمة الاثارة وهو يرمقها بعينيه فى خوف واعجاب جسمها الفارع الطول النبيذى البشرة موضوع داخل رداء ضيق من قطعتين جعل كل ثنية فيه تنفجر بأنوثة لا تقاوم · صدرها النـــافر الذى طالما رآه طليقا فى المرات العديدة التى وقفت فيها أمامه عارية كما ولدتهـا امها محبوس داخل الثوب الضيق بطريقة تؤكد المجهود الضخـم الذى بذلته المرأة لتضعه فى مكانه ·

واحس عادل بتعاسة غامرة وهو يرمق من طرف خفى كل هذه الانوثة المتفجرة التى جاءت لاغرائه دون ان يكون فى مقدوره الاستجابة لها · لقد حاولت المرأة ان تغريه اكثر من مرة وفي كل

مرة كـان يهرب منها دون ان يكون فى مقدورهـا ان تعرف سر تصرفه الغريب . ان الامر بالنسبة للآخرين الذين تجردت امامهم من ثيابها كان سهلا وتقليديا بطريقة عافتها نفسها .

كان الامر دائما يبدأ بالرسم وينتهى بالفراش أما هذا المخلوق الباهر الغريب فقد شذ عن هذه القاعدة . انه يبدو لها دائما باردا صلبا كتمثال من الثلج لم تفلح كل النيران التى فتحتها عليه فى ان تذيب برودته انه لم يحاول مرة واحدة ان يفعل ما يفعله اى رجل آخر فى مكانه ببساطة شديدة كانه يمارس حقا من حقوقه .. لم يحاول ان يضم جسمها العارى بين ذراعيه او يقبلها بنهم فى شفتيها المتطلعتين بشهوة لعناق شفتيه .

لم يحاول أن يتأمل بشهوة الرجل الجائع جسمها العـارى الواقف امامه فوق منصة الرسم . كان هذا التصرف من جانبه يبدو لها غريبا مثيرا للشكوك من انسان اجتمعت فيه كل وسامة الرجولة وبهاءها . واليوم جاءت المرأة لتسلم له نفسها بطريقة لا تحتمل الشك . جاءت وفى نيتها أن تعرف سره الغريب مهما كلفهـا ذلك من امر .

وكانت المرأة واثقة من قدرتها بعد ان تذيب الثلوج التى يحيط نفسه بها أن تصل الى الرجل المختفى فى داخله ذلك الرجل الذى يبهرها ويحرك حواسها الى درجة التفريط فى كرامتها كأمرأة تقوم هى بالخطوة الاولى .. تعرض عليه نفسها فى وضوح تام بل وبالحاح اذا اقتضى الامر .

كان شعرها الاسود الفاحم طليقا فى موجات متدفقة وراء ظهرها . لامعا . مبللا بعض الشىء يفوح منه عطر نفـاذ كـان يصيب عادل دائما باحساس عميق بالنشـوة .. قالت وهى

تصوب عينيها فى اغراء ناحية عينيه تأخرت بسبب المواصـــلات خمس دقائق كاملة ارجو ان تغفر لى ٠

ثم اتجهت الى اريكة فى وسط المرسم وجلست فوقها واضعة ساقا فوق اخرى وبحركة متعمدة رفعت ردائها قليلا الى اعلى لتظهر فخذيها الناعمين الممتلئين ٠ ولاحظت بسرور وحشى كيف اربكت هذه الحركة من جانبها عادل الذى نحى عينيه بعيدا عنها فى ذعر واحست بان فى مقدورها ان تسحق مقاومته العنيدة اذا ما استمرت على هذا الهجوم العنيف من جانبها ٠

ابتسمت وهى تحدجه بعينيها الناريتين فى الوقت الـــذى امتدت فيه يدها لتزيح شعرها الى الوراء بحركة اغراء مثيرة ٠ كانت أشبه بقطة جائعة تناور ببراعه لادخال فريستها الصـــغيرة ٠٠فأرها الخائف المضطرب بين انيابها تمهيدا لالتهامه ٠

قال عادل وهو يحاول ان يتجنب نظراتها الوقحة المصوبة اليه اعتقد انه يحسن بنا ان نمارس العمل على الفور حتى يتسنى لك العودة الى المنزل قبل أن يتأخر الوقت ٠ حدجته بنظرة مغرية وهى تقول له بصوت ناعم ممطوط اطمئن من هذه الناحية فزوجى مسافر ويمكننى أن أمكث معك ضعف الوقت الذى أقضيه فى كل مرة ثم ربتت على الاريكة وهى تقول له بأغراء شديد لماذالا تأتى وتجلس الى جوارى ان امامنا متسع من الوقت ٠

ظهر الضيق على وجه عادل وتردد فى الاستجابة الى دعوتها التى يعرف الهدف من وراءها ٠ قالت وهى تحتوى وســـــامته الشديدة بعينيها هل تعرف انك فعلا طراز غريب من الرجـــال لم اصادفه من قبل ٠ اننى لست ادرى ماذا افعل معك ٠

كل الرجال الذين عرفتهم كانوا هم الذين يبدأون الخطوة الاولى · كانوا هم الذين يريدونني اما انت فأنني لا افهمك · ولما وجدته صامتا لا يريد ان يتحرك قالت بضراعة ارجوك تعالى اجلس جانبى ولا تكن سخيفا ·

ثم ضحكت قائلة لا تخشى شيئا فأنني لن اعضك وجاء عادل متضررا وجلس فى احد طرفى الاريكة الواسعة · ضحكت وهى تقول له انك حقا طراز غريب من الرجال ما الذى تخشاه من الجلوس الى جوارى هيا اقترب ولا تخشى شيئا ·

واقترب منها عادل وهو يحس بخوف ينمو فى داخله خوف عميق لا مهرب منه وتنهدت المرأة وهى تهوى امام وجهها بيديها وقالت بأغراء شديد أف الدنيا حر ·· هل لديك مانع لو خلعت بلوزتى ودون ان تنتظر اجابته سارعت بخلع بلوزتها وجلست عارية الصدر والذراعين ·

ثم راحت تستعد لاذابة الثلوج التى تلف الرجل الجالس الى جوارها · كانت تتمنى لو ان فى مقدورها ان تضمه الى صدرها ·· تضع شفتيها المخضبتين بذلك الطلاء الصارخ فوق شفتيه الرقيقتين الباردتين كشفتى النساء وتقبله بنهم حتى ترتوى تماما · وراحت تتأمل وجهه الوسيم وبشرته الوردية الصافية التى لوحتها الشمس وعينيه الزرقاويتين المشعتين وشعره الاشقر المتهدل على جبينه واحست فجأة انها تكره زوجها ذلك الرجل الاسمر الممتلىء الجسم القصير كبرميل من الشحم ·

الرجل ذو الاصابع الغليظة كأصبع قفاز الملاكمة والذى لا يعرف شيئا سوى الاكل والنوم والجنس · اليوم وبالعمل الذى تنتويه ستنتقم منه وستشعر بلذة فى انتصارها الساحق عليه عندما

يحتوى جســـدها المتفجر بالرغبة ذلك الرجل البارد الجميل الذى تشتهيه كما لم تشتهى امرأة رجلا من قبل ·

قالت وهى ما تزال تتأمله بنظراتها الجائعة التى لا تشبع ابدا اعطنى سيجارة ارجوك فأنا اشعر بعصبية شديدة من هذا الحر الذى لا يطاق انظر الى جسمى أنه يتفصد بالعرق ·

وبينما كان عادل منحنيا عليها ليشعل لها الســيجارة قربت وجهها منه بحركة متعمدة بحيث احس بسخونة انفاسها تلفح وجهه وبعطرها النفاذ ·· يملا صدره ويصيبه بنوع من الدوار ·

قالت وهى تقتحمه بعينيها هل تعرف انك اول رسام خجول اقابله فى حياتى لكن ارجوك لا تبالغ فى هذا فأنا لا احب الرجال الخجولين وصمتت برهة ثم قالت ضاحكة ليتك تعرف ما الذى يفعله معى الرجال الآخرون انهم كالمراهقين الصغار يحـاولون فور ان يرونى ·· احيانا قبل ان نبدأ الرسم ان يجرونى الى الفراش اعتقد ان هذا جزء من عمل الموديل اليس كذلك ·

لكن صدقنى انا اقاومهم بشدة · احاول ان اشرح لهم اننى امرأة متزوجة واننى لا يمكن ان اخون زوجى دون جدوى ثم قالت وهى تضحك بخلاعة بينما يطل جوع لا نهائى من عينيها الشديدتا السواد واللتين تحيط بها ظلال كثيفة سوداء · هل تعرف انك خام جدا وانا يعجبنى الرجل الخام لاننى احـب دائمـا ان اكون المرأة الاولى فى حياته ثم تأوهت قائلة اف الحر هنا لا يطاق اليس لديك شىء مثلج لنشربه زجاجة بيرة او حتى كوكاكولا ·

قال عادل بلهجة جافه آسف ليس لدى شيء اقدمه لك · قالت وقد ظهرت على وجهها خيبة الأمل لابأس لدى فى حقيبتى زجاجة براندى صغيرة هيا احضر كأسين ودعنا نجهز عليها ·

قال عادل غاضبا تريدين ان تشربى هنا فى هذا المكان هل انت مجنونه · قالت تعاتبه هيا ولا تكن سخيفا ان كاسا واحدة لن تضرك او تضرنى · ثم اننى اعدك بأن اعوضك عن كل الـوقت الضائع بان اقف امامك لاى مدة تريدها · ثم طوحت بذراعيها الى الوراء وقالت وهى تتنهد آه اننى اليوم سعيدة جدا لسفر زوجى العزيز فلا تنغص على سعادتى ارجوك هيا احضر الكاسين ودعنا نشرب معا ·

وتوجه عادل الى منضدة صغيرة وعاد وهو يحمل فى يده كاسا واحدة اعطاها لها وهو يقول فى ضيق شديد ها هى الكاس التى اردتها يمكنك ان تشربى كما تشاءين اما انا فلن اشاركك الشراب قالت بعصبية وهى تتمنى ان تصفعه على وجهه حسن كمـا تريد يمكنك على الاقل ان تصب لى كاسا ·

وبعد ان تنـاولت الكأس من عـــادل راحـت ترشف منه بأستمتاع شديد وهى ترمق عادل بعينيها الجائعتين ثم اســتلقت بظهرها على مسند الاريكة فاردة ساقيها الى الامام بحيث انحسر الرداء الضيق عنهمـا فبدتا مكتنزتين ناعمتين بطريقة مثيرة اما شعرها الاسود الغزير فكـانت تحركه بين الحين والآخر بحركة عنيفة من رأسها اما صدرها الناضج شبه العارى فكـان يتمنى أصابع الرجل الذى تدغدغه وترطب حرارته الشديدة ·

كانت امرأة تطلب رجلا وكان الرجل الذى تشتهيه من أعماقها وتبذل اقصى مافى وسعها للحصول عليه يجلس باردا كجبل الثلج

على بعد سنتيمترات قليلة منها · لكن شيئا فى جبل الثلج بدأ يشتعل وهو يتعرض لكل تلك النيران المحمومة المسلطة عليه كانت امامه امرأة عارية · راغبة تشتعل بالشهوة ليس عليه سوى ان يمد اطراف اصابعه ليجدها بين ذراعيه لكن شيئا فى داخله كان يمنعه من ان يتصرف كرجل ·

شيئا اقوى من رغبته التى بدأت تتحرك فى عجز واضح جعل جبينه يتفصد بالعرق انه خوف كامن فى اعماقه من افتضاح امره امام المرأة التى تبدو له كحيوان جائع يريد افتراسه · شيئا يبرد حواســـه كأنه يصب فوقها ماءا باردا وفجأة خلعت المرأة فردتى حذائها وكانت ترتديهما بلا جورب ثم طوحت بهما فى الهواء وهى تحرك ساقيها الى اعلى فى حركة خليعه ثم قالت له بأغراء شديد وهى تحملق بعينيها الجائعتين فى وجهه ·

ان الجو يزداد حرارة طول الوقت اليس لديك مروحة فى هذا المكان قل لى ماذا تفعل عندما تشعر بحرارة الجو كلا لا تقل لى شيئا اما انا فأذهب الى الحمام وآخذ دشا باردا لكن هل تعرف ما الذى يحدث ان زوجى التعس يدخل الى الحمام ليفسد على متعة الدش البارد ··

وصمتت برهه ثم قالت وهى تضحك من اعماقها آه لو رأيت زوجى وهو يقف معى تحت الدش انه يشبه خنزيرا مترهلا · هل تتصور ان طوله مائة وستون سنتيمترا فقط وكلها مليئة بالشحم· ثم وضعت ذراعها العارى خلف ظهر عادل وحدجته بواحدة من نظرات الانثى الراغبة التى تزلزل اعماقه واحس عادل بالخوف من المرأة يسيطر تماما على حواسه خوف جعل عينيه تتحولان الى زجاج وهو ينظر بهما اليها ··

ان ما تطلبه هذه المرأة الان ... ما يتوقع منه كرجل ليس في مقدوره ان يفعله . قالت له بأغراء شديد هيا اقترب مني ولا تخف وعندما رأته ما يزال مترددا قالت له بغضب شديد ماذا دهاك ايها الرجل هل انت طفل صغير لابد من دعوته كل دقيقة ليفعل شيئا من المفروض ان يفعله من تلقاء نفسه .

واحس عادل انها طعنته في رجولته وهذا الاحساس هو الذي جعله يقترب منها .. يقترب في حذر وخوف وامتعاض وعندما اصبح ملتصقا بها مدت يدها المحمومة وراحت تمسح شعر رأسه الناعم الغزير في نشوة جالمة وقد أغمضت عينيها وتحولت الى مشاعر مطلقة . ثم قالت له بصوت امرأة راغبة . انس للحظة انك رسام وانني موديل ..تذكر فقط انك رجل وانني امرأة وانا نجلس وحدنا في هذا المكان الشاعري الا يوحي لك ذلك بشيء معين. ثم وضعت الكاس على الارض وقد احست انها لم تعد قادرة على المقاومة او التظاهر اكثر من ذلك بانه من المفروض ان يقوم هو بالخطوة الاولى .

كان عليها ان تكشف له بوضوح عما تريده منه . اقتربت منه بجسمها العاري المتفجر بالرغبة والذي غطته طبقة من العرق اعطته جاذبية مروعة ثم مالت على وجهه بشفتيها ولفحت انفاسها المخمورة وجهه الوسيم .. فأحس بالامتعاض وتلك الرائحة الغريبة تنفذ الى خياشيمه . وفجأة وجد ذراعيها تلتفان حول رقبته ثم شفتيها تلتصقان بشفتيه ثم المرأة تحاول ان تأكل شفتيه بكل الرغبة المجنونة التي تفجرت في داخلها .

كانت تضمه الى صدرها بجنون حتى تكاد تزهق انفاسه بينما مضت شفتاها تبحثان عن اماكن جديدة لتقبلها في كل مرة

وكان على عادل ان يحسم الامر الذى لم يعد يحتمل المراوغة فهو اما ان يستجيب لها وهو ما ليس فى مقدوره ان يفعله او ان ينفلت من بين ذراعيها مهما كان عمق الطعنة الموجهة الى رجولته وقرر عادل ان يختار الحل الثانى . بهدوء ولكن بتصميم ابعد ذراعيها الملتفين حول رقبته ثم قال لها بتوسل ارجوكى دعينا من هذا السخف فأنت هنا لارسمك فقط لا لأى شىء آخر .

هيا اذهبى وراء الساتر واخلعى بقية ملابسك ثم اصعدى الى المنصة لنبدأ العمل . حدجته المرأة المجروحة بنظرة حاولت بها أن تسبر غوره ، أن تفهم سر ذلك الكائن الجليدى الجميل الذى لم تصادف مثله من قبل وارتسمت على شفتيها ابتسامة تحدى وهى تقول له بنبرة غامضة حسن مادمت تريد ذلك .

ثم توجهت خلف الساتر ... وخلعت بقية ثيابها . واطمئنت الى انها قد تحولت الى قنبلة ستشعل الصلب البارد فى هيكل غريزته فيسلم على الفور ثم وضعت جسمها العارى المثير فى ذلك الروب الشفاف الذى تعودت ان ترتديه كلما وقفت امامه ليرسمها .

اليوم ستقدم له مفاجأة مثيرة . مشهدا يلهب اعصابه الباردة فقط عليه ان ينتظر ليرى . وصعدت بخطوات واثقة فوق المنصة الخشبية وقالت له وهى تتخذ وضعا مغريا تمرست عليه كثيرا هل يعجبك هذا الوضع . رد باقتضاب لاباس به ثم توجه الى لوحة الرسم البيضاء وامسك بالفرشاة ولوحة الالوان استعدادا لبدء العمل وفجاة وبينما هو ينظر اليها متأملا قبل ان يضع خطوطه على اللوحة اذا بالمرأة تسقط ذلك الثوب الشفاف الذى لم يكن يخفى

شيئا كثيرا فى الواقع لينزلق بإنسيابية غريبة من فوق جسمها الذى اصبح فجأة عاريا تماما امام عينيه المذهولتين ..

وبخطوات واثقة بطيئة نزلت المرأة من فوق المنصة ثم بدأت تقترب منه عارية كما ولدتها امها متفجرة بالرغبة .. لعوب.. مغرية كحواء الاولى عندما اغرت ادم على اقتراف الخطيئة الخالدة امرأة بأمكانها ان تغوى الشيطان نفسه وعندما اصبحت امامه لفت ذراعيها حول عنقه ثم الصقت شفتيها بشفتيه وراحت تمتصهما فى عنف جعل جسمه كله يرتعش .

جعل مقاومته تنهار تماما واحس عادل بخوفه الغريزى من المرأة يتلاشى ولا يفكر الا فى شيء واحد هو الاستجابة بنفس القوة للاغراء الموجه له . ضمها الى صدره بشهوة كادت تحطم ضلوعها ثم انقض بشفتيه الجائعتين فوق شفتيها يعتصرهما فى لذة محمومة بينما راحت يداه تعبثان بصدرها الناضج الذى اخذ يرتج بينهما .

كان كمن يريد ان يفنى فيها تماما يذوب بكل ضعفه وحرمانه وعذابه . قالت له المرأة فى دهشة واحساس حقيقى بالسعادة.. هيه .. هيه ان من يراك الآن لا يصدق انك نفس الشخص الذى كان يجلس كتمثال من الثلج منذ لحظات قليلة ..

ما الذى حدث لك .. اريد ان افهم ثم ضحكت قائلة ليس من الضرورى ان تشرح شيئا يكفى ان المعجزة قد حدثت . ثم جذبته من يده فى لهفة الى الاريكة ..

استلقت على ظهرها وجعلته يرقد فوقها ثم ضمته الى صدرها بشهوة وقد راحت تقبله بنهم فى شفتيه . ومر بعض الوقت وتوقعت ان يفعل مايفعله اى رجل آخر فى مكانه توقعت ان يبدأ بخلع ثيابه

لكنه لدهشتها لم يفعل ذلك بل لاحظت بخيبة امل واضحة ان اندفاعه المفاجىء الذى اثار دهشتها وفرحها بدأ يتراجع ٠

بدأت تلاحظ ان شفتيه اصبحتا اقل حرارة وان ذراعيه انزلقتا بعيدا عن جسمها ثم لاحظت نقاطا غزيرة من العرق تتصبب على جبينه وان نظراته اصبحت زائغة وفجأة وجدته يقوم من فوقها وهو يقول بصوت اقرب الى الصراخ كلا لا يمكنني ان امضى الى النهاية فى هذا العمل لا استطيع دعينا نعود مرة اخرى الى العمل ٠ وهنا لم تعد المرأة قادرة على احتماله اكثر من ذلك هبت واقفة على قدميها وجسمها كله يرتعش من الانفعال ثم صرخت فى وجهه قائلة ايها الوغد الملعون هل تظنني لعبة فى يدك تفعل بها ما تريد ٠

انني لا افهمك ماذا تريد مني على وجه التحديد ٠ صرخ فى وجهها قائلا انني لا اريد منك شيئا ٠ كل ما اريد ان اقوله هو انني لن أمضى فى هذا العمل الى النهاية ٠٠ لا أســـــتطيع هل تفهمين

نظرت اليه بعمق وقد بدأ معنى كلامه يصل الى فهمها ثم قالت بلهجة ساخرة لا تستطيع او لا تريد ٠ ظل صامتا بينما المرأة تحدق فيه بعينين تملؤهما الكراهية الشديدة وفجأة صرخت فى وجهه كالمجنونة اذن لماذا تركتني اتجشم كل هذا العناء معك ايها الوغد الملعون ؟ ثم حدجته بنظرة احتقار هائلة وهى تقول له كنت اظنك رجلا كالآخرين٠

أحس عادل بعمق الاهانة الموجهة له فصرخ فى وجهها قائلا اخرجي من هنا على الفور ولاتعودى أبدا هل تفهمين ؟ ٠٠ وبهدوء اتجهت المرأة الى خلف الســـــاتر لترتدى ثيـــابها وسمعها من هنـــاك تخاطبه قائلة فى لهجة مليئة بالحقد والتشفى ٠ لا تظن أننى أرثى لك أننى على العكس أشمئز منك ٠٠ يبدو أنك وقعت فى المرأة الخطأ فأى

امرأة أخرى ربما غفرت لك خطيئتك .. ربما أحست بالاشفاق عليك أما أنا فلا يمكنني أن أفعل ذلك أنني امرأة شهوانية تحب الرجل القوي الذي يشبع غريزتها .. الذي يقهرها لا الرجل الضعيف الذي تأخذ بيده أو تعاملة كطفل صغير .

ثم خرجت من وراء الساتر وقد ارتدت ملابسها واتجهت في صمت ناحية باب الخروج وقبل أن تفتح الباب التفتت اليه وقد ارتسمت فوق وجهها كل امارات الوقاحة والتحدي التي يمكن أن ترتسم فوق وجه لم يعرف الحياء في حياته وأصيب بصدمة لم يكن يتوقعها ثم قالت له بسخرية شديدة هل تعلم شيئا أيها التعس الشقي أنني ذاهبة الآن كي أعطي جسدي لزوجي القميء الذي أكرهه من أعماقي هل تعرف لماذا ؟ لأنني أفضله عليك لأنه رجل .

وضحكت بصوت خليع وهي تقول له .أنه على الأقل سيعرف ماذا يفعل به .. ثم فتحت الباب وخرجت وصفعته وراءها بعنف شديد .

★ ★ ★

كان ميعاد لقاءهما أمام محطة الأوتوبيس في الشارع العمومي في أصيل أحد أيام الربيع الدافئة .. تصافحا في لهفة واضحة لكنه لاحظ أنها مرتبكة بعض الشيء فضغط على يدها برفق بالغ ليبث في قلبها شيء من الشجاعة فابتسمت له بحنان فزاد من ضغط أصابعه على يدها وأبقاها لبعض الوقت قبل أن يفلتها من بين أصابعه وهو ينظر اليها بحب شديد .. سارا جنبا الى جنب في انتظار سيارة أجرة تعبر بهما وعندما احتواهما المقعد الخلفي لسيارة الأجرة كان ينمو في داخلهما شعور قوي يوحد بينهما هو أنهما لم يعودا غريبين منذ تلك اللحظة بل كائنين لهما طبيعة خاصة تميزهما عن الناس الذين لم يقعوا في الحب بعد .. الناس الذين لايخجلون

من الظهور بشخصياتهم الحقيقية بكل ما يعتورها من نقص أمام الآخرين ·

أما العشاق فانهم يصرون على الظهور فى أحسن حالاتهم أمام عيون محبيهم ·· أنهم يصرون على التحفظ واصطناع الرقة والمجاملة والبعد عن الصراحة ·

وتلاقى بصراهما فى نفس اللحظة التى أحس فيها كل منهما بهذا الشعور يتغلغل فى أعماقه وأحسا بالارتباك والخجل وتبادلا ابتسامات دافئة مشجعة ·· كان كل منهما يحاول أن يطل على نفس الآخر ليرى ما بها ·· وزاد من ارتباكهما أنهما لمحا سائق السيارة العجوز ينظر اليهما فى مرآة السيارة وهو يبتسم فى اشفاق كأنه يعلم بخبرته الطويلة ان هذا هو اول لقاء لهما وبرغم ما كان فى عينى السائق من تعاطف واضح الا أنهما أحسا بالخجل منهما اذ كانتا لاتخلوان من تطفل يشعرهما بشىء من الحــرج والارتباك لكنهما سرعان ما اطمئنا الى شعور الاخلاص فى عينى السائق الذى ربما كان يسترجع فى خياله ذكرياته الجميلة عندما كان فى مثل سنهما ·· فهدأت أعصابهما المتوترة وتبادلا بضع نظرات مشجعة ··

قال لها وهو يضغط يدها برفق بالغ ليبدد توترها وربما توتره هو أيضا ·· « أتيتى » فى ميعادك تماما بصراحة لم أكن أتوقع ذلك قالت فى دهشة ولماذا لم تكن تتوقع ذلك ؟ قال وهو يهز كتفيه لست أدرى أنه مجرد احساس ربما لأننى لست واثقا من نفسى ·· ربما لأنها المرة الأولى التى أقابل فيها فتاة خارج المنزل ·

قالت وهى تضحك فى خفوت حتى لا يلاحظها سائق السيارة العجوز أنا أيضا يتملكنى احساس غريب أننى لست أدرى كيف وافقت على مقابلتك خارج المنزل بهذه السهولة لا ريب أنك تملك سحرا خاصا

استعملته معى ·· قال وهو ينظر الى عينيها بعمق ساكبا فيهما كل الحنان الذى يشعر به فى داخله المسألة ليست مسألة سحر خاص أو شعوذة · ولكنها حاجة داخلية تستجيبين لها ··

لقد « أتيت » لمقابلتى لأنك أردتى ذلك ·· ولو لم تريدى مقابلتى لما كانت هناك قـوة على الأرض قادرة على اجبارك على ذلك ·· قالت بعد لحظة صمت وهى تنظر الى عينيه بعمق هل تعرف أنها المرة الأولى التى أخرج فيها لمقابلة انسان غريب ··

قال ضاحكا اسمحى لى أولا أن أحتج على وصفك لى بأننى انسان غريب ·· كنت أظن أننا أصبحنا صديقين ·· قالت بحماس بالتأكيد نحن صديقين لكن ما أعنيه أنك لست فردا من العائلة ·· قال وهو يضغط يدها برفق أعتقد أنه ينبغى علينا أن نفعل شيئا بخصوص ذلك وتبادلا نظرة طويلة دافئة ·· ثم قال وملامحه تنطق بجدية كاملة اسمعى أننا لا نتقابل لنعبث أو لنضيع وقتنا فى شىء مخجل لا أنا ولا أنت شخصياتنا تسمح بذلك أننا نتقابل لنقترب من بعضنا أكثر لنفهم بعضنا أفضل أليس هذا هو ما كان سيسمح به أهلك لو أننى تقدمت لخطبتك بصفة رسمية ··

نظرت اليه بعينيها موافقة فأردف قائلا اذن لا داعى للقلق أو لتأنيب الضمير ثم أنها لن تكون المرة الأخيرة التى نتقابل فيها وحدنا خارج المنزل ستكون هناك مرات عديدة اذا أردنا أن نفهم بعضنا حقيقة ·· ثم مال عليها هامسا حتى لايسمعه سائق السيارة العجوز الذى كان ينظر اليهما فى المرآة بين الحين والآخر وعيناه تلمعان بذلك الدفىء الذى يطل منهما والذى لاريب كان يرى فيهما زوجين من البشر لا يختلفان عن أى زوجين أركبهما معه فى سيارته ·

اثنان يعيشان قصة حب قد تختلف فى تفاصيلها عن غيرها من قصص الحب لكن لا ريب أن لها نفس الملامح الرئيسية للقصص القديمة . ومن أين يأتيان بالجديد . هكذا كان سائق السيارة العجوز يحدث نفسه وهو ينظر اليهما بشيء من الاشفاق والتعاطف واكتسبت ابتسامته ملامح سخرية خفيفة وهو يفكر بأن الفتى الذى يهمس فى اذن حبيبته يقول لها الكلمة الخالدة التى يقولها كل رجل لكل امرأة والتى تظن أنها اخترعت خصيصا من أجلها ... أحبك

وهـو يظن انه يخدعنى عندمـا يتصور أننى أظن أنهمـا يتكلمان فى مشكلة عائلية وهو لا يعلم أننى اقرأهما ككتاب مفتوح . وزادت ابتسامة سائق السـيارة العجوز اتساعا فى الوقت الذى قال فيه مدحت لمديحة بصوت خافت رقيق وهو يحتوى وجهها بعينيه هل تعرفين أنك تملكين أرق وأعذب ابتسامة رأيتها فى حياتى وخفق قلب مديحة بشدة وسيطرت عليها نشوة طاغية اذ كانت تسمع هذا الكلام لأول مرة فى حياتها من فم رجل يرغبها ويحبها .. هذا الكلام الذى يشبه قطرات من مطر تنزل على زهور طال جفافها فتعيد اليها نضارتها القديمة .

قالت وابتسامتها الواسعة تعكس فرحتها الداخلية العارمة أنك تقول هذا الكلام لأنك تعجب بى وترانى بمنظار خاص بك لكن لو قدر لك أن ترانى بعيون غريبة لوجدت أننى انسانة عادية تماما ولا أستطيع حتى أن أصف نفسى بأننى جميلة .

قال باقتناع حقيقى ولهذا السبب أحبك لأنك انسانة عادية تماما هل تعرفين لماذا ؟ لأننى أيضا انسان عادى تماما .

وصمت برهة ثم قال ضاحكا اسمعى هل تأكلين ثلاث وجبات يوميا وتذهبين الى الحمام كل صباح ؟ قالت بدهشة نعم لكن لماذا

قال لأننى لهـذا أحبك ٠٠ أننا لسنا مخلوقات خرافية تمارس عملا خارقا للعادة لكننا بشر عاديون يمارسون الحب كما يمارسه ملايين من البشر غيرهم ٠٠

أحست ببهجة تمـلأ قلبها نوع من التفاؤل الغريب بالمستقبل وهى تتأمل معنى كلماته البسيطة الواضحة التى تؤكد عمق تفكيره ونظرته السليمة الى الحياة وفجأة قالت ضاحكة وأنت هل تحلق ذقنك كل صباح وتنام سبع ساعات يوميا قال بدهشة نعم لكن لماذا ٠٠ قالت وهى تنظر الى عينيه وتبتسم بعينيها لأننى لهذا السبب أحبك ٠٠ وصلت سيارة الأجره الى الكازينو الذى يقصدانه على النيل ٠٠ سارا خلال الحديقة الطويلة التى امتلأت بموائد تعلوها أشجار ظليلة بها مصابيح عـديدة ملونة أضفت مع جو الغروب الرطب نوعا من الشاعرية على المكان وتقدم منهما الجرسون طالبا منهما أن يتبعاه الى تلك المائدة الخالية على النيل مباشرة والتى بدت لمدحت مكشوفة لعيون كل الجالسين فى الكازينو وطلب مدحت من مديحة أن تتريث قليلا ٠٠ قال لها هامسا حتى لايسمعه الجرسون وما الذى يدعونا الى الجلوس الى تلك المائدة المكشوفة لعيون كل الجالسين من حولنا هيا بنا نذهب الى احدى الموائد فى آخر الكازينو ٠٠ ونظرت اليه مديحة بعمق لعلها تدرك مايفكر فيه وفجأة احست بما يدور فى نفسه من مخاوف وبرغم احساسها العميق بالاشفاق عليه الا انها ابت الاستسلام لهذا الشعور وقررت أن تقسو عليه من أجل مصلحته فى نهاية الأمر ٠٠

نظرت اليه بصرامة وقالت بلهجة لا تحتمل المناقشة لكنى أفضل المائدة التى على النيل هيا بنا نذهب اليها وسار مدحت وراءها فى صمت وهو يحس بأن عشرات العيون الموجودة من حوله قد تركت كل شيء وراحت تتفرس فيه بدهشة شديدة فى ذلك الجانب المحروق

من وجهه الذى يمثل لعنته المؤبدة وبعد أن جلسا الى المائدة الصغيرة على النيل والأضواء تغمرهما وعينا مدحت تتحركان فى حذر بحثا عن العيون التى تتلصص من حوله أحست مديحة وهى تراقبه دون أن يدرى أن بينهما مسألة معلقة على جانب كبير من الأهمية ينبغى أن يوضع لها حل على الفور كى يبدآ علاقة سليمة وواضحة ·

قالت له بصوت حنون متفهم كنت أراقبك ونحن قادمين الى المائدة وأحسست من نظراتك انك خائف من الناس · نظر اليها غاضبا من صراحتها المطلقة التى اصابته بربكة مفاجئة فلم يدر بماذا يرد عليها ولو ان انسانة اخرى قالت له هذا الكلام لتركها على الفور ومرت لحظة صمت قال بعدها وهو يحاول ان يبعد عينيه عن عينيها نعم انا خائف من عيون الناس ولست خجلا من ذلك · قالت بحنان شديد ليس هناك داع لان تشعربالخجل ·

قال وقد بدأ يتخلص من ربكته المفاجئة ويشعر اكثر بقدرته على مجادلتها اذن انت تسلمين بأن هناك مشكلة ؟ قالت وهى تنظر الى عينيه بعمق شديد وهل تظن انك بأبتعادك عن عيون الناس تحل هذه المشكلة · قال بعصبية شديدة ماذا تريديننى ان افعل على وجه التجـديـد ضعى نفسـك فى مكـانى وقولى لى مـا هو الحـل ·· قالت وهى تمسـك يديه برفـق بالـغ ·· الحل هو ان تجابه المشكلة لا ان تهرب منها · ان تنظر الى عيون الناس بجرأة لا بخوف صدقنى ان الناس لا يحترمون الخائف او الضعيف قال وابتسامة ساخرة ترتسم على شفتيه واضح جدا انك بعيده تماما عن هذه المشكلة والواقع اننى لا اطلب منك ان تفهميننى تماما على الاقل ليس قبل مضى وقت طويل لكننى اطلب منك على الاقل ان تتعاطفى معى · قالت بحنان شديد ما اريده هو ان اساعدك على رؤية الحقيقة

التى ربما لا تستطيع أن تراها وحدك .. قال بسخرية عميقة الحقيقة أتطلع اليها كل يوم فى المرآة وأراها فى عيون الآخرين . قالت بحماس هذا جزء من الحقيقة فقط لكن الجزء الآخر الذى ينبغى ان تعلمه هو أنك لست مسئولا عما حدث لك فلماذا تعذب نفسك من أجل حادثة يمكن ان تقع لاى انسان آخر .

وصمتت برهة ثم اردفت قائلة بحنان شديد ارجوك عدنى الا تعذب نفسك من اجل حادثة تافهة . عدنى ان تنظر بجرأة الى عيون الناس ثم قالت وهى تنظر اليه متأملة بينما أصابعها تضغط يده برفق بالغ هل تظن اننى خرجت معك لانك وسيم او لاننى سأتباهى بك امام الناس كلا لقد خرجت معك لانك انسان وجدت فيه صفات تقربنى منه فلماذا تريدنى أن أغير رأيى فيك الان . ونظر اليها ولم يتكلم لكن كان فى نظراته اليها امتنان عظيم وفجأة قال لها وهو ينظر بعمق الى عينيها ارجو ان تكونى شاعرة بما احس به فى داخلى ومالا اجد الكلمات للتعبير عنه بدقة وابتسمت له بحنان وهى تضغط يده برفق بالغ ثم قالت له ضاحكة ارجوك لاتقل لى اننى صاحبة اجمل ابتسامة رأيتها فى حياتك والا ضربتك بهذه الفازة وضحك من اعماقه وبدأ ينسى العيون التى تحيط به .

وسألته بمرح وهى تبتسم بعينيها والآن ماذا تفعل بخلاف كتابة القصة .. قال وهو ما يزال يمسك يدها بأصابعه شاعرا بأنها تمده بقوة لا نهاية لها يستطيع ان يحارب بها العالم بأسره . اننى اعمل كملايين الناس من أجل الرزق أعيش وأصاب بالسأم وسأنتهى كالآخرين . قالت بمرح ارجوك دع الفلسفة وقل لى ماذا تفعل بالضبط فأنا اعرف انك تعمل مع عادل فى نفس الشركة لكن ماأريد ان اعرفه هو ماذا تفعل على وجه الدقة .

قال بأحساس عميق بالملل اننى أعمل فى الادارة القانونية للشركة اترافع فى القضايا وأقوم بالتحقيق مع الموظفين واعمال اخرى من هذا النوع قالت بحماس يبدو انه عمل مثير ٠

قال وهو يحس بملله يتزايد ربما فى البداية فقط لكن بعد فترة من الوقت يصبح مجرد عمل روتينى كأى عمل آخر قالت والسعادة تطل من عينيها اما انا فأحب عملى تماما لاننى احب مهنة التدريس وقد قلت لنفسى اننى اذا لم اتزوج وانجب اطفالا فاننى سأعتبر كل تلميذاتى بنات لى ٠

وسألته بعد فترة من الوقت عما اذا كان قد رأى عادل اليوم فنظر اليها بتفرس ثم اجابها قائلا كلا لقد رأيته بالامس هل هناك شيء محدد تودين معرفته ٠ قالت بلا اهتمام كلا لقد وجدت نفسى فجأة افكر فيه ٠ نظر اليها بدهشة ثم قال بلهجة ذات مغزى احقا قالت بأستنكار ارجوك لا تتكلم بهذه الطريقة انك تشعرنى باننى ارتكبت جريمة لمجرد اننى سألتك سؤالا عابرا ٠ ان عادل دائما يشغلنى هل تعرف٠ لانى احس انه انسان تعيس حتى الحب الوحيد فى حياته اصبح مصدرا لعذابه ٠

ظل صامتا يتطلع اليها محاولا أن يعرف ما الذى تفكر فيه وهى تقول هذا الكلام بينما أردفت هى قائلة هل تؤمن بالحظ أعنى هل يولد انسان سيء الحظ وآخر سعيد الحظ بصفة مطلقة ٠

اجاب قائلا لا اعتقد انه يوجد فى العالم الذى نعيش فيه مثل هذا النوع من الحظ لكنى اؤمن بأن الناس يمكن ان يكونوا مسؤلين عن سعادة انسان او تعاسته وخذى عادل مثلا لذلك انه انسان وسيم جدا وهذه بالتأكيد هبة عظيمة من الطبيعة لكن انظرى ماذا فعل الناس معه لقد جعلوه يكره وسامته ٠

وصمت برهة ثم اردف قائلا هل تعرفين ما الذى فعله معه زملاؤه فى الشركة ·· نظرت اليه بفضول ولهفة بينما مضى قائلا لقد اتهموه فى رجولته هل تعرفين لماذا لانه رفض ان يكون واحدا منهم قالت بغضب شديد ان هذا أوقح ما سمعت اننى فى حياتى كلها لم ار من هو اكثر رجوله من عادل او اعظم منه انسانية ·

قال بحزن عميق هذا وحده ليس كافيا ليجعله رجلا فى نظرهم · قالت بأسف مأساة عادل انه يعيش وسط أناس لا يفهمونه مأساته انه لم يصادف حبا حقيقيا يملأ حياته · نظر اليها بتفرس يريد ان يستشف ما وراء كلماتها بينما اخذت الغيرة تتسلل الى قلبه وهى تتكلم عن عادل بهذه الطريقة ثم قال بلهجة خاصة من يسمعك تتكلمين عن عادل بهذه الطريقة يتأكد له انك مهتمة به بصورة غير عادية · قالت وهى تنظر الى عينيه اذا كنت تعنى اننى احب عادل فأنت مخطىء فى هذا ·

هل تعرف لماذا لاننى لن اكون ابدا بالنسبة له فتاة احلامه وانا لا احب ان اتطفل على حياة انسان لا يحس بى · وصمتت برهة ثم قالت له وهى تبتسم بعينيها ثم اننى وجدت اخيرا الانسان الذى يمكننى ان امنحه عواطفى ··

الانسان الذى أكتشف جديدا فى شخصيته كل يوم حتى لو لم يكن فى مثل وسامة عادل · وابتسم لها فى سعادة وقد بدأ يحس بالطمأنينه تتسلل الى قلبه من جديد وهو يسمع عبارتها الاخيرة ·

★ ★ ★

رن جرس التليفون بطريقة مفاجئة اخرجت عادل من حالة الاندماج الكامل مع موسيقى « كونشرتو البيانو الثانى لرحمانينوف » وهو الذى كان يستمع اليه بينما كان مستلقيا على الفراش وقد

راح يدخن فى صمت تاركا لخياله ان يومض امامه بعشرات الصور التى كانت تحكى تاريخ حياته كلها منذ ان كان طفلا صغيرا حتى مأساة حبه الاخير لمرفت والتى كان يحاول أن ينساها دون جدوى ٠

قام متثاقلا ليرد على التليفون وهو يتمنى أن يكف عن الرنين فجأة كما بدأ ويتركه يســـتمتع بالموسيقى الشاعرية المتدفقة من جهاز التسجيل ٠ لكن جرس التليفون اللعين لم يتوقف الا بعد ان رفع عادل السماعة ليسمع صوتا ضاحكا يقول له حذر من يكلمك يا عادل ٠ واحس عادل رغم غرابة الصوت انه مألوف له ٠ لكن بدا له رغم ذلك وكأن اجيالا طويلة قد مرت منذ ان سمعه لآخر مرة وحاول عادل ان يضغط على ذاكرته ليعرف صاحب هذا الصوت واخيرا عرف ان الذى يكلمه هو زميله القديم فى كلية التجارة محمود ٠

واحس عادل بالضيق لسماع صوت زميله بعد هذه الغيبة الطويلة وبدأ القلق يتسلل الى نفسه فلماذا يطلبه انسان لا تربطه به صلة حقيقية بعد هذه المدة الطويلة الا اذا كانت وراءه مشكلة يريد ان يشاركه عادل فى حلها ٠ وعادل فى هذه الايام التى اعتزل فيها العالم بعد مأساة حبه لمرفت ليس فى حاجة لمشاركة الآخرين احزانهم ومشاكلهم فلا ريب ان لديه منها الكثير ٠

وراح الصوت يردد على مسامع عادل من جديد ٠٠ هيه هل عرفت من يكلمك ؟ ٠٠ وقال عادل فى فتور انك محمود اليس كذلك ٠ قال محمود ضاحكا دائمادكى يا عادل لم اكن اتصور انك ستتعرف على صوتى بهذه السرعة بعد هذه الغيبة الطويلة ٠ على اى الاحوال أرجو ألا تكون مكالمتى لك قد أزعجتك بأى شكل من الاشكـــال ٠ قـــال عـــادل ببرود اكذب عليك اذا قلت انك لم تزعجنى فقد كنت

مستلقيا على الفراش عندما دق جرس تليفونك المفاجىء · ضحك محمود وهو يقول لن أغضب منك يا عادل فأنا أعرف أنك صريح دائما · ومرت لحظة صمت توقع عادل خلالها ان يفصح هذا الضيف الثقيل عن سبب مكالمته المزعجة · وعندما اوشك ان يسأله عن السبب اذا به يقول له عادل لدى حفل صغير فى منزلى وأريدك ان تحضره معى ··

انا اعلم اننى ازعجك بهذه الطريقة لاننى لم ادعوك قبلها بوقت كاف لكن ما يطمئننى الى انك لن تغضب هو تأكدى اننى اتكلم الى صديق وتأكد يا عادل انى سأعوضك عن كل عناء تتجشمه فى سبيلى · قال عادل بسخرية واضحة وما الذى جعلك تتذكرنى بعد هذه الغيبة الطويلة لاشك انك تملك سببا وجيها لذلك ··

قال محمود وهو يتجاهل سخرية عادل الواضحة لا ادرى يا عادل فجأة وبينما انا اتحرك بين المدعوين وجدتنى اتذكرك ربما لاننى تذكرت مناقشتنا العميقة ذات يوم عن النجاح فى الحياة هل تذكر ؟ ومرت لحظة صمت قال بعدها محمود بسعادة لم يستطع ان يخفيها هل تعرف لماذا اقيم هذه الحفلة يا عادل لاننى رقيت الى منصب نائب مدير عام الشركة التى اعمل بها وتوقعت فى يوم مثل هذا ان تكون الى جوارى وظل عادل صامتا فقال له محمود بدهشة الا تنوى أن تهنئنى يا عادل ·

قال عادل بفتور نعم بالتأكيد مبروك · قال محمود كلا اننى لن اسمح لك بتهنئة التليفون وحدها لابد ان تأتى بنفسك لتقولها لى ·· الآن وفورا هل تفهم · وحاول عادل ان يعتذر عن تلبية هذه الدعوة السخيفة دون جدوى فقد الح عليه محمود بحكم الزمالة القديمة فلم يجد عادل بدا من ان يقول له فى ضيق حسن سأكون

عندك بعد حوالى الساعة · قال محمود بسعادة اظنك مازلت تتذكر آخر عنوان لى شارع الجبلاية بالزمالك ·

وارجوك يا عادل لاتحضر معك أى شىء فكل شىء موجود هنا · ووضع عادل سماعة التليفون وقد احس بتعاسة عميقة تتسلل الى قلبه واخذ يردد بذهول محمود اصبح نائبا لمدير عام الشركة هكذا فى لمح البصر وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة وهو يعقد مقارنة سريعة بينه وبين زميله القديم فى الكلية مقارنة بين صفات كل منهما والنتائج التى استطاعا الوصول اليها بعد مشوارهما الطويل فى الحياة وامتلات نفسهبمرارة قاتلة فقد كانت النتيجة مخيبة تماما لآماله · تعرف عادل على محمود اثناء الدراسة بالكلية ومنذ اليوم الاول ادرك انه نسخة من ملايين النسخ التى تفرخها الطبيعة بغزارة مدهشة خوفا على الجنس الانسانى من الانقراض ··

لم يكن يميزه شىء عن الآخرين ولم يكن ينقصه شىء ايضا · ان تقليديته جعلته يبدو لعادل باهتا بلا شخصية لكن كانت فيه ميزة واضحة هى انه انسان عملى يضع لنفسه اهدافا محددة ويخطط بذكاء وانتهازية للوصول اليها · فالحياة بالنسبة له سلم عليه ان يصعده · ولما سأله عادل ذات يوم كيف سيصعد درجات السلم رد محمود ضاحكا بأن هذا آخر ما يفكر فيه لانه متأكد انه سيصعد درجات السلم وبسرعة وفهم عادل من كلامه انه لن يتحرج فى الصعود فوق كتفى انسان آخر او لو دفع انسانا آخر من فوق درجة من درجات السلم ليقف هو فوقها فكل ما يجعله يصعد السلم مشروع من وجهة نظره ·

انتهازى صميم كان هذا رأى عادل فيه دائما والان حقق هذا الوغد كل ما وعد به ســـاله عادل يوما عن الهدف النهائى له من

الحياة ولم يتردد محمود فى الاجابة فقد كانت دائما جاهزة على لسانه · قال بانه يريد ان يسكن شقة على النيل وان يجمع ثروة تحصنه ضد الرجوع مرة اخرى الى العباسية وان يتزوج فتاة والدها مدير عام ليساعده على الصعود فوق درجات السلم ·

وسأله عادل مستفزا ليجعله يفصح عن كل ما يخبئه بداخله لكن هذه اهداف كبيرة تتطلب موهبة فائقة لتحقيقها · هل تعتقد حقا ان بأمكانك بقدراتك المتواضعة ان تحققها · ضحك محمود وهو يقول لعادل بلهجة ساخرة انك تؤكد لى بهذا الكلام انك ساذج جدا ولا تعرف الدنيا على حقيقتها ·

عزيزى هل تعتقد انك بحاجة الى موهبة عظيمة لتحصل على ماتريد فى هذا العالم · انظر من حولك ان اعظم المواهب ليست دائما فى مقدمة الصفوف · ان كل ما تحتاجه هو ان تبحث عن وسيلة سريعة ومضمونة توصلك الى ما تريد تماما كما يتعلق قائد الدراجة بشاحنة ضخمة تصعد به تلا فيوفر على نفسه مجهودا كان يمكن ان يضيع بلا جدوى انك قد تسمى هذا انتهازية لكنى اسميه سلوكا يتسم بالذكاء · وهذا السلوك لا علاقة له بالموهبة فأنت قد تكون اعظم الناس موهبة لكنك تظل دائما فى مؤخرة الصفوف اذا كان ينقصك الذكاء الكافى لمعرفة قواعد اللعبة وصمت برهة ظهرت على وجهة خلالها امارات الجد قبل ان يردف قائلا ان الحياة يا عزيزى لعبة ورق يفوز فيها ليس صاحب الورق الافضل لكن الاكثر مهارة فى اللعب ·

ابتسم عادل فى مرارة وهو يردد لنفسه قائلا لقد عرف الوغد حقا كيف يكسب لعبة الورق هذه المرة ·· نائب مدير عام الشركة وانا ما زلت موظفا صغيرا باحدى الشركات وليتهم يدعوننى فى

حالى بل اننى مهدد بالطرد من عملى فى اى لحظة · واضطر عادل لان يعترف بينه وبين نفسه بأنه لا يعرف قواعد اللعبة التى تدور من حوله · وابتسم عادل وهو يتذكر الامثلة العديدة التى تؤكد انتهازية محمود ·

قال له يوما انه لايحقد على الناس الذين ينتمون الى طبقة ارفع من طبقته بل انه يعتقد ان ذلك حماقة من جانب الناس الذين صمموا على البقاء اسفل السلم · قال له ان الذكاء يحتم على الانسان الطموح الا يحقد على هؤلاء الناس او يحاول ان يشدهم الى اسفل بل ان يصعد معهم الى اعلى · وكاد عادل يضحك وهو يتذكر كيف طبق محمود هذا المبدأ معه ببراعة مدهشة جعلته يخفى مشاعره الحقيقية تجاه الحقيقة القائلة بأن عادل ينتمى الى طبقة أرفع من طبقته رغم ان عادل كان متأكدا دائما ان محمود فى قرارة نفسه يغير منه ويحقد عليه بل ان عادل يشك احيانا فى ان صداقة محمود له جاءت بمحض الصدفة ·

كان عادل يملك سيارة صغيرة يذهب بها الى منزله فى مصر الجديدة عقب انتهاء الدراسة وكان منزل محمود يقع فى طريق عادل فى ذلك الجانب الفقير من حى العباسية فلماذا لا يركب معه فى سيارته ليوصله الى منزله وهكذا كانت صداقته لعادل اكثر من ضرورية وهكذا كانت علاقته دائما مع الناس لا تحكمها مشاعره الحقيقية بل مصالحه ورغباته الذاتية ·

وفى يوم كان عادل ومحمود يسيران على شاطىء النيل · كان الوقت مساء احد ايام الصيف وقد نجح الاثنان لتوهما فى امتحان التخرج · وكان قلباهما ممتلئين بأحلام المستقبل الدافئة كامتلاء نهر النيل بالماء من تحتهما · وقال عادل لمحمود فى لحظة

بهجة ملأت قلبه وهو يتطلع بخياله الى آفاق المستقبل غير المحـــدود الذى ينتظرهما والآن يا لاعب البوكر البارع قل لى ما هى الاوراق التى تنوى ان تلعب بها وقال محمود بسرعة اكدت لعادل انه فكر كثيرا فى الموضوع قبل ان ينطق به المسألة بسيطة جدا سأتزوج من فتاة تساعدنى على الوصول هذه الفتاة ســتكون اما جميلة جدا وفقيرة او قبيحة جدا وغنية لكــن لن اتزوج من فتاة جميلة جدا وغنية فى نفس الوقت هل تعرف لماذا لانها هى التى ستستعملنى وليس انا الذى سأستعملها ٠

المسألة يا عزيزى ليست اى فتاة ٠ بل فتاة يمكنها ان توصلك الى ما تريد ٠ وصمت برهة ثم اردف قائلا وهو يغمز بعينيه المسألة لا تحتاج لكى تنجح فى هذا العالم الا ان تعقد صلات صــداقة مع الذين يمكنهم ان يدفعوك الى اعلى الســلم ٠ وفى هذا ســـتنفع الفتاة الجميلة جدا او الفتاة القبيحة الغنية ٠ ثم التفت محمود الى عادل وقال له وابتسامة ساخرة مرتسمة على شفتيه وانت كيف ستلعب لعبتك يا بطل وظل عادل صامتا لبضع لحظات كانت عيناه خلالها تتابعان موجــات النهر الســوداء المتدفقة وقد لمعت فوقها اضواء لافتات النيون المعلقة فوق بعض المبانى القريبة واضواء السيارات التى تعبر كوبرى قصر النيل ثم قال بلهجة حزينة مشكلتى يا محمود اننى لا انظر الى الحياة على انها لعبة ورق ينبغى ان افوز فيها بأى طريقة ٠

الحياة فى رأيى أشرف من محاولة تسطيحها أو ابتذالهــا ٠٠ انها شىء عميق وشامل وحزين ايضا قال محمود وهو ينظر الى عادل بدهشة تكاد تصل الى درجة الاستنكار اذن عليك ان تتوقع مصاعب جمة فى حياتك ابسطها انك ستظل دائما فى مؤخرة الصفوف ٠ انطلق عادل بسيارته الى منزل محمود وذلك الشريط من الذكريات يبرق

امام عينيه مسببا له احساسا عميقا بأنه متوجه لاداء مهمة بغيضة الى قلبه ٠

امام احدى عمارات النيل الشاهقة توقف بسيارته ٠ وبعد ان هبط منها رفع بصره لبضع لحظات ليتأمل الارتفاع البالغ للعمارة كأنه يرى بعينيه ما وصل اليه محمود من علو واحس بالغثيان يملا معدته وتأكد هذا الشعور وهو يخطو بقدميه الى داخل الدهليز المغمور بالاضواء الباهرة حيث كان الترف المحيط به يستفز شعوره العميق بالاحباط وكراهيته كل ما يمثله محمود من انتهازية ٠ وبسرعة حمله المصعد الى الطابق الثانى عشر حيث شقة محمود الفاخرة ٠

وبشعور رجل منوم بتعاسة ثقيلة وضع اصبعه فوق جرس الباب ليسمع دقات موسيقية جميلة تنساب فى الداخل مختلطة بتلك الهمهمات الانسانية والضحكات العالية التى لم يستطع الباب المغلق ان يمنعها من الخروج من داخل الشقة ٠ وفجأة فتح الباب ووجد نفسه وجها لوجه امام محمود الذى كان يمسك باحدى يديه كأسا من الويسكى ٠

ونظر اليه محمود متأملا لبضع لحظات ثم انفرجت اساريره وهو يرحب به بحرارة ويدعوه الى الدخول ٠ قال له وهما يخطوان داخل الشقة حقا أن الزمن لم يصنع بك شيئا يا عادل لكأنى اراك الآن ونحن مازلنا طالبين فى الكلية انظر اليك انك مازلت وسيما كما كنت دائما وجسمك رشيق لم يزد شيئا اما انا فها انت ترى بنفسك ٠ جسمى امتلأ من قلة الحركة ورأسى اصبح اقرب الى الصلع بعد ان ملأته الشعرات البيضاء ٠ على اى الاحوال اننى سعيد بقدومك يا عادل واعدك بانك ستمضى وقتا مرحا لن تندم عليه وراح

محمود يدير بصره بين جموع المدعوين الذين كانوا يملأون القاعة الفسيحة الممتلئة بسجاد فاخر من الحائط الى الحائط وقد انعكست فوق وجوههم المنتشية من أثر الشراب والضحكات المنطلقة من القلب أضواء الثريات الكبيرة المعلقة فى السقف ٠

وتهللت أساريره عندما أبصر زوجته واقفة فى أحد الاركان تتجاذب الحديث مع شلة من المدعوين فأشار لها بالقدوم ٠ قال لها وهى تقترب منهما أنظرى المفاجأة التى أعددتها لك عادل بلحمه ودمه ٠٠ مدت له المرأة الجميلة يدها بحركة مترفعة وهى تخترقه بعينيها الخضراوتين النفاذتين كعينى قطة لا تشبع أبدا ٠٠ قطة تعودت أن تدير رؤوس فئرانها الصغيرة قبل أن تلتهمها بشراهة مذهلة خصوصا الفئران الجميلة مثل عادل ٠ ثم قالتله بصوتملىء بالاغراء : بالتأكيد انها مفاجأة سعيدة أن يزورنا عادلاليوم ٠ ثم ضحكت قائلة لزوجها انتظر حتى تقع عيون نساء الحفلة عليه انهن لن يتركنه لحظة واحدة ٠ ثم رمقت عادل بنظرة أربكته وجعلته لا يدرى ماذا يفعل سوى أن ينكس بصره الى الارض ويسير الى جوارها فى صمت وقد أخذ يفكر كيف واتتها الجرأة لتتصرف على هذا النحو أمام زوجها الذى بدا هادئا تماما بل سعيدا بالطريقة التى تصرفت بها ٠ ثم بدأ عادل يختلس نظرات الى وجهها وهما سائرين الى داخل الشقة ٠

ان سنوات عديدة مرت منذ آخر لقاء تم بينهما لم تستطع أن تنال من جمال ذلك الوجه ٠ كان شهوانيا مغريا كالعادة له ملامح دقيقة بيضاء تشدك اليها منذ اللحظة الاولى ٠٠ تقتحمك٠٠ ملامح تظل عالقة فى ذاكرتك مهما بعد بك الزمن ٠٠ تتوسطها تلك العينان الخضراوتان المغناطيسيتان بتلك القدرة المذهلة على اذابة الصلب

فى داخلك بتلك القدرة على الكلام الصامت الذى يعزلك عن كل ما حولك فيما عداها هى تلك المرأة القادرة المتحكمة ٠

كانت لها القدرة على الكلام بشفتيها عندما تمطهما بطـــريقة خاصة تعبر بها عن آلاف المعانى تعضدها تلك الملامح المطاطة بقدرتها الفائقة على التشـــكل فى أى صـــورة تريدها وبسرعة مذهلة كان عادل عندما ينظر الى وجه تلك المرأة بالقوة المخيفة الكامنة وراءه يحس بالرعب يتملكه فهى من نوع المرأة التى لا تقف عند حد فى سبيل تحقيق رغباتها ٠ انها امرأة تريد وتحصل دائما على ما تريده ٠ وكانت المرأة تحس بالضيق من عادل لانه لم يعاملها كباقى الرجال الذين يأمون حفلاتها فيرفع يدها الى شفتيه ويقبلها فى احترام ٠

قالت له وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة انك لم تتغير يا عادل مازلت تعامل الناس بنفس اسلوب الفنان المترفع الذى لا يبالى بالتقاليد ٠قال عادل على الفور بلهجة ذات مغزى اسف ياسيدتى حاولت ان اتغير دون جدوى ٠ قالت وهى تشعر فى قرارة نفسها انهـــا تروض فريستها الصغيرة تمهيدا لالتهامها ٠٠ اذن تزوج يا عادل فليس اقدر من المرأة على تغيير رجل مثلك ٠ قال عادل وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة فكرت فى هذا يا سيدتى لكنى لم استطع ان امضى فيه قدما هل تعرفين لماذا لان المرأة قد تكون قادرة على تغيير الرجل كما تقولين لكن ليس دائما الى أحسن بل كثيرا ما يكون التغيير الى اسوأ ثم رمقها بشعور عميق بالمتعة وهو يحس بأنه وجه اليها اهانة بالغة اكدتهـا تلك التقطيبة التى ظهرت على وجههـا ٠ لكن المرأة تمالكت اعصابها بسرعة وقالت ضاحكة لتدارى اضطرابها دائما لا تعوزك الاجابة على اى سؤال يوجه اليك يا عادل انها موهبة احسدك عليها ٠ أحنى عادل رأسه لها بطريقة مسرحية زادت من

احساسها العميق بالسخط عليه وايضا بالرغبة فيه وتاكد لهذه المرأة الصيادة ان هذا الفأر يحتاج الى طريقة خاصة لاصطياده ٠

ابتســــمت له قائلة وعيناها تتألقان ببريق الانثى الجـائعة خسارة ان شابا جميلا مثلك لا تكون له امرأة لترعاه ٠ اراهنك على ان هناك عشرات النساء على استعداد ليقمن بهذا الدور لو منحتهن الفرصة لذلك ٠ ثم حدجته بنظرة جعلته يرتجف ثم قالت لزوجها بجرأة غريبة أدهشت عادل انظر اليه يا محمود هل رأيت فى حياتك من هو أكثر منه وسامة ٠٠ أليس من العار أن يظل عازبا طول حياته ضحك محمود قائلا كان عادل دائما وسيما وحتى وهو فى الكلية كان محط انظار الفتيات لكنه لم يكن يبالى بهن ٠ ورفع عادل عينيه المنكستين الى الارض ونظر بهما الى المرأة فى جرأة ووجدها تبتسم له بعينيها وعلى الفور بدأ يتذكر ما حدث له معها ذات يوم٠

كان جالســــا الى جوارها عــلى الاريكة فى واحدة من تلك الحفلات الصاخبة التى اعتاد محمود ان يقيمها فى منزله الذى كان يتدرج فخامة واتساعا وهو ينتقل بسرعة بين الاحياء المختلفة طوال فترة صعوده السريع على السلم٠تلك الحفلات التى كان يدعو اليها الاشخاص المرموقين فى الشركة التى يعمل بها والذين يمكن ان يرفعوه الى اعلى حتى لو كانت الطريقة الوحيدة لذلك هى ان يركلوه بأحذيتهم فى مؤخرته ٠

فى هذه الحفلات التى كان محمود ينفق فيها عن سعة كانوا يجدون كل ما يرغبون فيه ودائما كانت ابتسامة محمود السعيدة ونظرته الخاضعة الذليلة فى انتظارهم ٠ وكان محمود بارعا فى ربط الخيوط ببعضها البعض مستخدما ذكائه الغريزى وجمــــال زوجته اللعوب ٠٠ اهم ورقتين فى لعبة البوكر التى يمارسها٠ كانت الزوجة الجميلة تعرف تماما ما الذى ينبغى عليها ان تعمله وكانت

عيناها الخضراوتان تعدان دائما بأكثر من مجرد العلاقة البريئة بين امرأة متزوجة وصديق زوجها اما محمود فكان وراءها يحصد الثمار ويرتفع بسرعة فوق رجات السلم · كانت المرأة جالسة الى جواره على الاريكة بعد ان ملت من التجوال بين المدعوين الذين لا يكفون عن الطلبات وكان بيدها كأس ترشف منه على مهل وفى نشوة بالغة جعلت وجنتيها تتوردان وعينيها الخضراوتين تتألقان بتلك الرغبة التى لم تسطع ان تخفيها وهى ترمق عادل الوسيمبحواس متأججة لم تعد تخشى الافصاح عن نفسها ·

مالت عليه وقد احست بأنها لم تعد قادرة على المقاومة وقد لعبت الخمر برأسها وقالت له لذلك الانسان البارد الوسيم الجالس الى جوارها دون ان تبدر منه بادرة واحدة تشير الى انه يحس بعذاب المرأة الجالسة الى جواره والتى كانت على استعداد لكى تجثو على ركبتيها اذا كان ذلك كفيلا بجعله يستجيب لرغباتها هذا الانسان الذى لم يحاول ان يغازلها او يحصل منها على موعد خاص كما فعل تقريبا كل الرجال الموجودين فى الحفل ·

قالت له بصوت ناعم مخمور عادل لماذا لا تكلمنى غدا بالتليفون عندما لا يكون محمود فى المنزل · نظر اليها عادل بدهشة واستنكار لجرأتها الشديدة فأسرعت تبعد عن ذهنه الانطباع الذى توصل اليه بأن قالت له عادل لاتفهمنى خطأ ارجوك كل مافى الامر اننى اريد ان استشيرك فى موضوع هام يتعلق بحياتى مع محمود التى تحولت الى شىء لا يمكن احتماله · عادل ارجوك ساعدنى ولا تتخلى عنى قال عادل بجفاء كيف تتوقعين منى ان احدثك بالتليفون وانا اعلم ان محمود ليس بالمنزل هل تعرفين معى هذا ·

قالت وهى تحدجه بواحدة من نظراتها المغناطيسية القاهرة لتشل ارادته لكن لابد ان تفعل ذلك · ان كل ما اريده هو ان نناقش

الموضوع بعيدا عن محمود ·· اننى أريد أن أحدثك عن أشياء أريد لمحمود أن يعرف عنها شيئا ·· أرجوك يا عادل ·· قال عادل متأففا سأحاول لكنى لا أعد بشىء ·· وأنفرجت أسارير المرأة وبدأت تعد مزيدا من الهجوم تسحق به مقاومة الرجل الذى لم تصادف مثله من قبل ·· كان الجميع يسلمون بمجرد محاولة بسيطة من جانبها ·· عادل انك لا تتصور حياتى مع محمود حفلات · حفلات مجاملات لرجال أكرههم لكنى مضطرة لذلك من أجل صالح محمود لكنى سئمت كل شىء الغريب أن محمود يتصور أننى سعيدة بهذه الحفلات يتصور أن المرأة لا تريد شيئا آخر سوى أن تشارك زوجها طموحه ثم حدجت عادل بنظرة عميقة وهى تقول له انك تفهمنى بالطبع يا عادل اليس كذلك ·

قال عادل بارتباك : نعـم ·· لكن لماذا لا تصارحين محمود بمتاعبك · تظاهرت بالغضب وهى تقول له وهل تظن أنه سيستمع الى ·· انك لا تعرف محمود ·· انه لا يعرف سوى مصلحته فحسب حتى لو كان هذا على حسابى كامرأة ·· عادل انك لا تتصـــور الجحيم الذى أعيش فيه ·· عادل اننى أريد رجلا ومحمود ··

ومرت لحظة صمت ثم قالت له المرأة وهى تقتحمه بعينيها عادل ألم تحب أبدا فى حياتك وأحس عادل بالمفاجأة لسؤالها وأجاب مرتبكا بالطبع أحببت لـكن ما الداعى لسؤالك ·· قالت تلتهـم وسامته لا شىء مجرد فضول · وصمتت برهة ثم اردفت قائلة : هل تعرف اننى أحسد المرأة التى تحبها ·· عادل من هى هل أعرفها ·· ابتسم عادل فى سخرية وهو يتذكر ما حدث بينه وبين المرأة فى واحدة من تلك الحفلات التى يقيمها محمود وهو ما جعله يهرب من وجهها ولا يعود الا هذه الليلة عندما الح عليه محمود فى الحضور · ونظرت اليه المرأة نظرة غريبة أرعبته لانه أدرك من لمعة عينيها أن

جذور رغبتها فيه لم تمت بعد رغم مرور كل تلك السنوات · ومن ملامحها التى كانت تتخذ شكلا صارما وهى تنظر اليه ادرك انها لم تغفر له سلوكه البارد المتعالى معها لم تغفر له انه لم يسمح لها بالتهامه كما فعلت مع عشرات الرجال الذين التهمتهم واحدا بعد الآخر ·

نظر عادل الى محمود بأزدراء وهو يهمس لنفسه قائلا اذن هذه هى ورقتك الرابحة فى لعبة البوكر ايها الوغد السعيد الحظ لا أحد يدرى الم ستوصلك فى المستقبل لكن ما تحقق حتى الان يوحى بانها ستوصلك الى كل ما تصبو اليه وادار عادل بصره فيما حوله وأحس بنقمة شديدة على كل شىء لانه أحس بأنه ملوث ومزيف وود لو يفر من المكان الذى هو فيه الآن لكن يد محمود كانت تقبض على ذراعه فى رفق لكن فى اصرار وهو يدفع به خلال زحـــام المدعوين الى البار الذى امتلأ بالكؤوس وزجاجات الويسكى ·· والذى وقف امامه بضع رجال ونساء يشربون ويضحكون والى جواره امتد بوفيه ضخم عليه كمية من الطعام تكفى اضعاف العدد الموجود بالحفلة وهو يقدر بالعشرات ·

وقال عادل لنفسه لابد ان الوغد يكسب كثيرا وألا ما انفق على الحفلات بمثل هذا السخاء · وهم عادل بان يستأذن من محمود فى الانصراف عندما فاجأه قائلا والان ماذا تريد أن تشرب البـــار به كل شىء قال عادل بضيق انك تعرف اننى لا اشرب الخمر ··

محمود ارجوك اريد ان انصرف من هنا انك تعرف ان هذه الحفلات ليست هى المكان الذى اشعر فيه بسعادة كبيرة لكن محمود قال باستنكار كلام فارغ انك لم تكد تحضر فكيف أسمح لك بالانصراف الآن ثم اننى اريدك الى جانبى هذه الليلة يا عادل ثم اشار الى

زوجته بالحضور وقال لها عندما وقفت امامه تصورى عادل يريد ان ينصرف الان · رفعت الزوجة حاجبها فى دهشة وقالت بسخرية غير معقول لابد ان الحفلة لم تعجبه ورمقها عادل فى ضيق وكراهيه فى حين اردفت قائلة لماذا لا تشرب شيئا من البار ريثما اعد لك طبقا من البوفيه · لكن عادل اسرع قائلا ارجوكى لا داعى لاى شيء لقد جئت فقط لاهنىء محمود ثم انصرف على الفور لكن محمود قال مستنكرا وهل هذا معقول يا عادل ترفض دعوة سيدة جميلة كلا اننى لن اسمح لك بأرتكاب هذا الخطأ ·

هيا بنا الى البار ريثما تلحق بنا آمال بعد قليل وهما جالسين الى البار همس محمود فى اذن عادل قائلا ما رأيك فى النســـاء اللاتى يملأن الحفلة رائعات اليس كذلك وصمت برهة ثم قال ضاحكا كلهن رهن اشارتك ولا تخشى من الازواج فهم دائما اول من يعلم ·

قال عادل وهو يحس بالغثيان يفور فى معدته لا اريد شيئا من هذا المكان هل تفهم اننى اريد الانصراف · قال محمود بضيق عادل لقد حيرتنى معك انك لا تريد ان تشرب · لا تريد ان تأكل · لا تريد ان تندمج مع المدعوين ماذا تريد بالضبط · قال عادل بعصبية محمود اننى لا اريد ان ابدو جافا لكنك ستضطرنى لذلك اذا لم تسمح لى بالانصراف الآن · هز محمود كتفيه يائسا وهو يقول حسن كما تريد يا عادل وبينما عادل يهم بالانصراف اقبلت الزوجة تحمل طبقا مملوءا حتى حافته بالطعام ·

رمقت عــادل بأزدراء وهو يعطيها ظهره متجهــا الى باب الخروج · وهو يقود سيارته الصغيرة عائدا الى البيت كانت المرارة تملؤه · فقد ادرك الليلة كما لم يدرك فى حياته من قبل ان القيم والمبادىء هى اوراق اللعبة الخاسرة اما الرابحون الحقيقيون فهم

محمود وآمال وكل الناس الذين على شاكلتهم وكاد يضحك من اعماقه عندما تأكد له انه ليس فقط لن يصبح لاعبا بارعا فى لعبة البوكر التى تدور من حوله بل لن يصبح لاعبا على الاطلاق واحس عادل بالتعاسة تكاد تخنقه ووجد نفسه يوجه سيارته الى نفس البقعة القديمة على النيل التى جمعته مع محمود ذات يوم عندما وقفا يحلمان بالمستقبل • ونزل من سيارته واقترب من حافة الماء الذى تتدافع أمواجه فى عنف وقد التمعت فوقها أضواء كوبرى قصر النيل وبضعة الفنادق القريبة ثم رفع رأسه الى قمة احد اشجار النخيل الباسقة التى يتلاعب بها الهواء وابتسم فى تعاسة وقد راح يتذكر نبوءات صديقه القديم •

انه يدرك الآن انها لم تكن مجرد نبوءات • بل كانت رؤيا حقيقية لنبى يعيش فى عالم شرير • مهندس يرسم العالم كما يريده ولا يترك شيئا للصدفة • وراح يتذكر حبه الذى يموت بين يديه دون ان يتمكن من انقاذه ووالدته المريضة التى تنتظر عودته الى البيت ، ومضايقات العمل ونظر مرة آخرى بعمق الى المياه السوداء المتدفقة فى وحشية وودد لو يلقى بنفسه اليها • فى هذه اللحظة يحس انه يريد أن يموت لان العالم فقد معناه تماما بالنسبة اليه •• فالأنسان يموت عندما لا يستطيع أو لايريد ان يحيا اللحظة القادمة لكن حتى الموت كان بالنسبة اليه مستحيلا كالحب والسعادة والنجاح فوالدته المريضة تنتظر عودته الى البيت وهو لا بد ان يعود اليها لا بد ان يعود •

★ ★ ★

كان عادل جالسا الى مكتبه فى اول يوم يعود فيه الى العمل بعد الاجازة الاختيارية التى اعطاها لنفسه عندما جاء الساعى يحمل كومة من الملفات وضعها فوق مكتبه بشىء من اللامبالاة

وشكت معها بعض الملفات أن تسـقط على الارض مما حدا بعادل الى أن يحدجه بنظرة استنكار تجاهلها الساعى وهو يقول له بقحة متعمدة أن المدير يطلب منه توزيعها على باقى الموظفين ·· وبعـد ان قام عادل بالمهمة المطلوبة منه وهى مهمة روتينية بغيضـة الى قلبه عاد مرة اخرى الى مكتبه وبدأ يتظاهر بتقليب احد الملفـات لكن عيناه كانتا تدوران فوق وجوه باقى الموظفين يحاول ان يستشف منها نيتهم الحقيقية تجاهه فهو يعلم بالتأكيد ان الحرب بينه وبينهم قد استؤنفت منذ اللحظة الاولى التى عاد فيها الى العمل ·

واحس عادل بتعاسة تتسلل الى قلبه وهو يتصور انه غير قـادر على هزيمتهم وان المقاومة التى يبديهـا هى لمجرد انقاذه من الانسياق فى تيارهم ·· هى الدفاع الضرورى عن ذلك القدر من البراءة التى اذا ما فقدهـا فماذا يبقى له ليعيش من اجله · لكـن العالم سيظل فاسدا سواء قاومهم او لم يقاومهم وسيظل هو جزيرة صغيرة معزولة عن المحيط الذى يعيش فيه · جزيرة يتعين عليها ان تسلم ان عاجلا او آجلا تقتحمها اقدام الغزاة · وتركزت عينا عادل على وجه ابراهيم الجالس الى المكتب المقابل له واحس بأن أعصابه التى كان يحاول ان يبقيها هادئة طوال الوقت توشك ان تفلت منه فقد لاحظ ان هذا الموظف يرمقه باستهانة واضحة ولاحظ ايضا ان الملفات التى اعطاها له لاتزال مغلقة فى الوقت الذى كان يرشفـه فيه من قدح القهوة باستمتاع شديد ولا يكف عن الثرثرة مع زميلته شهيرة أو اطلاق الضحكات بطـريقة حاول بها استفزاز عادل الذى كان يرمقه بغيظ شديد أما شهيـرة فقد كانت الملفات الموجودة أمامها مغلقة هى الاخرى ·

وبين الحين والآخر كانت ترمق عادل بجـرأة غريبـة جعلتـه يحـار فى التصرف الواجب اتخـاذه حيـالها ··

كانت نظراتها استفزازية حاقدة ولا تخلو من استهانة بشأنه ..
وكانت تشارك ابراهيم الضحك بصوت مرتفع بقصد استفزاز عادل
الذى كان يمسك اعصابه بصعوبة بالغة وصاح عادل فى الموظفين
الموجودين بالحجرة دون أن يخص أحداً بالذات بأن يكفوا عن الثرثرة
والضحك بصوت مرتفع وان يبدأوا العمل على الفور فى الملفات
لان المدير يريدها بأسرع ما يمكن . ونظر اليه ابراهيم
بأستهانة بالغة ثم مال على شهيرة وقال لها وهو يكتم الضحك
انظرى الى هذه الملفات هل تعتقدين انها يمكن ان تنتهى فى يوم واحد

وردت عليه شهيرة وهى ترمق عادل بنظرة ساخرة لا أدرى
ماذا تظن انت . وهنا رفع ابراهيم الملفات فى الهواء بطريقة هزلية
محاولا أن يزنها ثم قال موجها الكلام الى شهيرة وان كانت نظراته
تؤكد انه يقصد عادل بها .. اننى اعتقد انها ثقيلة اكثر مما ينبغى وانه
يلزمها على الاقل اسبوع للانتهاء منها ثم ترك الملفات تسقط على
المكتب بطريقة مدوية جعلت جميع من بالحجرة ينفجرون بالضحك
ما عدا عادل الذى كان يرتعش من الغضب وان كان يحاول فى نفس
الوقت أن يبدو هادئا متمالكا لأعصابه .. ثم قام ابراهيم وأخذ بعض
الملفات ووضعها فوق مكتب عادل ثم انصرف عائدا الى مكتبه وهو
يفرك يديه بطريقة جعلت باقى الموظفين ينظرون اليه وهم يبتسمون
وكأنه قام بعمل مثير للاعجاب لكن عادل الذى لم يستطع تحمل هذا
التصرف المستفز من جانب مرؤوسه صرخ فيه يأمره بالعودة وأخذ
الملفات والعمل فيها على الفور .. وبتثاقل شديد اتجه ابراهيم الى
مكتب عادل واخذ الملفات من فوقه ثم قال له وعلى شفتيه ابتسامة
ساخرة اذا اخذت الملفات الآن فلا اعتقد انها ستنجز على الاطلاق ثم
اذا كنت مصرا الى هذا الحد على انجازها اليوم لماذا لا تفعل ذلك
بنفسك فأنى لا ارى امامك ملفات كثيرة .

هب عادل وقفا وهو يرتعش من الغضب فقد كانت الاهانة اكثر مما يحتمل وصرخ فى وجه ابراهيم قائلا اذا لم تأخذ هذه الملفات على الفور وتعمل على انجازها اليوم فأنني سأشكوك الى مدير الادارة وسأعمل علىتحويلك الى التحقيق • وضحك ابراهيم ساخرا وقال لعادل بلهجة مليئة بالتشفى • هيا بنا اذن الى مدير الادارة لنرى الى اى منا سينحاز انـــا ام انت ونظر اليه عادل بذهول وقد بدأ يدرك المدى الذى وصل اليه الموظفون فى تآمرهم ضده وساد الحجرة سكون متوتر بدا عادل خلاله عاجزا تماما عن القيام بالتصرف المناسب لمواجهة حالة التمرد التى يجابهها • ولم يخلص عادل من ورطته سوى قيام على وهو الموظف الآخر بالحجرة بتهدئة الجو بين عادل وغريمه ‥ ثم تقدم من مكتب عادل وجلس الى جواره ثم قال له فى شكل نصيحة استاذ عادل ما الذى ستأخذه وأنت تحرق أعصابك بهذا الشكل ‥ من سينفعك بل من حتى سيحس بك لا أحد بالتأكيد ‥ اذن لماذا تأخذ الأمور بهذه الجدية لماذا لا تتركهم يفعلون ما يريدون وتبقى انت بعيدا فى سلام • ورمقه عادل بأستنكار فى الوقت الذى مضى فيه على قائلا أساذ عادل حتى الآن هم لا يريدون توريطك فى شىء ‥ لكن تأكد أنهم سيفعلون ذلك لو استمررت تقف فى طريقهم وتضايقهم • قال له عادل وهـــو يرتعش من الغضب تأكـــد اننى سأبذل كل ما فى وسعى للحيلولة بينهم وبين تحقيـــق أغراضهم حتى لو اضطررت فى سبيل ذلك للتضحية بوظيفتى ‥ رمقه على بكراهية وهـــو يقول له حسن لقد قلتها انت بنفسك وتأكد انهم قادرون على ذلك انهم اقوى منك كثيرا •

قال ابراهيم بصوت مرتفع دعك منه يا أستاذ على انه انسان عنيد لايجدىمعه الكلام فقط عليه أن يدرك أن الحرب بيننا قد أصبحت سافرة وأن عليه أن يتحمل النتائج من الآن فصاعدا ‥ وعاد عادل من جديد يتظاهر بتقليب احد الملفات لكن الكلمات التى سمعها للتو راحت

تدوى فى اعماقه منذرة بعواقب وخيمة فى انتظاره ٠ كان الجو حارا والشمس تتدفق فى غزارة من النافذة المفتوحة وقامت شهيرة وهى تهوى امام وجهها بيدها واتجهت الى النافذة المفتوحة واسدلت فوقها ستارا من الرقائق المعدنية ثم وجهت المروحة الكهربائية ناحية مكتبها ثم قالت ضاحكة بعد ان اغلقت الملف المفتوح امامها والذى لم تقلب فيه صفحة واحدة حتى الآن بالمناسبة هل رأى احد منكم فيلم سينما مترو الجديد يقولون انه رائع انه عن سمكة قرش كبيرة واسمه الفك المفترس ثم دارت حول نفسها وهى تشوح بيدها فى الهواء فى سعادة وقالت تخاطب نفسها اه اننى اعبد الاثارة واقتربت من مكتب ابراهيم الذى كان يتابعها بعيون جائعة فقال لها ضاحكا وقد تصور نفسه سمكة قرش تهم بالتهامها هم هم ٠٠

أنك بالتأكيد طعام شهى للفك المفترس ولمعت عينا شهيرة من السعادة وهى تسمع كلمات الغزل المكشوفة التى وجهها اليها ابراهيم على مسمع من الآخرين دون ان يحس هو اوهى بأى نوع من الخجل ثم قالت بدلال لكنى اريد ان ارى الفيلم اليوم فى حفلة التاسعة والنصف مساءا على شرط سيكون معى اخى الصغير وصدرت همهمة احتجاج من ابراهيم وعلى الذى لم يكن أقل منه تدلها بها وقال ابراهيم ضاحكا لدى حل لمشكلة أخيك الصغير سأقول لك ما الذى سأفعله سأقطع ثلاثة تذاكر فى آخر البلكون وسأشترى لأخيك الصغير باكو شوكولاته كبير جدا عندما يفرغ من التهامه سيكون الفيلم قد انتهى ٠ وضحك جميع من بالحجرة فيما عدا عادل الذى كان ينظر بأستهجان الى ما يدور حوله من سخافات تتنافى مع الجو الذى ينبغى ان يسود العمل ٠

وقالت شهيرة لا براهيم ضاحكة أنا آسفة جدا يا أستاذ ابراهيم لن اتمكن من الذهاب معك الى السنيما لانك خاطب وانا اريد رجلا

غير مرتبط وهنا صاح على على الفور وهو يكاد ينفجر من الضحك أنا الرجل المناسب لك تماما يا آنسة شهيرة فأنا غير مرتبط خبطت شهيرة على صدرها وهى تقول بدهشة لكنك متزوج يا أستاذ على فكيف تقول عن نفسك أنك غير مرتبط ‥ قال على على الفور وهو يضحك من أعماق قلبه من الآن وحتى المساء يا عزيزتى شهيرة سأطلق زوجتى وعندئذ سأكون رجلا غير مرتبط وانفجر جميع من بالحجرة ضاحكين كان عادل يرمقهم فى غيظ وفى يأس من اصلاح احوالهم التى لم تكن أسوأ من أحوال الناس الذين يتحركون خارج جدران هذه الحجرة مما يجعل محاولة الاصلاح شيئا مستحيلا ٠

قال ابراهيم منتهزا الفرصة للسخرية بعادل ومخاطبا شهيرة ليس فى هذه الحجرة سوى رجل واحد غير مرتبط لماذا لا تسأليه أن يتوجه معك الى السينما ‥ نظرت شهيرة الى عادل بازدراء وهى لم تنس بعد الاهانة التى وجهها لها فى مرة سابقة وقالت بسخرية شديدة اننى أرفض الذهاب معه الى السينما حتى لو دعانى هو بنفسه وأحس عادل برغبة فى أن يهوى بكفه فوق وجهها الصفيق لكنه قرر أن يمارس اللعبة بأعصاب هادئة ٠

قال وابتسامة ساخرة ترتسم على شفتيه ‥ اننى آسف جدا لأننى لا أروق للآنسة شهيرة لكنك انسانة جميلة وترتدين ملابس فاخرة ولن تعدمى رجلا واحدا غير مرتبط تذهبين معه الى السينما ‥ اسمعى لماذا لا تنشرين اعلانا بذلك فى الجرائد ‥ نظرت اليه شهيرة بكراهية وقد احست بانه انتقم لنفسه باسرع مما تصورت قالت لتؤلمه وتحطم أعصابه تأكد أن هذا الواحد لن يكون أنت ‥ حتى لو كنت آخر رجل فى هذا العالم ٠ قال عادل ليذلها اكثر ويحطم أعصابها آنسة شهيرة اغفرى لى فضولى لكنى اعجب دائما

من اين تأتين بالنقود التى تنفقينها على ملابسك الغالية وانا اعلم ان مرتبك فى شهر كامل لا يمكنك من شراء طاقم واحد من هذه الملابس ٠ وبينما شهيرة التى جعلتها كلماته تغلى من الغضب تتحفز للرد عليه دخل الساعى الى الحجرة وقال لها ان المدير يطلبها على الفور فى مكتبه حينئذ رمقها عادل بنظرة ذات مغزى ربطت بين كلامه واستدعاء المدير لها فى حجرته وقفت شهيرة فى وسط الحجرة وهى تحدج عادل بنظرة تتفجر بالكراهية ثم صرخت فى وجهه قائلة سأشكوك الى المدير ليعاقبك على وقاحتك وفى تلك اللحظة دخل الى الحجرة رجل جعل انظار كل الموظفين تتجه اليه ٠

انه عبد الراضى بك المقاول الكبير وعميل الشركة الاول ٠ الوحيد الذى نظر اليه بأحتقار وكراهية كان عادل وحده ٠ فى كل مرة يراه كان يحس بأنه ينظر الى رمز الفساد فى هذه الدولة ورغم ذلك كان رمز الفساد هذا محل ترحاب كل فرد فى الشركة ٠ كان اشبه بكرة ضخمة منفوخة بالهواء بشرته شديدة السمرة ٠٠ وملامح وجهه اقرب الى ملامح قرد كبير اما كفه الضخمة التى يضغط بها على يد مصافحه فى قوة فكانت كف رجل اعمال مصرى صميم ٠٠ اصابع غليظة ملتصقة ببعضها البعض لا يدرى احد كيف يحركها او ماذا يفعل بها بأستثناء عد النقود اما رأسه الضخمة شبه الصلعاء بأستثناء بعض شعرات شوكية بيضاء هنا وهناك فقد كانت رمزا للغباء ٠ كانت قلقاسة مقززة اما ملابسه الخالية تماما من الذوق ٠٠ فقد كانت تؤكد أصله الوضيع ، وانه رغم ثراءه الفاحش المفاجىء لم يستطع ان يكتسب عادات الرجل الذى ولد فى احضان الثراء ٠ كان يرتدى حلة داكنة فضفاضة فوق جسمه المستدير ورباط عنق احمر اللون وحذاءا اصفر ٠

قال لعادل وهو يرنو اليه ببشاشة بحيث بدت أوداجه منتفخة بصورة باعثة على الضحك صباح الخير يا استاذ عادل هل كل شيء على ما يرام ٠٠ لم يرد عليه عادل بل اكتفى بنظرة غير ودودة تجاهلها عبد الراضى بك حتى لا يخلق مشاكل مع موظف هام فى الشركة يمكن أن يثير العقبات فى وجه مصالحه وهى اكثر من ان تعد ٠ تجهم وجهه وهو يزيح بصره بعيدا عن عادل متجها ناحية مكتب ابراهيم الذى ما ان رآه حتى هب واقفا على قدميه مرحبا به فى حرارة ثم دعاه للجلوس الى جواره ٠

ومال عبد الراضى بك على اذن ابراهيم هامسا وهو يشير بطرف خفى الى عادل الذى كان يعمل فى احد الملفات والذى كان يرمقهما خلسة بين الحين والآخر ٠ قل لى يا استاذ ابراهيم الى متى سيظل هذا الانسان مغفلا الى هذه الدرجة متى سيعرف الدنيا على حقيقتها ٠ ابتسم ابراهيم فى سخرية وقال له لا تعبأ به يا عبد الراضى بك انه من النوع الذى ولد مغفلا وسيموت مغفلا ايضا على اى الاحوال حمدا لله على السلامة ٠ سمعت انك كنت فى جولة فى الكويت والخليج قال عبد الراضى بك فى سعادة نعم وظللت هناك شهرا بأكمله للاشراف على مقاولات اقوم بها هناك ٠ ضحك ابراهيم وهو يقول بلهجة لم تخف على عبد الراضى بك والاشيا معدن والجيب عمران اليس كذلك ضحك عبد الراضى بك قائلا اطمئن يا استاذ ابراهيم كل شيء تمام ثم نظر بعمق الى عينى الموظف اللتين ماتت فيهما الكبرياء منذ فترة طويلة وقال له بشيء من السخرية وانا لم انساك وباقى الزملاء احضرت لكم هدايا قيمة من الكويت ارجو ان تعجبكم حتى عادل نفسه احضرت له هدية هو الآخر ٠ صرخ ابراهيم فى وجه ضيفه قائلا ارجوك يا عبد الراضى بك كله الا عادل هذا هل تريد ان تسبب لنا فضيحة فى الشركة ٠٠ قال عبد الراضى بك وهو يبلع ريقه بصعوبة

حمدا لله انك نبهتنى الى ذلك قبل ان ارتكب هذه الغلطة الفظيعة ثم نظر الى عادل بكراهية وهو يقول اننى لا اكره انسانا مثل ذلك الذى يتزمت فى الحياة ما الذى سيحدث له اذا قبل الهدية فى مقابل خدمات صغيرة يؤديها لى لن تضر أحدا على الاطلاق ٠

ثم قام عبد الراضى بك ليوزع الهدايا التى احضرها معه على موظفى الادارة وضع على شفتيه ابتسامة عريضة وهو يقترب من مكتب على ويقدم له علبة صغيرة قائلا له : ها هى الولاعة الرونسون الذهب التى طلبتها منى ارجو ان تروق لك وكادت الدموع أن تطفر من عينى على وهو يأخذ العلبة من يد عبد الراضى بك بينما راح لسانه يلهج بآيات الشكر الذليل الذى تعود عبد الراضى بك سماعه من الموظفين كلما منحهم هـدايا من هذا النوع والذى جعله يشعـر فى تلك اللحظة بأقصى درجات السعادة والرضاء عن النفس ٠٠ ثم استدار عبد الراضى بك متوجها الى مكتب شهيـرة ووضع فوقه علبة كبيرة مربوطة بشرائط حمراء جميلة ثم التفت الى ابراهيم قائلا بالمناسبة أين الآنسة شهيرة فقال له ابراهيم بأنها عند المدير ٠٠ قال عبد الراضى بك على أى حال لقد وضعت لهـا الهدية على مكتبها ثم غمـز بعينه قائلا انا اعرف نوع الهدايا التى تروق لها ٠

لقد احضرت لها علبة ماكياج كاملة مستوردة من باريس ٠
ثم تقدم من مكتب فاطمة وقال لها وهو يتكلف المرح اما انت يا ست فاطمة فهذه هدية متواضعة لابنك الصغير علبة اقلام باركر مذهبة ثم مد لها يده بالعلبة الفاخرة متوقعا منها ان تأخذها منه على الفور ولسانها يلهج بالشكر كما سبق أن فعل على لكـن فاطمة ترددت فى أخـذ العلبة منه مما جعـل عبد الراضى بك رغم صفاقته الطبيعيـة يشعر بشىء من الحرج ومن ثم يروح يستحثها بكل ملامحه على أخذ

الهدية من يده الممدودة فى الهواء والتى لم تتعود هذا الموقف الغريب من قبل اذ كان الجميع دائما يتسابقون على اخذ الهدايا من عبد الراضى بك بل يطلبونها منه صراحة اذا ما أحسوا أنه يحـــاول أن يتجاهلهم ٠

واحس عبد الراضى بك انه فى مأزق غريب لم يقفه من قبل واكتسبت نظراته شيئا من الصرامة والغيظ وهو يقول فى شبه توسل لفاطمة التى كانت تنظر الى عادل فى شىء من الخجل والخوف وهى ترى علامات الاستنكار لكل ما يدور حوله وقد ارتسمت فوق ملامح وجهه وأطلت من عينيه ٠٠ هذه الهدية ليست لك يا ست فاطمة انها لابنك الصغير وهى شىء بسيط ليســـت له قيمة كبيرة ٠ ثم قرب العلبة من وجهها وهو يقول لها بينما نظراته النفاذة تخترق عينيها متأكدة انها فى قرارة نفسها تريد أخــذ العلبة منه لكنها تشعر بشىء من الخجل او الخوف لسبب او لآخر هيا خذى العلبة يا ست فاطمة ولا تكسفينى واشاحت فاطمة بوجهها عن عينى عادل المسلطتين على يد عبد الراضى بك الممسكة بالهدية وعينيها المليئتين بالتردد ومدت يدها واخذت الهدية ٠ وتراخت عضلات وجه عبد الراضى بك واطلت من عينيه نظرة الانتصار التقليدية التى تطل منهما كلما حقق نجاحا من هذا النوع لكن هذه المرة كان للنجاح طعم خاص ٠

واستدار عبد الراضى بك عائدا الى مكتب ابراهيم ووجهه متهلل بالفرح فقد حققت غزوته رغم الفشل الذى تحلق بها نجاحا ساحقا ٠ وجلس الى جوار ابراهيم وربت كتفه فى مرح وهو يقول له اما انت يا سيد ابراهيم فهديتك اكبر من كل هذه الهدايا الصغيرة واخرج مظروفا كبيرا من جيبه وهو يقول له هديتك فى هذا المظروف ثم مد يده من تحت المكتب ليعطيه المظروف فقال له ابراهيم هامسا

ارجوك يا عبد الراضى بك ليس امام الموظفين فنظر اليه عبد الراضى بك مستفسرا · فقال له ابراهيم لدى فكرة تنقذنا من الحرج · سأخرج انا من الحجرة اولا ثم تتبعنى انت الى الدهليز بعد قليل وهناك تعطينى المظروف ثم هب واقفا وقال وهو يتجنب عيون الموظفين التى اتجهت اليه اننى ذاهب الى دورة المياه · ومر وقت قصير قام على اثره عبد الراضى بك وقال وهو يتجه الى باب الخروج وانا ايضا أريد الذهاب الى دورة المياه لكن عادل الذى كان يراقب الموقف عن كثب والذى بلغت اعصابه اقصى درجات التوتر اعترض طريقه قائلا كلا يا عبد الراضى بك انك لن تخرج من هذه الحجرة ·

صاح عبد الراضى بك فى غضب ماذا تعنى بذلك هل ستمنعنى بالقوة · قال عادل وهو يبتسم فى سخرية ما اريد ان اعرفه هو لماذا تخرج الآن بعد لحظات من خروج ابراهيم الا اذا كنت تريد ان تقابله فى الخارج لتعطيه شيئا ما · مظروف مثلا · قال عبد الراضى بك متظاهرا بالدهشة والغضب اى مظروف تعنى · مد عادل يده بسرعة فى جيب عبد الرضى بك واخرج المظروف المتخم بالنقود وقال وهو يحدقه فى احتقار هذا المظروف يا عبد الراضى بك ··

الآن لا أعتقد أنه يمكنك الانكار وبرغم أن عبد الراضى بك أفحم الا انه قال متظاهرا بالغضب · كيف جرؤت على ان تضع يدك فى جيبى · صرخ عادل فى وجهه قائلا كما جرؤت انت على محاوله رشوة موظف تحت رئاســـتى · قال عبد الراضى بك غاضبا انها اهانة لااسمح لك بها وسأتقدم بشكوى الى المدير ليوقفك عند حدك ثم ان هذا المظروف الذى تقول اننى كنت سأعطيه لابراهيم كان فى جيبى ومن حقى ان احمله فى اى مكان اذهب اليه · قال عادل ساخرا بالتأكيد لتشترى به الموظفين من امثال ابراهيم · وصمت برهة ثم

اردف قائلا هيا يا عبد الراضى بك كن شجاعا واعترف بانك كنت تنوى اعطاء المظروف لابراهيم · قال عبد الراضى بك لعادل اننى لن اجادلك فى هذه التهمة الملفقة التى تحاول الصاقها بى لكنى اطالبك بان تعطينى المظروف على الفور والا سأشكوك الى المدير ·

قال عادل بشماته اننى لن اعطيك المظروف لانه دليل مادى على جريمة الرشوة التى اقترفتها · وحاول عبد الراضى بك ان يأخذ المظروف بالقوة فثارت مشاجرة بينه وبين عادل كادت تتحول الى تماسك بالأيدى خرج على أثرها المدير من حجرته التى يفصل بينها وبين حجـرة الموظفين باب مغلق ومن وراءه خرجت شهيـرة تساوى شعرها وتشد رداءها من الخلف · وسأل المدير غاضبا عن سر هذه الضجة وما كاد يتنبه الى وجود عبد الراضى بك فى الحجرة حتى تحول غضبه الى فرح مفاجىء وقال بلهجة ودوده عبد الراضى بك غير معقول لماذا لم تأت الى مكتبى على الفور ·· قال عبد الراضى بك غاضبا وهو يشير الى عادل هذا المجنون اختطف من جيبى مظروفا به نقود ويرفض اعادته لى · قال عادل متحديا نعم رفضت ان اعيد له المظروف لانه الدليل المادى على محاولته رشوة احد موظفى الادارة · صرخ عبد الراضى بك قائلا ان المظروف كان فى جيبى كيف عرفت اننى كنت سأعطيه الى احد موظفى الادارة · قال عادل غاضبا كل الظروف تؤكد كلامى ان ابراهيم الذى كان جالسا الى جواره وكان يتهامسان مع بعضهما البعض سبقه الى الخروج من الحجرة ثم حاول هو ان يلحق به بعد لحظات والغريب ان الاثنين تذرعا بحجة واحدة مضحكة هى الذهاب الى دورة المياه ··

ان اى انسان عاقل يضع الاشياء الى جوار بعضها البعض ليستطيع ان يدرك ان عبد الراضى بك حاول الخروج من الحجرة

كى تتاح له فرصة اعطاء المظروف لابراهيم بعيدا عن الانظار وهذه فى رأيى جريمة رشوة مؤكدة · قال المدير لعادل بغضب شديد هيا اعطنى هذا المظروف ولا تزج بنفسك فى تهمة خطيرة · صاح عادل بأستنكار تهمة خطيرة من انا أم هو ؟ · قال المدير انت بالطبع لقد اخذت المظروف من جيبه اما جريمة الرشوة التى تتحدث عنها فلن يمكنك اثباتها بحال من الاحوال · وصمت برهة ثم قال بلهجة اقل حدة هيا اعطنى المظروف ولا تكن احمقا · ثم اسبقنى الى حجرتى لان لى معك حديثا طويلا واحس عادل بهزيمة حقيقية لانحياز رئيسه الاعمى لصف غريمه فأعطاه المظروف فى غضب ووقف حائرا يردد الطرف بينه وبين عبد الراضى بك الذى تهلل وجهه لانتصاره غير المتوقع على عادل والذى اخذ يردد فى غضب مصطنع بانه اذا لم يحصل على ترضية مناسبة فانه سيرفع دعوى تعويض على الشركة نتيجة الاهانة التى لحقت به فى الوقت الذى كان المدير يحاول فيه ان يعتذر له دون جدوى ··

اذ اصر عبد الراضى بك بطريقته المضحكة التى لم تكن تخدع أحدا على رفع دعوى على الشركة ·· ودس عبد الراضى بك المظروف داخل جيبه فى انتصار وانتظر حتى دخل المدير ومن وراءه عادل الى حجرة المدير ثم خرج الى الدهليز ليقابل ابراهيم كما اتفقا ويعطيه المظروف · فى داخل الحجرة المغلقة جلس المدير فى مقعده الجلدى الوثير الذى يتحرك فى جميع الاتجاهات وصاح فى عادل غاضبا هل تدرك خطورة ما فعلته مع عبد الراضى بك الذى يهدد برفع دعوى تعويض على الشركة ··

لقد اتهمته بدون دليل بأرتكاب جريمة الرشوة · ما هو دفاعك -

جلس عادل على احد المقاعد الكبيرة الموضوعة الى جوارالمكتب

دون ان يدعوه المدير الى ذلك وارتسمت ابتســـامة ساخرة على شفتيه وهو يقول له متهكما • اذن اصبحت متهما اما عبد الراضى بك المتهم الاصلى فقد اصبح بريئا اى مهزلة • صاح المدير غاضبا انك لا تملك دليلا واحداً على اتهام عبد الراضى بك بالرشوة •

قال عادل غاضبا اظن اننى اعطيتك الدليل يا سيدى قال المدير متهكما اظنك تعنى بذلك المظروف الذى اخذته من جيب عبد الراضى بك هل تعتقد حقا ان اى محكمة يمكن ان تأخذ بكلامك • قال عادل وهو ينظر اليه بأحتقار عندما وجده يراوغه على هذا النحو متمسكا بشكليات لا قيمة لها فى الوقت الذى يعرف كلاهما فيه ان عبد الراضى بك كان ينوى اعطاء المظروف لابراهيم ••

انا وانت نعرف ان عبد الراضى بك لديه مناقصة هامة فى الشركة وهو على استعداد لدفع أى مبلغ لأى انسان يساعده فى ارساء العطاء عليه والمظروف الذى به مبلغ الرشوة اخذته من جيبه هنا فى الشركة وابراهيم سبقه الى الخروج الى الدهليـــز حتى يلحق به ويعطيه المظروف اليس هذا كافيا فى نظرك لاثبات جريمة الرشوة• قال المدير وهو يشعر بمنطق عادل القوى لكنه أراد المراوغة رغم ذلك •• لنفرض أن ما تقوله صحيح كان الواجب أن تبلغنى أولا قبـل اتخاذ أى اجراء • قال عادل متهكما وأترك الجريمة تتم والدليل المادى يضيع • قال المدير فى ضيق حسن سأعتبر الموضوع منتهيا هذه المرة ولن أوجه لك أى اتهام على شرط ألا يتكرر هذا العمل مرة أخرى •

قال عادل غاضبا أننى لا أريد اعتبار الموضوع منتهيا قبل أن توجه اتهاما بالرشوة الى ابراهيم وعبد الراضى بك • انتفض المدير

غاضبا وهو يقول له ليس لك أن تقول لى ما الذى يتعين على أن أفعله فى ادارتى أننى أحذرك لقد ذهبت الى أبعد مما ينبغى هذه المرة ٠٠ أنك بالنسبة لى موظف مشاغب والشكاوى ضدك كثيرة وآخرها شكوى الانسة شهيرة تقول أنك أهنتها واعتديت عليها بألفاظ جارحة ثم هذه الشكوى من عبد الراضى بك ٠٠ هل تعرف ما الذى سيحدث اذا ذهب بشكواه الى رئيس مجلس الادارة ٠

وصمت برهة ثم قال لعادل بلهجة آمرة أسمع أننى أريدك أن تخرج الآن وتعتذر لعبد الراضى بك وتسوى معه المسألة قبل أن يمضى فى اجراءات تقديم الشكوى ٠

قال عادل وهو ينظر اليه باحتقار الآن أصبحت موقنا من صدق ما يقوله الموظفون عنك من أنك ضالع معهم سيادة المدير ضالع مع الموظفين المرتشين لا غرو أنك لا تريد اتخاذ اجراء واحد ضد ابراهيم أو عبد الراضى بك ٠٠ قال المدير وهو ينتفض غاضبا اخرس أنك لا تدرى ما الذى تتكلم عنه على أى الأحوال النيابة الادارية التى سأحولك اليها ستعرف كيف توقفك عند حدك ٠٠ قال عادل بلهجة ساخرة أنا تحولنى الى النيابة الادارية وتترك الموظفين المرتشين يمرحون فى الشركة ٠٠ ثم خرج بعد أن صفق الباب وراءه بشدة ٠
وفجأة وجد عيون الموظفين ترمقه فى فضول لا يخلو من شماته متصورة أن المدير لا بد أن يكون قد لقنه درسا قاسيا لجرأته الغريبة وأخرجت شهيرة مرآتها الصغيرة وراحت تصلح من مكياج وجهها وهى تنظر اليه ساخرة بين الحين والآخر ٠

اما ابراهيم وعلى فقد راحا يتهامسان وهما يشيران اليه من طرف خفى وقد لمعت عيونهما بالضحك والسخرية ولم يجد

عادل الذى كان يتميز غيظا ما يعمله سوى الانهماك فى العمل موقنا أن الحرب بينه وبين موظفى الادارة بما فيهم المدير نفسه أصبحت شيئا مقدسا للدفاع عن وجـوده الحى نفسه ومهما كانت النتائج المترتبة على ذلك ٠

وفجأة ودون أن يحس بهـا وجد فاطمة واقفة أمامه ٠٠ ورفع بصره عن الملف الذى يعمل به ونظر اليها فى فضول ٠٠ فى عينيها نظرة حنونه متعاطفة أدرك أنها محاولة من جانبها لمسح جراحه العميقة ٠٠ للاعتذار له عن عدوانية ووقاحة باقى الموظفين ٠٠ ظل ينظر اليها بفضول فى الوقت الذى مضت فيه تتكلم بعينيها كانت تريد أن تقول له أنها معه فى حربه المقدسة حتى النهاية وكانت تريده أن يتفهم حقيقة الدوافع التى حدت بها الى قبول الهدية من عبد الراضى بك الرجل الذى تكن له احتقاراً غريزيا فهى تكره كل ما يمت الى الانتهازية واستغلال حاجة الآخرين بصلة ٠٠ كانت تريد ان تقول له انها موظفة صغيرة فى حاجة الى كل قرش من راتبها المتواضع ٠٠ وان هدية عبد الراضى بك ترفع عنها بعض الأعباء الثقيلة التى تحملها ٠٠ انها تجلب الفرح لعينى طفل صغير قلما عرف طعم الفرح فى حياته لانها قلما استطاعت أن تبتاع له هدية مناسبة ٠ ثم ما هى قيمة هذه الهدية المتواضعة بالنسبة لرجل يملك مئات الالاف وابتسم لها عادل فى حنان بعد ما قرأ كل السطور التى انطبعت فوق عينيها الصامتتين الحزينتين وقال لهـا هو أيضـا أشـياء كثيرة بعينيه ٠٠ قال لهـا ان الحنـان لم يمت بعد من العـالم طالما وجدت فيه عينان كعينيها ٠٠ وان العـالم ما زال يدور حـول محور ثابت اسمه الحقيقة التى يتعين أن تظهران عاجلا أو آجلا لأنها شمس تحرق من يحاول أن يخفيها الى الأبد ٠٠ قالت له بلهجة حزينة وجهك ينطق بما حدث لك داخل حجرة المدير ٠

أن هذا فظيع كيف يمكن أن تنقلب الحقيقة الى هذه الدرجة ..
نظر الى عينيها وقال والحزن يعتصر قلبه ما يهمنى الآن ليس ماحدث لى داخل حجرة المدير لكن ما حدث لك أنت يا فاطمة .. لماذا قبلتى الهدية من عبد الراضى بك وصمت برهة ثم أردف تائلا صدقينى أننى لا أريد أن أوجه لك اتهاما بقدر ما أريد أن أفهم دوافعك الحقيقية .. أننى مندهش يا فاطمة أن هذه ليست طبيعتك أننى أعرفك جيدا .. وظلت فاطمة صامتة تحدجه بنظرات حائرة لا تدرى ماذا تقول فأردف قائلا وملامح وجهه تعكس الألم الذى يعتمل فى داخله لقد سمحتى لهذا الرجل الشرير بأن يقتحم آخر حصن يمكنك أن تدافعى منه عن كرامتك .. عن انسانيتك .. هذا الرجل يعلم أنه بهديته البسيطة قد اشترى روحك الى الأبد بحيث لن يكون فى مقدورك بعد الآن أن تقولى لا فى وجه أى رغبة يطلبها منك حتى لو أمرك بالقفز من هذه النافذة .. وتطلع الى عينيها يبحث فيهما عن الاجابة .

قالت فاطمة وملامح الألم بادية على وجهها صدقنى يا عادل لقد بدأت أفكر بنفس طريقتك منذ اللحظة التى أخذت فيها الهدية ثم تأكد شعورى عندما رأيتك خارجا من حجرة المدير .. لكنى أريدك أن تعرف كيف كنت أفكــر وأنا أقبل الهدية من ذلك الرجل الملعون وصمتت برهة ثم قالت بصوت خافت حزين كأنها تكلم نفسها هل تعلم كم هى تعاسة طفل لا يتلقى هدايا من والديه .. وهل تعلم كم هى تعاسة الوالدين من أجل احساسهما بالعجز أعذرنى يا عــادل فأنا أعلم أنك لم تتزوج ولم تنجب أطفالا ولذلك فمن الصعب عليك أن تحس بمشاعرى كأم تريد أن تفرح طفلها بتقــديم هدية جميلة له صدقنى يا عادل أن كل قرش نكسبه أنا ووالد طفلى بالكاد يكفينا لضرورات الحياة ؟!

وأمسك عادل بيدها وضغط عليها فى رفق بينما مضت هى قائلة
وفجأة وجدت ذلك الرجل الملعون يمد لى يده بهدية ثمينة لم تكلفه
شيئا بينما هى لطفلى تعنى الكثير هدية لن أتمكن أبدا من شراءها ..
كان يستحثنى على قبول الهدية منه بل كان يغرينى بذلك ولم أستطع
أن أقاوم أكثر من ذلك مددت يدى وأخذت منه الهدية وأنا أتمنى أن
أتلاشى تماما من الوجود أما الآن بعد أن فكرت طويلا وبعد أن سمعت
كلامك فأننى أحس بأننى ارتكبت جريمة فظيعة فى حق نفسى وفى حق
طفلى الصغير .

وتركت عادل وعادت مرة أخرى الى مكتبها وفى عينيها يلمع
تصميم عجيب وأخرجت الهدية ووضعتها على مكتبها انتظارا لدخول
عبد الراضى بك الى الحجرة لتلقيها فى وجهه .. وما أن رأته يدخل
الى الحجرة ووجهه متهلل من السعادة ومن وراءه ابراهيم الذى لم
يكن أقل منه سعادة حتى صرخت فى وجهه قائلة عبد الراضى بك
تعالى خذ هديتك فأننى لا أريدها .. ونظر اليها عبد الراضى بك
بدهشة وهو يحس بالحرج من الموظفين الذين أخذوا يحدقون فيه
انتظارا لما سيفعله معها .

كان فى داخله يغلى من الغضب فقد كان الموقف مفاجئا تماما
بالنسبة له لكن عبد الراضى بك الرجل العملى الذى تعود أن يضبط
أعصابه فى أحرج المواقف وألا يسمح بتدمير الجسور وراءه فقد
يعود مرة أخرى لاستعمالها وضع ابتسامة باردة فوق وجهه
الكاوتشوكى القادر على التشكل فى أى صورة يريدها وبسرعة غريبة
ثم تقدم من مكتب فاطمه وقال لها بهدوء وهو يتمنى لو يصفعها
على وجهها ما الذى حدث ياست فاطمة اذا كانت الهدية لا تعجبك
فسأحضر لك واحدة أفخم منها .. صرخت فاطمة فى وجهه وهى تمد

يدها له بالهدية أسمع لا تقل كلمة واحدة أكثر من ذلك خذ هديتك والا ألقيت بها من النافذة ٠

ووسط الوجوم الذى خيم على الحجرة مد عبد الراضى بك يده وأخذ منها الهدية ثم وقف لبضع لحظات حائرا لا يدرى ماذا يفعل وقد أحس بأن الاهانة التى وجهتها له الموظفة الصغيرة قد تغلغلت فى أعماقه وكان أكثر ما حز فى نفسه أنه كان عاجزا عن الرد السريع عليها ٠

وفجأة بحنكة الرجل العملى استطاع أن يتخلص من ورطته ٠٠ تقدم من مكتب شهيـرة التى كانت تحدق فى زميلتها بغيظ وكراهية لأنها تسببت بموقفها من عبد الراضى بك فى فضح سلوكها هى وكل من أخذ هدايا منه ٠٠ وأظهرت كم هم صغار وبلا كرامة على الاطلاق ووضع على شفتيه ابتسامته المداهنة ثم مد يده لها بالهدية وهو يقول بلهجة متزلفة هذه الهدية منى يا انسة شـهيرة والهدية لا ترد ٠٠ ومدت شهيرة يدها بسرعة وأخذت منه الهدية وهى تبتسم له بعينيها ٠ وهكذا استطاع عبد الراضى بك أن يضع نهاية سعيدة للحرج الذى أحسوا به جميعا هو والموظفين المرتشين بالادارة ٠

★ ★ ★

انتهت محاسن المرضة الحسناء ذات الثمانية والعشرون ربيعا من اعطاء الحقنة لوالد مرفت الذى ظل طريح الفراش لبضعة أسابيع ماضية وان كان قدبدأ يتحسن مع الوقت وقالت له وهى تمسح الأبرة بقطعة من القطن وتضعها هى والحقنة داخل حقيبتها الجلدية الصغيرة لقد تحسنت كثيرا فى الأيام الأخيرة ولن يمر وقت طويل حتى تقرأ

الجرائد فى الصالة ويمكنك أيضا محاولة السير داخل الشقة ٠٠
ونظر اليها الرجل العجوز الواهن بامتنان محاولا النطق ببضع كلمات خافته يعبر بها عن شكره لما بذلته من أجله خلال مرضه الطويل وابتسمت محاسن وهى تقول له أرجوك لا داعى للكلام وسأمر عليك فى الغد لأعطيك الحقنة كالعادة ٠٠ ثم غادرت الحجرة الى الصالة حيث كانت مرفت ووالدتها فى انتظارها ليتبادل الثلاثة حديث كل أصيل وهن مجتمعات حول أبريق الشاى ٠٠ اذ بعد عدة أسابيع من الحضور المنتظم للمرضة لعيادة رب الأسرة أصبحت بمثابة فرد من العائلة ٠

كانت تجلس مع الأم وابنتها ليتحادثوا فى شتى المواضيع قبل أن تستأذن فى الانصراف لتقوم بجولتها المعتادة فى بيوت الزبائن ٠٠ وبحكم السن كانت مرفت أقرب الى الممرضة من أمها ٠٠ كانت مرفت تنظر اليها باعجاب وانبهار فهى جميلة وترتدى ملابس أنيقة دائما تفوق المستوى العادى للمرضة ومنذ اللحظة الأولى التى وقع بصر مرفت عليها وهى لم تفتأ تفكر فى حقيقة هذه الممرضة وما هى مهنتها الحقيقية بالاضافة الى اعطاء الحقن فى البيوت ومن أين تأتيها كل هذه النقود التى تسمح لها بأن تعيش فى هذا المستوى المرتفع وترتدى هذه الأطقم الجميلة من الملابس المستوردة التى كانت تبهر مرفت وتثير فضولها ٠

وتركت مرفت الأيام لتجيب على تساؤلاتها وكان قلبها يحدثها بأنه لن يمر وقت طويل حتى تفاتحها الممرضة بحقيقتها فالموضوعات التى تدور بينهما مليئة بالتلميحات التى لا تخفى على فتاة جميلة طموحة كمرفت ٠

التفتت الأم الى الفتاتين وقالت ضاحكة أعرف أنكما تريدان الانفراد ببعضكما البعض لتتبادلا تلك الأحاديث الطويلة التى لا يعرف الا الله ماذا يدور فيها ·· وضحكت الفتاتان من قلبيهما بينما أردفت الأم قائلة حسن سأترككما لأذهب وأستريح ·

ولاحظت الممرضة البلوفر الصوف الذى ترتديه مرفت فمدت يدها وتحسسته فى اعجاب ·· قالت مرفت مزهوة أنه مستورد ·· ابتسمت الممرضة وقالت بسخرية أنا أعلم ذلك ياحبيبتى فأنا خبيرة أم تراك نسيتى ذلك ثم رمقتها بنظرة أحست بأنها تضىء فى داخلها ·· داخلها المظلم الملىء بالأحلام التى تريد أن تطير فى الهواء كبالونات ملونة ·· كانت الممرضة تتأمل مرفت الجميلة الشقـراء بأعجاب عميق ·· ثم قالت لها بلهجة ناعمة أحست مرفت بأنها وصلت مباشرة الى قلبها فتاة جميلة مثلك لا بد أن ترتدى دائما الملابس المستوردة أنا أيضا كل ملابسى مستوردة انظرى هذا الجيب مثلا أنه رائع أليس كذلك لكنى لم أدفع فيه مليما واحدا ·· ثم ضحكت من أعماقها وهى تقول بينى وبينك فأنا لا أدفع مليما واحدا فى ملابسى أنها دائما هدايا من الآخرين ·

هذا الجيب وبلوزة أخرى رائعة جاءا لى بمناسبة عيد ميلادى من صديق عزيز ثم ضحكت مرة أخرى وهى تقول وبينى وبينك أيضا لا يمر شهر واحد الا ويكون عيد ميلادى التالى قد حل · وهم دائما يصدقون ويبتاعون لى هدايا كثيرة من هذا النوع ·· ثم قالت الممرضة وأنت أيضا لا بد أن تعملى مثلى دعى أصدقائك يبتاعون لك الأشياء التى تحبينها وصمتت برهة ثم قالت وهى تنظر مباشرة الى عينيها لا بد أن لك أصدقاء كثيرين فتاة جميلـة مثلك ·· هه ·· أليس كذلك ·· وتضرجت وجنتا مرفت وخفضت بصرها الى الأرض وتأكدت الممرضة أنها أمام فتاة ساذجة لا خبرة لها ·

وتصنعت المرضة الدهشة وهى تقول لمرفت لا تقولى لى أنك اشتريت هذا البلوفر يا حبيبتى ولمعت عينا مرفت بفرحة مفاجئة وهى ترد قائلة كلا أننى لم أشتر هـذا البلوفر لقد جاء لى هدية من أحد زملائى فى الكلية ضحكت المرضة من قلبها وهى تقول بسخرية جاءك هدية من أحد زملائك أنها أول مرة أسمع فيها أن زميلا يهدى زميلته شيئا ثمينا كهذا .. هل تعرفين أن ثمنه لا يقل عن عشرين جنيها .. لابد أنه غنى ويحبك كثيرا .. وتضرجت وجنتا مرفت بلون أحمـر خفيف وأشاحت ببصرها بعيـدا عن عينى المرضة اللتين تحاصرانها طول الوقت ولا تدعان لها فرصة للتنفس ثم أردفت قائلة وقلبها يرتعش من السعادة وهو أيضا يملك سيارة جميلة أهداها له والده بمناسبة دخوله الجامعة .

قالت المرضة بسخرية وهو أيضا يأخذ مصروفه من والده وصمتت برهة ثم أردفت قائلة وهى تخترق مرفت بعينيها النفاذتين لا أحسب أن فتاة ذكية مثلك ولها كل هذا الجمال تقتنع بأنسان من هذا النوع حبيبتى لا بد أن تكون لك آمال عريضة رجل غنى يعتمد على موارده الخاصة لا على مصروف يأخذه من أبيه .

قالت مرفت وهى تشعر بكلمات المرضة تداعب أحلاما حقيقية فى داخلها لكنى أعجب به وأنا متأكدة أنه هو أيضا يحبنى .. قالت المرضة بأكثر لهجاتها اقناعا أنك حقا ساذجة يا مرفت ما دخل الحب فيما نحن نتحدث بشأنه احتفظى بالشاب اذا أردتى لكن ابحثى عن رجل غنى ينفق عليك وصمتت برهة ثم قالت لها وهى تحدق فى عينيها بجرأة لا تظنى أنك الوحيدة التى تفعل ذلك كل الفتيات هذه الأيام يفعلن ذلك .. قالت مرفت بتردد أننى خائفة .. أننى لم أفعل هذا

من قبل وضغطت الممرضة على يد مرفت بحنان وقالت لها وعيناها ترسلان بريقا يشل حواسها ويخضعها تماما لسيطرتها ·

عيبك يا مرفت أنك خام جدا لكن اطمئنى مجرد دفعة بسيطة وتصبح الأمور سهلة وطبيعية تماما ·· وصمتت برهة كى تعطى لكلماتها فرصة التأثير فى وجدان مرفت المتأرجح الجبان ثم قالت وهى ترمقها بطريقة خاصة من أين تظنين أن فتيات الجامعة ينفقن على الملابس الغاليـــة التى يرتدينها ·· أنها بالتأكيد ليست من رواتب ذويهن المحدودة بل من رجال أثرياء ينفقون عليهن بسخاء ·· وماذا تخسر الفتيات مقابل ذلك لا شىء على الاطلاق فكل شىء هذه الأيام يمكن تعويضه ·

وصمتت برهة ثم قالت وهى تحـــدق فى عينيها أنك تفهميننى بالطبع يا مرفت أليس كذلك ·· وظلت مرفت صامتة بينما داخلها كله يرتعش وهى تفكر فى كل الأشياء الجميلة التى يمكن أن تحصل عليها عندما تملك النقود الكافية ·· كل المتع والسهرات التى طالما حلمت بها ·

قالت الممرضة وقـــد بدأت تحس بأن مرفت تستجيب لها هل سمعتى عن مديرى الشركات الكبيـــرة وأصحاب مكاتب الاستيراد والتصدير الذين يكسبون مئات الألوف كل عام ·· الرجال الذين تجاوزوا سن الشباب ويريدون ارجاع شبابهم الذى ولى مع فتيات صغيرات فى السن ·· هؤلاء يا عزيزتى هم مصدر كل الثراء الذى ترفل فيـــه فتيات الجامعة وغيرهن من الموظفات وربات البيوت هذه الأيام ·· وضحكت قائلة والغريب أن جميعهن يتحدثن عن الشرف والفضيلة ·

وفجأة قالت الممرضة عندما تأكدت أن مرفت قد أصبحت مخدرة تماما من تأثير كلماتها ·· ما رأيك لو نذهب الى شقتى لأريكى كل الأشيـاء الجميلة التى ابتاعها لى المعجبون ·· أننى متأكدة أنها ستسحرك تماما وحاولت مرفت أن تعتذر حتى لا تبدو متلهفة على الاستجابة لرغبة الممرضة لكن الممرضة قالت لها وهى تضربها بمرح على فخذها هيا قومى ولا تكونى كسولة ·

وقامت الفتاتان بعد أن استأذنت مرفت من أمها كى تتوجها الى بيت الممرضة القريب من بيت مرفت ·· وسيطر الانبهار على مشاعر مرفت وهى تخطو الى مدخل العمارة المكسو بالرخام حيث كانت السلالم نظيفة ولامعة والهدوء يخيم على المكان فأبواب الشقق مغلقة ولا يوجد أطفال يلعبون كالعادة وقارنت مرفت بين ما تراه الآن وبين حال الممرضة عندما كانت تسكن مع والدها جاويش البوليس المفصول من الخدمة وأمها فراشة المدرسة فى تلك الحجرة المتواضعة فوق سطح العمارة التى تسكنها مرفت مع عائلتها ·

وأحست مرفت بالدهشة والانبهار للتطور المذهل الذى طرأ على حياة الممرضة وأيضا بسرور خفى وحشى لذلك وهى تتصور أن ماحدث للممرضة يمكن أن يحدث بالنسبة لها ·· وأحست الممرضة من اللمعان المفاجىء فى عينى مرفت انها مبهورة بما ترى وان فكرة احضارها الى هذا المكان قد حققت المطلوب منها · قالت لها والمصعد الانيق ينزلق بهما بين الادوار صاعدا الى شقة الممرضة بالطابق السابع لقد اخترت الشقة عالية حتى ابعد عن ضجة الشارع رغم انه هادىء كما ترين لكن اعصابى لم تعد تحتمل الضجة بالمناسبة ما رأيك فى العمارة ·

قالت مرفت واحساسها بأنسابية المصعد يتغلغل فى وجدانها انها رائعة قالت الممرضة وهى تضحك فى سعـادة انتظرى حتى ترى الشقة من الداخل ·· الديكور وحده كلفنى مبلغا طائلا ·· قالت مرفت لنفسها فى سخرية أنها بالتأكيد لا يمكن أن تكسب كل هذه النقود من مجرد اعطاء الحقن للزبائن · ومع الوقت كان احساسها الغامض بمهنة الممرضة الحقيقية يتأكد ·· وكان احساسها مزيجا من الاثارة والخوف فهى فى داخلها لم تستنكر عمـل الممرضة بل لعلها تمنت ان تكون مثلها فى اسرع وقت ممكن تكسب نقودا كثيرة وتسكن عمارة مثل هذه · وكانت مرفت متأكدة ان الممرضـة لم تحضرها الى هذا المكان الا لتبهرها وتحطم آخر حصون مقاومتها وكانت مرفت سعيدة بهذا الاكتشاف ·

وفى داخل شقة الممرضة تضاعف انبهار مرفت وهى ترى مظاهر الترف الذى تعيش فيه الممرضة التى لا حظت ذلك بسعادة غامرة · وفوق اريكة وثيرة من النوع المودرن جلس جـاويش البوليس المفصول وهو يرتدى فانلة عارية وبنطلون بيجامة وامامه على مائدة صغيرة زجاجة كونياك كبيرة راح يجرع منها فى شراهة وقد احمرت عيناه من أثر الشراب وتهدل شعر راسه الرمادى الغزير فوق جبهته الحمراء المليئة بالتجاعيد ·

ضحك بصوت أجش فور أن رأى ابنته تجتـاز باب الشقـة والى جوارها مرفت الجميلة وقال ساخرا وفى صوته مرارة واضحة اهلا برجل البيت · ثم دفع ببقايا الكأس الى فمه فلمعت عينـاه أكثر وانتفخت اوداجه حتى بدا كشيطان مخيف وهو يحدق فى مرفت الجميلة بشراهة واضحة لكن المرأة البدينة الجـالسة الى جواره حدجته بنظرة صارمة جعلته يخفض بصره الى الأرض ويبلع كل

الكلمات التى كان ينوى ان ينطق بها • وحيت مرفت الرجل والمرأة بايماءه من رأسها وهى تشعر بتقزز يفور فى معدتها من منظرهما السوقى الوضيع الذى لايتلاءم مع فخامة المكان الذى يجلسان فيه خاصة وقد كانت المرأة البدينة التى ترتدى رداءا منزليا عارى الأكمام تحاول بشتى الطرق ان ترتفع عن طبقتها فتبدو محاولتها مثيرة للسخرية •

كانت سوقيتها والفاظها تفضحانها وفى الصالة رأت مرفت فتاة مراهقة فى حوالى السابعة عشرة ترتدى بنطلونا ضـيقـا من الجينز الازرق وبلوزة بيضاء تبرز جمال صدرها الذى ينمو بسرعة• كانت تجلس فى احد المقاعد الكبيرة على طريقة فتيات السينمـا الامريكية المراهقات • ظهرها مستند الى احد جوانب المقعد بينما ساقاها مرفوعتان وممدودتان فوق الجانب الآخر •

رفعت الفتاة المراهقة عينيها عن الرواية التى كانت تقـرأ فيها وصوبتهما ناحية مرفت فى نظرة باردة غيورة قابلتها مرفت بتجاهل وابتسامة ودودة ترتسم على شفتيها وفى الصالة أيضا كان هناك صبى صغير فى حوالى الرابعة عشر يقلب فى احدى المجلات المصورة • كان عارى الصدر يرتدى بنطلون بيجاما من الحرير وفى يده باكو شوكولاته يقضم منه فى شراهة • ما أن شاهد مرفت حتى أغلق المجلة وأخذ قضمة كبيـر من باكـو الشوكولاته ثم راح يحدق فيها بعينين مدهوشتين لا تخلوان من انبهار بجمالها الأخاذ •

وفى اضطراب وبشعور بالخجل قطعت مرفت الصالة بخطوات سريعة حتى تتخلص من تأثير النظرات الفضولية الموجهة لها والتى كانت تحس انها تطلع على كل ما بداخلها من مشاعر كانت حريصة على اخفائها عن أى انسان فى تلك اللحظة •• كان شعور مرفت يتبلور

فى أنها تقف فى بداية طريق يقول لها عقلها أن تتراجع عن السير فيه بينما قوة لا تقاوم تدفعها للتقدم الى الأمام ٠٠ ومسح الرجل العجوز شفتيه المبللتين بالخمر بظاهر كفه وقال وهو يرمق مرفت بعينين نهمتين وهى تمضى فى اتجاه حجرة النوم كل يوم تأتى بواحدة جديدة ٠٠ اننى لا أدرى من أين تأتى بهن هذه الشيطانة الملعونة ثم أطلق ضحكة مكشوفة بلعها عندما وجهت اليه زوجته واحدة من نظراتها الآمرة المتحدية لكنه أردف بعد قليل وكأنه يكلم نفسه الغريب أنهن جميعا جميلات وصغيرات فى السن ويبدون من عائلات طيبة على الأقل أرقى فى مستواها من مستوى عائلتنا السعيدة ٠

وصمت برهة ثم أردف ضاحكا لكن ما يحز فى نفسى اننى لم أعد شابا واننى والد هذه الملعونة وهنا صاحت فيه المرأة بعد أن عجزت عن التحكم فى أعصابها ألا تكف أبدا عن السخرية أيها الكلب العجوز خصوصا وأنت عاجز عن عمل أى شىء سوى الجلوس فى المنزل وشرب تلك الخمر التى تحصل عليها بالمجان ثم رمقته بنظرة احتقار وهى تقول له : انظر الى هيئتك المزرية وذقنك التى لم تحلق منذ أيام ٠٠ ان من تنظر اليك لا بد أن تكون عمياء ومجردة من الشعور وزمجر العجوز واحمرت عيناه وهو ينظر بهما فى غضب الى زوجته ورفع زجاجة الكونياك وهم بضربها لكن المرأة القوية البنية سارعت بامساك ذراعه وشلتها عن الحركة ثم قالت له وهى تنظر اليه بكراهيـة عميقة ٠٠ ألا تشكر الله أبدا على الحياة المرفهة التى تعيشها فى هذا البيت دون أن تدفع مليما واحدا مقابلا لها لأنك عاجز عن العمل٠٠ وهل بهذه الطريقة تكافىء ابنتك لأنها تحملت العبء من بعدك ٠٠ من يدفع لك ثمن الشراب الذى تعبه طول اليوم ٠٠ من يفتح لنا هذه الشقة ويحضر لنا الطعام والملابس الفاخرة التى نرتديها ٠٠ من ينفق على الاطفال ويلحقهم بأرقى المدارس قل ياناكر الجميل ٠٠لماذا لا تتركها وشأنها أيها الوغد وتتفرغ

لحياتك الحقيرة هذه ·· غمغم الأب وهو يشيح بوجهه عن عينى زوجته لكن من أين تأتى بكل هذه النقود أن من حقى أن أعرف ·

قالت المرأة فى غضب اذا كنت لا تنفق مليما واحدا فى هذا البيت فليس من حقك أن تعرف أى شىء ·

فى داخل حجرة النوم قالت الممرضة لمرفت التى كانت تنظر فيما حولها بانبهار هل أعجبتك حجرة نومى ولم تنتظر اجابة على سؤالها اذ كانت الاجابة واضحة فى عينى مرفت·· ثم أردفت الممرضة ضاحكة انتظرى حتى ترى ما بداخل دولاب الملابس·· ثم فتحت ضلفتى الدولاب على مصراعيهما ·· وشهقت مرفت وهى ترى كمية من الملابس تكفى لفتح أحد المحلات ·· قالت لها بذهول هل كل هذه الملابس لك أنت وحدك ·· ضحكت الممرضة فى سعادة وهى تقول لها بالتأكيد يا حبيبتى ·· وأنت أيضا يمكن أن يكون لك دولاب ملابس مثل هذا فى يوم من الأيام فقط عليك أن تنفذى ما أقوله لك بالحرف الواحد فأنت الآن مع خبيرة هل تفهمين ·

ثم بدأت الممرضة فى اخراج بعض الفساتين الأنيقة من الدولاب لتعرضها على مرفت ومرفت تشهق بين لحظة وأخرى من جمال الفساتين وأيضا وهى تفكر فى أثمانها الباهظة ·· ثم طلبت منها الممرضة كنوع من المفاجأة أن تلقى بنظرها الى قاع الدولاب وجحظت عينا مرفت فى ذهول وهى تشاهد أغرب مجموعة أحذية شاهدتها من قبل بعضها كانت تراها فى واجهات محال الأحذية فيكاد يغمى عليها من جمالها ومن الثمن الباهظ الموضوع فوقها ·

قالت مرفت للممرضة وهى لا تزال منبهرة بما رأت هل تستعملين كل هذه الأحذية ··

قالت المرضة ضاحكة هل تظنين اننى ابتعتها لاخزنها فى دولاب الملابس هل ترين كل هذه الفساتين كل واحد منها له حذاء خاص به ثم طلبت المرضة من مرفت أن تفتح أحد الأدراج وذهلت مرفت من كمية أدوات المكياج الفاخرة الموجودة به ·· قالت لها ضاحكة بكل الأشياء التى رأيتها فى هذا الدولاب يمكنك أن تفتحى بوتيك ·· غمزت لها المرضة بعينيها قائلة هذا ليس كل شىء انتظرى لترى المفاجأة التى أعددتها لك ·

حدجتها مرفت بسرور خفى يتحرك فى داخلها ثم قالت لها بدهشة مصطنعة مفاجأة لى أنا ·· !

قالت المرضة وهى تخرج من أحد الأدراج قطعة قماش قدمتها لمرفت هذه هى المفاجـأة التى حدثتك بشأنهـا انظـرى كم هى جميلة ·· شهقت مرفت وهى ترى قطعة قماش لم تر مثلها من قبل ·· تمنت لو تكون لها لترى زميلاتها المغرورات فى الكلية من هى الجميلة حقا فيهن جميعا ··

قالت المرضة وعيناها تريان التأثير المذهل الذى أحدثته قطعة القماش على وجه مرفت أعجبتك ؟ ··

قالت مرفت من قلبها جـدا أنها رائعة ·· مدت المرضة يدها بقطعة القماش وقربتها من مرفت قائلة لها حسن أنها من أجلك أنت ·· شهقت مرفت من الفرح وقالت غير مصدقة من أجلى أنا ·· قالت المرضة وهى تحدق فى عينيها بعمق نعم يا حبيبتى من أجلك أنت ·· قالت مرفت بدهشة لكن لماذا ؟ !

قالت المرضة وهى لا تزال تحدق فى عينيها بعمق لأننى أريد أن أعطيها لك ثم تأكدى يا حبيبتى اننى سأحصل على أفضل منها بعد

بضعة أيام عندما أقابل واحدا من معجبى العديدين ٠٠ هيا قسيها على جسمك أمام المرآة ودعينى أراها عليك ٠٠

ثم جلست المرأتان على حافة السرير ومرفت سابحة مع أحلام جميلة تداعبها عندما يكون لها دولاب ملابس مثل هذا وعشرات من الأحذية الفاخرة وعلب المكياج المستوردة من الخارج ومعجبون عديدون يحضرون لها كل ما تريد ٠٠

وأحست الممرضة بعينى الخبيرة المدربة أن الوقت قد أصبح مناسبا كى تفاتح مرفت فى الموضوع الذى أتت بها من أجله ٠٠ لا ريب أن مرفت قد أدركت الآن أن كل ما حدث كان تمهيدا لحديث صريح سيدور بينها وبين الممرضة بين لحظة وأخرى وتوقعت أن تفاتحها فيه ٠٠ قالت الممرضة وهى تطوق مرفت بذراعها والآن قولى لى رأيك بصراحة فى حياتى ٠٠ أليست أحسن من حالنا عندما كنا لا نزال نسكن فوق سطح منزلكم ٠٠

قالت مرفت بحماس لا مجال للمقارنة ٠٠ قالت الممرضة والحزن يغلف كلماتها ٠٠ كلماتها الناعمة التى تنزلق فى وجدان مرفت وتحدث فيه التأثير المطلوب ٠٠ كلما تذكرت هذه الأيام أحس بقشعريرة فى بدنى ٠ أبى يتشاجر طول الوقت مع أمى ويضربها بوحشية عندما يسكر ٠ الخمر التى يشربها كالماء تبتلع دخله الضئيل ولا يبقى لنا الا الفتات لنعيش منه ولولا أمى التى كانت تعمل كالطاحونة فى المدرسة التى التحقت بها لمتنا من الجوع ٠٠ أنا أيضا اضطررت لترك المدرسة والعمل كممرضة لأتحمل نصيبى فى نفقات المنزل ٠٠ كنا نجوع معظم الوقت ولم نعرف شكل الملابس الجديدة فى حياتنا ٠٠ ملابسنا دائما كانت مستعملة يعطيها لأبى الضباط الذين يعمل تحت رئاستهم كصدقة

يتفضلون بها عليه ويطلبون مقابلها خدمات ·· أما المدرسات فكن يعطين أمى الملابس القديمة التى كادت تبلى ·· أما الآن فانظرى الى دولاب ملابسى أن به فساتين لا تحلم نساء الضباط المتعجرفات أو مدرسات المدرسة أن يمتلكن بعضها ··

وصمتت المرضة وتنهدت فى راحة ثم قالت وهى ترمق مرفت باعجاب شديد لماذا نتذكر تلك الأيام التعيسة دعينا نعيش الحاضر السعيد·· الحاضر الذىأريدك أنتشاركينى فيه·· ثم قالتلها فجأة·· مرفت هل تعرفين أنك جميلة جدا ·· أتمنى لو كنت فى مثل جمالك كنت سأفعل الكثير صدقينى ·· صمتت برهة ثم قالت متفلسفة هل تعرفين أن الجمال سلاح خطير لو عرفت المرأة كيف تستعمله لكن أغلب النساء لا يعرفن ذلك ·· الجمال خلق لكى يجعل المرأة تعيش فى القمة ·· وأنت يا مرفت بجمالك المذهل ينبغى أن تعيشى فى القمة ··

وساد الصمت بين المرأتين وأدركت المرضة بعينيها اللتين كانتا تخترقان مرفت أن الرسالة وصلت الى قلبها ·· قالت لها بوضوح أكثر هناك حفلة صغيرة أنا مدعوة اليها بل يمكنك أن تقولى اننى ضيفة الشرف فيها وصدقينى اننى سأشعر بوحدة شديدة لو ذهبت اليها بمفردى فلماذا اذن لا تأتين معى لتسلينى ولتشاهدى نوع الحياة التى أعيشها ·

ظلت مرفت صامتة فقالت المرضة لتغريها على الموافقة ·· أنا متأكدة أنك ستستمتعين كثيرا ·· ستكون هناك موسيقى صاخبة ورقص وعشاء فاخر واناس ظرفاء ستروقك صحبتهم ·· وبالمناسبة هم أسخياء جدا وأنا متأكدة أنهم لن يبخلوا عليك بشىء ·

قالت مرفت لكنى لم أتعود الذهاب لمثل هذه الحفلات اننى سأشعر بالخجل ٠

قالت المرضة بصوت به رنة غضب واضحة ٠٠ مرفت يبدو اننى أضعت وقتى عبثا معك ٠٠ ألم تقولى لى أنك تريدين أن تعيشى مثلما أعيش ٠٠ وأن تحصلى على هدايا مثل تلك التى أحصل عليها ٠٠ من أين تظنين انك ستحصلين عليها اذا لم تذهبى الى مثل تلك الحفلات ومقابلة الناس الذين يمكن أن يعطوها لك ٠٠ وصمتت برهة ثم قالت بصوت حنون مرفت كنت أظن أننا تفاهمنا على كل شىء ٠٠ قولى لى هل أنا مخطئة فى تصورى ٠

نظرت اليها مرفت فى حيرة ولم تتكلم وهنا ظهر الغضب على وجه المرضة وقالت لها اسمعى ليس لدى وقت لأضيعه معك ٠٠ وعليك الآن أن تحددى موقفك فى وضوح فأما أن توافقى على ما أقوله لك والا قطعت علاقتى بك الى الأبد ولا تظنى اننى سافاتحك فى هـذا الموضوع مرة أخرى حتى لو طلبت أنت ذلك ٠٠ وصمتت برهة ثم قالت بلهجة ناعمة لتساعد مرفت على التغلب على ترددها هيا يا مرفت ولا تكونى ساذجة كطفلة صغيرة ٠

هل تظنين أنك وحدك التى تذهب الى هذه الحفلات لمجـرد أنك جامعية اننى لن أدهش لو صادفت هناك واحدة من زميلاتك ٠٠

ثم نظرت اليها بتحد وقالت لها والآن اريد أن أسمع رايك بوضوح هل ستذهبين الى الحفلة أم لا ٠

وظلت مرفت صامتة لبضع لحظات ثم رفعت عينيها الى وجه المرضة وقالت لها بحماس ربما لتقضى على أى فرصة أمامها للتراجع ٠٠

نعم سأذهب الى الحفلة ٠٠ قالت الممرضة وقد تهلل وجهها من السعادة وتفعلين كل ما أقوله لك ٠٠ قالت مرفت باستسلام وأفعل كل ما تقولينه لى ٠٠ قالت الممرضة حسن سأمر عليك غدا بعد الظهر لنذهب معا الى الحفلة ثم نظرت اليها بعمق وعلى شفتيها ابتسامة خفيفة فقد أيقنت ان الصيد دخل بقدميه الى المصيدة ٠

★ ★ ★

كانت مرفت تقف مع أفراد شلتها فى فناء الجامعة عندما تناهى الى سمعها صوت احتكاك عجلات سيارة مسرعة بأسفلت الشارع الطويل الذى يخترق الفناء فالتفتت لترى السيارة السبور الحمراء التى طالما رأتها من قبل وأثارت انبهارها وهى تقبل باتجاهها ٠٠ فاشرئبت بعنقها وراحت تتابع السيارة فى اعجاب بينما ضحكت واحدة من أفراد الشلة وهى تقول لزملائها ها هو الروميو قد حضر ترى أى صيد جديد جاء يبحث عنه اليوم ٠٠

واستقرت عينا مرفت على السيارة الأنيقة التى وقفت على بعد أمتار قليلة من مكان وقوف الشلة وذلك أثر ضغطة عنيفة فوق فرامل السيارة القوية جعلت عجلاتها تصرخ وهى تحتك بأسفلت الشارع مخلفة وراءها شريطا طويلا ٠٠ وتطلعت كل العيون لترى قائد السيارة وهو يهبط منها فى خيلاء ويدير بصره فى كل اتجاه كأنه يبحث عن شىء معين رغم أنه فى الحقيقة لم يكن يبحث عن أى شىء على الاطلاق فقط تلك حركة تعود القيام بها ليلفت أنظار الفتيات اليه ٠٠ فتيات الجامعة الجميلات اللائى يتنافسن فى الأناقة والبحث عن المتعة السريعة أينما وجدت واللاتى يعبدن سيارته الجميلة الحمراء ٠٠ ولم يكن من نزل من السيارة الرياضية الغالية الثمن طالبا عاديا ممن يجيئون الى الجامعة محشورين داخل سيارات الأوتوبيس العامة البالغة القذارة وفى جيوبهم ما يكفى بالكاد لشراء شطيرة من بوفيه الكلية انما كان طالبا من بلاد

الذهب الأسود الذى يتدفق دائما فى صورة سيارات سبور أنيقة وشقق فاخرة على النيل وأرصدة ضخمة فى البنوك وقبل كل شىء نساء جميلات كالفراشات يحترقن وهن سعيدات مبهورات بلهب الثروة المتدفق فى غزارة من باطن الأرض ..

انه شاب فى حوالى الخامسة والعشرين اكسبته شمس الصحراء القوية لونا أقرب الى الدكنة شعره أسود مسترسل وراء ظهره ناعم وغزير كشعر الهنود .. ملامحه آسيوية دقيقة ووسيمة .. كان يرتدى سترة بنية من الشمواه الفاخر وبنطلونا ضيقا من القطيفة السوداء وحذاء ذا كعب مرتفع كأحذية النساء .. راح وقد استند الى سقف سيارته يعبث بسلسلة مفاتيحه الذهبية ويدير بصره بحثا عن وجوه جديدة لفتيات لم يرهن من قبل وكان هذا بالتأكيد صعبا للغاية فهو قد رأى بل كان على علاقة مع معظم الفتيات الجميلات فى كليته .. وبينما بصره يوشك أن يرتد فى حزن لأنه لم يعثر على بغيته اذا بشى باهر للغاية يخطف ذلك البصر .. شىء كالشمس التى تتوهج فى العينين فجأة فتعميها من قوة الضوء الذى تسكبه فيهما .. كانت مرفت بالصدفة تنظر اليه فى نفس اللحظة التى أبصرها فيها وأذهلته عيناها الزرقاوتان بالبريق الخاطف الذى انبعث منهما .. وبشعرها الذهبى الطويل الذى يتدفق كشلال وراء ظهرها .. وببشرتها البيضاء الصافية التى تلمع تحت اشعة الشمس القوية من فوقها .

وأحس بشىء لا يقاوم يدفعه لان يتقدم ناحيتها فقد وجد أخيرا الانسانة التى ظل يحلم بالبحث عنها طويلا . وسرى فى داخله احساس بالسعادة عندما ابصر بعض الوجوه المألوفة له ضمن الشلة التى تقف فيها مرفت .. وأقبل عليهم فى خطوات وئيدة ومد لهم يده محييا .. وسلم عليه الفتيان فى برود .. أما الفتيات فكن أكثر حرارة .. وعندما مد يده الى مرفت صافحته فى لا مبالاة ثم انصرفت الى الحديث مع احدى زميلاتها بعد

ان اعطته ظهرها ·· اتبعت معه أسلوب حواء الذى لا يخيب التجاهل التام · رغم انها كانت تعلم ان هذا الفتى الذى يثير أحلام كل الفتيات قد جاء من أجلها هى ·· كانت تعلم أنها بقدر ما تتجاهله فانها تزيد رغبته فيها اشتعالا ·· وهذا ما كانت تريده ·· أما ما لم تكن تريده فهو أن تكون صيدا سهلا كباقى الفتيات اللاتى هن على استعداد لعمل أى شىء حتى الذهاب معه الى الفراش فى سبيل أن يركبن الى جواره فى سيارته الأنيقة واثارة غيرة الفتيات الاخريات ·· ستعذبه ··

ستجعله يلهث وراءها طويلا ليعرف قيمتها وستدخله القفص الذهبى بقدميه رغم انه رفض دخوله من قبل رغم الاغراءات العديدة التى تعرض لها · سيظن انه اصطادها بينما هى فى الحقيقة التى اصطادته · قالت واحدة من افراد الشلة لزميلتها هامسة هل تعرفين لماذا كلف فهد خاطره وأقبل ليسلم علينا هذه المرة ··من أجل مرفت·· ردت عليها زميلتها فى دهشة لكنها لا تعيره التفاتا انظرى اليها انها تعطيه ظهرها ولا تشعر حتى بوجوده · قالت الاولى والغيرة تطل من عينيها أيتها الساذجة هل تخدعك الحركات التى تقوم بها ·· انها تفعل ذلك لتثير رغبته فيها اكثر · لكن تأكدى انها تريده اكثر مما يريدها · فهو يستطيع ببساطة ان يعرف عشرات غيرها من الفتيات ·· أما هى فلن تجد واحدا مثله بسهولة أنه مليونيريا حبيبتى ثم انها ترسم على زواج ·

قالت الثانية فى دهشة تتزوج من فهد مستحيل اننا جميعا نعرف انه مضرب عن الزواج · لكن الاولى اسرعت تقول والغيرة مازالت تلمع فى عينيها هل تراهيننى على ذلك · التفتت مرفت ناحية فهد فى حركة بذلت مجهودا حقيقيا حتى تبدو طبيعية وغير متكلفة وتلاقت عيناها بعينيه وفيهما كل الرغبة والكلام الصامت الذى

توقعت انها ستجده فيهما . وتبادلا تلك النظرات الجائرة العميقة التى أحس معها كل منهما أنه يرغب الآخر بنفس القدر الذى يرغبه فيه .

قال فهد لنفسه محاولا الا يظهر ما يفكر فيه على صفحة وجهه وهو ينظر اليها بعمق بعينيه .. قد تكونين اجمل فتاة فى الجـامعة لكنك لا تعدين ان تكونى مجرد صيد سيدخل شبكتى ان عاجلا او آجلا المسألة وقت لا أكثر فانا يا عزيزتى الجميلة املك اسلحة لا تستطيع ان تقاومها اية فتاة فى هذا العالم .

وقالت مرفت لنفسها قد تكون صيادا ماهرا ادخل عشرات الفتيات الغريرات فى شباكه الماكرة لكن أنا الفتاة الوحيـدة التى ستجعلك تدخل القفص الذهبى بقدميك وعلى شفتيك ابتســامة سعيدة قال فهد بعد ان لاحظ ان نظرات افراد الشلة بدأت تراقب ما يحدث بينه وبين مرفت . اقول لكم السبب الحقيقى الذى من اجله جئت الى الكلية اليوم ولا تضحكون .. لانى متأكد انكم لن تصدقوننى على اى الاحوال . حسن اسمعوا الخبر العظيم لقد جئت لاحضر المحاضرات مثلكم تماما . وانفجروا جميعا ضاحكين. وصاح فهد قائلا بلهجة مرحة الم اقل لكم انكم لن تصدقوننى لكن هذه هى الحقيقة .. أما مرفت فقد وجدت فى كلام فهد فرصة مواتية لتوجه له اهانة فى الصميم والغريب ان الاهانة احيانا يقصد بها عكس المتوقع عادة.

يقصد منها ان تكون نوعا من الغزل المســتتر . نوعــا من المشاكسة المحببة يقصد منها ان تنشىء علاقة او تقويها . لكن الغريب ان مرفت لم تكن تقصد شيئا من ذلك كانت تقصد ان توجه

له اهانة حقيقية فى نفس الوقت الذى تريد ان تنشيء علاقة معه . فى قرارة نفسها كانت مرفت تكن له احتقارا حقيقيا فقد كانت تؤمن بانه انسان تافه لا قيمة له الا بقدر النقود التى يحملها .

قالت وهي تصعده بنظرة استهجان واضحة .. فهد لا تجعلنى اضحك ارجوك هل أتيت حقا لتحضر المحاضرات مثلنا وانت الذى لم تدخلها مرة واحدة منذ أن التحقت بهذه الكلية . وهنا قال احد الطلبة وفى عينيه غيرة عميقة المهم انه ينجح كل عام وبتفوق ايضا :

قال فهد باستسلام كنت متأكدا أنكم لن تصدقوا هذا السبب . الحقيقة اننى جئت الى الكلية لامضى بعض الوقت فى البوفيه . ثم أردف ضاحكا على الأقل لاتذكر أننى ما زلت طالبا فى الكلية ثم لاننى مللت كل الأماكن التى أتردد عليها عادة .. قال أحد الطلبة ضاحكا تجلس فقط فى البوفيه دون ان تصنع شيئا وهل هذا معقول ولمن تترك الفتيات الجميلات .. قال فهد وهو يحدق بعمق فى عينى مرفت حسن ولارى الفتيات الجميلات ما الضرر فى هذا ألستم جميعا تفعلون ذلك .

وهنا قال له احد الطلبة ضاحكا قل لى يا فهد الا توجد فتاة واحدة فى الكلية لم تكن لك بها علاقة . قال فهد وهو ما يزال ينظر بعمق الى عينى مرفت واحدة فقط واتمنى من صميم قلبى ان تكون لى بها علاقة حقيقية .. وأحس فهد بسعادة تملأ قلبه عندما رأى فى عينى مرفت المبتسمتين انها فهمت رسالته واستجابت لها .

قالت احدى الطالبات بلهجة مرحة وان كانت تخفى مرارة حقيقية ولماذا تلومون فهد على انه لا يحضر المحاضرات مثلنا نحن

الذين يكدح اباؤنا من اجل تعليمنا طالما انه يجد من يحضر له الامتحان على صينية من الفضة فى آخر العام ٠٠ قال فهد متحديا وهل هذا ذنبى يا آنسة اذا كان هناك من يبيع فانا على استعداد دائما للشراء ٠٠ قالت مرفت وهى تنظر اليه بتعال وهل تظن أنك قادر على شراء أي شيء حتى البشر ٠

نظر اليها فهد بقسوة وقال وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة يمكنك أن تقولى انى لم أفشل حتى الآن ٠٠ هزت مرفت كتفيها فى ازدراء وهى تقول له تأكد انك ستجد انسانا يرفض ان يبيعك نفسه مهما كان الثمن الذى تعرضه عليه ٠ حدجها فهد بنظرة ساخرة وكأنه يريد ان يقول لها كم انت ساذجة ايتها الدمية الجميلة التى سألتهمها كعروسة المولد ٠٠ انك بالتأكيد لا تعرفين شيئا عن الحياة والناس ثم بدأ افراد الشلة يدخلون الى قاعة المحاضرات ٠٠

مرفت تسير فى المؤخرة عن عمد لتتيح لفهد فرصة محادثتها ٠٠ قال لها هامسا وهو يسير الى جوارها مرفت لماذا لا نكف عن لعبة القط والفأر التى نلعبها معا فى الوقت الذى نعلم فيه أنا وأنت أن كلانا يريد الآخر بنفس الدرجة ٠ لماذا نتظاهر باننا لا نبالى ببعضنا البعض ٠٠ نظرت اليه بعمق وهى لا تدرى هل تعجب بجرأته أم تكرهها ثم قالت ساخرة هل تريد أن تضمنى الى قائمة حريمك الطويلة ٠٠

قال من أعماقه صدقينى يامرفت أنت شيء آخـر مختلف ٠

أننى على استعداد من أجل صداقتك أن أنسى أى واحدة عرفتها ٠٠ قالت فى برود لتزيد رغبته فيها أكثر ٠٠ أنت بالتأكيد تقول هذا الكلام لكل واحدة تعرفها ، حتى تأتى واحدة جديدة فتقول لها نفس الكلام ٠٠ قال فى يأس وقد حيره موقف الفتاة العنيد منه على ضوء التجارب

السهلة مع غيرها من الفتيات ·· مرفت ماذا تريدينني أن أفعل لأقنعك بصدق ما أقول ·· نظرت بعمق الى عينيه وقالت وعلامات الجدية بادية على وجهها ·· أريد علاقة شريفة بيننا ·

وبرغم أنه فهم تماما ما تعنيه بكلامها وبرغم أنه لم يكن ينوى الاستجابة لها بحال من الأحوال الا أنه قال لها مراوغا حسن ليكن ·· علاقة شريفة ·· لكن أليس من المنطق أن نتعارف أولا ·· نجلس فى مكان لنتبادل الحديث ·· ما رأيك لو نذهب الى أحد الكازينوهات على النيل عقب انتهاء المحاضرات ··

قالت فى برود لتحطم أعصابه آسفة لا أستطيع أن أخرج وحدى مع انسان لا أعرفه ·· قال وهو يكاد يفقد أعصابه من غرابة الوضع الذى لم يصادفه مع أى فتاة عرفها من قبل ·· كان كل شىء يمضى سهلا للغاية ·· دعوة بسيطة الى أحد الكازينوهات وبعدها تقبل الفتاة كل شىء حتى الذهاب معه الى الفراش لكن هذه الفتاة تبدو عنيدة بطريقة تستفزه وتحطم أعصابه وما يغيظه أكثر هو تأكده أنها تمارس معه لعبة سخيفة ·

لكنك تخرجين مع بعض زملائك فى الكليـــة وتركبين معهم سياراتهم فلما تأخذين هذا الموقف معى وحدى ·· قالت لتفحمه لأنك تريد أن تخرج معى وحدى وهذا وضع مختلف ·

قال فهد فى يأس وقد صمم بينه وبين نفسه على ألا يفلت هذه الفتاة من يده مهما كلفه ذلك من أمر ·· حسن يامرفت لن ألح عليك هذه المرة ·· لكنى واثق أنك ستراجعين نفسك وستقبلين الخروج معى فى يوم من الأيام ثم سبقها ببضعة خطوات وسار الى جوار فتاة

كانت له معها علاقة سابقة ٠٠ ومال عليها وقال لها بدهشة وهو يشير الى مرفت بعينيه قولى لى ماذا تريد هذه الفتاة المغرورة ولا أكون رجلا اذا لم أحضره لها ٠٠ ابتسمت الفتاة فى وجهه وقالت ساخرة أنها تريد شيئا لا تقدر عليه يا فهد ٠

قال فهد بغرور وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة ٠٠ على حسب معلوماتى ليس هناك شىء فى العالم لا أقدر عليه ٠٠ قالت الفتاة بتأكيد بل هناك يا فهد ٠٠ الزواج ٠

ضحك فهد بصوت مرتفع وهو يقول لها معك حق هذه المرة هذا هو الشىء الوحيد الذى لا أقدر عليه ٠٠ قالت الفتاة ساخرة ماذا يا فهد هل أصابك اليأس وستكف عن مطاردتها ٠

قال فهد وتصميم غريب يطل من عينيه الشديدتا السواد ٠٠ وهل مثلى يكف بهذه السهولة أنك حقا ساذجة وصمت برهة ثم حدج الفتاة بنظرة متفحصة لا تخلو من احتقار ثم قال لها ضاحكا ٠٠ ما زلت أذكر أنك أنت أيضا بدأت علاقتنا بطلب الزواج ثم انظرى كيف انتهت علاقتنا ٠

وعقب انتهاء المحاضرات ركبت مرفت مع بعض زملائها فى سيارة واحد منهم ٠٠ وبينما السيارة تخرج من باب الجامعة لمحت فهد واقفا الى جوار سيارته الأنيقة ينظر اليها بتفرس وعلى شفتيه شبح ابتسامة خافته ٠٠ ونظرت اليه مرفت طويلا وهى تبتسم بعينيها ٠٠ كانت تريد أن تثيره وتحطم أعصابه لكنه وهو يعبث بسلسلة مفاتيحه الذهبية وتلك النظرة المغرورة تطل من عينيه كان يشعر بالرثاء من أجلها فمصير هذه الفتاة المغرورة لن يختلف عن مصير

غيرها من الفتيات اللاتى عرفهن من قبل لمجرد أنها تلعب معه أقدم لعبة بين الرجل والمرأة ٠٠ كان فهد واثقا من الانتصار فى نهاية الأمــر ٠

★ ★ ★

العمارة التى تقف مرفت والممرضة أمام باب احدى شققها هى واحـــدة من عمارات وسط البلد الكبيرة المليئة بعيادات الأطبـــاء ومكاتب المحامين وأنشطة تجارية عديدة ٠٠ وهما تخطوان فى المدخل الفسيح متجهتين الى حيث توجد مصاعد العمارة لم يشك البواب الذى كان ينظر اليهما بفضول أنهما متوجهتين الى احدى الجرسونيرات بل ظنهما صاعدتين الى عيادة أحد الأطباء فتركهما تمضيان فى سلام بل أنه قام لهما تأدبا وهما تعبران به ٠

كانت المرأتان فى أحسن حالاتهما والممرضة تضغط بأصبعها جرس الباب فى انتظار أن يفتح لهما بين لحظة وأخرى ٠٠ الممرضة ذات الجسد الممتلىء بعض الشىء ترتدى ثوبا ضيقا يلفه بأحكام ويعطيه جاذبية مروعة ٠٠ ومن ثناياه يفوح عطر نفاذ وضعته خصيصا من أجل هــذه المناسبة أما وجهها ذو المكياج الصارخ فكان ينطق بشهوانية مخيفة وبجرأة من تعودت مثل هذه المواقف فهى تبدو باردة الأعصاب هادئة وهى تنتظر فتح الباب لها بين لحظة وأخرى ٠٠ أما مرفت فكانت على العكس منها وجهها ذو الملامح الخائفة وعيناها الحائرتان المضطربتان تؤكدان أنها تقف هذا الموقف للمرة الاولى فى حياتها ٠

كانت هى الأخرى فى قمة أناقتها لكنها أناقة فتاة لم تتجاوز العشرين من العمر ٠٠ تبدو كثمرة مكتنزة بالرحيق جاءت لتسلم

نفسها لرجل يعتصرها بشفتيه ·· كانت ترتدى بنطلونا من الجينز الأزرق ملتصق تماما بفخذيها يعطيها جاذبية مخيفة أما نصفها الأعلى فكان موضوعا داخل قميص أبيض ذى أكمام قصيرة كان يضغط هو الآخر على صدرها النافر فيجعله مغريا بطريقة لاتقاوم وكان المكياج الخفيف الذى تضعه فوق وجهها الأبيض الجميل يناسب عمرها تماما أما شعرها الاشقر الغزير فكان ينساب فى موجات طليقة وراء ظهرها ·· وكان يفوح منها العطـر النفاذ الذى تفضله على غيره فيدجى · كانت أشبه بالحلم منها بالحقيقة ·· فتاة ترمز الى الشباب والجمال كما لا تستطيع أن تجسدهما فتاة سواها ·· وابتسمت الممرضة لمرفت مشجعة عندما وجدتها مضطربة خائفة وأمسكت بيدها فوجدتها باردة كالثلج ·· قالت لها بسخرية من يراك الآن لا يظن لحظة واحدة أنك متوجهة الى حفلة ستقضين فيها وقتا ممتعا هيا ابتسمى والا طردونا من البيت ·· ثم ضحكت بطريقة جعلت مرفت تحدجها بنظرة كراهية وهى تلعن الساعة التى جعلتها تقبل المجىء معها الى هذا المكان ·· وبينما مرفت تفكر على هذا النحو وتتمنى لو أتيحت لها فرصة التراجع فتح باب الشقة وظهر فيه رجل بدين قصير القامة أصلع الرأس ·· نموذج تقليدى لرجل الاعمال المصرى الذى جمع ثروة طائلة وبعد ان وصل الى سن متقدمة يريد ان يعوض ما فاته مع فتيات صغيرات فى السن مثل مرفت · نظر الرجل الى مرفت وهو لا يكاد يصدق عينيه فقد كانت ابعد كثيرا مما يستطيع ان يصل به خياله ·· ولمعت عيناه بشهوة لم يستطع ان يخفيها خاصة وقد كان يفكر فيما يمكن ان يعمله معها بعد ان تدخل الى الشقة وقال الرجل لنفسه لو ان هذه الفتاة الصغيرة طلبت منى احدى عماراتى لما ترددت ان اعطيها لها ·

كان يفرك يديه فى عصبية بحيث نسى ان يصـافح المرأتين

اللتين نظرتا اليه باستخفاف وتلعثم وهو يرحب بهما ويدعوهما الى الدخول · قال بعد ان اغلق الباب وهو يميل على اذن المرضة هامسا هذه المرة أنت تستحقين مكافأة اضافية بحق السماء أين كنت تخبئين هذه التحفة الرائعة ·· لماذا لم نرها معك من قبل ·· قالت المرضة وعيناها تلمعان بزهو الم اكن على حق عندما قلت لكما اننى اعد لكما مفاجأة هائلة وهى أيضا خام وهـذا أول مشوار لها ثم أنهـا طالبة فى الجامعة هل تصدق · ومضت مرفت والمرضة تجوسان داخل الشقة التى كانت جرسونيرة مثالية اعدها رجلان توشك شمس شبابهما أن تغيب وهما يحاولان بقدر طاقتهما الاستمتاع بدفىء هذه الشمس قبل أن تغرب تماما من حياتيهما ·

كان هناك البار المصنوع من الخشب الفاخر فى احد الاركان ووراءه زجاجات عديدة من انواع مختلفة من الخمور ·· وكانت الاضاءة الخافتة المبعثرة فى ارجاء غرفة المعيشة الواسعة تنبعث من مصابيح أنيقة فى الأركان أما جهاز الاستريو الضخم فكان يرسل انغاما حالمة دغدغت حواس المرأتين وهما تدوران بعينيهما فى ارجاء الشقة بانبهار واضح خصوصا مرفت التى كانت تراها للمرة الأولى ·

كانت مرفت برغم اضطرابها الواضح تدير بصرها فيمـــا حولها معجبة بأثاث الشقة الفاخر وبالسجاد الذى تغوص فيـــه قدماها وقد امتد فى كل ارجاء غرفة المعيشة الواسعة · اما المرضة فقد بدا من نظراتها الأقل انبهارا ومن طريقة كلامها الطبيعية مع الرجل البدين انها تعودت القدوم الى هذا المكان سواء بمفردها او مع الفتيات اللاتى تعودت أن تأتى بهن الى صاحبى الشقة العجوزين ·· ضحكت المرضة وهى تقول للرجل البدين بلا كلفة اين خـــمورك الأصلية يا رجل ·· اننى أكاد أموت من الظمأ هيا أحضر لى كأسا بسرعة ·

قال الرجل البدين لمرفت متظرفا وأنت يا عصفورتى الجميلـــة ماذا تشربين · لدينا هنا كل شىء · قالت مرفت بتأفف واضح لا شىء فأنا لا اشرب الخمر · نظرت الممرضة الى مرفت فى صرامة مما جعلها ترتعد ·· ولاحظ هذا الرجل البدين فقال يخفف من جو التوتر السائد ·· وهل هذا معقول يـا عصفورتى الجميلة جلسة كهذه بلا شراب ·· سأعد لك كأسا على أى الأحـوال فربما غيرت رأيك · ومن احدى الحجرات خرج رجل اصغر قليلا فى السن من الرجل الاول وأكثر منه وسامة اذ كان شعر رأسه الذى بدأ يتحول بسرعة الى اللون الرمادى لا يزال يغطى رأسه وكان اطول من الرجل الاول واكثر منه نحافة ·

نظر الى مرفت بنهم رجل تجاوز سن الشباب ينظر الى فتاة مغرية فى سن ابنته رجل صعدت الكئوس التي جرعها قبل مجىء المرأتين الى رأسه فملئتها بنشوة ضبابية وقدرة أكبر على الاستمتاع والتذوق · وقبل الممرضة فى وجنتها وهو يضمها بشهوة الى صدره فقـد كانت مغرية هى الاخرى·جلست مرفتفى احد المقاعد الوثيرة وامامها فوق احدى الارائك جلست الممرضة واضعة ساقا فوق اخرى والى جوارها الرجل الوسيم الذى قال وهو يختلس النظر الى وجه مرفت الجميل البرىء وخياله يتصورها عارية عن ثيابها فى حجرة النوم وضوء الاباجورة الحمراء يغمر جسدها الرائع الابيض بذلك الفيضان البركانى الحار الذى يثير حواسه ويجعلها تتفجر فى قوة رهيبة ترجعه عشرين عاما الى الوراء ·

محاسن أنت اليوم رائعة لم أرك هكذا منـذ مدة طويلة أما الآنسة فهى بحق مفاجأتك المذهلة ·· اننى أعتب عليك انك أخفيت عنا انك تعرفين فتاة بهذا الجمال · قالت محاسن وهى تنظر اليه

فى اغراء هل أعجبتك الى هذه الدرجة · قال الرجل وهو يلتهم جمال مرفت الشاب بعينيه وهل يوجد انسان لا يعجب بهذا الجمال الطاغى ·· وتضرجت وجنتا مرفت باحمرار قان جعلها تبدو كثمرة ناضجة يود الرجل الذى تجاوز مرحلة الشباب الجالس أمامها أن يضعها بين شفتيه ويلتهمها بسرعة · وتبادل مع المرضة نظرات ذات مغزى ·· نظرات لا تخلو من اشفاق وسخرية اذ كان واضحا من تصرف مرفت كم هى بريئة وساذجة ·

وجاء الرجل الأصلع البدين يحمل قدحين من الشراب أعطى واحدا للمرضة ثم تقدم ضاحكا من مرفت وهو يقول لها والآن يا عصفورتى الصغيرة خذى هذا الشراب الذى سينعشك كثيرا ··
وترددت مرفت فى تناول القدح منه ونظرت الى المرضة فى خوف فقالت لها تستحثها على تناول الشراب وهى تحدجها بنظرة محذرة من عينيها ··

هيا يا مرفت خذى الكأس من طاهر بك انه لن يضرك فى شىء · وقال طاهر بك وهو يقرب القدح من وجه مرفت هيا يا مرفت ولا تكونى جبانة ان كأسا واحدة لن تفعل لك شيئا بل انها ستجعلك تطيرين فى السماء · وتناولت مرفت الكاس وقربتها فى بطىء من شفتيها ·· ثم اخذت منها رشفة صغيرة وظهر الامتعاض على وجهها ووضعت الكاس امامها على المائدة بضيق وهى تقول وقد ظهر التأفف على ملامح وجهها انه مر جدا ··

كيف تشربونه · وانفجروا جميعا ضاحكين وقالت المرضة بلهجة ساخرة وهى تدفع ببقايا الكاس الى جوفها مرة واحدة · هيا يا حبيبتى اشربى فستشربين الكثير من الآن فصاعدا · ثم

التفتت الى الرجل الوسيم وقالت له وهى تغمز بعينها أليس كذلك يا مدحت بك وقال لها الرجل الوسيم ضاحكا بعد ان فهم المعنى الذى تقصده بالتأكيد بالتأكيد ٠ وضحكت المرضة وهى تقول بصوت ممطوط ناعس ٠٠ أذكر اننى فى أول مرة لى كنت خجولة مثلها وكان طعم الويسكى فى فمى مرا جدا ، لكن رجالا ظرفاء مثلكما وامرأة خبيرة مثلى شجعونى على الشراب ومنذ ذلك اليوم وأنا أشرب ٠٠ أشرب المحيط ثم ضحكت بصوت خشن مجوف ٠ ثم التفتت الى الرجلين وقالت لهما بلهجة واثقة اطمئنا انها لن تخرج من هنا الا بعد ان تزول مرارة الويسكى من فمها وتصبح خبيرة مثلى ٠ ورفع الرجل الوسيم كأسه فى الهواء مقترحا نخبا ٠٠

فى صحة مرفت الجميلة والجامعة وسنوات العشرين ٠ وضحك الرجل البدين ضحكة خشنة سعل بعدها بشدة ورفع كأسه فى الهواء وهو يقول بصوت كالفحيح اموت انا فى سن العشرين وفتيات الجامعة الخجولات ٠٠ قال الرجل الوسيم ضاحكا يا رجل ألا تخجل من نفسك وانت تقول هذا الكلام ٠٠ ان لك ابنة مثل مرفت فى سن العشرين وفى الجامعة ايضا ٠ قال الرجل البدين بلهجة ساخرة ألأنك أعزب ولم تنجب أولادا تظن اننى وحدى العجوز فى هذا المكان مع ان فارق السن بيننا ليس كبيرا كما تدعى ثم انك اذا كنت قد تزوجت فى نفس السن التى تزوجت أنا فيها لكان لك الآن ابنة مثلها ٠٠ قام الرجل الوسيم فقدم سيجارة الى مرفت التى قالت له بأنها لا تدخن ٠٠ لكن المرضة حدجتها بنظرة محذرة وهى تقول لها ماذا دهاكى يا مرفت هل تريدين افساد السهرة علينا ٠٠

ترفضين الشراب والآن السجائر ٠ وتناولت مرفت السيجارة متأففة من يد الرجل الذى قام باشعالها لها ٠ وانتهز الرجل الفرصة

ومال عليها بوجهه حتى كاد يقبلها فى شفتيها من شدة نهمه لها ٠٠
وقد راحت انفاسه المخمورة تلفح وجهها مما جعلها تبتعد برأسها
الى الوراء فى نفور واضح منه ٠ وجذبت مرفت نفسا من السيجارة
وانتابتها نوبة سعال متصلة مما جعل الرجلين والمرأة يضحجـــون
بالضحك ووضـــعت مرفت السيجارة فى المطفــأة وهى تقـــول فى
ضيق لا اعتقد اننى سأتمكن من ان اصبح مدخنة فى يوم من الايام
وفجأة قام الرجل الوسيم وجذب مرفت من يدها كى ترقص معه ٠
وبرغم انه فعل ذلك برقة ودبلوماسية الا انها احست انه يأمرها
بذلك ولم يكن فى مقدورها ان تقول لا لهذا الامر فمن الآن وصاعدا
عليها ان ترضخ لكل ما يطلب منها ٠ فهى قد جاءت لارضاء هذا
الرجل الذى سيدفع لها فى نهاية الأمر وقد احس كل منهما ان هناك
اتفاقا ضمنيا بذلك ٠ وبشعورها بأنها شىء رخيص مدفوع الثمن
مقدما قامت لتراقص الرجل ميتة وبلا مشاعر على الإطلاق ٠
كانت باردة شمعية ٠٠

عيناها من زجاج ويداها من ثلج لكنها كانت رغم ذلك جميلة
ومغرية بالنسبة له ٠٠ كانت ثمرة شهية وضعها على شفتيه وبدأ
فى ارتشاف رحيقها الحلو ٠٠ وضمها الرجل الخمسينى العمــر بقوة
الشهوة والاندهـــاش الذى يرفض ان يصدق ان مثل هذه الفتـــاة
الصغيرة يمكن ان تكون له وحده يفعل بها ما يريد وفى هذه اللحظة
كان يفكر فى عشرات الاشياء التى يمكن ان يفعلها معها ٠ ضمها
حتى كاد يخنق انفاسها ٠ واحست مرفت بأشمئزاز من رائحة فمه
المخمور وهو يبحث به عن شفتيها ٠ وكلما ابتعدت برأسها الى الوراء
كان هو أكثر اصرارا على ملاحقتها ٠٠ كان يضمها الى صدره كأنه
يريد أن يفنى فيها وكان احساس الاندهاش وعدم التصديق يزيدان
من تأجج حواســـه ٠٠ أما الرجل البدين فقد أسرع بالجـلوس الى

جوار المرضة التى كانت الخمر قد صعدت الى رأسها فأصبحت اكثر استجابة لمداعباته الثقيلة والتى فكت ازرار ردائها الضيق امام صدرها النافر فأصبحت مغرية بصورة لا تقاوم ٠

كان يضمها الى صدره بشهوة ويقبلها فى شفتيها وهى تضحك فى خلاعة فتزيد من تأجج حواسه ٠ قال الرجل الوسيم هامسا فى اذن مرفت ٠ اسمى مدحت كمال رئيس مجلس ادارة احدى شركات القطاع العام ٠٠ اعزب واقيم بمفردى فى هذه الشقة الجميلة التى يمكن ان نتقابل فيها دائما دون ان يتطفل علينا اى انسان ويمكنك ان تطمئنى تماما من هذه الناحية فسيظن من يشاهدك أنك صاعدة لعيادة احد الاطباء مارأيك٠ونظرت اليه مرفت فى حيرة٠ قال ليساعدها على اتخاذ قرار لصالحه انك ستشعرين بالامان التام وانت معى بل انك ستكونين صديقتى الوحيدة فقد احببتك منذ اول لحظة رأيتك فيها ٠ وصمت برهة ثم قال بصوته الهامس ليدغدغ حواسها ٠٠

ليقضى على اى مقاومة تثور فى داخلها على فكرة ماذا تريدين من الخارج ٠٠ اطلبى اى شىء تجدينه بين يديك فعملى يتطلب منى أن أسافر كثيرا ٠٠ ويمكننى بالطبع أن آتى معى بهدايا كثيرة فى الشنطة ٠ نظرت اليه مرفت بعمق ثم قالت بصوت خفيض ساتى اليك فى الاوقات التى لا اكون مشغولة فيها بالمحاضرات قال وهو غير مصدق وقد ضمها الى صدره بلهفة اعتقد اننا سنتمكن من ترتيب كل شىء حتى نسهل مهمتك وحتى لا تضطرين الى الكذب عليهم فى البيت فى كل مرة تأتين فيها الى هنا ٠ وصمت برهة ثم ازدف ضاحكا ها انت ترين اننى خبير فى هذه المسائل وهذا ما سيجعلك تطمئنين اكثر وسترين عندما تأتين فى المرة القادمة اننى

سخى جدا فى تقدير الجمال · لكن ارجوكى لا داعى لأن تقولى لصديقتك انك قادمة الى هنا فأنا اريد لعلاقتنا ان تكون خاصة بنا وحدنا وحتى هذا الرجل البدين لن يكون موجودا هو الآخر · ونظر اليها ضاحكا وهو يضمها الى صدره بشهوة ويكاد يفنى فيها · كان لا يزال غير قادر على التصديق ان هذه الفتاة الوادعة الجميلة التى تتفجر بحلاوة وشباب العشرين بين ذراعيه يفعل بها ما يريد ·

همس فى اذنها بصوت قادم من اعماقه يا الهى كم انت جميلة ورائعة يا مرفت · اننى لن ادعك ابدا تفلتين من يدى ثم قبلها بشهوة فى شفتيها · اما الرجل البدين الذى كان قد جرع بضعة كئوس ادارت رأسه فقال عندما توقفت الموسيقى فجأة وهو يقبل الممرضة فوق الجزء العارى من صدرها بينما اصابعه تحاول بصعوبة فك باقى الازرار ، المغلقة اعتقد ان وقت الرقص قد انتهى وجاء وقت العمل هيا بنا الى حجرة النوم قبل ان يسبقوننا اليها · ثم التفت الى الرجل الوسيم ومرفت قائلا لهما اما انتما فيمكنكما الاستمتاع بهذا المكان وحدكما · ثم سحب الممرضة من يدها واتجه بها الى حجرة النوم ·

سحب الرجل الوسيم مرفت من يدها واجلسها بهدوء على الاريكة الوثيرة ثم جلس الى جوارها وقد لف ذراعه فوق كتفها·· وراح يتأملها فى صمت ·· يتأملها بجوع رجل فى الخمسين من العمر ·· ثم امتدت يده فى رفق تمسح شعرها الأشقر الجميل ·· قال وهو فى شبه غيبوبة أنك تملكين أجمل شعر رأيته فى حياتى ·· قولى لى هل فيك عرق أجنبى · خفضت مرفت بصرها الى الأرض وقالت فى خجل أمى من أصل شركسى ·· قال الرجل وهو يرفع حاجبيه فى دهشة الامر كذلك اذن هذا يفسر كل شىء ·· وصمت برهة

ثم قال وهو يتأمل وجهها الفاتن وعينيها الزرقاوتين المثيرتين ٠٠ كنت دائما أحب الجمال الاشقر أرى فيه كبرياء وصفاء لايوجدان فى الأنواع الأخرى من الجمال ٠ وفجأة امتدت يده وأمسكت بصدرها ٠٠ أمسكته بنهم وجوع ذعرت له مرفت فحاولت ابعاد يده عن صدرها دون جدوى اذ كان ذراعه يطوقها فى عنف ويمنعها من الحركة وبطغطة من أصبعه على زرار الأباجورة المجاورة انخفضت الاضاءة الى الصورة التى يريدها تماما ٠٠ الصورة الشاعرية المثيرة للحماس والتى تمنع مرفت من ابداء أى مقاومة ٠

وبدأت أصابعه المدربة تفك أزرار قميصها الابيض الضيق الذى يحكم الخناق حول الصدر النافر الذى بدأ يبرز بوضوح ليثير شهيته المفتوحة على آخرها والرداء ينحسر عنه ٠٠ قال والشهوة تعصف به وتكاد تدفع به الى الجنون بينما يده تعبث بصدر مرفت العارى الابيض الذى تصوره كبداية الخليقة ٠٠ يا الهى كم أنت صغيرة وفاتنة يا مرفت ٠٠ أنك أجمل شئ حى رأيته فى حياتى ٠٠ قالت وهى تدفعه برفق بعيدا عنها لكن ليس الى درجة اغضابه أو محاولة التملص من ذراعه فهى تعلم أنها لا تستطيع ذلك فقد جاءت بأرادتها وهى تعلم أن هذا سيحدث لها ٠٠ جاءت لارضاءه ولتفعل ما يريده هو مهما ضايقها أو بدا لها سخيفا ٠٠ أرجوك أننى أستطيع أن أفك أزرار القميص بنفسى ٠٠ قال وهو يغوص بعينيه فى داخلها انها المرة الأولى أليس كذلك ٠٠ قالت مرفت وهى تخفض بصرها الى الأرض وأنا أيضا آنسة ألم تخبرك الممرضة بذلك ٠

ضحك الرجل الوسيم قائلا أننى لست بحاجة الى أن تخبرنى بذلك فهذا واضح تماما من تصرفاتك على أى الأحوال اطمئنى فستخرجين من هنا أيضا آنسة كما دخلتى تماما ٠٠

قال هذه العبارة بلهجة تشوبها رنة سخرية خفيفة وربما احتقار أيضا ·· احتقار من يشترى لمن يبيع نفسه ·· وأضيئت الأنوار بعد فترة من الوقت وأحست مرفت بالخجل وهى ترى نظرات الانتصار تطل من عينى الرجل وهو يتأمل نصفها العارى وقد تهدل شعرها الأشقر الطويل فوقه ·· وبدت نظراتها منكسرة وفى داخلها أعصار مدمر يجتاحها ·· وأحست ناحيته بكراهية واضحة فقد أخذ جزءا من طهارتها لن يمكنها بكل أموال الأرض أن تعوضه ·· أحست مرفت أن روحها نقصت جزءاً منها وفى المستقبل ومع رجال آخرين ستفقد البقية الباقية من روحها حتى تصبح بلا روح على الاطلاق ·· وبسرعة ارتدت قميصها الأبيض لتخفى صـدرها المبلل بالعرق والذى كان يرتعش بطريقة محمومة عن عينيه اللتين كانتا ماتزالان تحدجانها بنظرات تختلط فيها الشهوة بالشعور بالرثاء ·· ثم رفعت بنطلونها الجينز الساقط على الأرض ·· وأغلقت السوسته الأمامية ثم راحت تساوى شعرها المتهدل بمشط أخرجته من حقيبة يدها وهى تحاول ان تبعد عينيها عن عينى الرجل اللتين تشبهان مصباحين مضيئين مصوبين ناحيتها ·· قال لها وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة سأذهب الى الحمام أولا ويمكنك أن تأتى من بعدى اذا أردتى ·

أفاقت مرفت على عظم ما فعلت وأنتابها احساس ثقيل بالهم والتعاسة وكان أفظع ما آلمها هو احساس السهولة التى تم بها كل شىء كما لو كانت متمرسة على هذا الأمر من قبل ·· كما لو أنه لم يسبب لها احساسا عميقا بالأثم والخجل لكنها حاولت أن تهدىء من ثائرة نفسها المعذبة الشقية بمحاولة اقناع نفسها بأنها لم تخسر شيئا حقيقيا عندما مارست هذا العمل ·· فهى لم تعطى شيئا من عواطفها الى هذا الرجل ·· هذه العواطف التى ماتزال تحتفظ بها نقية طاهرة لنفسها وللرجل الذى تحبه ·· ثم أنها لا تزال فتاة كما جاءت الى هذا

المكان وأخيرا فان أحدا لن يدرى بما حدث بينها وبين هذا الرجل ٠٠ ثم أخذت تحلم بكل الأشياء التى ستشتريها بالنقود التى ستحصل عليها منه ومن الرجال الآخرين الذين وعدت الممرضة بتقديمها اليهم : بل انها عندما تتوافر لديها نقود كافية فانها ستشترى سيارة صغيرة ترحمها من زحام المواصلات ٠

وجاء الرجل ليفيقها من أحلامها السعيدة ومن عشرات الخواطر المتضاربة التى تتصارع فى داخلها ٠٠ الخواطر التى تتراوح بين احساسها بالفرح لأنها على وشك تحقيق أحلامها القديمة واحساسها العميق بالاثم لآنها ارتكبت خطيئة كبيرة ٠

مد لها يده بكارت وضعته بسرعة داخل حقيبة يدها ثم أعطاها عشرة جنيهات وهو يقول لها هذه النقود لك وحدك لا تقولى عنها للممرضة لأننى لن أخبرها بها ٠ ثم مال عليها وقبلها بسرعة فوق شفتيها وهو يقول لها سأنتظر منك مكالمة فى القريب العاجل أليس كذلك ٠٠ قالت مرفت دون أن تفكر نعم فى أقرب فرصة ٠

وخرجت الممرضة من حجرة النوم وهى تساوى شعرها المشعث وتجذب الى أسفل جانبا من الرداء المحكم حول ردفيها ٠٠ ثم قالت ضاحكة للرجل الوسيم وهى تشير بيدها الى رفيقها البدين الذى ظهر فجأة فى باب حجرة النوم وقد أحمر وجهه من أثر الشراب والمجهود العنيف الذى بذله والذى كان يرتدى فانلة مفتوحة تكشف صدره المغطى بالشعر الابيض الغزير ٠٠

قل لى يامدحت بك متى سينهد هذا الثور العجوز الذى يبدو انه لن يشيخ ابدا ٠ وضحك الرجل البدين فى زهو وقال لها طالما

اراك بهذه الفتنة يا عزيزتى فلن اشيخ ابدا • ومر بعض الوقت واشارت الممرضة الى مرفت بالوقوف وهى تقول لها ضاحكة وبشىء من السخرية لا ريب ان امك المسكينة فى شدة القلق عليك هيا بنا ننصرف من هذا المكان قبل ان يتأخر الوقت • ومد لها الرجل البدين يده بمبلغ من النقود وضعته فى حقيبة يدها فى صمت ثم قبلته ضاحكة فوق رأسه وهى تقول له اتصل بى فى اى وقت تريدنى • اما الرجل الوسيم فقد طبع قبلة رقيقة فوق جبين مرفت الصامتة التى كانت تحس بان الوقت الذى عاشته فى هذا المكان كان نوعا من الوهم او السراب على الاقل كانت تحاول ان تقنع نفسها بذلك ونظر الرجل الى عينيها بطريقة خاصة مذكرا اياها بالوعد الذى قطعته على نفسها بالأتصال به فى اقرب فرصة على ان يبقى هذا سرا بينهما ، وأوصل الرجلان المرأتين الى باب الشقة • وفى المصعد اخرجت الممرضة عشرة جنيهات قدمتها الى مرفت وهى تقول لها بأسف مصطنع تصورى ان الرجل الوغد لم يعطنى سوى عشرين جنيها فقط لنا نحن الاثنتين •

قـال انه انفق كثيراً على المزات والشراب وبرغم ان مرفت كانت واثقة وهى ترمق الممرضة بنظرات مريبة انها خدعتها وان الرجل اعطاها اكثر من العشرين جنيها فانهـا ظلت صامتة وقد اجتـاحهـا سرور خفى فهى أيضـا قد خـدعـت الممرضة ومن الآن فصاعدا ستخدعها باستمرار •

وارتسـمت على شفتيها ابتسامة باهتة شكت فى ان تكون الممرضة قد لاحظتها فهذه المرأة البلهاء تظن انها ساذجة ويمكن خداعها لكن ليتها تعرف ما الذى فعلته مرفت معهـا وما الذى ستفعله معها دائما • قالت لها الممرضة وهما واقفتين فى إنتظار

احدى سيارات الاجرة لتحملهما الى البيت ارأيت ان الامر لم يكن صعبا كما توهمت وبعد عدة مشاوير كهذه سيصبح الامر اكثر سهولة · وصمتت برهة ثم اضافت قائلة بشيء من السخرية انك لست وحدك التى تفعل ذلك كل نســـاء البلد يفعلنه هذه الايام · والا فمن اين تتصورين انهن ينفقن على ازواجهن وبيوتهن بهذه الطريقة · ثم ضحكت بصوت مرتفع وهى تقول وصدقيني ان كل الازواج يعرفون كل شيء عما تفعله زوجاتهم فى السر ··

حقا ان البلد لم يعد فيها رجال وماذا سيكون مصيرنا نحن النساء من بعدهم لست ادرى · وبعثت كلمات الممرضة الراحة الى نفس مرفت واصابتها بالذهول فى نفس الوقت فهى لم تكن تظن ان المجتمع قد وصل الى هذه الدرجة من التحلل والفساد · مطت الممرضة شفتيها فى ازدراء وهى تقول لمرفت هل تعرفين اننى لست سعيدة جدا بمشوار اليوم ··

ان الوغدين لم يدفعا كبعض الرجال الذين أعرفهم ولمعت عيناها وهى تقول لها انتظرى فقط حتى اقدمك لهم · وصمتت برهة ثم اردفت قائلة فى هذا البلد يا عزيزتى مال وفير ينتظر من يمد يده ليأخذه · هل تعرفين انه يوجد رجال فى هذا البلد يكسبون فى اليوم الواحد مبلغا يماثل ما يمكن ان اكسبه انا وانت فى عمرنا كله وهم يحبون الفتيات الصغيرات مثلك وصمتت من جـديد وقد راحت تتأمل جمال مرفت فى انبهار ثم قالت لها ··

آه يا مرفت انك كنز فتح لنا نحن الاثنتين · وفجأة قالت وعلى شفتيها شبح ابتسامة غريبة هل سمعتى عن أشقائنا العرب الذين يأتون الى هذه البلاد · قالت مرفت بدهشة نعم سمعت ماذا بشأنهم ·

ضحكت الممرضة وهى تقول لها انهم هم من احدثك بشأنهم ايتها السـاذجة انهم على استعداد لكى يدفعوا اى مبلغ فى سـبيل متعتهم ٠

وصمتت برهة ثم قالت وهى تنظر فى عينيها : ما رأيك لو دبرت لك لقاء مع واحد منهم انه فى مرة واحدة يمكن أن يحقق لك كل أحلامك ٠٠ ما رأيك فى خمسمائة جنيه ٠٠

نظرت اليها مرفت مذهولة من ضخامة المبلغ وقالت لها ٠٠ وماذا يتعين على أن أدفع مقابلا لذلك ٠٠ ابتسمت الممرضة وهى تقول لها : كنت أظنك أذكى من أن تقولى هذا الكلام ٠٠ قالت مرفت باستنكار بعد أن فهمت ما ترمى اليه الممرضة ٠٠ انك مجنـونة لتطلبى منى هذا الطلب السـخيف كيف تجرؤين على ذلك ٠٠ قالت الممرضة بهدوء وهى تعلم أن مرفت فى قرارة نفسها سعيـدة باقتراحها لكنها تقوم بتمثيلية سخيفة لحفظ ماء وجهها ٠٠

هل تظنين انك أول فتاة تخوض هذه التجربة وبالتأكيد لن تكونى الأخيرة ٠٠ صدقينى أن الأمر لا يحتاج الا الى مبلغ بسيط لاصلاح ما فسد ولن يدرى أحد بشىء على الاطلاق ٠٠

قالت مرفت للمرضـة اسمعى أريد أن أشترى تفاحا قبل أن أعود الى المنزل فأنا لم أذقه من فترة طويلة ٠٠ نظرت اليها الممرضة بتفرس ثم قالت بسخرية :

انك حقا طفلة غريرة يا مرفت ٠٠ وابتاعت المرأتان بضعة كيلوات من التفاح لكل منهما ٠٠ ثم وضعتا نفسيهما داخل سيارة الاجرة التى حملتهما الى البيت ٠٠

دخلت مرفت الشقة متهللة الوجه لتجد أمها فى انتظارها وهى فى حالة تحفز ·· قالت لها وعيناها متألقتان بسعادة غامرة كأنها طفلة صغيرة :

انظرى ماذا أحضرت معى تفاح مستورد من الخارج وأحمر أيضا ··

لمعت عينا أمها بسعادة وهى ترى التفاح اللذيذ يطل من فوهة الكيس الورقى الذى تحمله ابنتها وقد فاحت رائحته فى أرجاء الصالة ·· تصنعت الغضب وهى تأخذ منها كيس التفاح ·· أخذت توجه اليها نظرات متسائلة وهى جالسة أمامها تقضم التفاحة فى لذة واضحة حتى اذا ما ضاقت مرفت بهذه النظرات انفجرت قائلة تريدين أن تعرفى أين كنت أليس كذلك ·· حسن هذا ليس من شأنك ·

نظرت اليها أمها باستنكار ·· أردفت مرفت قائلة بلهجة أقل حدة : كنت أظن أننا اتفقنا على ألا تتدخل واحدة منا فى شؤون الأخرى ··

ظلت الأم صامتة تحدق فى ابنتها بحيرة وذهول ·· أردفت مرفت قائلة حتى اطمئنك أقول لك اننى كنت مع الممرضة فى حفلة صغيرة لدى بعض الاصدقاء ·· هل استرحتى الآن ؟ ··

قالت الأم بلهجة حنون المهم أن تأخذى بالك من نفسك فانك لست صغيرة الآن أليس كذلك ··

قالت مرفت دون أن تفكر : نعم اننى لست صغيرة الآن ويمكننى أن آخذ بالى من نفسى ·· وضحكت المرأتان فجأة وأخذتا تنظران الى بعضهما البعض فى نظرات مستقيمة بعثت الطمأنينة الى

قلب مرفت فقد أدركت أن أمها تعرف أين كانت وأنها لم تفاتحها بشيء ٠٠ وأخذت مرفت قضمة جديدة من التفاحة اللذيذة وأخذت تمضغها على مهل وفى استمتاع كامل هذه المرة ٠



تلقى عادل استدعاء للمثـول أمام المحقـق لاستجوابه فى الشكوى المقدمة ضده من جانب زملائه فى العمل ٠٠ أحس وهـو يلمح السرور يطل من حدقات عيونهم وهم يشـــاهدونه يقرأ ذلك الاستدعاء أن الحرب بينه وبينهم قد وصلت الى نقطة اللاعودة ٠٠ وبينه وبين نفسه قرر أن يخوض هذه الحرب الى النهاية حتى لو كان الثمن فقدانه لوظيفته نفسها ٠٠

قال له المحقق وهو ينظر اليه بعداء لم يستطع أن يخفيه ٠٠ أنت متهم فى شكوى موقعة من رئيسك المباشر ومن بعض زملائك فى العمل بأنك مشاغب معطل للعمل ٠٠ ثم انك اتهمت بدون وجه حق أحد عملاء الشركة وزميلا لك بجريمة الرشوة فماذا تقول دفاعا عن نفسك ٠٠

نظر اليه عادل باشمئزاز فقد كان رجلا ضئيل الحجم يضع منظارا سميكا ذا اطار رفيع أسود فوق عينيه كان يحلو له بين الحين والآخر أن ينظر من فوق عدساته بطريقة يحاول بها أن تبدو نظراته ماكره تكشف خبيئة المتهم الجالس أمامه ٠٠ لكنه كان يبدو مضحكا أكثر وهو يتصنع التجهم وينظر الى عادل فى صرامة ليبعث الخوف فى قلبه ٠٠ ولأن عادل كان يعلم تماما أن هدف هذا المحقق ليس هو الوصول الى الحقيقة بل محاولة اثبات التهمة عليه بمحاصرته

بأسئلة سخيفة شكلية فقد قرر أن يمارس معه لعبة المراوغة بأسلوب هادىء تماما حتى لا يفقد زمام السيطرة على الأمور ٠٠

قال له بخصوص التهمة الأولى فينبغى أن أوجه أنا الاتهام اليهم فهم بالتأكيد الذين يعطلون العمل واننى كنت أفضل بدلا من توجيه هذه الأسئلة العقيمة لى أن تفاجئهم فى مكان العمل لتعرف بنفسك من ينبغى أن يوجه تهمة تعطيل العمل الى من ٠٠ وصمت برهة ثم أردف قائلا وهو يرمقه فى ازدراء : لكن لا أحسب انك تريد أن تعرف الحقيقة انك تريد تحقيقا مستوفيا للشروط القانونية فحسب ٠٠ نظر اليه المحقق من فوق منظاره بنظرات متشككة وقال له الأوراق الموجودة أمامى تقول العكس ٠٠

قال عادل بسخرية لو اننى المتقدم بالشكوى لقلت نفس الكلام ولكانت هذه هى الحقيقة فى نظرك ٠٠ ما جدوى الأوراق على أى الأحوال أنها ليست الحقيقة ٠٠ الحقيقة موجودة هناك٠٠

قال المحقق بضيق وهو يحس بأنه أمام انسان ذو منطق واضح لا يمكن التغلب عليه بأساليب المراوغة المعتادة ٠٠ انك تتهم زملائك فى العمل دون أن تملك دليلا ضدهم وهذا وحده يمكن أن يوجه تهمة جديدة اليك ٠٠

قال عادل انهم يتشاجرون معى لأسباب شخصية بحته وهذا هو السبب فى اتهامهم لى ٠٠

قال المحقق وكأنه وقع على سر خطير ٠٠ أسباب شخصية تقول حسن ما هى تلك الأسباب ٠٠

نظر اليه عادل باستنكار وقال له هل تتوقع منى أن أقول لك ما هى هذه الأسباب الشخصية فأكون بذلك قد حققت غرضهم ·· كلا ·· اننى لن أقول شيئا ··

قال المحقق انك بذلك تضعف موقفك ··

قال عادل فى حرج ليس لدى شىء أضيفه بخصوص هـذه التهمة ··

قال المحقق وهو يزفر فى ضيق : حسن وماذا بشأن التهمة الثانية الخاصة بمحاولة الرشوة ·· ما قولك فيها ·· ثم راح يقلب فى الأوراق الموجودة أمامه وقال وهـو يحدق فى عادل من فوق عدسات منظاره السميك ينبغى أن أقول لك أولا انك اتهمت عميلا للشركة وزميلا لك بتهمة خطيرة دون أن تملك دليلا ماديا يؤيد اتهامك وهذه فى حد ذاتها تهمة خطيرة ·

قال عادل غاضبا وهـو يحس أن المحقق يمارس معه لعبة المراوغة القانونية ليجبره على الاعتراف بشىء لم يحدث ·· كيف تقول عنى اننى أتهمهما بلا دليل مادى والمظروف الذى به نقـود الرشوة أخذته بنفسى من جيب عبد الراضى بك ·· ثم لا تنسى أن هذا الرجل لديه مناقصة هامة فى الشركة ومن مصلحته أن يدفع أى مبلغ لارساء العطاء عليه ··

صاح المحقق قائلا وقد تصور أنه أوقع عادل فى مأزق خطير · آه انك تعترف انك أخذت المظروف الذى يحوى النقود من جيب عبد الراضى بك وليس أثناء تسليمه للموظف وهكذا فقد الدليل قيمته من الناحية القانونية ··

قال عادل وهو يحاول أن يكتم غيظه أن كل ما يهمك هو الناحية القانونية ·· لكن ماذا بشأن الحقيقة اننا هنا من أجلها أليس كذلك يا سيدى ··

قال المحقق وهو يبتسم فى سخرية ·· بالتأكيد لكن فى اطار القانون وليس خارجه ·

قال عادل دون أن يتمكن من السيطرة على أعصابه هذه المرة : منذ اللحظة الأولى التى جلست فيها أمامك وأنت تحاول أن تنتزع منى اعترافا بأننى مخطىء وبأن من يتهموننى أبرياء وهذا ما لن يحدث أبدا يا سيدى ·· هل تعرف لماذا لأنه ليس حقيقيا والحقيقة أن عبد الراضى بك كان يحمل نقودا فى المظروف وأن هذه النقود كانت ستعطى على سبيل الرشوة لاحد الموظفين الذين يعملون تحت رئاستى ولقد كان من واجبى كرئيس أن أمنع هـذه الجريمة قبل وقوعها ·· والآن أصبح هـذا التصرف جـريمة ينبغى أن أعاقب عليها ·

قال المحقق بحقد يلمع فى عينيه الشاخصتين الى عادل من وراء المنظار السميك ان هذا لا ينفى انك اعترضت عبد الراضى بك أثناء خروجه من الحجرة وأخذت المظروف عنوة من جيبه ·· هناك اثنان من زملاءك شهدا بحدوث هذه الواقعة ·· ثم راح يقلب الدوسيه الموجود أمامه ثم أخرج منه ورقة صغيرة قرأ فيها بضعة سطور ثم صاح قائلا ها هما اسمى الموظفين اللذين شهدا بحدوث الواقعة·· الموظف الاول اسمه على عبد السلام أما الموظفة الثانية فاسمها فاطمة محمود ··

أحس عادل بذهول وهو يسمع من المحقق أن فاطمة شهدت ضده فى التحقيق ·· صاح قائلا أن هذا مستحيل أن فاطمة لا يمكن أن تفعل ذلك ··

قال المحقق أن شهادتها هنا أمامي وموقعة منها ·· هل تريد أن تراها ؟ ··

قال عادل وهو يرتعش من الغضب كلا ·· لا أريد أن أراها لا أريد أن أرى أى شيء ·· أرجوك دعنا نكمل هذا التحقيق بسرعة حتى يمكننى أن أغادر هذا المكان ·

قال المحقق حسن ماذا تقول بشأن شهادة هذين الموظفين··

قال عادل بغضب أنهما كاذبان شأنهما شأن باقى موظفى الادارة ·· ان هذا ليثبت ما قلته لك من أنهم يتآمرون ضدى لأسباب شخصية وليس لصالح العمل كما يدعون ··

قال المحقق وهو يرمق عادل بكراهية ·· حسن وقع هنا اننى لا أرى فائدة من استمرار التحقيق على هذا النحو لكن ليكن معلوما لك اننا سنستدعيك مرة أخرى لاستكمال التحقيق فى أى وقت ·· ووقع عادل على محضر التحقيق وغادر الحجرة فى صمت وهو يفكر فى موقف فاطمة الغريب منه وأحس بحزن عميق يغرق قلبه وهو يتساءل عن السبب الذى من أجله فعلت فاطمة ذلك ·· جعلت الحلم أقل اقترابا ·· داست بقدميها على البقية الباقية من طهارة العالم ·· ورجع عادل الى مكتبه وقد زاد تصميمه على أن يتصدى بكل قوته لفساد هذا العالم لموظفين أفلحوا بطريقة أو بأخرى فى أن

يحولوه الى متهم ·· عليه أن يدافع عن نفسه بينما كان الواجب أن يكونوا هم داخل القفص ·· جلس صامتا زائغ البصر الى مكتبه يحاول أن يجد مغزى لما حدث له ·· عيون الموظفين الجالسين معه فى الحجرة تنظر اليه بشماته ·· اختلس نظـرة الى عينى فاطمة محاولا أن يجد فيهما اجابة على سؤاله الحائر لماذا فعلت ذلك ·· لكن فاطمـة كانت تنكس بصرها الى الأرض كلمـا التقت عيناها بعينيه ·· وظل عادل ينتظر مرور الوقت بصبر نافذ حتى يمكنه أن يتكلم مع فاطمة ليعرف منها لماذا أقدمت على هذا التصرف المشين وحان موعد الانصراف من العمل وبدأ الموظفون فى مغادرة الحجرة وظل عادل قابعا فى مكانه ولاحظ أن فاطمـة لم تغادر الحجـرة كالآخـرين ·· أحس أنها تباطأت فى الخـروج لتتيح له فـرصة محادثتها ·· نظر اليها بعينين فيهما كل الحزن الذى يمكن أن يطل من عين آدميه فجعت فى انسان تحبه ·· فاطمة لماذا فعلت ذلك ؟! كنت أظنك صديقتى الوحيدة فى هذه الحجرة ·· وبعينين لا تقلان حزنا وفجيعة عن عينيه قالت له : تأكد يا عادل انك لم تخطىء فى ظنك كنت وسأظل دائما صديقتك المخلصة ·· لكنى لا أدرى لماذا تصرفت على هذا النحو ·· اننى خجلة من نفسى ·· اننى لم أعد أدرى شيئا ··

نظر عادل الى عينيها اللتين توشكان على البكاء وقال لها فى عتاب رقيق : كان يمكنك أن تصمتى على الأقل يا فاطمة ··

قالت فاطمة بحزن شديد ·· لكنى لم أتهمك بشىء يا عادل فقط قلت ما رأيته أمامى ··

قال عادل وعلى شفتيه شبح ابتسـامة سـاخرة : لو انك قلت حقا ما رأيتيه أمامك لاختلفت الصورة الى حد بعيد ··

قالت فاطمة بصوت متوسل أرجوك يا عادل ضع نفسك مكانى انني زوجة وأم وكل ما أملكه هو وظيفتى ·· ماذا سيحدث لى لو أنهم فصلونى من عملى ·· وصمتت برهة ثم أردفت قائلة وهى تنظر الى عينيه بحزن شديد ·· عادل انك غنى ولا يمكن أن تفهم هذه الأشياء ·· أرجوك قدر موقفى واغفر لى اذا كنت قد أسأت اليك دون أن أقصد ذلك ·· ثم تركته وغادرت الحجرة فى صمت ··

أحس عادل براحة شديدة لكلماتها فقد أيقن أن فاطمة لم تتغير وأن الخير لم يمت بعد من العالم ·· وأعطاه هذا الشعور دافعا جديدا لكى يبقى ويمارس حربه العنيدة ضد فساد هذا العالم ·

★ ★ ★

سمع عادل من تفيدة الشغالة أن بحلق مريض بالانفلونزا وملازم الفراش منذ فترة من الوقت فقرر الذهاب للاطمئنان عليه ·· وقرر أن يأخذ له بعض الفاكهة ·· وعلى باب شقة بحلق المطل على الحديقة الصغيرة قرأ عادل فى حزن شديد الكلمات التى كانت تدفعه للتساؤل فى كل مرة يقرؤها عن الدافع الحزين الذى يحدو بأنسان لكى يعذب انسانا آخر بهذه الطريقة · ما الذى سيستفيده من ذلك · كانت الكلمات تنضح بذاءة واهانة لبحلق المسكين تصب على رأسه كل اللعنات والمصائب ·· ومد عادل يده ومسحها ثم ضغط بأصبعه على جرس الباب ومر بعض الوقت قبل أن يسمع صوت بحلق وهو يسعل بشدة ويسأل عن الطارق ·· وأحس عادل بأنه يهفو الى رؤية صديقه الذى انقطع عن زيارته لبعض الوقت صديقه الذى يعيش وحيدا فى هذا العالم الذى ينهش لحمه كذئب مفترس ·· لكن عادل لم يستطع أن يغالب الضحك وهو يسمع صوت بحلق المخنوق

بالسعال وهو يسأل عن الطارق للمرة الثانية ·· كان فى صوته رنة حذر وخوف مبالغ فيها لكن عادل بالتأكيد كان قادرا على فهم الباعث عليها ·· قال له وهو يضحك إفتح يا مكرم ولا تخشى شيئا اننى عادل ·

وفتح بحلق الباب وأخذ عادل بالاحضان واغرورقت عيناه بالدموع وهو يربت كتفه فى حنان ·· وتأثر عادل من أعماقه لمقابلة صديقه الحارة وقال له ضاحكا ليخفف الضغط على مشاعرهما ·· هل ستدعوننى للدخول أم سأظل واقفا على الباب ·· وضحك بحلق وهو يقول له اغفر لى يا عادل لقد نسيت أن أدعوك الى الدخول ·· ودخلا الى الشقة ·· وجلسا قبالة بعضهما البعض ·· ونظر عادل الى بحلق بتفرس وأحس بحزن شديد من أجله·كان دائما يحس بذلك الحزن كلما نظر اليه ·· كان له نفس الشكل الغريب الذى يثير ضحك الآخرين واستهجانهم ·· الآخرين الذين يكرهونه من أعماقهم ولا يتورعون عن عمل أى شىء لاستفزازه واهانته ·· رأسه الضخمة التى لا يدرى أحد حتى بحلق نفسه ما بها ·· الشعر الغزير الذى يتهدل على جبهته الضيقة البارزة الى الأمام ·· والذى يوحى ببلاهة متأصلة وقد بدأ يتحول بسرعة الى اللون الرمادى الفاتح ·· عيناه الجاحظتين بصورة مقززة وفيهما نظرة زائغة بلهاء لا ترى شيئا أمامها ·· فيهما هذه المرة انطفاء المرض وتلك اللمعة الحزينة التى كان عادل وحده قادرا على رؤيتها دائما ·· وكانت ملابسه هى نفس الملابس التى يراه بها الناس فى الشارع الجلباب الأبيض النظيف وفوقه جاكتة بدلة قديمة لكنها مكوية ونظيفة ··

ولاحظ عادل بحزن شديد وهو يتفرس فى وجه بحلق أنه كبر بضعة سنوات فى الأسابيع القليلة الماضية ·· فالتجاعيد العميقة

تبدو واضحة فوق وجهه الطينى القبيح خاصة فى جبهته البارزة الى الأمام معطية انطباعا للناظر اليه بأنه عجوز رغم أنه فى الحقيقة لم يتجاوز مرحلة الشباب وربما ساعد على ايجاد هذا الانطباع المزيف عنه لحيته الشائبة البيضاء والتى يبدو من منظرها أنها لم تحلق منذ عدة أيام ··

قال عادل لبحلق وهو ينظر اليه بحنان شديد ·· سمعت من تفيده أنك مريض فأتيت لكى اطمئن عليك ··

قال بحلق وهو يشعر بامتنان عميق لصديقه الوحيد فى هذا العالم ·· الانسان الذى يسأل عنه ويزوره بين الحين والآخر ·· اننى الآن أحسن بعض الشيء وأرجو مع كل الأدوية التى آخذها أن أغادر الفراش خلال بضعة أيام ·· وفجأة أخذ يسعل سعالا حادا جعل عادل يشعر نحوه باشفاق شديد ولا يدرى ماذا يفعل من أجله · بحث عن كلمات يقلها فلم يجد لكن ملامح وجهه عبرت تماما عما يريد أن يقوله ··

ونظر اليه بحلق بامتنان من جديد بعد أن خفت نوبة السعال بعض الشيء ·· ان بحلق الذى يملك قدرا قليلا من العقل لديه من صدق الاحساس الداخلى ما يمكنه من أن يحكم حكما صائبا على الناس الذين يتعاملون معه أنه يحبهم أو يكرههم بوحى من عاطفته الداخلية وحدها ·· وهو يحب عادل لأن عاطفته تقول له أن يحبه·· ونظر اليه عادل بأشفاق شديد وود لو كان فى مقدوره أن يفعل له شيئا ليس لتخفيف نوبة سـعال مؤقته بل لتخفيف ثقل الحياة نفسها التى لا ريب أنها جحيم بالنسبة له ·· جحيم لا يدركه الا بحلق نفسه ·· ان بحلق يشبه حشرة صغيرة وقعت بين خيوط عنكبوت ضخم بالغ الشراهة اسمه المجتمع أنه لا يملك منها فكاكا ·· فقط

عليه أن يبقى فى مكانه حتى يمتص تماما حينئذ تسقطه الخيوط الشرهة على الأرض وتبحث عن حشرة جديد تصطادها ·· وأحس عادل بحزن عميق من أجله وهو يتصوره ميتا منذ بضعة أسابيع قبل أن تكتشف جثته المتعفنة وبالمصادفة وحدها ·· ونظر الى عينيه وبرغم بشاعتهما الا أنه لم يستطع أن يغفر للناس غباءهم الذى يمنعهم من رؤية ما بها من طيبة تصل الى درجة البلاهة ·· كيف لا يستطيع الناس وهم ينظرون الى هذا الوجه أن يكتشفوا انسانيته قال بحلق وهو يخرج منديله المتكوم ويبصق فيه أثر نوبة جديدة من السعال ·· سأذهب لأصنع لك كوبا من الشاى ··

قال عادل بلهجة عطوفة أرجوك أجلس يا مكرم ولا داعى لأن ترهق نفسك ثم اننى أتيت لك فى هذا الكيس بشىء أفضل كثيرا من الشاى وهو أيضا مفيد للانفلونزا ·· انظر ·· ومد يده وأخرج من الكيس بعض ثمرات من اليوسفى الطازج الكبير الحجم ·· وقال وهو يمد يده اليه بواحدة منها لقد انتقيته بنفسى واحدة واحدة من القفص رغم احتجاج البائع ··

وتناول بحلق الثمرة من عادل وبدأ يقشرها وفى عينيه يلمع ذلك الحنان والعرفان بالجميل كلما أسدى اليه انسان معروفا فبحلق الذى يعيش حالة حصار دائم من كراهيـة الآخرين ورغبتهم فى تدميره أصبح سريع الاستجابة لأى مؤثر انسانى يجعله يشعر بآدميته ·· انه يحس به نوعا من الزلزال يهزه من أعماقه ظاهرة غير طبيعية تغير من شكل الحياة بالنسبة له ولو لفترة مؤقتة ·· وبدأ جو الالفة وعادل وبحلق يتناولان ثمار اليوسفى باستمتاع شديد يسيطر على اللقاء بينهما باعثا بدفء حقيقى واحساس بالآدمية الى قلب عادل الذى لم يستطع أن يمنع نفسه من المقارنة

بين حالته الآن وهــو جالس مع انسان يوصف بالبلاهة انسان لا يستطيع أن يؤذى حشرة صغيرة وبين حاله وهــو جالس وسط زملائه فى العمل بكل ما يبعثونه فيه من شعور بالكراهية والتقزز ٠٠ وفجأة أحس عادل ومعدته تلتهم ثمار اليوسفى بشراهة ساحبة بعض الدم من أطرافه بشيء من الاحساس بالبرد يسرى فى جسمه وتنبه الى أن الشقة المكسوة بالبلاط ليس فيها سجادة ٠٠ والتفت الى بحلق قائلا له كيف يمكنك أن تعيش فى الشقة وهى على البلاط لا بد من شراء سجادة تفرشها فوقه ويستحسن شراء مدفئة أيضا ٠٠ لا غرو انك أخذت أنفلونزا فالبرد هنا لا يحتمل ٠٠

ونظر اليه بحلق وكأنه لا يدرى عما يتحدث بشأنه ٠٠ وابتسم عادل فى اشفاق وهو يقول له ٠٠ لا تشغل نفسك أنت بهذه الأشياء أنا سأشتريهم من أجلك ٠٠

وقام بحلق فجأة وقال لعادل ووجهه ينطق بجدية تامة سأذهب لاحضر لك النقود ٠٠

قال له عادل وهو يبتسم فى حنان وهل تعرف كم من النقود احتاجها لتحضرها لى ٠٠ اسمع عندما أحضرها لك سأحاسبك على ثمنها لكن الأهم من ذلك كله أن تخرج من هذه الشقة الباردة وتعرض جسمك للشمس هل تفهم ٠٠ اسمع لماذا لا تذهب الى الحديقة العامة كل يوم وتجلس هناك بعض الوقت أن هذا سيفيدك أكثــر من كل الأدوية التى تتناولها ٠٠

قال بحلق ووجهه ينطق بألم شديد لا أستطيع أن أفعل ذلك ٠٠
قال له عادل بدهشة ولماذا لا تستطيع ٠٠
قال بحلق وهو ينكس بصره الى الأرض ٠٠ لأنهم يضربوننى

بالطوب فى كل مرة أخـرج فيها الى الشارع وعندما أذهب الى الحديقة أتشاجر مع الأطفـال الصغـار الذين يلتفون من حولى ويجذبوننى من ملابسى ..

قال له عادل وهو يحس بالنقمة على الناس الذين لا يريدون اعطاءه فرصة عادلة ليعيش بينهم .. ولهذا امتنعت عن الذهاب الى الحديقة العامة وحبست نفسك داخل جدران هذه الشقة الباردة لتصاب بالمرض ونظر بحلق بعينيه الحزينتين الى وجه عادل ولم ينطق بحرف واحد .

قال له عادل وهو ينظر اليه بعمق وعلى شفتيه ابتسامة طيبة هل تعرف شيئاً يا مكرم انك من الناس القلائل الذين أرتاح عندما أكون جالسا معهم .. على الأقل لن اضطر للتظاهر بأننى شخص آخر مزيف ثم عندما أفارقك لن تغتابنى بالكلمات التقليدية الحاقدة وصمت برهة ثم أردف قائلا وهو يتنهد بعمـق لو أن الناس كانوا جميعا مثلك لكان العالم مكانا افضل لكى يعيش فيه الانسان .. ولمعت نظرة حنون فى عينى بحلق أدرك عادل وهو يراها أنه فهم المعنى الذى يرمى اليه .. وراح عادل ينظر الى وجه بحلق من جديد بشىء من التمعن كأنه يريد أن يدرك سره الغريب سر صفاء عينيه القبيحتين رغم المحنة الدائمة التى يعيش فيها ولاحظ شيئا غريبا ان وجه بحلق يبدو اقل دمامة عندما يرتاح نفسيا او عندما يحس انه بعيد عن الخطر او التوتر المحدق به . وفجأة قال بحلق لعادل وهو ينظر اليه بعينين حزينتين . هل تعرف من رأيتها قبل ان امرض يا عادل .. مرفت كانت مع المرضة .. اوصلتها بتاكسى الى ناصية الشارع وصمت برهة ثم اردف قائلا اننى اخشى على مرفت من المرضة ان سمعتها سيئة ويقولون انها تعرف عديدا من الرجال . قال عادل بحزن لقد قطعت كل صلة لى بمرفت ولا اريد ان اسمع اسمها بعد

الآن · نظر اليه بحلق بدهشة فقال عادل مستسلما حسن اننى مازلت احبها اذا كان هذا ما تريد ان تسمعه لكنى لم اعد ابالى بها فلتصاحب المرضة كما تشاء او فلتذهب الى الجحيم · ومرت لحظة صمت قال عادل بعدها ليغير موضوع الحديث قل لى يا مكرم الا يحدث ان يزورك اخوك على الاطلاق على الاقل فى الحالات التى تكون فيها مريضا ·

قال بحلق بحزن شديد المرات التى زارنى فيهــا تعد على اصابع اليد الواحدة · قال عادل بحزن عميق وكأنه يخاطب نفسه انا اعلم ذلك ولماذا يزورك اذا كنت لا تفيده بشىء على الاطلاق بل ربما كلفته زيارتك شيئا من الجهد او المــال هو فى غنى عنه · وصمت برهه اردف بعدها قائلا بلهجة حزينة هل تعرف شيئا يا مكرم ان العالم الذى نعيش فيه قائم على المصالح وحدها مهما تظاهر الناس بغير ذلك ·· انهم يتحدثون عن اشياء غير موجودة كالصداقة والحب والانسانية لكنهم لا يمارسونها فى الواقع ··

لو انك كنت مفيدا لاخيك الوغد لاتى لزيارتك اكثر ممــا تتصور لكن لانك لست مفيدا له فلا تتوقع ان تراه كثيرا فى هذا المكان · قال بحلق بطيبة شديدة لكنه يأتى اول كل شهر ليعطينى نصيبى من ميراث ابى ثم لا اراه بعد ذلك طول الشهر · قال عادل وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة وبالطبع يأخذ نصيبا مقابل مجهوده ولا يعلم الا الله مقدار هذا النصيب الذى يقتطعه منك · وصمت برهة اردف بعدها قائلا وهو ينظر الى بحلق بأشفاق المتفكر يوما فى ان تحاسب اخاك هذا ·· نظر اليه بحلق بخوف وذهول · بينما استمر عادل قائلا وحتى اذا فكرت كيف ستتمكن من ان تفعل ذلك · ومرت لحظة صمت اخرى حزينة قال عــادل بعدهــا لبحلق وهو يشعر نحوه بعطف شديد لا يدرى كيف يترجمه الى واقع محسوس

.. لكن اليس لك أقارب آخرين يسألون عنك . قال بحلق وهو ينظر الى عادل فى حزن ليس لى اقارب سوى اخى . قال عادل بسخرية لاذعة ويالة من أخ . ثم نظر عادل الى وجه بحلق الذى ملأته التجاعيد واذبله المرض والى عينيه الدائمة الحزن والانتماء الى لا احد .. الى لا شىء ..

وقال له لكن الوحدة لابد ان تكون شديدة بالنسبة لك الم تفكر يوما فى ان تذهب لتعيش مع اخيك . اطل من عينى بحلق حزن عميق وهو يردقائلا منذ بضعة سنوات فكرت فى ان اذهب واعيش مع اخى لكن بعد بضعة ايام طردتنى زوجته من المنزل وهى تصرخ فى وجهى قائلة .. لا اريد ان اراك هنا بعد اليوم .. انك نحس وتجلب المتاعب بوجهك القبيح . قال عادل بأستنكار ولماذا فعلت المرأة الحمقاء ذلك هل ضايقتها فى شىء . قال بحلق بطيبة شديدة اقسم لك أننى لم افعل شيئا يضايقها لكنها كانت ناقمة على الاولاد الذين يلعبون فى الشارع والذين كانوا يضربوننى بالطوب فى كل مرة يروننى فيها وكانوا يكتبون كلمات بذيئة فوق سور المنزل وفوق البوابة الحديدية .

وفى يوم عدت الى المنزل وجلبابى ممزق ومخضب بالدم ورأسى مبطوحة من جراء طوبة كبيرة ضربنى بها الاولاد فى الشارع وصرخت زوجة اخى قائلة اخرج من هنا على الفور ولا تعد مرة اخرى فانا لا اريدك فى بيتى . سأله عادل وهو يشعر بالحزن من اجله وماذا فعل اخوك . قال بحلق وقد اغرورقت عيناه بالدموع لم يفعل شيئا وقف صامتا يشاهدنى وانا اغادر المنزل وزوجته تصرخ فى وجهى لا تعد مرة اخرى هل تفهم .

ومرت لحظة صمت قال عادل بعدها فى حيرة والم هل فكرت يوما فى ان تأتى بامرأة لترعاك اعنى تتزوجها . نظر اليه بحلق

بعتاب فأيقن عادل انه قال شيئا سخيفا لم يكن يجدر به ان يقوله فمن ترضى ان تتزوج رجلا كبحلق يقذفه الاولاد بالطوب فى الشارع رغم ان الثروة التى يملكها لو كانت عند رجل عادى لما وجد صعوبة فى العثور على عشرات النساء على استعداد لمشاركته حياته ٠ قال عادل وقد بدأ يحس بانه يختنق فى جو التعاسة المخيم على الشقة الصغيرة اننى آسف يا مكرم لانى مضطر لتركك الآن لكنى أعدك بان آتى قريبا لزيارتك ٠٠ بالمناسبة هل انت مرتاح مع تفيده الشغالة ٠

قال بحلق وعيناه مليئتان بنوع عميق من العرفان بالجميل تجاه صديقه عادل انها طيبة جدا وانت ايضا طيب يا عادل ٠٠ اننى اعتبرك اخى الوحيد ٠ واحس عادل بعاطفة جياشة تجاه صديقه الطيب المسكين فقام وعانقه بحرارة شديدة ٠ وبينما هو يهم بمغادرة الشقة قال له بحلق وهو يشير الى صندوق صغير من الحلوى لقد أرسلته والدتك مع تفيده الشغالة انها طيبة جدا يا عادل وانا اتمنى لو اذهب اليها بنفسى لأشكرها بعد ان اشفى من المرض ٠٠

هل لك ان تبلغهـــا ذلك نيابة عنى ٠ قال عادل وهو يحس بالبهجة تغمر قلبه من جديد سأبلغها ذلك يا مكرم ٠ وبعد ان عاد عادل الى البيت قال لوالدته بمرح اننى عائد لتوى من عند مكرم وهو سعيد بالهدية التى ارسلتيها له مع تفيدة ٠ بل انه مصر على أن يأتى بنفسه ليشكرك عليها ٠٠ نظرت والدة عادل اليه بدهشة مليئة بالتقزز وهى تسمع منه رغبة بحلق فى زيارتها ٠ فهو بالنسبة لها مخلوق غريب ينبغى ان يبقى بعيدا عنها فهى على استعداد لكى ترسل له خادمتها لتقضى له حاجاته او ترسل له صندوقا من الحلوى

أثناء مرضه لكنها بالتأكيد لا تسمح له بأن يجلس معها فى مكان واحد • كانت والدة عادل ترى بحلق احيانا فى الشارع والاطفال يعدون وراءه ويجذبونه من ملابســـه او يضربونه بالطوب وهم يصيحون فى جنون بحلق بحلق وكانت تشعر بالتقزز والخوف من هذا المخلوق الغريب وان كـــانت تشعر بالعطف عليه فى نفس الوقت والآن هاهو ابنها يقول لها ان هذا المخلوق الغريب قادم لزيارتها • احس عـــادل بما يدور فى ذهن والدته وهو يتطلع الى عينيهـــا المدهوشتين الخائفتين فضحك قائلا انا اعلم تماما ما تفكرين فيه انك تظنين ان بحلق مجنون كمـــا يقول عنه الناس وانه قـــادر على عمل اى شىء فظيع لكن صدقينى انه ليس كذلك ••

ان هذه الصورة هى ما يريد الناس ان يروه عليهـــا لكن الحقيقة شىء آخر مختلف •• ان بحلق عاقل تماما كأى واحد منا قد يكون به نوع من البلاهة الطبيعية لكنه لا يســـتطيع ان يؤذى ذبابة وتأكدى انك عندما تجلسين معه ستكتشفين اننى لم ابالغ فى حرف واحد قلته لك • ظهر الاطمئنان على ملامح الام وارتسمت ابتسامة طيبة على شفتيها وهى تقول لابنها حسن دعه يأتى فى اى وقت يريد فسأكون سعيدة بأستقباله •

★ ★ ★

كانت والدة عادل تجلس مع ضيفتها العجوز امام شاشة التليفزيون فى احدى الامسيات وقد ساد بينهما نوع عميق من الالفة والصداقة اذ كانت قد أنقضت مدة طويلة دون ان تأتى العجوز لزيارتها كما تعودت ان تفعل منذ ان تعارفتا قبل بضعة سنوات لذلك كانت فرحة الام بها فائقة • فالمعروف عن هذه السيدة العجوز التى تعيش وحدها فى شقة صغيرة تعلو سطح احدى عمـــارات الشارع انها لا تخرج كثيرا من البيت وان هذا السلوك هو احد

وجوه حذرها الشديد في تعاملها مع الغرباء ٠ وان الذين تسمح لهم بدخول شقتها لا يزيدون عن ثلاثة اشخاص هم ابنتها المتزوجة التى تأتى كل فترة للاطمئنان عليها وقضاء بعض حاجاتها الضرورية ٠ ثم بواب عمارتها التى ورثتها عن زوجها وهو نوبى عجوز ظل يعمل فى خدمة الاسرة فترة طويلة جعلتها تثق به وتسمح له بدخول شقتها عندما يأتى لها بأيراد العمارة اول كل شهر واخيرا عادل ابن صديقتها الوحيدة الذى ترسـلـه لها بين الحين والآخر كى يطمئن عليها او يحمل لها بعض الهدايا او المأكولات والذى كثيرا ما يأتى بنفسه للاطمئنان عليها دون تكليف من والدته اذ مع الوقت اصبح عادل يحس بان العجوز الطيبة صديقة له ٠

وكان يشعر بسعادة كبيرة عندما يجلس معها بالساعات فى شقتها الصغيرة يثرثران فى شتى الموضوعات وتذيقه العجوز الطيبة الكعك اللذيذ الذى تصنعه بيديها ٠ وفيما عدا هؤلاء الثلاثة لم تكن العجوز تسـمح لاحد بدخول شقتها خوفـا من الحوادث المروعة التى تقرأ عنها فى الصحف والتى تحدث بصفة خـاصه لكبار السن الذين يتركهم ابناؤهم للفراغ والوحدة القاتلة فى أواخر عمرهم وفى انانية كانت تصيبها دائما بالمرض ٠

وممـا كان يزيد من رعب العجـوز من الناس وحذرها منهم تلك الشائعات القوية التى راجت فى الشارع بأنها تخفى ثروة طائلة داخل شقتها وان هذا هو سر حذرها الشديد وعدم خروجها من الشقة ٠ وكان هذا كله لا يجعل العجوز تطمئن لاى انسـان وتشك دائما انه يسـعى لاقتناص ثروتها او حتى قتلها ٠ كانت المرأتان قد التهمتا الشطائر التى اعدتها لهما تفيده الخادمة قبل انصرافها من المنزل وشربتا بضعة اقداح من القهوة التى تحبانها

كثيرا ثم استغرقتا فى مشاهدة التليفزيون والثرثرة فى الموضوعات التي تحلوا لهمـا فى الوقت الذى كـان فيه عـادل داخل حجرته المغلقة يستمع الى الموسيقى الكلاسيك ويقرأ رواية بوليسية لأجاثا كريستى ··

التفتت والدة عادل الى ضيفتها العجوز وقالت لها بود شديد انك لا تدركين ياعزيزتى كم أنا سعيدة بزيارتك المفاجأة اليوم ·· لكنى أعتب عليك انك لا تأتين لزيارتى الا على فترات متباعدة رغم أننا نعيش فى نفس الشارع ونستطيع أن نسلى بعضنا البعض ·· وصمتت برهة ثم قالت ضاحكة الا تعتقدين أننا بحاجة فى سننا المتقدم هذا الى شيء من التسلية وتأكدى يا عزيزتى أنه لو كانت لى صحتى القديمة لوفرت عليك عناء القـدوم الى هنا ولذهبت أنا بنفسى اليك أن كل ما أريده هو أن نبقى معا الأيام القليلة الباقية لنا فى الحياة ·

نظرت العجوز الى مضيفتها بنوع عميق من العرفان بالجميل ثم ربتت يدها بحنان وقالت لها بل أنا التى ينبغى أن أحضر اليك يا عزيزتى لكن اعذرينى على عدم المجيء اليك كثيرا فأنت لا تدرين نوع الحياة التى أعيشها والوحدة القاتلة التى تسيطر على حياتى ·· وصمتت برهة وقد أقطب جبينها فظهرت فوقه تلك الخطوط الغائرة المليئة بمرارة السنين والأحداث العديدة التى عاشتها وأكثرها غير سعيدة ·· ثم أردفت قائلة بينما مضيفتها ترقبها باهتمام وحزن من أجلها ·

هل تعلمين يا عزيزتى أننى أنتظر بلهفة شديدة اليوم الذى تأتى فيه ابنتى المتزوجة لزيارتى رغم أنها لا تمكث معى طويلا فى البيت اذ هى دائما فى عجلة من أمرها تخشى الغياب طويلا عن زوجها الحاد

الطباع حتى لو كان يعلم أنها فى زيارة لأمها خشية أن يصب نقمته الشديدة عليها ·· وصمتت برهة ثم قالت وقد أطل الحزن العميق من عينيها هل تتصورين رجـلا يريد أن يحرم أما من رؤية ابنتهـا التى أنجبتها لأنه لا يطيق أن تبتعد عنه ولو لفترة محدودة ·· أى أنانية وقسوة ·· لكن هذا هو زوج ابنتى الوحيدة ·· وامتلأت عينا العجوز بالدموع لكنها رغم ذلك رفعت رأسها فى كبرياء ومضت تقول بل اننى أجلس الأيام الطوال انتظر سماع طرقه على الباب رغم علمى بأنها يمكن أن تكون لانسان يريد شرا بى ·· وأحيانا انظر الى آلة التليفون الصماء وابتهل اليها أن ترن حتى لو كانت مكالمة خاطئة المهم أن أسمع صوتا آدميا يشعرنى بأننى ما زلت على قيد الحياة وأن هناك من يسأل عنى ·· حتى لو كان صوت انسان غريب أخطأ فى طلب النمرة ·· وغالبا ما تنتابنى هـذه الرغبة العارمة فى سماع الصوت الانسانى أثناء الليل عندما تطبق على الوحدة القاتلة بحيث يخيل الى اننى أتنفسها فى الهـواء الذى يحيط بى ·· أنظـر الى التليفون وابتهل اليه أن يرن ·· أن يحمل لى صوت الحياة والدفء اللذين لا أشعر بهما فى حياتى القاحلة لكن التليفون اللعين يظل صامتا وكأنه يسخر منى وأعجب من تليفونات الجيران التى لا تكف عن الرنين ·· وأمـد يدى الى الآلة الملعونة لأقهرها بدورى فاذا كانت لا تريد أن ترن فأنا قادرة على أن أجعلها تتكلم رغم ارادتها ·· وأطلب رقم ابنتى المتزوجة ويدق قلبى بعنف شديد وأنا أسمع الجرس يرن فى بيتها ذلك الرنين الطويل المزعج فى سكون الليل ·· وعندما أصل الى قمة التوتر والخوف من أن يرفع أحدهم السماعة ويسمع صوتى رغم اننى متأكدة من اننى لن أنطق بحرف واحد فاننى أغلق النمرة بسرعة وأنخـرط فى بكاء عميق ·· وصمتت العجوز برهة ثم قالت وهى تضحك بمرارة شديدة بل اننى أحيانا أدير قرص التليفون بأى رقم يعن لى وأشعر بأثارة شديدة وأن حاجز الوحدة قد كسر عندما

أسمع صوتا غاضبا يسب ويلعن ذلك الانسان العابث الذى يطلبه فى هذا الوقت المتأخر من الليل ·· ورغم سيل الشتائم التى تنهال على فاننى لا أضع السماعة بل أظل صامتة محبوسة الأنفاس أشعر باثارة كالحمى تتدفق فى كل جسمى فهذا الصوت الانسانى الغاضب يشعرنى باننى ما زلت على قيد الحياة ، وباننى أستطيع فى أى وقت وعن طريق تلك الآلة العجيبة أن أجدد اتصالى بالناس الذين يعيشون خارج دائرة حياتى المفرغة ··

قالت والدة عادل وهى تشارك صديقتها الحميمة احساسها بالمأساة التى تعيشها والتى تحس برغم عجزها عن الحركة أنها أسعد حالا منها فهى على الأقل لديها ابنها وخادمتها يقومان على خدمتها واشعارها بأنها ما تزال على قيد الحياة ··

عزيزتى عندما تشعرين بالوحدة تعالى لنجلس معا فأنا مثلك أشعر بالوحدة أحيانا وأتمنى لو كان هناك انسان الى جوارى ليبدد وحدتى ·· وحتى اذا لم يمكنك الحضور اتصلى بى بالتليفون لنتكلم بعض الوقت أو لارسل لك عادل لاحضارك الى هنا ··

وصمتت الأم برهة ثم قالت ضاحكة لقد أصبحتى تنافسيننى فى عادل انك لا تعلمين كم يحبك ·· أنه يأتى أحيانا من الخارج وقبل أن أسأله أين كان يبادرنى هو قائلا اننى قادم لتوى من عند صديقتك الطيبة انك لا تعلمين يا أمى كم أحبها وأجد راحة وأنا أجلس اليها استمع الى أحاديثها الشيقة ··

قالت العجوز وعيناها تتألقان بحنان عميق نابع من قلبها ·· وأنا أيضا أحبه مثل ابنى تماما ·· أن لديه كمية كبيرة من العطف وأمثاله نادرون هذه الأيام ··

وصمتت العجوز ثم أردفت ضاحكة منذ أيام زارنى فى البيت وحمل لى معه باكو من الكيك الفاخر من جروبى وقال لى وهو يضحك اخترته طريا من أجل أسنانك الضعيفة أيتها العجوز الطيبة وصنعت شايا باللبن وجلسنا نأكل ونشرب الشاى ونتحدث فى كل شىء حتى انتهى ارسال التليفزيون .. ولمعت عينا العجوز وهى تقول وبصرها سارح الى بعيد أنه يذكرنى بابنى الغائب عندما كان لا يزال يعيش معى تحت سقف واحد .. كان طيبا هو الآخر وكنا نقضى معا وقتا سعيدا .. وغامت عينا العجوز بالدموع وهى تتذكر ابنها الغائب .. ورفعت منديلها وأخذت تجفف دموعا سقطت على وجنتيها ..

وسألتها والدة عادل وقد هزها تأثر العجـــوز بغياب ابنها وجحوده عما اذا كان يرسل لها أخباره بين الحين والآخر ..

فتجهم وجه العجوز وقالت بمرارة شديدة بعد أن هاجر الى أمريكا وتزوج من احدى بناتها ظل يرسل لى أخباره فى العام الأول فقط .. ثم بدأت خطاباته تقل حتى انقطعت تماما .. وصمتت العجوز برهة ثم قالت وعيناها غائمتان بالدموع .. بل اننى أشك فى قدومه لرؤية أمه أو حتى ارسال برقية عزاء لو أخبروه باننى رحلت عن هذا العالم .. فأنا بالنسبة له انسانة ميته منذ أن غادر هذه البلاد وهو أيضا ميت بالنسبة لى ..

وضغطت والدة عادل يد ضيفتها فى حنان وقالت لها أرجوك يا عزيزتى لا تجعلى هذه الاشياء التى تحـدث لنا نحـن الامهات العجوزات تضايقك واعتبرينى أنا وعادل عوضا عن ابنك الغائب ..

وشكرت العجوز مضيفتها ثم قالت بمرح انظرى كيف سرقنا الوقت .. أنها الآن الحادية عشرة والنصف وأحسب أن ميعاد نومك

قد حان ثم اننى لا بد أن أعـود الى المنزل وما زال هناك اناس فى الطريق ·· انك لا تعرفين ما يمكن أن يحدث عندما يخلو الشارع من الناس ·

قالت والدة عادل وهى تضحك فى مرح أولا أنا لا أنام قبـل انتهاء ارســال التليفزيون ثم أن عادل يمكنه أن يوصلك الى المنزل فلا تخشى من تأخر الوقت ··

حاولت العجوز أن تعترض لكن والدة عادل أسرعت تقول لها فى اخلاص بدا واضحا فى نبرات صوتها أرجوكى ابقى معى بعض الوقت فاننا نسلى بعضنا أليس كذلك ثم أنه ليس لديك أحد فى المنزل تعودين اليه فلم العجلة اذن ·

قالت العجوز بمرح حسن سأبقى من أجلك أنت وحتى ينتهى ارسال التليفزيون فقط ·

وفى ساعة متأخرة من الليل كانت العجوز وعادل فى طريقهما الى بيت العجوز فى آخر الشارع ·· فتحت العجوز قفل باب الشقة ثم فتحت الباب العتيق بمفتاح كبير من المفاتيح القديمة ودخلت هى وعادل الى الصالة المفروشة بسجادة ما تزال تحتفظ بجدتها رغم عمرها الطويل ·· وكان جو الصالة رغم اتســـاعها دافئا مريحا للأعصاب وكان كل شىء منظما يؤكد المجهود الذى تبذله العجوز فى العناية بشقتها ·· وجاءت قطة العجوز البيضاء الجميلة تموء بصوت متلهف بعد أن سمعت باب الشقة يفتح وصوت قدمى العجوز يسيران فى الصالة ·· وراحت القطة تتمسح فى ساقى العجــوز وتحاول الدخول بينهما بينما العجوز تنهرها قائلة فى حب ملحوظ أيتها الشقية

ستجعلينني أسقط على وجهي بهذه الطريقة ·· ثم التفتت الى عادل قائلة ما رأيك في ابنتي الصغيرة هذه أليست أفضل من أبنائي الذين أنجبتهم ·· أنها على الأقل لا تنكر ما فعلته من أجلها ·· ثم مدت يدها ورفعت القطة من على الأرض ثم ضمتها الى صدرها في حنان بالغ وهي تقبلها في رأسها وتمسح على شعر جسمها برقة زائدة ثم قالت وهي تجلس أمام عادل فوق احدى الأرائك الوثيرة التي صنعت قبل نصف قرن من الزمان وما زالت كالعجوز تعيش وتقاوم الفناء ·· الا توافقني على أن الحيوانات الأليفة خير من البشر في نواحي عديدة ·· على الأقل من ناحية الاخلاص والحنان ·· هل سمعت يوما عن حيوان أليف غدر بصاحبه أو تعمد أن يؤذيه بأي صورة من الصور كما يفعل البشر مع بعضهم البعض حتى مع أقرب أقربائهم ·· كلا ·· لا أعتقد أنك سمعت أو ستسمع أبدا ·· ولذلك أربي قطة في المنزل ولو كنت أقدر لملأت هذا البيت بعشرات القطط ·· ومسحت العجوز جسم قطتها بحنان بالغ وقبلتها في رأسها ثم قالت ضاحكة لعادل ماذا كان يمكنني أن أفعل لولا وجود هذه القطة معي في الشقة ··

قال عادل وقد أثر فيه كثيرا مشهد الحب المتبادل بين العجوز وقطتها أوافقك على كل ما قلتيه يا سيدتي فأحيانا تصبح الحيوانات الأليفة واسطوانات الموسيقى والكتب بل بعض الأشياء الأخرى التي لا تنطق كالتماثيل ولوحات الفنانين خيرا من الناس فهي على الاقل لا تؤذي مثلهم ولديها القدرة الدائمة على الاستماع الى أدق خلجات الانسان وخواطره ودون ملل فأين هو الانسان الذي في مقدوره أن يفعل ذلك ولماذا يفعله ومقابل ماذا ··

وبعد فترة صمت قالت العجوز وقد تجهم وجهها فجأة وامتلأ بتجاعيد عميقة جعلته أشبه بوجه من الكاوتشوك ·· هل سمعت عن

السيدة العجوز اليونانية التى كانت تربى نسناسا صغيرا فى شقتها التى تقيم فيها بمفردها ·· أحسبك قرأت قصتها فى الجـرائد لقد دخل اللصوص عليها وقتلوها داخل حجرة نومها ·· وأثاروا فزع النسناس الذى كان مربوطا بسلسلة الى أحـد المقـاعد الموجودة بالحجرة فقطع السلسلة وقفز من نافذة الحمام الى منور العمارة وظل يصرخ بطريقة هستيرية حتى أيقظ كل السكان الذين أدركوا حدوث مكروه للعجوز فكسروا باب الشقة ليجدوا العجوز مهشمة الرأس سابحة فى دمائها والنسناس الصغير جالس على رأسها وهو فى حالة حزن شديد وقد بدت عيناه لامعتين كأنهما مليئتين بالدموع ··
وصمتت العجوز وأغرورت عيناها بالدموع وأحس عادل بأن العجوز كانت تبكى نفسها ·· كانت تبكي مصيرها المجهول فالانسان لم يولد ليعيش في عـزله عن الآخرين بل ليتواصل معهم ·· الانسان رقم يكتسب قيمته من اضافته الى أرقام أخرى لكن كم فى هذا العالم من أرقام ظلت مجوفة لأن أحدا لم يملئها بما تحتاجه من حنان وحب ··

وأحس عادل بشعور غريب يسيطر عليه اذ برغم أنه أبعـد ما يكون عن كونه عجوزا وحيدا خائفا من المستقبل الا أن ذلك لم يمنعه من تخيل نفسه واحدا من هؤلاء العواجيز المساكين الذين ينتظرون الموت وكلهم رعب من المستقبل ·· العواجيز الذين يجدون حاجاتهم من الحب فى الحيوانات الأليفة التى يربونها داخل المنزل ·· ابتسم عادل فى مرارة وهو يفكر ماذا سيربى عندئذ فى شقته نسناسا صغيرا أم عصفور كناريا أم تراها قطة تنام معه فى السرير ·· أو كلبا ينبح من وراء باب الشقة المغلق ليخيف اللصوص ويبعث الطمأنينة الى قلب عادل العجوز الذى ينتظر المجهول بقلق شديد ·· وفجأة تذكر عادل أن لدى العجوز عصفورين صغيرين تربيهما داخل قفص صغير معلق فى بلكونة الشقة الخلفية فطلب منها أن يراهما ··

وابتهجت العجوز لرغبة عادل وأخذته من يده فى صمت حتى وقفت به أمام قفص العصافير الذى كان مغطى بغطاء أسود اللون تضعه العجوز فوق القفص كل مساء لتتيح للعصافير التى يزعجها الضوء أن تنام حتى صباح اليوم التالى ·· ورفعت العجوز الغطاء من فوق القفص حيث كان العصفوران راقدين فى سبات عميق ··

قالت لعادل وعيناها تلمعان بحنان عميق أنظر اليهما أليسا جميلين ·· اننى لن أضيء نور البلكونة حتى لا أوقظهما من النوم وعليك أن تكتفى بضوء القمر فحسب ··

قال عادل وهو يحس براحة عميقة تتسلل الى قلبه لمرأى العصفورين النائمين فى هدوء ·· اننى لا أدرى لماذا أردت أن أراهما لكنى الآن بعد أن رأيتهما فاننى لست نادما على ذلك ·· وتنهد بحرقة وهو يقول للعجوز أنهما رائعين ·· انهما أشبه بمخلوقين من عالم آخر ·· ثم ابتسم قائلا : سيدتى العزيزة أنت محظوظة حقا بصديقيك الصغيرين ·

وعادت العجوز تقول وهى تتأمل العصفورين باعجاب شديد هل رأيت فى حياتك ما هو أكثر رقة وجمالا من هذا المشهد ··

وبينما كانت العجوز على وشك أن تضع الغطاء فوق القفص شهقت من أعماقها وقالت لعادل وهى ترتجف من السعادة انظر لقد أنجبا عصفورا صغيرا ·· ها هى البيضة ترقد فوقها ظريفة أما زقزوق فيبدو فرحا لأنه سيصبح أبا فى القريب العاجل ··

وفجأة تجهم وجه العجوز من جديد وقالت كأنها تخاطب نفسها أرجو ألا يكون مصيرك مثل مصيرى أيتها البيضة الصغيرة ويتركك

اولادك وحيدة فى شيخوختك لكنها استدركت بسرعة قائلة : كلا ٠٠ لا أعتقد أن ذلك سيحدث لك ٠ فالعصافير لا تفعل ذلك بمن يأتون بها الى الحياة ٠

ثم وضعت العجوز الغطاء الأسود فوق القفص والتفتت الى عادل قائلة له بهذه الطريقة لن يزعجها شىء حتى الصباح لكن فى الفجر ومع الخيوط الأولى للشمس وهى تتسلل الى داخل القفص من خلال النسيج الأسود ستسمع صياحها الصاخب يملأ المكان ويتسلل الى أذنى وأنا نائمة فى حجرتى وتأكد يا عزيزى عادل أنه أحب الأصوات التى أحب أن أسمعها وأنا أستيقظ من النوم ٠ ورجعت العجوز وعادل مرة أخرى الى الصالة وسألته العجوز قائلة والآن ماذا تريدنى أن أقدم لك شايا باللبن أم شرابا مثلجا ٠٠ وأجاب عادل قائلا : أرجوكى لا تزعجى نفسك من أجلى ثم اننى لا بد أن أعود الى البيت بسرعة لاضع أمى فى فراشها ٠٠

وجاءت قطة العجوز فجأة وقفزت فوق ساقيها وقامت العجوز باحتضانها بحنان بالغ وراحت تقبلها فى رأسها وهى تقول بصوت أقرب الى الغناء أنت ابنتى الصغيرة ٠٠ ابنتى الصغيرة المدللة ماذا كان فى مقدورى أن أفعل من غيرك ٠٠ هيا قولى لى ماذا كان فى مقدورى أن أفعل من غيرك

وصمتت العجوز برهة ثم قالت لعادل وهى تنظر الى قطتها بحب عميق هل تعرف ما هى أعظم هبات الله للانسان بعد عقله ونور عينيه انها الحيوان الأليف الذى يبدد وحشته ويخلص له عندما تجف قلوب الناس وتصبح كالأحجار الصماء ٠

وهنا قال عادل وهو يحس بحزن عميق من أجل صديقته العجوز التى لا تجد الحنان الا عند تلك الكائنات غير الآدمية التى مهما كانت كمية الحنان لديها الا أنها لا يمكن أن تصبح بديلا عن الانسان ·· لكن لا ريب انك تشعرين بالوحدة رغم ذلك ··

قالت العجوز برنة حزن عميقة ·· بالتأكيد لكن ماذا يمكننى أن أفعل غير ذلك ··

وقال عادل بعد فترة صمت تأمل فيها وجه العجوز المسكينة وقد بدأ يحس بتيار بارد يتسلل الى قلبه وهو يتخيل العجوز وقد أطبق عليها الظلام والوحدة القاتلة وهى تخشى أن يدخل عليها بعض الأشقياء ليقتلوها فى سهولة مروعة ·· عندما يتحول العالم كله الى أشباح وخواطر مزعجة وكوابيس مخيفة ·· عندما تهاجم حتى الذكريات الجميلة قلب الانسان الخائف المذعور وتنقره بوحشية كما لو كانت غربانا مجنونة حتى تكاد تدميه ·· لكن ماذا تفعلين ياسيدتى عندما تمرضين ·· هل تأتى ابنتك لعيادتك أم ماذا ؟ !

اكتسى وجه العجوز المسكينة بمسحة أسى بالغ وهى تقول ·· في معظم الأحيان حتى وأنا أشعر باعياء شديد أرفض أن أزعج ابنتى أو أطلب اليها الحضور للبقاء بجانبى وأفضل أن أتحامل على نفسى حتى أشفى وحدى وكثيرا ما تعلم ابنتى بمرضى مصادفة من البواب أو عندما تأتى لزيارتى ·· وهى تلومنى على ذلك لكنى أرفض أن أزعجها ·· صدقنى يا عادل ·· ان الانسان الذى يحتاج للآخرين هو انسان مزعج وغير محبوب حتى لو كان أما عجوزة مثلى لا أحد لها سوى ابنتها ·

وسألها عادل قائلا : ألهذا السبب رفضتى أن تقيمى معها فى البيت بعد وفاة زوجك ٠

قالت العجوز باصرار ٠٠ نعم ٠٠ وأكثر من ذلك لقد سمعت زوجها يقول لها بلهجة محذرة وهو لا يدرى إننى أسمعه أنه لا يريد حماة فى منزله ومن يومها صممت على أن أعيش فى بيتى ووسط مخلوقاتى الصغيرة التى تبدد وحشتى ٠٠ وفجأة قالت العجوز وقد تألقت عيناها بشدة انك لم تر زهورى الجـديدة التى أضفتها الى مجموعتى السابقة ٠٠ هيا تعال معى لأريك اياها ٠٠ وتبعها عادل الى البلكونة الصغيرة وما زال التيار البارد يصفر فى قلبه وبعد أن أضاءت العجوز النور قالت لعادل بحماس ٠٠ انظر ها هى الاصص الجديدة التى اشتريتها ٠٠ أليست رائعة ٠٠ ان هذا الوقت من السنة هو أوان ازهارها ٠ هذه أراولة حمراء وتلك وينكا بيضاء وبنفسجية توشك براعمها على التفتح لكن أعتقد أن ما ينقصنى الآن هو بعض اصص الفل المجوز الذى أحبه كثيرا ٠

قال عادل انك سعيدة الحظ يا سيدتى لانى أربى منه اصصا كثيرة فى السطح وفى المرة القادمة أعدك باننى سأحضر لك اصيصا أو اثنين ٠

قالت العجوز وقد تألق وجهها من السعادة وان كانت عيناها التى ترنو بهما اليه مليئتين بالحزن ٠٠ لكن بربك أسرع فانى أشعر بدنو أجلى والدقيقة أصبح لها الآن قيمة كبيرة فيما تبقى لى من عمر ٠

قال عادل وقد أحس بحزن عميق لكلمات العجـوز التى كان ما بينهما نوعا من الصداقة الحميمة رغـم فارق السن بينهما ٠٠

أرجوكي يا سيدتي لا تقولي هذا الكلام مرة أخرى ٠٠ ان صحتك على ما يرام وستعيشين طويلا حتى تملي من الحياة

وضحكت العجوز قائلة وقد سرتها كلمات عادل آه لا تخدعني يا صديقي العزيز فانني أعرف أن أجلي أصبح قريبا ولماذا تريدني أن أبتئس لهذا ٠٠ ان هذا هو قدر كل انسان أليس كذلك ٠

وصمتت العجوز برهة تجهم فيها وجهها وظهر الحزن والألم في عينيها وهي تقول انني أعلم ما يقولونه عني في الشارع العجوز المجنونة أليس كذلك لكن لماذا يا عادل يقولون عني انني مجنونة الأنني لا أخرج كثيرا من البيت ٠٠ نوافذي دائما مغلقة ٠٠ لا أزور أحدا ولا أسمح لأحد بزيارتي ٠٠ ماذا يريدون مني أن أفعل ٠٠

افتح الباب لكل طارق حتى يأتي احدهم ويقتلني ويسرق نقودي قال عادل وقد نبهه كلام العجوز لشيء هام كان يود دائما ان يفاتحها فيه ٠٠ بمناسبة النقود يا سيدتي أليس من الافضل ألا تحتفظي بها في البيت ٠٠ يمكنك ان تضعيها في بنك مثلا او عند ابنتك ٠٠ ان الاحتفاظ بنقود في البيت خاصة بالنسبة لسيدة في مثل ظروفك مخاطره غير محسوبة ويمكنك عندما تضعينها في البنك ان تعلني ذلك وأنا على استعداد لمساعدتك اذا أردتي ٠ قالت العجوز بهدوء لو ان انسانا غيرك قال لي انني احتفظ بنقود في البيت لانكرت ذلك اما بالنسبة لك فلا استطيع ان افعل ذلك ٠٠

نعم يا صديقي العزيز انني احتفظ بنقودي في البيت هل تعلم لماذا لانني أريدها الى جانبي في شيخوختي ولا أحتمل فكرة ايداعها في بنك بعيدا عن متناول يدي اذ من الذي سيسحبها لي اذا مرضت

او احتجت الي شراء شيء ما · قال عادل لكن ايداعها في بنك يقلل من المخاطر التي تتعرضين لها خـــاصة وان الجميع يعرفون انك تخبئين نقودا في المنزل · قالت العجوز وهي تضحك دعني اقول لك سرا انني اضع نقودى في مكان يصعب على اى انســـان غيرى الاهتداء اليه · قال عادل وهو يشعر بانه عاجز عن اقناع العجوز برأيه نظرا لعنادها وشدة خوفها من الناس لكن يا سيدتى ما دام الأمر قد خطر لك فما الذى يمنع من أن يخطر للآخرين كذلك ··

ان هذا احتمال ينبغى ان نضعه في حســـابنا اليس كذلك · قالت العجوز بثقة بدت غريبة لعادل ·· ليس هذه المرة ·· تعالى سأريك المكان الذى احتفظ فيه بالنقود والذى لن يخطر لك على بال: وتبعها عادل الى المطبخ وقال مستخفا بها لا تقولى لى انك تضعين النقود في مدخنة سخان الحمام لان هذا هو اول ما ســـيفكر فيه اللصوص · قالت العجوز ووجهها متألق بفرح غرير كما لو كانت طفلة صغيرة خبأت عروستها في مكان يصعب الاهتداء اليه ··

انتظر حتى ترى بنفسك ·· انه مكان لن يخطر لك على بال ومدت العجوز يدها وفتحت باب فرن البوتاجاز وقالت لعادل انظر هنا هل ترى شيئا يثير الريبة · وقال عادل وهو يدلى ببصره الى حيث اشارت كلا لا شيء على الاطلاق · ضحكت العجوز قائلة أرأيت الم اكن محقة عندما قلت لك انني اضع النقود في مكان لا يخطر لاحد على بال · قال عادل وهو يتفحص المكان ببصره لكن أين هي النقود بحق السماء · ورفعت العجوز غطاء الشواية الموجودة إسفل الفرن واشارت الى النقود قائلة ها هي النقود هل كنت تتصور انها هنا · قال عادل بدهشة لم يســـتطع ان يخفيها اعترف انه مكان يصعب التكهن بوجود النقود فيه لكنى ما زلت عند رأيي بأنه ما دام هذا

المكان قد خطر لك على بال فانه يمكن ان يخطر للآخرين ايضا وهنا مكمن الخطورة فانك قد تستيقظين ذات يوم فلا تجدين النقود فى موضعها ..

ثم انه يكفى ان يؤمن الجميع بوجود ثروة داخل البيت لتحدث امور مخيفة ولا يهم ان يعرفوا اين توجد هذه الثروة • قالت العجوز بثقة اطمئن يا عادل فأنا لا أسمح لأحد غريب بدخول الشقة فقط من أثق فيهم ثقة مطلقة وهؤلاء لا خوف منهم على الاطلاق • قال عادل وهو ينظر الى ساعته اعتقد انه يحسن بى الانصراف فقد تأخر الوقت• قالت العجوز وهى تصافحه بحرارة امام باب الشقة ارجو الا تغيب كثيرا عنى فانا فى انتظارك وفى انتظار اصيص الفل المجوز الذى وعدتنى به ..

وارجوك بلغ سلامى وشكرى الى صديقتى العزيزة وقل لها اننى سآتى قريبا لزيارتها • واحس عادل وهو يحتوى يد السيدة العجوز بين اصابعه بخاطر مفزع يهاجمه بانه لن يراها مرة اخرى• وسحب عادل يده بسرعة من يد السيدة العجوز التى أحس ببرودة الموت تسرى فيها واسرع يهبط السلم عائدا الى منزله •



كان عادل جالسا الى مكتبه يحاول عبثا الاندماج فى عمل أصبح يثير سأمه التام • وكان احساسه قد تبلور فى النهاية الى انه اصبح جزيرة معزولة وسـط بحر عميق من الكراهية يكنها له زملاءه فى الحجرة الذين كانوا يشعرونه فى كل وقت انه اصبح شخصا غير مرغوب فيه وكانت الشفرة التى يتبادلونها فيما بينهم

هى تلك النظرات الزجاجية الباردة التى تلمع فوقها اطياف الكراهية المحمومة التى يكنونها له ثم الصمت العميق فيما عدا ذلك ٠

كانت اكوام الملفات الموجودة امامه على المكتب أشبه بالأحزان التى تثقل قلبه ورغم ذلك مضى يقلب فيها بنفس الروح الشجاعة التى تعود بها ان يجابه مأساة حياته لكنه كان يفعل ذلك بأحساس مضاعف بالسأم من كل ما حوله ٠ ورفع عادل بصره فجأة ليلتقى بعينى ابراهيم الجالس أمامه كما لو كان قد أحس بنظراتهما وهما تخترقان ضلوعه ٠٠

كانت العينان مليئتين بالضحك نوع غريب مستفز من الضحك أثار استياءه وأزعجه الى حد بعيد ٠٠ لكنه لم يدر له سببا ٠ وفى كل مرة كان عادل يرفع فيها بصره كان يجد عينى ابراهيم تحدجانه بنفس النظرة اللامعة الضاحكة التى لم يستطع تفسيرها ٠ وفجأة دخل رجل غريب الى الحجرة وجه الى عادل نظرة جانبية متفحصة جعلت اعصابه تتوتر بشدة ٠

كانت النظرة ايضا مهينة وضاحكة وتخفى داخلها تلك الكمية من التشفى التى اصبح عادل يجدها فى معظم العيون المحيطة به وتقدم الرجل الغريب صوب ابراهيم الذى ما ان شاهده حتى تهللت اساريره وقام ليعانقه بحرارة بالغة ويدعوه الى الجلوس الى جواره ٠ ولاحظ عادل منذ البداية ان نظرات الرجلين اليه قد بدأت تأخذ طابعا عدوانيا سافرا وان ما يميزها هو هذا التهكم الواضح فيها ٠ وكان اكثر ما اكد هذا الشعور لديه تلك الهمسات الطويلة بين الرجلين تعقبها ضحكات عالية كانت تزلزل اعماق عادل التى توترت تماما وجعلته يخفى بصره بين اكوام الملفات الموضوعة امامه دون ان

ينجز في الحقيقة اى عمل · كان عادل متأكدا ان الرجلين يقصدانه بتلك الضحكات المهينة وانهما بتلك الهمسات الطويلة ينهشان سيرته لكن ماذا يقولان هذا ما لم يكن فى مقدوره التكهن به لكن الشيء الغريب انه كان متأكدا انه رأى وجه الرجل من قبل ··

اين ومتى لا يدرى وفجأة تذكر كل شيء وبقدر ما اسعده ذلك بقدر ما اثار فيه ذلك القدر من المخاوف التي كانت نائمة في قلبه · وبدأت سلسلة من الذكريات الاليمة تتوافد على مخيلته كطوفان تعيس يكتسح امامه كل شيء ولا يبقى الا احساسه العميق بالهزيمة حتى قبل أن تبدأ المعركة · كان ذلك أيام الكلية وكان صاحب العينين الضاحكتين واحدا من افراد شلته · وكان من عادة افراد تلك الشلة ان يتجولوا بالسيارة بعض الوقت قبل ان ينتهى بهم المطاف فى احد الكازينوهات او في احدي دور السينما وفى بعض الاحيان فى شقة صاحب السيارة الذى كان يقيم بمفرده · وفى احد الايام صمموا على ان يأخذوا معهم امرأة الى المنزل ··

يلتقطونها من الشارع أو من أحد البارات · وأحس عادل عندما استقر رأى الشلة على ذلك انه وقع فى مأزق لا يدرى كيف يتخلص منه · وحاول ان يتهرب من التوجه معهم الى الشقة بشتى الطرق لكنهم اصروا على اصطحابه معهم اذ لم يسبق له ان شاركهم واحدة من تلك المغامرات التي كانوا يمارسونها بين الحين والآخر والتى لا يمكن لواحد من افراد الشلة ان يهرب منها · كانت المرأة التى عثروا عليها فتاة فى مقتبل العمر سمراء مثيرة ذات شعر فاحم قصير التقطوها من احد البارات · وركبت المرأة فى المقعد الخلفى للسيارة الصغيرة منحشرة بين عادل واحد الفتية الآخرين · واحس عادل بحرارة جسدها تسرى اليه وبأنفاسها الغريبة الساخنة تلفح وجهه

عندما كانت تميل عليه وتهمس فى اذنه ببضع كلمـــات او تقول له نكته نابية ..

وكانت رائحة عطرها النفاذ المشبع برائحة عرقها القوية والتى تصنع مزيجا غريبا تسلل الى صدره وتوقظ فيه أشياء ظلت نائمة حتى تلك اللحظة لكنها كانت تثير فيه مخاوف عميقة كذلك . كان عادل يحب المرأة كمخلوق جميل من مخلوقات الطبيعة وكانت تثير فى نفسه دائما أحاسيس الرجولة القوية النائمة فى داخله لكنه كان يعلم أن هذا هو كل المدى الذى يمكنه الوصول اليه وتصور المرأة الجالسة الى جواره وحشا ينبغى نزاله ومن هنا جاءت كل المخاوف العميقة التى تملأ قلبه اذ كان متأكدا أن رفاقه الشياطين لن يدعوه يفلت من منازلة الوحش الجالس الى جـــواره ، وعندما يفعل ذلك سيمزقه الوحش بأنيابه وسيكتشفون كم هو عاجز مسكين ..

سيكتشفون انه مجرد صورة جميلة لرجل لكنه ليس رجـــلا حقيقيا وسيصبح اضحوكة فى افواههم بل انه بالتأكيد لن يستطيع أن يريهم وجهه بعد ذلك .. كان جميع من بالسيارة يضحكون فرحين بالمغامرة التى تنتظرهم . ورغم ان المرأة الجالسة الى جواره كانت توليه اهتماما خاصا لانه اجملهم واقلهم صخبا واكثرهم تألها الا انه ظل حريصا على الابتعاد عنها يتبادل معها القدر الضرورى من الكلمات كان صامتا متقوقعا على نفسه يفكر فى وسيلة للهروب من مأزقه دون جدوى . كان اشبه بأنسان مساق الى الاعدام دون ان يملك وسيلة واحدة للهروب من مصيره المروع .

ووصلوا اخيرا الى الشقة وجلسوا فى الصالة الصغيرة حول زجاجة براندى كبيرة اشتروها وهم فى الطريق الى البيت . كانوا

يضحكون ويلقون بنكات مكشوفة تدور كلها حول المرأة التى احضروها معهم وما الذى ســـيفعلونه بها عندما يختلون معها داخل حجرة النوم ·· وكانت الشهوة تطفح من عيونهم النهمة الجائعة لجمال المرأة المثيرة الجالسة بينهم وقد وضعت ساقا فوق أخرى فبدا فخذاها السمراوان ممتلئين بصورة حركت الدماء فى عروقهم · وبعد ان فرغوا من زجاجة البراندى دعوا صاحب الشقة كنوع من التكريم له ان يكون اول من يختلى بالمرأة داخل حجرة النوم ومر بعض الوقت وفتح باب الحجرة المغلقة من جديد وفيه ظهر الفتى واقفـــا وعلى شفتيه ابتسامة منتصرة سعيدة ·

وبينما كانت المرأة فى الحمام سألوه متلهفين عما فعله معها وعما اذا كانت تستحق المغامرة فأخبرهم وهو يبتسم متفاخرا بانها رائعة وجديدة فى الكار ثم اضاف بمرح بانه مهد لهم الطريق واعطاها مثلا طيبا عنهم جميعا · وعادت المرأة من الحمام لتمر امامهم وهى ترتدي ثيابها الداخلية العارية وقد راحوا جميعا يتطلعون اليها بنهم وفضول ثم جلست على حافة الفراش الذى كان يبدو من خلال الباب المفتوح · وبدأ الفتية يتجادلون على من ينبغى ان يدخل اولا وكان كل واحد منهم يسوق الحجج التى يعتقد انها تعطيه اســـبقية فى الدخول على باقى زملائه ·

لكنهم كانوا متأكدين جميعـــا من الدخول وربما كان هذا ما هدأهم بعض الشىء ·· وواحدا بعد الآخر دخلوا جميعا الى حجرة النوم وتكرر مشهد ذهاب المرأة إلى الحمام وعودتها منه والنظرات النهمة الفضولية التى راحوا يوجهونها الى جسدها العارى وبالطبع نفس السؤال التقليدى الموجه الى كل خارج من الباب المفتوح عما فعل مع المرأة وعما اذا كانت تستحق المغامرة وأيضا نفس الاجابة

التقليدية بانهم جميعا كانوا سباعا لا ضباعا وانهم قاموا بالواجب وأكثر ·· لكن مع الوقت بقى واحدا منهم لم يدخل حتى الآن ·

واحد كان يحاول بشتى الطرق ان يؤجل دخوله الى ابعد وقت ممكن فربما سنحت له الفرصة كى لا يدخل على الاطلاق لكن جاء الوقت سريعا الذى ينبغى فيه ان يجتاز باب تلك الحجرة ، الملعونة التى تشبه زنزانة الاعدام ·· كانوا يدفعونه دفعا الى داخل حجرة النوم متوهمين أن السبب فى احجامه عن الدخول هو خجله الشديد لانها المرة الاولى التى يقابل فيها امرأة من هذا النوع · واراد عادل أن يجرب معهم حيلة أخرى ربما أفلحت فى انقاذه من ورطته التى لا يدرى كيف يهرب منها ·· قال من أدراكم أن المرأة ليست مريضة بمرض سرى واذا كنتم انتم تسمحون لانفسكم بالمخاطرة فانا بالتأكيد لا أسمح لنفسى بذلك · سألوه ماذا يريد اذن · لانهم لن يدعوه يفلت هذه المرة كما فعل فى المرات السابقة ·

قال وهو يحسب انه يعجزهم بطلبه حيث انهم لم يمروا على اى صيدلية وهم فى طريقهم الى البيت ·· اريد عازلا من الكاوتشوك ولمعت عينا صاحب الشقة فى انتصار ومد يده الى درج صغير واخرج حلقة مستديرة ذات غطاء معدنى لامع اعطاها لعادل وهو يقول له لم تعد لك أية حجة بعد الآن هيا ادخل الى الحجرة وأرنا ماذا ستفعل مع المرأة التى تجلس على نار · ثم اردف ضاحكا على ان تقص علينا كل شىء بعد ان تخرج من الحجرة هل تفهم · ودخل عادل الى الحجرة وأغلق الباب بالمزلاج من الداخل ربما لأنه أراد ان يتأكد ان احدا من رفاقه لن يفتح عليه الباب وهو جالس مع المرأة التى قالت له عندما رأته صامتا ومنكسا رأسه الى الارض تلك الرأس التى كانت مسرحا لمخاوف رهيبة وتوقع وقوع كارثة بين لحظة

وأخرى لا تخشى شيئا ان كل شىء سيمضى سهلا وطبيعيا أنا أعدك بذلك · ثم سألته وهى تقتحمه بنظراتها فى جرأة ونهم واضح

انها تجربتك الاولى اليس كذلك انا استطيع ان ادرك هذا بمجرد النظر الى عينيك · ثم سألته ضاحكة لماذا ترتعش هكذا الم تر ماذا فعل الشياطين من قبلك الست مثلهم بل انك اكثر منهم وسامة وفجأة سمع عادل صوت همسات وضحكات مكتومة صادرة من وراء الباب المغلق وأحس بدمه يغلى من الغضب اذ لم يكن يحب لنفسه أن يصبح حيوان تجارب لشلة من الاوغاد الملاعين يتسلون به فقام غاضبا وقد ظن ان الفرصة قد واتته اخيرا ليهرب من مأزقه ·

قال للمرأة انا لا أستطيع ان افعل شيئا وهؤلاء الاوغاد واقفون من وراء الباب يتصنتون علينا وحاول أن يفتح الباب ويغادر الحجرة لكن المرأة جذبته من يده وأجلسته على حافة الفراش من جديد وهى تقول له دعنى أنا أتصرف معهم وأنا كفيلة بأبعادهم عن الباب ثم خرجت للفتية المتجمعين وراء الباب وقالت لهم بعتاب ماذا تظنون انكم ستحققون بذلك هيا ابتعدوا عن هذ المكان هيا · ثم اغلقت باب الحجرة وعادت لتجلس الى جوار عادل على حافة الفراش ثم ربتت على فخذه بحنان وهى تقول له اطمئن لن يزعجوننا بعد الان · ولاحظت المرأة أنه ما يزال صامتا بعيدا عنها فأقتربت منه وضمته الى صدرها فى شهوة كان رد فعلها لديه هو نفور واضح منها ·

قالت تسأله وقد بدأت تحار فى امره · الا اروق لك ان كل زملائك لم يكونوا ينتظرون كل الوقت الذى انتظرته · قال وهو يبتعد بنظراته عنها انك جميلة لكن المسألة اننى · قالت بدهشة انك

ماذا .. ان فيك شيئا يحيرني .. انني لا استطيع ان افهمك . هل هناك شيء تخبئه عني .. قال بفزع كلا من قال لك أن هناك شيء .. قالت اذن ماذا .. قال وهو ينكس بصره الى الأرض لا شيء . لا شيء . ومر بعض الوقت وهما صامتين وقال عادل فجأة باضطراب واضح اسمعي انني لا ادرى ماذا اقول لكني اعتقد انك متعبة . انك بالتأكيد متعبة بعد كل المجهود الذي بذلتيه وأنا أيضا أشعر بأنني لست في حالتي الطبيعية لماذا لا نجلس بعض الوقت دون ان نفعل شيئا ثم نخرج اليهم متظاهرين بأننا فعلنا كل شيء تأكدي أنهم لن يشكوا فينا اذا تصرفنا بطريقة طبيعية . ثم نظر اليها بتوسل ينتظر منها أن توافق على رأيه .. لكنها قالت بدهشة وهي تحدجه بنظرة مستريبة ولماذا نفعل ذلك . لماذا لا نفعل مثل ما فعله زملاؤك . قال وهو يحس بالخجل لا شيء انه مجرد اقتراح كنت أعتقد انه سيروق لك .

نظرت طويلا الى عينيه ورغم الضوء الخـــافت في الحجرة وبخبرة فتاة الليل المحنكة أدركت أن وراءه سرا لا يريد أن يبــوح به .. سرا يتعلق باقتراحه الغريب الذي تسمعه لأول مرة من رجل قالت مستفزة رجولته ان هذا اسخف اقتراح سمعته في حياتي .. انك رجل مثل الاخرين اليس كذلك . اذن ينبغي أن تتصرف كواحد منهم وتأكد أنني لن أدعك حتى نفعل ما فعـــله زملاؤك من قبلك ثم ضحكت وهي تضمه بشهوة الى صدرها وتقبله بنهم في شفتيه انني لن اغفر لك انك اردت حرماني من كل هذا الجمال . ثم نظرت اليه طويلا وقالت هل تعرف انك اجمل رجل رأيته في حيـــاتي . وارتسمت على شفتيه ابتسامة حزينة وهو يسمع هذا الاطراء الذي كان ينبغي أن يسعده . فزاد من عمق احساسه بالمأساة التي يعيشها . وظل صامتا منكسا بصره الى الارض يحس أنه حشرة صغيرة وأن المرأة عنكبوت ضخم يلقي بخيوطه من حوله ليمنعه من الحـــركة تمهيدا لالتهامه .

وقامت المرأة فجاة ووقفت أمام مرآة التواليت وبدأت تخلع ثيابها قطعة قطعة وبدا جسمها الاسمر الممتلىء لامعا مندى بالعرق تحت ضوء الأباجورة الصغيرة الموضوعة الى جوار الفراش ·· كان مثيرا يتفجر بالشهوة التى تحرك أكثر الرجال برودة فيقومون لاحتواءه بين ذراعيهم دون وعى أو تفكير لكن الرجل البارد الغريب ظل رغم ذلك جالسا كتمثال من الجليد على حافة الفراش دون أن يقوم بما كانت المرأة تتوقع أن يقوم به ·

أن يساعدها على خلع ملابسها وهو يقبل كل جزء يتعرى من جسدها ثم يحملها أخيرا الى الفراش وهى عارية كما ولدتها أمها ليطفىء تلك النار التى تشتعل فى داخلها ·

دهشت المرأة من هذا السلوك الغريب الذى زاد من شكوكها فيه لكنها قالت له وما زال لديها أمل فى أن يكون مبعث تصرفه هو الخجل الذى يحسه لأنها المرة الأولى فى حياته التى يخوض فيها هذه التجربة ·· يبدو أن جسمى لم يرق لك ·· هل ترانى ممتلئة بعض الشىء اننى أعترف بأننى كذلك خصوصا من أسفل لكن صدقنى أنت أول رجل لا يعجبه جسدى حتى الآن ·

قال بصوت خال من العاطفة ·· بالعكس انك جميلة جدا ··
قالت بضيق اذن لماذا تجلس هكذا ·· لماذا لا تقوم وتخلع ملابسك أنت أيضا أم تريدنى أن أساعدك ·· ثم أطلقت ضحكة خليعة وهى تقول له :

آه لو رأيت ما فعله زملاؤك الشياطين وأنا أخلع ملابسى أوه ·· وشوحت بيديها فى الهواء ··

قال بصوت خجل متردد ·· هل يمكن أن نطفىء ضوء الأباجورة أنه قوى جدا ·

نظرت اليه بدهشة ان كان هذا عكس ما فعله الآخرون الذين أصروا على بقاء نور الحجرة مضاء حتى أثناء الاتصال الجسدى معها وذلك حتى تكون متعتهم مضاعفة وهم يشاهدون الجسد العارى وهو يتقلب أمامهم ··

ثم قالت بضيق لكن الحجـرة ستصبح مظلمة جدا ·· كيف سنرى بعضنا البعض ·

قال ببرود هناك الضوء المتسلل من شراعة الباب الزجاجية ·

قالت بعصبية : حسن سأطفىء النور حتى لا تكون لك حجة أخرى ·· ثم قالت بغضب عندما وجدته لا يزال جالسا على الفراش بملابسه الكاملة ·· هل ستظل هكذا طول الليل ·· هيا اخلع ثيابك فليس لدينا وقت لنضيعه أن زملائك سيطرقون الباب علينا لو تأخرنا أكثر مما ينبغى ··

وقام عادل فى ضيق وبدأ يخلع ثيابه وهو يتمنى لو تحـدث معجزة تمنعه من الاسترسال فى هذا العمل الذى يداخله احساس عميق بأنه سينتهى بفضيحة تلطخ اسمه الى الأبد ·

قالت بعصبية عندما وجدته يتباطأ فى خلع ملابسه ·· دعنى أساعدك انك أشبه بطفل صغير لا تستطيع أن تفعل شيئا بنفسك ·· ثم قفزت الى الفراش عارية كما ولدتها أمها مغـرية لعوب كأنها الشيطان نفسه · كأنها حواء الأولى التى هى بسبيل اغـراء آدم

المتردد الخائف ·· ثم أشارت له كى يأتى ويستلقى الى جوارها على الفراش وعندما فعل ضمته فى شهوة الى صدرها ثم قبلته بنهم فى شفتيه لكنها سرعان ما رفعت شفتيها من فوق فمه فى انزعاج عندما وجدت شفتيه مصنوعتين من مطاط أما جسده المتخاذل بين ذراعيها فقد كان كيسا من الرمل أو دمية محشوة بالقطن ·

قالت له غاضبة وعيناها تلمعان كقطة متوحشة فى الظلام السابح بينهما بينما يدها تتحسس جسده الصامت المتخاذل فى محاولة يائسة لبعث شىء من الحياة بداخله · اننى لا أدرى ماذا دهاك ايها الرجل هناك سر لا أعرفه يجعلك تتصرف على هذا النحو الغريب ثم دفعته فى صدره بغضب وهى تقول له صارخة ·· ماذا تريدنى أن أفعل معك أكثر مما فعلت ··

وبصوت كأنه قطع المسافة بين السماء والأرض قبل أن يصل مرتعشا خائفا ذليلا قال لها : اننى آسف لن أستطيع أن أفعل معك شيئا ·· اننى متعب هذا كل ما فى الأمر ·

عيناها الغاضبتان تخترقان جسده الراقد الى جوارها فى استسلام وخوف ·· تود لو تنشب أظافرها فيه ·· قالت له انك لن تستطيع أن تخدعنى بهذا الكلام الفارغ ·· انك لست متعبا كما تدعى انك فقط عاجز عن أن تفعل شيئا ·· هيا اعترف ولا تراوغ ·· ولما وجدته صامتا صرخت فيه قائلة كل تصرفاتك كانت تؤكد الشك الذى ثار فى نفسى من ناحيتك ·· لماذا لم تقل هذا منذ البداية أيها الوغد التعيس ·· لماذا تركتنى أتجشم كل هذا العناء دون طائل ··

نظر اليها بتوسل وقال مستعطفا أرجوكى اخفضى صوتك ·· اننى آسف لم أكن أريد ذلك منذ البداية لكنهم وضعونى فى هذا

الموقف ·· أنت بنفسك رايتى كم حاولت أن أهرب منه دون جدوى ·
ثم أخرج جنيها من جيبه قدمه لها قائلا أرجوكى خذيه كتعويض عما سببته لك من ازعاج لكن بربك لا تقولى لهم اننى أعطيتك شيئا والا شكوا فى الأمر ··

ومرت فترة صمت كئيبة أحست خلالها المرأة الغاضبة بتبدل فى عواطفها تجاهه ·· نقمتها الشديدة عليه أصبحت اشفاقا وشعورا بالرثاء ·· مأساته العميقة مست وترا حساسا فى داخلها ·· أحست أنها يمكن ولا بد أن تنقذه من فضيحة مدوية بين زملائه المتربصين كالوحوش خارج الحجرة ··

قالت بحزن عميق خسارة كل هذا الجمال أن يضيع هباء ·· اسمع اشعل لى سيجارة فأنا أشعر بجسمى كله ينتفض · ومد عادل يده الى جيب بنطلونه ليخرج علبة السجائر ودون أن يشعر سقط الواقى الجلدى بغلافه المعدنى على الارض وأشعل عادل لها سيجارة ولنفسه واحدة أخرى وراحا يدخنان فى صمت وبعد أن فرغا من التدخين قامت المرأة فأضاءت نور الحجرة ثم ارتدت ثيابها بسرعة وقالت له باقتضاب سأذهب أنا الى الحمام أولا ·· أما أنت فاتبعنى بعدها بقليل حتى لا يشكوا فى الأمر ·

ثم التفتت ناحيته قبل أن تخرج من الحجرة ونظرت اليه باشفاق شديد وقالت له اطمئن لن يعرفوا شيئا منى ·· ثم مدت له يدها بالجنيه الذى سبق أن أعطاه لها وهى تقول له خذ هذا الجنيه فأنا لا أستحقه فأنا لم أفعل شيئا لك ·· وحاول عادل الذى كان يشعر بأقصى درجات الاذلال والتعاسة أن يعترض على تصرفها لكنها أصرت على موقفها منـه ·

ونظر اليها عادل نظرة عرفان بالجميل وقد شملته سكينة حقيقية اذ أدرك أن المرأة بتصرفها النبيل قد أنقذته من فضيحة مدوية كان يمكن أن تدمر علاقته بزملائه فى الكلية ٠

وخرجت المرأة الى الصالة مرتدية ذلك القميص الحريرى الداخلى الذى يكشف جانبا كبيرا من ظهرها وساقيها وكانت قدماها حافيتين وشعرها مشعثا ونظراتها زائغة ٠٠ كانت تحاول الا تنم ملامح وجهها عما حدث داخل الحجرة لكنهم ما أن شاهدوها حتى صاحوا فى وجهها هيه سبع ولا ضبع ٠٠ واغتصبت المرأة ابتسامة وقالت بلهجة حاولت أن تكون مقنعة هل تصدقونى لو قلت لكم أنه أعظمكم جميعا ٠٠ وصاحوا فى نفس واحد كأنهم لايصدقون ماسمعوا غير معقول ٠٠ لكن المرأة ابتسمت ومضت فى طريقها الى الحمام ٠٠ بعدها بقليل خرج عادل من حجرة النوم ٠٠ كان يبذل مجهودا مضنيا حتى لا تكشف العيون المتربصة به سر اللعبة التى حدثت بينه وبين المرأة ٠٠ هذه العيون القادرة على اكتشاف الحقيقة لدى أقل بادرة شك ٠٠ لكنه فوجىء برفاقه يحيطون به فرحين وبعضهم يربت على كتفه كما لو كان فخورا بما فعله داخل الحجرة ٠٠

واحد منهم فقط كاد يجعله ينهار ويمزق القناع المزيف الذى يضعه فوق وجهه ٠٠ كانت نظراته اليه خليطا من الكراهية والريبة أما شفتاه فكانتا تحملان فوقهما ابتسامة ساخرة متشفية تبث الذعر فى قلبه ٠ خيل اليه أن هذا الانسان يعرف فى قرارة نفسه أنه مخادع يحاول أن يستغفلهم جميعا وأنه عندما يتأكد من حقيقة اللعبة التى حدثت داخل حجرة النوم فانه لن يتورع عن فضحه بينهم ليتشفى فيـه ٠

كان هذا الانسان دائما يكرهه لسبب لا يعرفه لكن لم يكن من الصعب التكهن به ٠ فعادل اكثر منه وسامة وهو غنى يملك سيارة

واحس عادل بانقباض فى قلبه وهو يرى نفس الابتسامة القديمة ترتسم على شفتى هذا الشخص الكريه وهو جالس الى جوار زميله ابراهيم يتهامسان ويشيران اليه بين الحين والاخر · ودخلت المرأة الى حجرة النوم من جديد وجاء صوتها يحمل نبرة ساخرة جعلتهم ينفجرون بالضحك ··· هيه على من الدور الان ·· ان من عليه الدور يتعين عليه أن يدخل بسرعة ·· فليس لدى طول الليل لاقضيه معكم ·· وقام ذلك الفتى الكريه الجالس أمامه الان يحدجه بابتسامته الغريبة الحاقدة ليدخل حجرة النوم واحس عادل بحالة رعب تكاد توقف ضربات قلبه فهاتان العينان المستريبتان قادرتان على استخلاص الحقيقة من فم المرأة بقليل من الضغط أو الدهاء · وعندما يعرفمنها كلشيء لنيتردد فيالخروج الى الصالة ليقص على رفاقه كل ما يعرفه وستصبح فضيحة عادل مدوية ولن يستطيع ان يريهم وجهه بعد الآن ·

كان الجميع من حوله ما يزالون يضحكون ويطلقون النكات البذيئة لكن اصداء الضحكات كانت تأتى له ضعيفة خافتة كأنهـا قادمة من عالم بعيد جدا أو من خلف زجاج عازل للصوت · كان عادل منكمشا على نفسه يشكل عالما وحيدا خائفا ينساب فى فراغ غير محدود ويبتعد معالوقت ·· فى داخله رعبمنأن تنفجرالحقيقة بين لحظة وأخرى وتشوه صورته أمام زملاءه أما فى داخل حجرة النوم فقد بدأ الذهن الخبيث يستعمل كل الحيل وأساليب الضغط لاستخلاص الحقيقة من فم المرأة · لاحظ فى البداية ان نور الحجرة لم يضىء عندما كان عادل مختليا مع المرأة سوى مرات معدودة كان الظلام يعود بعدها من جديد فى كل مرة وبدا له هذا السلوك غريبا ومدعاة للريبة اذ من الذى لا يريد أن يستمتع بجسد المرأة العارى فى الضوء القوى المبهر كما فعل كل الذين دخلوا الى الحجرة من قبل · ان من يطفىء النور ليمتنع عليه مشاهدة هذا الجسد الرائع

وهو فى حالة عرى كامل مكتفيا بصورته فى الظلام الدامس الذى يطمس كل شىء من حوله لا بد ان يكون انسانا يريد ان يخفى شيئا ما ·· سرا لا يريد للعين المبصرة ان تقع عليه ·

وعليه الآن ان يستخلص ذلك السر من فم المرأة التى يداخله احساس قوى بأنها شريكة كاملة فيه · ولاحظت العينان اللتان تشبهان كلب صيد مدرب ·· أعقاب سجائر كثيرة فى المطفأة بعضها يكاد يكون سجائر كاملة لم يدخن منها سوى أنفاس قليلة مما يؤكد أن مدخني هذه السجائر كانا فى حالة عصبية واضحة اقتضاها الموقف المتأزم بينهما فما تراه يكون هذا الموقف الا ما يدور فى ذهنه فى تلك اللحظة ·· فقط كان يريد أن يتأكد ·

قال مخاطبا المرأة وابتسامة شريرة ترتكز على شفتيه وعيناه تقتحمانها فى جرأة وتبثان الرعب فى قلبها اذن فقد كان اعظمنا جميعا اليس كذلك · وصمت لحظة انفجر بعدها قائلا فى وجه المرأة المتطلعة اليه فى خوف وتساؤل عما يريد ان يعرف من وراء سؤاله هل تظنينني واحدا من البلهاء الموجودين خارج هذه الحجرة لأصدق حرفا واحدا مما تقولين ·· هيا اعترفى بالحقيقة خيرا لك ·· قالت له المرأة مراوغة ·· وقد بدأت تدرك ما يهدف اليه ماذا تعنى بذلك ·· قال غاضبا : أنت تعرفين ما أعنى بذلك ··

أعنى أنه لم يفعل شيئا معك وانكما اتفقتما على اختلاق هذه الاكذوبة لتتسترى عليه اليس كذلك ·· ثم خرجتى بوقاحة لتعلنى على البلهاء فى الخارج أنه اروعنا جميعا يا لك من كاذبة حقيرة · قالت المرأة متحدية بعد ان وجدت ان الانكار لم يعد يجدى حسن ليكن ما تقوله صحيحا ما شانك أنت بهذا ·· قال فى انتصار صفيق وعيناه

تلمعان من الكراهية بل لى كل الشأن لانه اذا لم يكن قد فعل شيئا معك فلا يحق له ان يتفاخر بشىء غير موجود وانت ايتها الكاذبة الحقيرة تساعدينه على هذا · وفجأة لمعت عيناه بشدة اذ ابصر شيئا قلب كل شكوكه الى يقين واصبح متأكدا انه سيحصل من المرأة على اعتراف كامل بما حدث بعد ان يجابهها بهذا الدليل الجديد لقد وقعت عيناه على العلبة ذات الغطاء المعدنى اللامع التى تحتوى فى داخلها على الواقى الجلدى ·

كانت ساقطة على الارض الى جوار السرير ·· ومد يده والتقط العلبة من على الارض وقال وهو يقربها من وجه المرأة كنت متأكدا انه لم يفعل شيئا وهذا هو الدليل ·· هيا اعترفى بالحقيقة والا خرجت من هذه الحجرة وفضحتكما معا ·· وأؤكد لك أن العواقب ستكون وخيمة بالنسبة لك فهؤلاء الوحوش الجالسين فى الخارج لا يحبون أن يخدعهم أحد خصوصا مومس رخيصة مثلك وعندما رآها صامتة صرخ فى وجهها قائلا هيا اعترفى بالحقيقة قبل ان أفقد صبرى أيتها الساقطة اللعينة ·

وقالت المرأة فى انهيار حسن سأخبرك بكل شىء لكن أرجوك لا تخرج وتخبرهم بما سمعت انه صديقك اليس كذلك وأنت بالتأكيد لا تريد ان تفضحه بين اصدقاءه ماذا ستكسب من وراء ذلك وصمتت لحظة ثم قالت صدقنى اننا لم نرد خداعكم لكننا اردنا ان نداري فضيحة لن تبهج أحدا فى هذا المكان ·· وابتسم الوغد ابتسامة صفراء فقد كان هذا تماما ما يريد ان يسمعه من فم المرأة ليخرج فى جرأة ويعلن على الباقين ما سمعه منها · وتقدم ووجهه ينطق بالكراهية والشماتة التى يحسها تجاه عادل · وقال له ساخرا اذن فقد كنت أروعنا جميعا أيها البطل أليس كذلك · ثم ضحك بأعلى

صوته وقال موجها كلامه الى الآخرين هل دخلت عليكم تلك اللعبة ايها الاغبياء اذن فأعلموا ان بطلكم العظيم هذا لم يفعل شيئا على الاطلاق داخل تلك الحجرة وانه اتفق مع المرأة على القيام بتلك التمثيلية السخيفة لاخفاء عجزه التام نعم عجزه التام فهو ليس رجلا على الاطلاق ومضى يضحك بجنون وهو يرمق عادل بنظرات تنضح بالكراهية · نظراتتشبه مخالبطائر جارح أنشبها فىفريسة ضعيفة ومضى يتلذذ بتمزيق لحمها ·· أما عادل المسكين فقد كان صامتا عاجزا عن الدفاع عن نفسه ·· يشعر بحزن يجعله يود لو يختفي من أمام زملائه الى الابد ولا يريهم وجهه بعد ذلك ·· وماذا كان فى مقدوره أن يقول دفاعا عن نفسه وقد أصبحت الحقيقة المخيفة أشبه بشمس تحرق الجميع ·· وخيم الصمت على كل الموجودين بالصالة الصغيرة ·· صمت الفجيعة فى انسان صديق أحسوا أنهم خسروه الى الابد ·· وخرجت المرأة من حجرة النوم أشبه بالنمرة الهائجة ·· وتوجهت الى الشاب الصفيق الذى خدعها ولم يراعى العهد الذى قطعه على نفسه بألا يفشى الحقيقة التى سمعها منها ·· وأمسكته من كتفه وراحت تهـزه فى عنف وهى تصرخ فى وجهه قائلة : لماذا فعلت هذا أيها الوغد الملعون ·· ما الذى ستستفيده من ذلك ·· وأنا التى وثقت فيك وتوجهت الى عادل وعيناها تنطقان بمدى الالم العميق الذى تحسه من أجله ورغبتها فى الاعتذار عما بدر منها دون قصد ·

وقالت له بصوت أقرب الى البكاء ·· اننى آسفة على ما حدث لم اكن اتصور أن هذا المجرم سيفعل هذا ·· صدقنى اننى آسفة ثم خرجت من البيت دون أن تنطق بحرف واحد · وتبعها عادل بعد لحظات وقد تحولت الحياة بالنسبة له الى يأس مطلق لا معنى له ··

فما معنى أن يعيش بلا كرامة ما معنى ان يصبح مضغة فى افواه اقرب اصدقاءه يتسلون به عندما لا يجدون شيئا آخر يسليهم

لقد اصبح الآن فى عرفهم مجردا من الرجولة · وسيتعين عليه من الآن فصاعدا ان يتحاشاهم تماما وان يقطع كل صلته بهم · ورفع عادل بصره من فوق كومة الملفات التى كان يتظاهر بالعمل فيها وبعد تلك الرحلة الطويلة مع الماضى ونظر الى الرجل الجالس الى جوار ابراهيم والذى كان ما يزال يحدجه بتلك النظرات الغريبة الضاحكة وهمهم لنفسه قائلا اذن هذا هو سر تلك الهمسات الطويلة بينهما · واحس عادل بنفس شعور الخوف والهوان الذى احس به ذات يوم وهو جالس بين رفاقه فى ذلك اليوم البعيد الذى لا يمكن ان ينساه وادرك عادل ان الماضى يطارده من جديد ويلقى بظله الاسود على حياته التى يحاول ان تكون هادئة بعيدة عن الفضائح والاشياء المثيرة لكن بدا له فى تلك اللحظة أن محاولاته باءت بالفشل وانه على وشك مجابهة جديدة تفتح جراحا يحاول ان يداويها وفجأة احس عادل بالرعب عندما وجد ابراهيم والرجل الآخر يقتربان منه ورفع عادل بصره عن الملفات التى كان قد عاد للتظاهر بالعمل فيها وتلاقى بصره مع عيون تتقد بالكراهية وابصر شفاها تعلوها ابتسامات ساخرة شريرة مصوبة لرجولته · واشار ابراهيم الى الرجل الواقف الى جواره وهو يقول لعادل فى سخرية الاستاذ سعيد اظن انك تعرفه منذ ايام الجامعة لانه يقول انه كان زميلا معك فى نفس الكلية ·

وظل عادل صامتا بينما اردف ابراهيم قائلا الاستاذ سعيد نقل من فرع الاسكندرية وجاء ليتسلم عمله معنا فى الشركة · واحس عادل بقلبه يغوص بين ضلوعه ·· أحس بهيكل بناءه النفسى يتداعى فجأة كأنه قضبان محترقة اذ أصبح متأكدا أن قصته القديمة الدامية ستصبح ان لم تكن قد اصبحت بالفعل مادة الحديث على كل لسان يريد ان يتكلم او يلهو فى الشركة ·

★ ★ ★

دق جرس الباب بصورة متلاحقة عنيفة جعلت ام مرفت تقفز في عصبية ورعب لتفتحه وهى تتساءل بينها وبين نفسها عن الطارق الذى تسول له نفسـه ان يضرب الجرس بهذه الطريقة • وزادت دهشتها عندما فوجئت بابنتها تدخل الى الشقة وهى ترتعش من الغضبوقد بدا وجهها ممتقعا حيثالقت بكتبها فوق المنضدةالصغيرة ثم تهاوت كشيء ثقيل فوق الاريكة وهى لا تستطيع ان تمنع انفعالها الشديد• وسألتها والدتها فى لهفة عما حدث لها •

وقالت مرفت بعصبية شديدة انه ذلك المجنون عادل •• انه يطاردنى فى كل مكان ويحول حياتى الى جحيم • قالت امها فى دهشة •• عادل كنت اظن اننا انتهينا منه الى الابد • ماذا يريد منك هذا المجنون • قالت مرفت بعصبية شديدة وهى تشوح بيدها فى الهواء •• لا ادرى كل ما اعرفه انه اصبح يسبب لى ازعاجا متواصلا •• تصورى انه سار ورائى اليوم بسيارته حتى اوصلنى الى محطة الاوتوبيس ثم ظل واقفا حتى ركبت السيارة وعندما وصلت الى محطة الجامعة وجدته واقفا فى انتظارى أمام الباب •• وعندما خرجت من الكلية وجدته لا يزال واقفا فى مكانه ••• كنت أسير مع شلة من زملائى فى الكلية فى طريقنا الى محطة الاوتوبيس لكن عندما شاهدته وهو يحملق فى ويتبعنى بعينيه طول الطريق احسست بعصبية شديدة فبدلا من التوجه الى محطة الاوتوبيس اوقفت أحدى سيارات الاجرة وطلبت من السائق ان يحملنى فورا الى البيت •

وفى كل مرة كنت انظر فيها من الزجاج الخلفى للسيارة وانا آمل أن يكون قد اختفى كنت أجده ما يزال يتبع سيارة الاجرة عن كثب كأنه مصر على الا تفلت منه بل الاكثر من ذلك كان يقوم ببعض

الحركات المكشوفة كي يلفت نظرى اليه وقد كنت طول الوقت اخشى ان يلاحظ سائق التاكسى ذلك مما جعل اعصابى تتوتر بشدة ٠ وصمتت مرفت برهة ثم تطلعت الى امها قائلة انني لا ادرى ماذا أفعل معه لقد حطم أعصابى ثم انني لا اعرف ماذا يريد منى بعد أن ظننت ان علاقتنا قد انتهت الى الابد ٠ كانت ام مرفت تستمع الى ابنتها وهى ترتعش من الغضب بينما تصميم حاد يعلو قسمات وجهها التى تحولت الى شىء مخيف ثم قالت لابنتها بلهجة مليئة بالثقة اطمئنى ان هذا المجنون لن يزعجك بعد الآن فانا كفيلة بأيقافه عند حده ٠ ثم هرولت الى احدى الحجرات التى تطل على الشارع واطلت من النافذة المفتوحة وعلى الفور لمعت عيناها بسرور وحشى وهى ترى سيارة عادل واقفة امام باب منزله ٠ ثم عادت لتقول لابنتها والتصميم يعلو قسمات وجهها اننى ذاهبة الى هذا الوغد لالقنه درسا لن ينساه ٠ وامام باب شقة عادل وقفت متحفزة كالنمرة التى يهدد الخطر أحد صغارها والتى هى على استعداد للدفاع عنه حتى الموت ٠ كانت متحفزة عندما يفتح الباب كى تنقض على غريمها وتنشب اظافرها فى عنقه وكان اصبعها موضوعا فوق الجرس بصورة مستمرة لم يرتفع من فوقه الا عندما فتح الباب فجأة وظهر عادل الذى علت وجهه دهشة شديدة وهو يرى امامه آخر انسانة كان يتوقع رؤيتها فى تلك اللحظة ٠

وتوجس عادل خيفة وهو يرى ملامح المرأة التى تنذر بالشر وعينيها المليئتين بالكراهية والحقد وقبل ان يفتح فمه ليسألها عن سر زيارتها الغريبة كانت المرأة قد اصبحت داخل الشقة بعد ان دفعته بعنف فى صدره ونحته بعيدا عن الطريق ٠ وحاول عادل أن يجذبها من يدها ليدفع بها خارج الشقة لكنها افلتت ذراعها منه وتقدمت صوب والدة عادل الجالسة فى مكانها المعتاد بالقرب من النافذة ووقفت امامها فى تحد جعل العجوز ترتعد من هيئتها المخيفة

وتتطلع اليها فى دهشة صامتة تسألها عن سر تصرفها الغريب وصرخت المرأة الغاضبة فى وجه السيدة العجوز دون تمهيد وبلهجة آمرة لآخر مرة أقول لك أن تأمرى ابنك المجنون هذا بالكف عن مطاردة ابنتى فى كل مكان تذهب اليه والا فاننى سأعرف كيف أوقفه عند حده هل تفهمين · قالت الام بهدوء وان كانت الدهشة ما تزال تطل من قسمات وجهها اجلسى اولا ودعينا نفهم الموضوع فليس لدى ادنى فكرة عما تتكلمين عنه ·· قالت المرأة فى هياج لست فى حاجة الى الجلوس معك لقد جئت لانذرك انت وابنك بالابتعاد عن ابنتى والا فاننى سأعرف كيف اوقفكما عند حدكما ·

وهنا لم يتمالك عادل أعصابه فصرخ فى وجه المرأة قائلا اننى لا اسمح لك ان تخاطبى امى بهذه الطريقة او تهدديها على اى نحو هل تفهمين · والآن انصرفى من هذا المكان والا القيت بك خارجا ثم كيف جرؤت على اقتحام الشقة بهذه الطريقة انك حقا امرأة مجنونة · ابتسمت المرأة فى سخرية وهى تقول هل تريد ان تعرف كيف جرؤت على اقتحام الشقة بهذه الطريقة حسن بنفس الطريقة التى حاولت بها أنت أن تقتحم حياة ابنتى دون أن تريدك · وصمتت لحظة حدجته فيها بنظرة مليئة بالكراهية ثم صرخت وهى فى قمة انفعالها ·· ماذا تريد منها بعد ان رفضتك انها لا تحبك ولا تريد أن تربط مصيرها بمصيرك فلماذا تضايقها ·· ثم انك بهذه الطريقة تشوه سمعتها فى كل مكان ولا أعتقد أن انسانا يحب فتاة يقبل تشويه سمعتها بهذه الطريقة · قال عادل ساخرا وهو يرمق المرأة بأزدراء وكراهية لا اعتقد ان سمعة فتاتك بحاجة الى كلماتى لتتشوه ان ابنتك قد شوهت سمعتها بنفسها يا سيدتى وينبغى ان تعلمى هذا · بل اننى متأكد انك تعلمين فهى كل يوم تأتى الى المنزل فى سيارة جديدة ومعها رجل جديد ومع ذلك جئت لتتبجحى بهذا الكلام الفارغ ·· ايه سخرية ·

قالت المرأة بعصبية هذه السيارات يملكها زملاء ابنتى فى الجامعة وهم الذين يوصلونها الى البيت . أطلق عادل ضحكة وهو يقول ساخرا زملاء ابنتك فى الجامعة هل تظنينني مغفلا ثم ماذا بشأن الممرضة وزبائنها من الرجال الكبار فى السن .. هل هؤلاء ايضا زملاء ابنتك فى الجامعة . قالت المرأة وهى تنظر اليه فى تحد حسن ليكن ما تقوله صحيحا لا اعتقد ان هذا من شأنك على اى الاحوال ثم ماذا بينك وبين ابنتى لتطاردها على هذا النحو . صمت عادل برهة ثم قال والاسي يكسو وجهه وحب عميق يطل من حدقتى عينيه حب يحاول دون جدوى ان يخفيه عن عينى المرأة التى تسأله هذا السؤال الابله . بيننا ثلاث سنوات من الحب يا سيدتى اليس هذا كافيا فى نظرك كى يكون لى عليها حق ما ..

ثم انها غدرت بى دون سـبب وانا اريد ان اعرف لماذا . حدجته المرأة بنظرة ازدراء ثم قالت متهكمة : أعتقد أنك تعرف السبب جيدا وهو أنك لن تستطيع ان تتزوجها بل لن تستطيع ان تتزوج اى فتاة اخرى فلماذا تصر على ربط مصيرها بمصيرك الا اذا كنت انسانا انانيا لا تحب غير نفسك . واخترقت العبارة التى لمحت بها المرأة الى عجز عادل عن الزواج من ايه فتاة سمع الام التى كانت تشاهد المعركة الدائرة بين ابنها وتلك المرأة الوقحة بقلب ينفطر حزنا فتحفزت حواسها وهى تتطلع الى وجه المرأة سائلة اياها فى غضب عما عنته بقولها . ووضعت المرأة فوق شفتيها ابتسامة تقطر كراهية وقد وجدت ان الفرصة اصبحت سانحة امامها لتطعن عادل فى الصميم وتهزمه بطريقة نهائية تضمن بها أن يبتعد عن ابنتها .. ثم قالت بلهجة ساخرة أحقا أنت لا تعرفين ياسيدتى يا لك من مسكينة سـاذجة . ثم التفتت الى عادل وقالت له والحقد يلمع فى عينيها والسخرية تقطر من كلماتها لماذا لا تخبرها بسرك العظيم وتعفينى أنا من هذه المهمة البغيضة ثم تطلعت الى وجه الام وقالت بحقد

رهيب لكنه فى لحظة ضعف او حب كما يريد هو ان يسميه همس لابنتى بكل شىء وهى بدورها اخبرتنى بما تعرف ··

قال لها ابنك انه عاجز عن الزواج منها او من ايه فتاة اخرى وانه يريد علاقة رومانسية معها وكل هذا الهراء الذى يحاول به ان يشوه تفكير ابنتى المسكينة التى احبته ذات يوم ودون ان تعرف حقيقته · لكنى سأفضحه امام العالم كله وسأخبر الجميع بانعدام رجولته اذا ما اصر على مطاردة ابنتى هل تفهمين يا سيدتى · وهنا صرخ عادل فى وجه المرأة وهو يهجم عليها ويهزها من كتفيها فى عنف اصمتى ايتها الكاذبة الملعونة كيف تجرئين على قول هذه الاكاذيب المفضوحة هيا اخرجى من هنا على الفور والا القيت بك خارجا · وضحكت المرأة بصوت مرتفع وقالت بتشفٍ هل تستطيع ان تنكر ما قلته الآن · كلا كل ما بأستطاعتك ان تفعله هو ان تصرخ فى وجهى وتأمرنى بالخروج من الشقة ·

ونزلت كلمات المرأة الواضحة الصريحة والتى تقطر كراهية نزول الصاعقة على رأس ام عادل التى كان ما سمعته هو آخر ما يمكن ان تفكر فيه · ابنها الجميل الوسيم الذى تعبده وتعلق عليه كل أملها فى الحياة ليس رجلا يا الهى أى كارثة نزلت عليها الان· وبدأت امور غامضة تتضح امام بصرها بطريقة درامية مفاجأة ·· الآن عرفت سر عزوفه الدائم عن الزواج ·· غضبه وعصبيته الشديدة كلما فاتحته فى هذا الموضوع · وأخذت الام التى تزلزل كيانها تردد بصوت خافت ومتخاذل صادر عن اعماق مهانة طافحة بالالم ابنى انا عاجز عن الزواج ·· كلا لا يمكن ان اصدق ذلك · لا يمكن · وهنا قالت المرأة بشماتة جلاد مصر على ان يقضى على ضحيته ·· أنظرى اليه انه لم يقل حرفا واحدا دفاعا عن نفسه · هل تعرفين

ماذا يقولون عنه فى كل مكان وصرخت فى وجهها ام عادل قائلة لا أريد أن أسمع شيئا ٠٠ هل تفهمين ٠٠ لا أريد أن أسمع شيئا ٠٠ لـكن المـرأة التى تحـولت الى كتـلة مشـاعر غاضـبة متأججة لـم تعبـأ بتوسلاتها ومضت تقول انهم يقولون عنـه انه مخنث ٠٠ شاذ جنسيا على الاقل ليس رجلا كاملا ٠ صرخ عادل فى وجه المرأة وقد بدأت الاهانة تمزقه وتطحن رجولته قلت لك اصمتى ايتها اللعينة والا قتلتك هذه المرة ٠ اما ام عادل فقد حفزت كلمات المرأة شيئا فى داخلها يرفض هذا الاذلال المهين لابنها حتى لو كان ما تقوله عنه صحيحا وقالت لها وعلى فرض ان ما تقولينه صحيح فهذا لا يجعله رجلا ناقصا كما تدعين ماذا تعرفين انت عن الرجولة واضح انك لا تعرفين شيئا على الاطلاق انظرى اليه ان ابنى هو أحسن الرجال وأفضلهم جميعا ٠٠ انه حنون طيب شجاع لولاه لكانت حياتى انا العجوز المريضة جحيما لا يطاق ٠

ماذا تريد المرأة من الرجل اكثر من هذا بل ماذا يريد الناس منه اكثر من هذا ٠ ولم تعلق المرأة على كلام العجوز احست انها حققت انتصارها الكامل على عادل وامه وانه آن الاوان لها كى تنصرف عائدة الى بيتها ٠ قال لها عادل قبل ان يصفع وراءهـا الباب بشدة وعيناه تنطقان بمدى الحقد الذى يكنه لها ٠ اننى لن انسى لك ما فعلتيه اليوم ابدا ٠ ثم عاد مهموما متخاذلا يحاول ان يتجنب عينى امه ٠ وحاول ان يدخل الى حجرته غير ان امه نادت عليه وطلبت منه ان يأتى ويجلس بجانبها ٠ وقالت له وهى تربت كتفه بحنان عادل ما الذى بينك وبين هذه المرأة المجنونة لقد قلت لك دائما ان هذه الفتاة لا تصلح لك لكنك ابيت ان تصغى الى وها هى النتيجة ٠ وصمتت لحظة قالت بعدها وهى تنظر الى عينى ابنها أرجوك يا عادل من أجل نفسك ومن أجلى أنا انساها ٠

قال عادل بلهجة مجردة من الاحساس بأى شىء ·· لهجة ميتة سأحاول يا امى سأحاول والآن أرجوكى الا تثيرى اعصابك أكثر من ذلك وسأذهب لاحضر لك واحدة من حبوب الضغط فلا ريب انك تحتاجينها الان وأنا أيضا سأتناول واحدة ، فأنا أشعر برأسى تكاد تنفجر · وبعد ان عاد عادل من حجرة النوم واخذ الدواء هو ووالدته وبدأت عصبيتهما تهدأ طلبت منه والدته ان يقترب منهـا وعندما فعل مالت عليه وقبلته فى جبينه بحنان وهى تقول له عادل انس كل ما قالته هذه المرأة الملعونة كأنك لم تسمعه أبدا · أنا أيضا لم اسمعه يا عادل هل تفهم · مهما حدث فستبقى ابنى الحبيب الذى افخر به الرجل الذى يرعانى فى شيخوختى ويدفننى عندما اموت ولن توجد قوة فى هذا العـالم قـادرة على ان تشوه صورتك فى نظرى ·

وثق يا عـادل اننى لن اتخلى عنك مهمـا حـدث ثم صمتت وامتلاءت عيناها بدموع غزيرة حاولت اخفاءها دون جدوى فقد تساقطت فوق وجنتيها وقالت وهى تتأمل وجه ابنها بحب عميق والمأساة مرتسمة فوق قسمات وجهها لكن هناك شىء واحد اخشاه يا عادل هو ان اموت واتركك وحيدا فى هذا العالم ·· ان احدا لن يسأل عنك بعد وفاتى ·· وامتلأت عينا عادل بالدموع هو الاخر وهو يسمع كلاما كان يردده بينه وبين نفسه ولا يجرؤ على ان يقوله لامه حتى لا يجرح شعورها ·· كلاما كان له صدى حزين فى نفسه لفرط حقيقيته وقسوته فى نفس الوقت فكم فكر طويلا فى اللحظة التى سترحل فيها والدته عن العالم وتتركه وحيدا بلا صديق او رفيقة حياة ··

فكر كم ستصبح الحياة مخيفة ولا تستحق ان يحياها الانسان وكان دائما يمتلىء بالرعب وهو يتصور مصيره بعد ان ترحل صديقته الوحيدة عن هذا العالم المخيف ·· الانسانة التى كان وجودها هو احد المبررات القليلة لوجودة نفسه · قال عادل وهو يحاول أن يخفى مشاعره الداخلية عن عينى أمه وان كانت عيناه هو قد امتلأتا بالدموع لا تقولى هذا الكلام مرة أخرى يا أمى فانك لن تموتى ابدا وسنجد دائما طريقة للاتصال حتى بعد ان نفترق بجسدينا وليس مهما على الاطلاق من يرحل قبل الآخر · ثم مال برأسه ناحية وجهها وسمح لها بان تقبله بحنان فوق جبينه وهى تقول له بحب تدفق مع كلماتها · عادل انت دائما خيالى ولا تريد ان تتغير حتى فى مواجهة حقيقة مخيفة كالموت تأكد اننى سأموت كما سيموت اى انسان آخر وستنساني كما ينسى الحى الميت تلك هى سنة الحياة وينبغى ان نقبلها برضى كامل · انك ستعيش لانك ينبغى ان تعيش اما انا

وصمتت برهة تحول وجهها خلالها الى حزن مطلق عميق جعلها تنطق الكلمات بصعوبة بالغة وهى تقول لابنها ·· هل تعلم شيئا يا عادل اننى اتوقع هذه اللحظة اقرب مما تتصور وما يشغل بالى وما يجعلنى اخاف الموت هو مصيرك من بعدى · قال عادل والحزن يفتك به ارجوكى يا امى لا تتكلمى بهذه الطريقة · انك تعذبيننى · قالت الام وهى تحاول ان تتصنع المرح ما هذا الكلام الضعيف يا عادل هل تذكر ما قلته للمرأة من انك رجل حقيقى ·· هل هناك رجل حقيقى يهرب من مواجهة الحقيقة مهما كانت مخيفة اننى اريدك ان تضع فى اعتبارك انك يمكن ان تفقدنى فى اى لحظة من الآن وعليك ان تتعلم كيف تعيش وحدك من بعدى ·

قال عادل بحماس وهو يضع يده فوق شفتي امه كي يمنعها من الكلام كلا يا أمي انك لن تموتي أبدا هل تفهمين لن تموتي أبدا · ابتسمت امه من طيبته الشديدة وجموح عاطفته وقالت لتهدىء من ثائرته حسن يا عادل انني لن أموت طالما أنت لا تريد ذلك · ثم ضحكت قائلة والآن انصرف من جانبي فانا لا اريد ان اراك دائما في البيت هيا اخرج من هذا المكان اذهب الى السينما او المسرح او النادي لكن لا تبقى حبيسا فى المنزل · وقام عادل بعد ان قبل امه في جبينها متجها الى حجرة نومه وقبل ان يدخل التفت ناحيتها ليلقي عليها نظرة اخيرة ولا يدري ما الذى دفعه لان يفعل ذلك فقد كان جالسا الى جوارها طول الوقت واحس عادل بقلبه ينقبض وهو يرى وجه امه بينما كلماتها الحزينة تدوى كأعصار رهيب فى داخله سأموت يا عادل فى اى وقت من الآن وعليك ان تعود نفسك على ان تعيش وحيدا · كان وجه امه يشبه وجه تمثال قديم تنسحب من فوقه آخر بقايا الشمس الغاربة مخلفة وراءها نوعا من الشحوب او الظلام الذى يثير الحزن فى القلب · وادار عادل وجهه بسرعة حتى لا يرى هذا المنظر الذى يحرك مشاعره · كان كل شيء كما تراءى له فى تلك اللحظة ينذر بقرب النهاية التى لا يريد ان يراها لكنها قادمة رغم ارادته ·

★ ★ ★

نزل بحلق الى حديقته الصغيرة بعد ان شفي من مرضه وقد صمم على ان يجمع باقة ورد جميلة ليقدمها الى الانسانة العزيزة التى ارسلت له صندوق الحلوى اثناء مرضه وهى اللفتة الانسانية التى لن يستطيع ان ينساها طول حياته · كان صديقه عادل قد حدثه كثيرا عن هذه الانســانة عن مرضها الطويل وعذابها وطيبتهـا

المتناهية .. عن انها الانسانة الوحيدة فى العالم التى تحبه وتهتم به ولما كان صديقه عادل مثالا للطيبة والحنان اللذين لم يجدهمـا فى اى انسان عرفه حتى الآن فلا بد ان تكون الام التى انجبته على شاكلته سيدة طيبة يملأ قلبها الحب والعطف على الكائنات الضعيفة مثله . ونما فى قلب بحلق الطيب الطفولى شعور جارف بحب هذه السيدة دون ان يراها لكنه تمنى دائما ان يراها وكان دائما يسأل عـادل عن اخبارها دون ان يجرؤ على ان يطلب منه ان يبلغهـا تحياته فهو انسان يعرف قدر نفسه ..

***

يعرف انه مخلوق لن يحبه احد مهما خلصت نيته او عمقت مشاعر الحب فى قلبه لكن بعد ان ارسلت له هذه السيدة الطيبة القلب خادمتها الوحيدة كى تقضى له حاجياته ثم بعثت اليه بصندوق الحلوى اثناء مرضه احس ان صلته بها تقوى وانها سيدة تتمتع بحسن الادراك بحيث تهتم بأنسان على شاكلته وكان هذا ما جعله يتجرأ ويصمم على ان يراها ليشكرها بنفسه . واحتار بحلق ماذا يأخذ لها عندما يذهب لزيارتها . انها سيدة غنية لن تسعد كثيرا لاى شىء جديد يضاف الى الاشياء الكثيرة التى تملكها . اذن ينبغى ان تكون هديته لها رمزية تعبر عن المشاعر الحقيقية التى يشعر بها تجاهها . وهداه تفكيره البسيط وهو جالس فى حديقته الصغيرة الى ان خير ما يأخذه للسيدة العجوز عندما يذهب لزيارتها هو باقة ورد جميلة يبذل عناية فائقة فى تنسيقها لتبدو آية فى الروعة والجمال . وهكذا فى صباح ذلك اليوم الذى قرر فيه زيارة العجوز وقبل ان تشرق الشمس وما زال الندى عـالقـا بالجو فى صورة ضباب خفيف يغطى اوراق الشجر الخضراء وباب شقته الخشبى ذى الاكرة النحاسية الصفراء وسور المنزل واشياء اخرى كثيرة موجودة فى المكان نزل بحلق الى الحديقة الصغيرة ومعه مقص

اخذ يقطع به بعض الاغصان من اشجار الورد الجميلة التى تحمل فى نهايتها تلك الورود اليانعة الحمراء التى تغطيها طبقة رقيقة من ندى الصباح تجعلها تبدو فى قمة تفتحها ونضارتها وقطع ايضا بعض انواع الزهور الاخرى الرائعة الجمال كى تصبح الباقة التى يعدها مكونة من تشكيلة مختلفة من الازهار تعطيها شكلا جميلا ٠ ودخل بسرعة الى الشقة وبدأ يشذب الاغصان الطويلة من الاشواك العالقة بها وحرص على ان تكون الورود الحمراء فى الوسط ومن حولها الازهار الاخرى ثم لفها بورقة جرائد ومضى يتأملها باعجاب شديد وخياله يسبقه الى اللحظة التى سيقدم فيها تلك الباقة الجميلة الى العجوز والسعادة التى ستطل من عينيها وهى تتأملها فى نشوة ٠

وارتدى جلبابا نظيفا وجاكتة مكوية وخرج الى الشارع يحمل هديته الجميلة مزهوا بها يريد ان يسابق الزمن كى يرى تلك النظرة المنبثقة فى عينى العجوز والكلمات التى ستقولها له تعبيرا عن امتنانها وشكرها ٠ لكن ما ان بدأ يضع قدمه على الطريق ورغم قصر المسافة بين بيته وبين بيت السيدة العجوز المسافة التى يمكن ان يقطعها فى دقائق معدودة فقد احس بالخوف القديم من الناس ينبثق فى قلبه من جديد ٠ كان يخشى ألا يدركوا فرحته الغامرة فى تلك اللحظة الاستثنائية الفريدة فى حياته فيفسدوها عليه بحقدهم الاعمى المجنون الذى لا يدرك حاجته الحميمة كى يحس بآدميته فيها ٠٠

آه يا الهى انهم لو فعلوا ذلك لحطموا قلبه تماما ٠ ساعتها سيلقى بباقة الازهار على الارض ويفر هاربا من امامهم من العالم بأسره ٠ كلا انه سيقاتل فى وحشية دفاعا عن رمز انسانيته عن

حقه فى ان يعامل كانسان ولو لدقائق معدودة فى حياته . كان الطريق رغم قصره يبدو طويلا . وكان الهدوء المخيم على الشارع يحمل اخطارا مجهولة لا يمكن ان يشعر بها سوى انسان كبحلق اخطارا يشمها بأنفه ويشعر بها بحاسته السادسة القوية ــ اخطارا يمكن أن تنقض عليه فى أى وقت ومن أى مكان .. كان يشعر بأن عيونا تتربص به وتركز بصرها فوق هديته الصغيرة التى ازداد تشبثا بها . كانت اغلى شىء فى حياته فى تلك اللحظة . كانت اغلى من حياته نفسها . وبدأت خطواته تتسع وتتحول الى ما يشبه الهرولة المحمومة لكن عيناه المليئتان بالرعب كانتا تبحثان عن مكامن الخطر المتربصة به على طول الطريق . كان كل امله ان يصل سالما بهديته الصغيرة ليعطيها للعجوز ثم ليفعلوا به بعد ذلك ما شاءوا .

وفجأة احس بحلق بحواسه تتجمد من الرعب . فقد ابصرت عيناه المذعورتان صبيين صغيرين يتطلعان اليه بفضول وهما واقفين في مدخل احدي العمارات . كانا يوجهان اليه نفس نظرات الاستنكار والكراهية التى يوجهها اليه كل انسان يراه وكانت عيناهما مليئتين بالضحك .. ضحك يسحق آدميته ويسبب له الما لا يطاق . واحس بحلق بالخطر يتربص به واستيقظت فيه غريزة الدفاع عن النفس تلك الغريزة التى اصبحت لها نفس حساسية العين الآدمية ضد اى خطر يتهددها فهى سريعة الاستجابة له استجابة تحسب احيانا بالثوانى .. ونظر بحلق الى الصبيين نظرة مليئة بالوعيد قابلاها بأزدراء تام فماذا يستطيع مخلوق كهذا ان يفعل لهما . وبحساسية العين عندما تنقبض لتمنع ذرة غبار من الدخول اليها .. فعل بحلق ازداد انطواؤه على نفسه وتشبث أكثر بباقة الازهار فى يده كأنها رمز لحياته نفسها . كان كل ما يهمه ان يحمى تلك الباقة حتى آخر قطرة فى دمه .

كانت العيون المليئة بالضحك تتابعه خطوة بخطوة ·· عيون تريد ان تقول شيئا ·· تصيح فى وجهه ·· تصنع انفجارا يمزق السكون من حوله وتجاهل بحلق الخطر الذى يتربص به وحاول ان يعدو بخطوات سريعة لينجو منه لكنه كان متأكدا ان هذا لن ينجيه فهذا الخطر يمكن ان يلحق به بسرعة رهيبة فهو هدف متحرك مكشوف لعيون تقطع اميالا عديدة فى سرعة البرق ·

وفجأة حدث ما كان يخشاه بحلق المسـكين · احس بتلك الطعنة المفاجأة تخترق ظهره وتصل الى قلبه وتمزقه ·· لقد صاح الصبيان فجأة بصوت مخنث ممطوط ·· بحلق الى أين أنت ذاهب فى هذه الساعة من الصباح وما هذه الباقة من الازهار التى تحملها فى يدك ومضى بحلق فى هرولته المحمومة رغم الاستفزاز الواضح الموجه له وعاد صوت الصبيين يصرخ من جديد توقف أيها الكلب وجاوب على سؤالنا · لكن بحلق الذى كان حريصا على ان يصل بباقة الازهار سـليمة الى بيت السيدة العجوز لم يتوقف وتابع هرولته المجمومة وهنا أمسك أحد الصبيين بحجر ضخم وضربه فى ظهره وفى هذه اللحظة توقف بحلق وكان لابد أن يتوقف ·

كانت عيناه مليئتين بالخوف والقهر والمهانة وهو يصوبهمـا تجاه الصبيين اللذين سارعا بالاختباء داخل مدخل العمارة ·· وتوقف بحلق للحظات واحتار ماذا يفعل فلو انه سار من جديد لما امن من حجر آخر يضربه فى ظهره بل ربما اصاب هذا الحجر باقة الازهار وجعلها تنفرط على الارض وهذا ما لا يمكن أن يحتمله أو يفكر فيه · كا نبحلق متأكدا ان الصبيين يراقبانه من مكانهما الخفى وانهما ينتظران منه أن يتحرك ليقذفاه بحجر جديد · وأحس بحلق أنه يريد أن يبكى من فـرط احساسه بالغيظ · كان يريد أن يزأر

كأسد جريح .. ان يزلزل اركان عالم يحرمه من الحنان والرجولة..
وكانت قدماه مسمرتين بالارض ودوامات رهيبة تصم اذنيه رغم
السكون الشديد المخيم على الشارع .

وتصادف مرور رجل عجوز فى تلك اللحظة ادرك المأزق الذى
يوجد به بحلق المسكين فتقدم منه وربت على كتفه فى حنان وهو
يقول له اذهب أنت ولا تخشى شيئا فانا سأتكفل بالصبين اذا ظهرا
من جديد . ومضى بحلق المسكين مهرولا فى اتجاه بيت السيدة
العجوز وهو يشكر الله لانه انقذه هذه المرة . وبينما كان يهم
بالدخول من باب العمارة التفت الى الوراء كأنما اراد ان يتأكد
من اختفاء الصبيين وفى تلك اللحظة أبصر مرفت وهى خارجة من
باب عمارتها فى طريقها الى سيارة أجرة كانت تقف فى انتظارها
أمام الباب .. ومضى بحلق يحملق فيها بعينين كان من المستحيل
أن تبتعدا عنها .. عينين ينبعث منهما بريق مخيف هو خليط من
الحنان والرغبة المجنونة .

كان جمال مرفت الباهر يشعل حواسه .. يصيبها بنوع
من الشلل فلا يدرى ماذا يفعل سوى مجرد الحملقة النهمة المجنونة
فى وجهها . كان لا يشبع ابدا عندما ينظر اليها بل كان يجوع اكثر
واكثر . كان شعرها الاشقر الطويل الذى ينساب وراء ظهرها
وعيناها الزرقاوتان المشعتان تثيران فى اعماقه نهرا من المشاعر
الفياضة نهرا من العذوبة الخالصة . كان يحلم ويجوع ويفنى فى
حلمه الذى ينتهى الى لا شىء مجرد خواء كبير يملأ نفسه الجافة
المجدبة .. نفسه الصحراء القاحلة التى تتوق الى كمية حنان قليلة
تبعث فيها شيئا من الامل .

كانت الصخور فى داخله تتحرك والدماء تتحول الى انهار ثائرة عندمـا يتطلع الى وجه مرفت الجميل او عندمـا يتأمل فى صمت وجوع مفاتنهـا الصارخة · غريبة جدا تلك الطبيعة التى حرمت بحلق من الجمال ونسيت ان تأخذ منه رجولته ·· احساسه بالجمال في كل ما حوله خصوصا جمال المرأة فعذبته طوال حياته وها هي لحظة اخرى من لحظات العذاب المكثفة تمر به الآن لحظة لا يتمنى برغم مرارتها الصارخة ان تعبر به بسرعة فهى تعطيه على الاقل احساسا بأنه آدمى ما دام قادرا على اشتهاء الجمال والاعجاب به · لكن هذه اللحظة الفريدة لم تشأ ان تشفق عليه اذ سرعان ما اختفت بسرعة تاركة مرارة خالصة فى قلبه فها هى معبودته الجميلة الشقراء قد قطعت الخطوات القليلة نحو سيارة التاكسى واختفت بداخلها ولم يعد يرى منها سوى مؤخرة رأسها وفجأة التفتت الى الوراء ورأته واقفا على الرصيف الآخر يحدق فيها بعينيه المخيفتين وقد غطاها لمعان غريب زادهما بشاعة وسرت فى جسدها رعدة من التعبير الابله الجامد فوق وجهه وحارت فى تفسير ما يريده منها ذلك الانسان الغريب ···

هل تراه يشعر نحوها بنفس شعور الرجل تجاه امرأة يحبها لو ان هذا كان صحيحا كما تظن فانه بالتأكيد يصبح شيئـا مثيرا للضحك فمن هى المرأة المجنونة التى تسمح لنفسها بمجرد النظر الى هذا المخلوق البشع فضلا عن مبادلته العواطف · وأحست مرفت بالغثيان وهي تسحب نظراتها من فوق وجهه القبيح وتشيح بها بعيدا عنه ·كانت نظراتها اليه تحمل قدرا كبيرا من الاحتقار والكراهية لكنها ايضا كانت نظرات محذرة جعلته يرتعد من الخوف ويحس احساسا عميقا بالضآلة · وافاق بحلق بسرعة من الحلم الجميل الذى استغرق

فيه · احس انه نجمة تحولت الى رماد بعد ان قطعت مسافة تقدر بملايين السنين الضوئية هى نفس المسافة بينه وبين معبودته الجميلة · وبدأت سيارة الاجرة فى التحرك من مكانها وبحلق يتابعها ببصره حتى استدارت عند ناصية الشارع واختفت تماما · حينئذ افاق بحلق من حلمه الجميل وعاد مرة اخرى ذلك الانسان الملتصق بالواقع المخيف الذى يعيشه وبسرعة اتخذ طريقه الى داخل العمارة التى يسكنها عادل وبدأ يصعد السلالم فى هرولة محمومة فى نفس الوقت الذى كانت فيه تفيدة الخادمة تهبط السلالم فى طريقها الى الشارع بحيث كادا أن يصطدما ببعضهما البعض ونظرت اليه تفيده فى دهشة اذ كان فى منظره شىء غريب لم تألفه من قبل ·· شىء لا تدرى كنهه على وجه التأكيد ·

كان وجهه هادئا على غير العادة وعيناه تفيضان حنانا وملابسه نظيفة مكوية · ولدهشتها الشديدة كان وجهه اقل دمامة مما اعتادت ان تراه · ولفت نظرها على وجه الخصوص باقة الورد الجميلة التى يحملها فى يده وقد بدا حريصا عليها مزهوا بها بطريقة طفولية كادت تجعلها تنفجر من الضحك · وتفرست فيه تفيده متسائلة عن الوجهه التى يقصدها وقال لها بحلق بانه صاعد الى شقة عادل ليعطى هذه الباقة من الورد لوالدته عرفانا بجميلها بعد ان سألت عنه اثناء مرضه وارسلت له صندوق الحلوى · وابتسمت تفيده لسـذاجته لكنها ابتسامة ملأتها دفئا وتعاطفا مع هذا الانسان الغريب الذى يملك قلبا من ذهب وأشارت له الى اعلى السلم قائلة ··

هناك ستجد باب الشقة مفتوحا ·· ادخل ولا تخف وستجد السيدة وحيدة فى الصالة انها سترحب بك بالتأكيد فهى تعرف شكلك لانها تراك كل يوم تقريبا فى الشارع · ثم ودعته بأبتسامة متعاطفة وراحت

تهبط السلالم فى طريقها الى الشارع · ودخل بحلق من باب الشقة المفتوح وبدأ يحرك بصره بحثا عن السيدة التى جاء لزيارتها ··

كان الهدوء يخيم على الشقة ·· هـدوء جعله يحس برهبة شديدة · وعندما وقع بصره على السيدة التى كانت تجلس كعادتها الى جوار النافذة المفتوحة تقدم ناحيتها بشىء من التردد اذ كان يخشى ان تفزع من منظره او تظن انه جاء لغرض غير طيب · واحست العجوز بوقع خطواته وهى تقترب منها ·· وكانت تنظر من النافذة المفتوحة فالتفتت ناحيته ليلتقى بصرها بوجهه الغريب المفزع واحست العجوز بصدمة كادت أن تشل حواسها وبرغم ان قلبها كان مليئا بالرعب الا انها عجزت عن اطلاق صرخة واحدة · وعندما وقف بحلق أمامها بجسمه الممتلىء بعض الشىء وبرأسه الضخمة ذات الشعر الغزير المتهدل على جبهته الضيقة وقد توسطتها عيناه الرهيبتان اللتان تبثان الرعب فى قلبها · وبرغم الابتسامة الطيبة التى وضعها فوق شفتيه ليؤكد لها انه لا يقصد بهـا شرا فـان العجوز لم تتمالك نفسها من أن تطلق صرخة رعب مدوية ثم راحت فى فزع تنادى على ابنها عادل الذى كان يجلس داخل حجرته المغلقة كى يأتى وينقذها من هذا المخلوق البشع الذى يثير الذعر فى قلبها ·· وقفز عادل من الفراش وجـاء مهرولا ليرى ما الذى حدا بوالدته لاطـلاق صرخة الرعب هذه وما أن شاهد بحلق واقفا وفى يده باقة الورد وقد امتقع لونه من شدة الرعب الذى سيطر عليه نتيجة لفزع العجوز منه حتى اطلق ضحكة مجلجلة فقد كان الامر بالنسبة له نكتة لكنه لا يملك الا ان يضحك لها · ورفعت والدته حاجبيها فى دهشة فقد كانت تظن ان ابنها سيأخذ هذا الانسان من يده ويلقى به خارج الشقة ونظرت اليه متسائلة عن سر تصرفه الغريب ·

وقال عادل ضاحكا وهو يشير الى بحلق · هل هذا هو الانسان الذي أثار فزعك ·· انظرى اليه جيدا الا تعرفينه انه مكرم الذى حدثتك عنه مرات عديدة · انظرى لقد جاء لك بباقة ورد جميلة هدية لك أليس كذلك يا مكرم · وهز بحلق رأسه موافقا وهو يبتهل الى عادل في صمت ان ينقذه من ورطته الغريبة وقال عادل ضاحكا بعد ان بدأ الهدوء يعود الى امه وصديقه هيا يا مكرم قدم باقة الورد الجميلة لصديقتك العزيزة التى تسألنى عنها دائما ولا تخشى شيئا هل تفهم · وصمت برهة ثم نظر الى امه وصديقه وقال ضاحكا يا لكما من طفلين انتما الاثنين ·

وقدم بحلق باقة الورد الى السيدة العجوز وهو ينحنى امامها بأدب فأخذتها منه وقربتها من انفها وأخذت نفسا عميقا منها وقد بدت السعادة على وجهها · وهنا قال عادل لامه لقد جمعها مكرم من حديقته الصغيرة هل تتخيلين ذلك ·

وقالت الام مخاطبة بحلق الذى كان لا يزال واقفا امامها فى صمت وخجل ارجوك اجلس الى جانبى واغفر لى سلوكى فلم اكن اعرفك · ثم قالت له وهى تتأمل باقة الورود الجميلة بأعجاب شديد لم اكن اتصور انك تزرع هذه الورود الجميلة فى حديقتك · واطرق بحلق فى خجل فى حين قال عادل هل رأيت كم كنت مخطئة فى حق مكرم يا أمى · لقد فزعتمن مجرد رؤيته مثلك مثل كل الناس الآخرين لكنك لم تتيحى له الفرصة ليظهر نفسه على حقيقتها · وصمت ثم قال كمن يخاطب نفسه اننى اعجب من منهما احق بالخوف من الآخر مكرم ام الناس وقال بحلق بخجل شديد لقد جئت لاشكرك على صندوق الحلوى الذى أرسلتيه لى مع تفيده الخادمة ··

صدقيني ان احدا لا يهديني اى شيء • ونظرت اليه السيدة العجوز بعطف شديد ثم قالت ارجوك من الآن فصاعدا اعتبر نفسك مثل عادل تماما واعتبرني انا مثل امك ••

واعتبر هذا البيت بيتك ونظر اليها بحلق بامتنان ولم يستطع ان ينطق بحرف واحد • وناولت السيدة العجوز صحبة الورد لابنها عادل طالبة منه ان يضعها فى اناء به ماء ثم قالت لهوارجوك يا عادل احضر زجاجة كوكاكولا لمكرم فلا شك انه بعد المعاناة التى سببناها له فى حاجة الى ما يرطب به حلقه • وجاء عادل وهو يحمل زجاجة كوكاكولا اعطاها لمكرم الذى بدأ يشرب من السائل البارد واحساسه بالهدوء والطمأنينة ويجو الاسرة الذى يعيشه لاول مرة منذ سنوات بعيدة ومع اناس المفروض فيهم انهم اغراب عنه قد بدأ يظهر على وجهه الذى اكتسى بمسحة هدوء عميقة جعلته أقل دمامة مما يبدو عادة •• وقالت والدة عادل لابنها كنت أقول لمكرم أن يأتى دائما لزيارتنا •

وهنا ضحك عادل قائلا وهو يتذكر وجه مكرم المصاب بالرعب فى اللحظة التى صرخت فيها والدته خوفا منه أشك يا أمى بعد ما سببتيه له من رعب فى انه سيأتى لزيارتك مرة اخرى ثم التفت الى بحلق قائلا وهو ما يزال يضحك اليس كذلك يا مكرم •• لكن الام قالت معاتبة أرجوك يا عادل كف عن المزاح فى هذه الأمور الجادة • لقد قلت لمكرم انه مثل ابنى تماما والابن ينبغى عليه ان يسأل على والدته بين الحين والآخر اليس كذلك يا مكرم • لكن مكرم الذى اغرورقت عيناه بالدموع امتنانا للعجوز كان عاجزا تماما عن الرد على تساؤلها الغريب •

★ ★ ★

كانت عينا البقال الوغد مركزتين فى كراهية واضحة فوق وجه بحلق الغريب وهو يهم بتناول علبة السجائر التى ابتاعها

وباقى النقود من يد البقال الممدودة له تمهيدا لانصرافه الى منزله اذ لم يكن البقال قد نسى بعد ما سببه له بحلق من اهانة بالغة نتيجة الكلام الجاف الذى سمعه من عادل وهو يحذره من محاولة سرقته او استغفاله مرة اخرى ٠ ورغم ان بحلق احس بما فى نظرات البقال من استهجان وكراهية عميقة اعتاد أن يوجهها له فى كل مرة يراه فيها الا انه لم يأبه بها ٠٠

اذ مع الوقت ومن كثرة ما تلقاه بحلق من اهانات تجل عن الوصف فى حياته الغريبة المفزعة تكونت له طبقة سميكة فوق ظهره تشبه تلك الموجودة فوق ظهر السلحفاة طبقة تحميه من الاهانات البالغة الموجهة له ٠ وبينما كان بحلق على وشك الانصراف الى منزله لاحظ ان عينى البقال قد ابتعدتا عنه فجأة واتجهتا وقد اعتراهما تغير ملحوظ الى وجهة أخرى ٠٠ اتجهت اليها عينا بحلق على الفور ليرى الى أى شىء ينظر البقال الوغد ٠ ودق قلب بحلق بعنف بالغ ولمعت عيناه ببريق غريب وهو يرى مرفت قادمةبأتجاههما فى طريقها الى بيتها ٠

كانت مغرية جميلة كعادتها دائما ٠ وكانت تسير دون ان تلتفت الى اى ناحية رافعة رأسها بكبرياء كان يعذبهم جميعا ويجعلهم يركزون أبصارهم عليها فى وله كأنها آلهتهم الجميلة التى يعبدونها على البعد ٠٠ وما كاد واحد من أفراد الشلة الواقفين أمام دكان البقال يلمحها حتى صرخ منبها زملاءه اليها والذين كانوا مشغولين بالضحك والثرثرة كعادتهم بحيث لم يلاحظوها وهى قادمة باتجاههم ٠٠ وقال وهو يتنهد بصوت مرتفع ٠٠ انظروا اليها أليست اجمل انسانة يمكن ان تقع عليها عين رجل ٠

وقال آخر وهو يتفرس فيها بشدة وبشىء من السخرية ترى من أى مكان هى قادمة الآن ·· أراهن أن سيـــارة فارهة أنزلتها بعيدا عن هذا المكان ثم جاءت الى هنا سائرة على قدميها · وقال ثالث هل تعرفون ماذا أريد الآن ليلة واحـــدة معها فقط ثم أموت بعد ذلك · فضربه الثانى على رأسه وهو يقول له ضاحكا وهل تنظر لك انت يا جربوع ·· لقد وصلت الى مستويات عليا انظر الى الملابس الفاخرة التى ترتديها والسيارات الفارهة التى توصلها الى البيت وهنا قال الأول وهو ما يزال يتنهد بشدة وبطريقة أضحكتهم جميعا ربنا يوعدنا ونصبح مثل الناس اللى فوق ·

وظلت عيونهم جميعا مركزه فى جوع فوق وجه مرفت المرفوع فى كبرياء والتى كانت تتحاشى النظر اليهم مباشرة وهى تقترب منهم شيئا فشيئا · اما بحلق فقد اخذ ينظر اليها فى تدله شديد وقد بدت عيناه طافحة بالمشاعر العميقة التي تموج فى داخله · كان يتأمل فى صمت واستغراق جمالها الخارق المستحيل وكأن العالم قد خلا الا منه ومنها وكانت الأحلام تتصاعد من قلبه كطوفان يكاد يغرقه ·· احلام جائعة مجنونة لم تعرف الشبع ابدا · وكان لابد لعيون افراد الشلة ان تلاحظ بحلق المسكين الذى لا ينبغى ان يشعر بأى عاطفة انسانية مثلهم وهو فى هذا الوضع الغريب · انه فى نظرهم ليس رجلا كاملا من حقه ان يحب ويتذوق الجمال لكنه بهيمة انسانية ينبغى ان تسحق عواطفها وتكبت غرائزها · وكيف يمكن لانسان رزئته الطبيعة بأقبح عينين يمكـــن أن تمنحهما لانسان أن يتذوق الجمال ويحس به خاصة اذا كان جمالا متفردا اخاذا كجمال مرفت واستبدت بهم جميعا دهشة غاضبة وهم يركزون بصرهم فوق وجه بحلق الذى كان من فرط استغراقه فى تأمل جمال مرفت الفريد عاجزا عن الاحساس بعيونهم المتلصصة من حوله والتى حوت بالاضافة

الى الغضب المدمر كمية هائلة من الضحك كانت تنتظر اى اشارة بسيطة لتنطلق فى فرقعة مدوية ·

وقال واحد من أفراد الشلة موجها كلامه لبحلق وبطريقة ساخرة مهينة ·· حتى أنت أيضا أصبحت تنظر الى مرفت الجميلة ·· انها لو نظرت الى كل الناس لما نظرت اليك أنت بالذات حتى لو كنت آخر رجل فى العالم · وانفجروا جميعا ضاحكين وقال واحد آخر بنفس اللهجة الساخرة المهينة وعيناه اللتين يركزهما في وقاحة فوق وجه بحلق المسكين مليئتين بطوفان من الضحك ·· ولماذا لا يحبها أليس رجلا مثلنا · فقال الاول بأستنكار شديد وهو يشير الى بحلق بأستهزاء هذا رجل مثلنا ·· ان هذه اهانة لا ارضاها لنفسى ·· انظر اليه انه حيوان ·· ليس اكثر من مجرد حيوان تعيس · ثم انتابتهم نوبة عارمة من الضحك فى الوقت الذى وضعت فيه عيونهم الحاقدة بحلق المسكين داخل قفص لا يمكنه الهروب منه بحلق الذى لم يكن فى مقدوره ان يرد الاهانة الموجهة له والتى احس بها كنصل حاد غرس فى صميم كرامته ورجولته فقط اخذ ينظر اليهم بملامح منحوته فى الصخر ·· ملامح تنطق بمدى الألم الذى يحسه فى داخله ·· أما عيناه الجاحظتان فقد اخذتا توجهان اليهم نظرات متوسلة خائفة ·· نظرات تطلب منهم فى استعطاف أن يرحموا عجزه واحساسه الشديد بالهوان ·· لكنهم لم يكونوا قد فرغوا بعد من تسليتهم الفريدة ·· كان فى جعبتهم مزيد من الضحك ·· واحد منهم قال بلهجة جادة لتثير ضحكهم أكثر ·· لكن لنفرض أن بحلق كسب الجائزة الأولى فى اليانصيب ··

انكم تعلمون انه اشترى ورقة فى الأسبوع الماضى ماذا تظنون أنه يمكن أن يحدث · رد عليه آخر وهو يكاد ينفجر من الضحك حينئذ

تنظر اليه مرفت فهى تعبد النقود · وانفجروا جميعا ضاحكين ونظر اليهم بحلق فى صمت بواحدة من نظراته المتضرعة الخائفة التى لم تحرك عصبا واحدا فى مشاعرهم الجامدة بل على العكس زادتهم اصرارا على تعذيبه والسخرية به وذلك قبل أن يتخذ طريقه عائدا الى منزله ·

كانت مرفت قد سبقته فى الدخول الى الشارع وكانت تسير أمامه ببضعة أمتار وكان هو وراءها يجتر الأحلام المستحيلة التى تموج فى داخله · عيناه لا تملان من التهام جمالها الاخاذ الذى يحرك كل الاشياء النائمة فى قلبه · كان لا يريد اكثر من ان يسير وراءها الى نهاية العالم لكن مرفت المتوجسة منذ لحظة رؤيتها له واقفا أمام البقال أحست بعينيه تخترقان ظهرها فالتفتت اليه وحدجته بنظرة محذرة ارتعدت لها فرائصه وجعلته يفيق من حالة الغيبوبة المسيطرة عليه ويدرك مدى الخطورة فى احساسها بانه يطاردها ومن ثم تباطأت خطواته فى نفس الوقت الذى أسرعت فيه مرفت فى خطوها كى تبتعد عنه ·· وبعد فترة عادت تنظر وراءها من جديد وبرغم أن بحلق كان بعيدا هذه المرة الا أنه كان ما يزال يوتر أعصابها ويبعث فيها حالة خوف عميقة كانت تدفعها للابتعاد عنه ·

ووصلت مرفت الى منزلها وهرولت داخله الى الدهليز الموصل الى سلالم العمارة ·· وقبل أن تصعد التفتت وراءها اذ كان قلبها يحدثها بأنها ستجد تلك الغوريللا الكبيرة واقفة فى انتظارها تحدق فيها بتلك النظرات المفزعة التى تزيد من توتر أعصابها ·· وصح توقعها اذ كان بحلق واقفا امام باب العمارة يحدق فيها بتلك النظرات التى تريد ان تلتهم آخر صورة للجمال الفريد قبل ان يغيب عن ناظريه · ووجهت اليه مرفت نظره ارتجف لها ومن ثم اسرع بالابتعاد خوفا من العواقب المحتملة ·

الغريب ان بحلق الذى يخيف كل الناس هو اكثر من يخاف من الناس لكن لا احد يعلم عنه هذه الحقيقة · وصعدت مرفت الى شقتها وهى ترتجف من الغضب والتوتر وألقت بنفسها فوق أول مقعد صادفها ونظرت اليها امها فى تساؤل عن سر تصرفها الغريب وقالت مرفت فى عصبية شديدة انك لن تصدقيننى اذا قلت لك عمن كان يطاردنى الآن فى الشارع وقالت امها فى فضول من ؟ ··· لا تقولى لى انه عادل ·· اننى لا اتصور ان تبلغ به الجرأة لمطاردتك بعد كل ما حدث له · وقالت مرفت وهى ما تزال ترتجف من الغضب كلا انه ليس عادل بل صديقه الغريب الذى يسمونه بحلق · وهنا رفعت امها حاجبيها فى دهشة وصرخت قائلة بحلق وماذا يريد منك هذا المخلوق البشع وصمتت لحظة ثم قالت ضاحكة لا تقولى انه يحبك هو الآخر · ونظرت مرفت الى امها فى استنكار ودهشة لكن الام اردفت قائلة من يدرى ربما كان معجبا بك ·· ولما لاحظت ان الدهشة لا تزال مستولية على ابنتها تابعت قائلة لا ينبغى ان تدهشك هذه الحقيقة يا حبيبتى ··

ان اقبح الرجال يمكنه ان يحب اجمل النساء لكن المسألة هى هل تحبه المرأة هى الاخرى ام لا · قالت مرفت بلهجة تنم عن الثورة العنيفة التى تعتمل فى داخلها ·· انى لا اريد ان اعرف شيئا كل ما اعرفه هو ان هذا المخلوق البشع يوتر اعصابى ويضايقنى بشكل غير معقول · قالت الام استطيع ان افهم ذلك لكن ماذا فى مقدورنا ان نفعل معه ·· اننا لا نستطيع ان نمنع الناس من النظر اليك طالما انهم لا يتجاوزون ذلك الى مضايقة متعمدة وثقى انه لو فعل ذلك سأعرف كيف اوقفه عند حده · وصمتت لحظة ثم قالت بلهجة مرحة لتبدد غضب ابنتها وتوترها الشديد ·· هيا ادخلى الى حجرتك

وارتدى ثوبا جميلا وضعى بعض الماكياج الخفيف فوق وجهك فلدينا ضيف قادم على الغذاء اليوم ٠

قالت مرفت متساءلة الهذا وضعتى المفرش الابيض وادوات المائدة الفاخرة ٠ لكنك لم تقولى لى من هو القادم على الغذاء اليوم قالت ألام بلهجة مرحـة حـذرى من يكون فاننى لن اخبرك بنفسى وسأدع هذا لذكائك ٠٠ قالت مرفت بعد لحظة تفكير قصيرة اننى لا أدرى ٠ قولى أنت ٠ قالت الأم وهى تشعر بشىء من الخوف والحرج من ابنتها ٠٠ انه شخص تعرفينه جيدا وارجو الا يكون حضورد مزعجا لك ٠٠ انه مراد دعوته على الغذاء وانا اتوقع حضوره بين لحظة واخرى ٠ ومرت لحظة صمت متوتره ارتجف خلالها قلب الام وهى تحاول ان تستشف من ملامح وجه ابنتها ما يدور فى داخلها من مشاعر ٠٠ وأخيرا هدأت أعصابها المتوترة عندما رأت وجه ابنتها ينبسط وثغرها يفتر عن ابتسامة خفيفة وهى تقول لها بلهجة عادية تماما ولماذا يزعجنى حضور مراد يا امى ٠٠ انه امر يخصك وحدك ٠ ثم اننى كنت اتوقع ان تدعيه على الغذاء يوما ما٠ واحست الام بفرحة غامرة تستولى عليها وبأمتنان حقيقى لموقف ابنتها المتفهم لسلوكها ودوافعها فاحتضنتها فى حنان بالغ وطبعت قبلة على جبينها وهى تقول لها بسعادة واضحة كنت متأكدة انك ستتصرفين على هذا النحو يا مرفت ٠٠ من الآن فصاعدا سنصبح صديقتين من جديد اليس كذلك ٠

قالت مرفت بلهجة اقرب الى البرود والتصنع لكننا لم نكن عدوتين من قبل يا امى ٠ واحست الام انها كسبت ابنتها الى صفها وانها لن تعترض بعد الآن على أى تصرف من تصرفاتها ٠٠ وامتلأ قلبها بسعادة حقيقية لان ابنتها الصغيرة اصبحت امرأة ناضجة فاهمة لحقائق الحياة وعلى استعداد لقبولها بأقتناع تام ٠ وقالت

الام بلهجة مراهقة صغيرة لا تستطيع السيطرة على عواطفها بل تتركها تعبر عن نفسها بفجاجة طفولية ارجوكى يا مرفت عندما يحضر مراد قابليه بترحاب يجعله ينسى ما حدث منك فى المرة السابقة قالت مرفت وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة من عواطف امها المشبوبة التى بدت اشبه بطالبة فى مدرسة ثانوية تحب لاول مرة فى حياتها ٠٠ حسن سأفعل ذلك من اجلك انت وليس من اجله هو ٠

وفجأة تنبهت الام الى اللفافة التى احضرتها ابنتها من الخارج فمدت يدها فى لهفة وفضتها ٠ وظهرت ملامح الانبهار على وجهها وهى ترى البلوفر الصوفى ذا الوبرة الناعمة ومدت يدها وأخذته وبدأت تقيسه على صدرها فى سعادة ٠ ثم تناولت القطعة الأخرى وهى تقول لابنتها وملامح الاعجاب بادية على وجهها ٠ وما هذه الجيب الرائعة لابد انها كلفتك مبلغا كبيرا ٠ وصمتت برهة قالت بعدها وهى تتجنب النظر الى عينى ابنتها احساسا منها بأنهما لم تتصارحا بعد بما فيه الكفاية ٠٠ وانهما مازالتا تمثلان دورا سخيفا اولى به ان ينتهى ٠٠ لكن الا تعتقدين انك ستثيرين حسد زميلاتك فى الكلية بهذه الملابس الغالية التى ترتدينها ثم انها يمكن ان تثير من حولك الاقاويل اذ سيتساءل الجميع من اين تأتى بالنقود التى تشترى بها هذه الملابس الغالية ٠

قالت مرفت وهى تنظر الى عينى امها فى جرأة شديدة لا اعتقد ان ملابسى ستثير حسد زميلاتى فى الكلية هل تعرفين لماذا لانهن جميعا يرتدينها وصمتت برهة أردفت بعدها قائلة وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة لكن الغريب ان احدا حتى الآن لم يسألهن عن مصدر النقود التى يشترين بها هذه الملابس الغالية ٠٠ وتلاقت عينا مرفت مع عينى امها فى لحظة صدق احست كل منهما خلالها انها تفهم الاخرى

تماما وان القناعين الموضوعين فوق وجهيهما قد سقطا الى الابد٠
ثم اردفت مرفت قائلة بنفس لهجتها الساخرة اما بخصوص سمعتى
فأطمئنى تماما اذ لم يعد هناك احد الآن يحاسب الآخرين على
سلوكهم او يسألهم من اين يأتون بالنقود التى ينفقونها ٠٠ الجميع
اصبح يؤمن بحقه فى ان يعيش ويستمتع بالحياة دون ان يعبا
برأى الآخرين فيه ٠

ثم عادت تحدق فى عينى امها بتلك النظرات الجريئة الوقحة
التى جعلتها تلزم الصمت وتوافق على كل ما تقوله ابنتها دون
مناقشة ٠ وقالت الام فى مرح وهى تعبث باللفافة الخاوية وانا
الم تحضرى لى شيئا معك ام تراك نسيتى امك العجوز ٠ قالت مرفت
بلهجة احتجاج أرجوكى يا امى أن تكفى عن وصف نفسك بانك
عجوز حتى على سبيل المزاح فأنت تعرفين تماما انك مازلت شابة
وجميلة ولك معجبون كثيرون واولهم مراد ٠

قالت الام ضاحكة حسن ماذا احضرت لامك الشابة الجميلة٠٠
ام يمكننى ان اقول اختك الكبيرة ٠ ضحكت مرفت وهى تقول احضرت
لاختى الكبيرة الجميلة زجاجة بارفان مستوردة ستعجبها كثيرا ٠
ثم مدت يدها داخل حقيبتها واخرجت علبة صغيرة من الكرتون
ناولتها لامها وهى تقول لها ضاحكة وهل استطيع ان انسى امى
الحبيبة خصوصا بعد أن أصبحنا صديقتين وأصبحت كل منا تفهم
الأخرى تماما ٠ واحتضنت الام ابنتها فىحنان وقبلتها فوق جبينها
وهى تقول لها آه يا مرفت كم انت رائعة انك لا تنسين شيئا على
الاطلاق ٠ وصمتت برهة ثم قالت هيا ادخلى الى حجرتك وغيرى
ملابسك واستعدى لحضور مراد وافعلى كما قلت لك هل تفهمين ٠
وقبل أن تدخل مرفت الى حجرتها التفتت الى امها وسألتها وقد

ظهرت تقطيبه واضحة فوق جبينها ·· بالمناسبة كيف حال بابا اليوم ·

قالت الام بلهجة باردة انه يتقدم بسرعة ·· قبل ان تحضرى بقليل كان يستمتع بأشعة الشمس وهو جالس فى البلكونة · قالت مرفت هل تظنين أنه سيعترض على وجود مراد على الغذاء اليوم بعدما أخبرته عنه بتلك الأشياء السخيفة ·· ضحكت الأم بصوت مرتفع استنكرته مرفت فى قرارة نفسها ثم قالت لابنتها فى ثقة ·· اطمئنى انه لن يعترض اذ اننى اخبرته بقدوم مراد على الغذاء اليوم وسألته اذا كان ذلك سيضايقه فتصورى ماذا كان رده · قال ولماذا اتضايق من مجيئه الى بيتى اذا كان هذا ما تريدين·· اننى اثق بك ثقة عمياء ولا اتصور ان تنظرى الى رجل آخر سواى· وابتسمت مرفت فى سخرية وهى تقول انه ابى فعلا وهو لن يتغير ابدا ·· مازال يحسن الظن بكل الناس · وصمتت برهة قالت بعدها بلهجة حزينة ليتنى كنت مثله امتلك كل هذه الثقة بالعالم ··

اذن لاسترحت كثيرا · لكنها فى قرارة نفسها قالت ليته لم يثق بنا نحن الاثنتين اذن لربما كان حالنا افضل اليوم · ودخلت مرفت الى حجرتها وغيرت الرداء الذى قدمت به من الخارج ووضعت مكياجا جديدا فوق وجهها ثم استلقت على ظهرها فوق الفراش تنتظر قدوم مراد · وعندما سمعت جرس الشقة يرن قفزت من فوق الفراش ووقفت أمام المرآة تطمئن على مظهرها العام قبل أن تخرج الى الصالة حيث كان مراد واقفا وهو يمسك بيدى امها بطريقة خاصة تشى بنوع العلاقة بينهما · وعندما نظر مراد الى وجه مرفت المبتسم أحس بسعادة كبيرة لذلك اذ أدرك أن الأم استطاعت أن تروضها بشكل أو بآخر وأيقن أن دخوله الى هذا البيت سيتم دائما

فى هدوء تام كان يخشى ألا يجده اذا لم توافق مرفت على سلوك امها ٠

وبعد أن اخذت عيناه المركزتان فوق وجه مرفت الجميل هذا الانطباع المؤقت الذى بعث براحة حقيقية الى نفسه بدأتا تلتهمان جمالها الشاب المثير الذى كان يغريه دائما دون أن يجد الجرأة للافصاح عنه صراحة حتى لا يغضب الام فيخسر المرأتين معا ٠ وما ان مدت مرفت له يدها مرحبة حتى راح يضغط فوقها بطريقة خاصة حاول بها ان يعبر عن احساسه تجاهها والذى يتجاوز مجرد العلاقة البريئة ٠

ثم قال لها ضاحكا وما زالت عينـاه تلتهمان جمالها المثير الآن استطيع ان اطمئن تماما عندما آتى الى هذا البيت ٠ هل تتصورين اننى كنت أخشى طول الوقت أن تقذفى بى من فوق السلم كما فعلت فى المرة الماضية ٠ قالت مرفت ضاحكة اطمئن يا مراد فهذا لن يحدث طالما أنت تحسن السلوك ٠٠ قال بخبث وهو ينظر الى عينيها أن هذا يتوقف على معنى السلوك أليس كذلك ٠٠ كان مراد يحمل علبة كبيرة من الكرتون اعطاها للام التى ناولتها بدورها الى مرفت طالبة منها أن تضعها فى حجرة الطعام ٠٠ ثم اتجهت ناحية حجرة زوجها المغلقة ونادت بصوت مرتفع حتى يسمعها وهو جالس داخل الحجرة ٠٠ محمود تعالى على الفور مراد وصل ويريد ان يسلم عليك ٠ وفتح باب الحجرة وظهر الرجل العجوز وهو يسير متباطئا فـوق قدميه الهزيلتين ومـلامح المرض بادية على وجـهه الابيض الشاحب الذى نبتت لحيته البيضاء فبدا أشبه بوجه شخصية من شخصيات قصص الاطفال ٠

كان يريدى روبا من الصوف ويضع قلنسوة من الصوف فوق رأسه كذلك · وكان ينتعل خفا سميكا يدفىء قدميه وقد بدا سعاله متحشرجا كأنه سيخرج للمرة الاخيرة من هذا القفص الصدرى الذى هده الهزال الشديد فبدا أشبه بصدر مومياء عتيقة ·· وبين الحين والآخر كان يخرج منديلا من جيبه ويسعل بشدة ثم يبصق كمية كثيفة من البلغم تجمعت فى فمه وكانت عيناه العسليتان الشديدتا الصفاء والمليئتان بالدفىء والطيبة المتناهية تكادان تكوناهما الشىء الحى الوحيد فى وجهه الشمعى الشاحب وهما تلمعان خلف العدسات الشفافة لمنظاره الطبى · ومد العجوز يدا مرتعشة صافح بها مراد وهو يدعوه بطيبة متناهية للجلوس الى جواره على الاريكة · وتوجهت الام والابنة لاعداد مائدة الطعام · وبعد ان فرغوا من الاكل عادوا من جديد للجلوس فى صالة البيت واقبلت الام تحمل اطباقا صغيرة بها قطع من الكعكة الكبيرة التى احضرها مراد معه · ودفعت الزوجة بطبق منها الى زوجها وهى تقول له فى زهو خذ ذق قطعة من الكعكة التى احضرها مراد معه وقل لنا رأيك فيها ··

ان شكلها يبدو مغريا اليس كذلك · ولمعت عينا العجوز كطفل صغير وهو ينظر فى شراهة الى قطعة الكعك المغرية ثم قطع منها قطعة صغيرة بالشوكة وضعها فى فمه واخذ يلوكها فى استمتاع شديد · ثم قال موجها الكلام الى زوجته التى كانت تنظر اليه فى ترقب منتظرة رأيه فيها ·· انها حقا لذيذة وطازجة ايضا · وهنا قال مراد فى زهو وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة · اذا كانت قد أعجبتك حقا ولم تكن مجاملا لى فانا أعدك بان احضر لك منها فى كل مرة آتى فيها لزيارتك فأنا أعرف محلا يبيعها دائما طازجة ·· وصمت برهة ثم قال ضاحكا على فكرة سألاعبك اليوم ماتش طاولة وسأهزمك فيه لاعوض هزائم المرات السابقة ·

ثم التفت الى الزوجة قائلا وهو يغمز بعينيه زوجك يا سيدتى لاعب طاولة لا يبارى وأنا لست ندا له لكنى سأحاول على أى حال أن أهزمه ٠٠ وضحكوا جميعا وانسحبت مرفت الى حجرتها بعد فترة من الوقت مدعية أنها تريد أن تستريح بعد الغذاء ٠٠ وجاءت الطاولة وظل الرجلان يلعبان حتى بدأ الارهاق والنعاس يأخذان طريقهما الى وجه العجوز حيث راحت عيناه تنفتحان وتنغلقان دون أن يتمكن من السيطرة عليهما ٠

وكثر تثاؤبه وبدأت رأسه تميل على كتفه وهنا ايقن مراد ان اللحظة قد اصبحت مناسبة ليتخلص من العجوز وتبادل مع الزوجة نظرة خاصة قال بعدها للرجل بلهجة حاول ألا تثير أى قدر من الريبة لديه ٠٠ اظن ان ميعاد نومك قد حان الآن ٠٠ ارجوك لا تتحرج فى الدخول الى حجرتك لتستريح ولا تحمل هما لى فأنا لا أنام عادة بعد الظهر ثم اننى فى بيتى أليس كذلك الا اذا كنت تعتبرنى ضيفا ٠ وهنا قال العجوز فى شهامة ابتسم لها مراد اذ كان يتوقعها منه كلا بالتأكيد انك لست ضيفا على الاطلاق واظن اننى متعب فعلا وفى حاجة الى الراحة ٠٠ ولمعت عينا الزوجة والعشيق فى سعادة بالغة بذلا مجهودا كبيرا كى يخفياها عن عينى العجوز اللتين بدتا لهما كما لو كانتا عينين من زجاج شفاف لا يوجد فوقهما شيء على الاطلاق سوى تلك الطيبة المتناهية التى تدعو الى الرثاء ٠

وكتمت المرأة وصديقها الضحك الذى كاد يخنقها حتى توارى العجوز داخل حجرته ثم سمحا له بالانطلاق ٠

وقال مراد وهو يتنهد فى سعادة اخيرا اصبحنا وحدنا ٠ وربت على الاريكة يدعو المرأة التى كانت فى قمة فتنتها وتألقها

والتى لم تكن اقل منه رغبة فى الحب كى تأتى وتجلس الى جواره على الأريكة ‥ وبسرعة كانت مستقرة الى جانبه لا يمنعها شىء على الاطلاق من لظهار عواطفها المشبوبة ناحيته لا الخوف ‥ او الخجل فزوجها نائم فى حجرته المغلقة عليه وابنتها مستلقية على الفراش فى حجرتها وكل شىء فى هذا البيت اصبح يسير منذ فترة من الوقت فى طريقه الطبيعى المرسوم له بعد ان حدث نوع من التفاهم الصامت بين اصحابه فكل انسان حر فى ان يفعل ما يشاء طالما انه لا يصرخ بذلك فى وجوه الآخرين او يسبب لهم ازعاجا لا يحتمل وطالما ان اعمدة البيت مازالت باقية تحمل السقف فوق رؤوسهم جميعا حتى لو كان سقفا من مشاعر مزيفة ·

آه ما اعظم التفاهم بين الناس انه سر الحياة المستقرة السعيدة هكذا كانت تقول المرأة لنفسها وهى تقترب اكثر من مراد وحواسها تتحفز كمخالب قطة على وشك ان تمزق قطعة من اللحم‥ نظراتها جائعة وهى تلتهم بها شباب صديقها ووسامته واقتربت منه أكثر فمال عليها وقبلها بنهم فى شعرها ثم ضمها بقوة الى صدره حيث غابت تماما فى احضانه وتبادلا بضع قبلات محمومة· وفجأة رن جرس باب الشقة فأنفلتت المرأة مذعورة من بين ذراعى صديقها اللتين كانتا تحاولان التشبث بها دون جدوى اذ سيطرت على المرأة حالة خوف عميقة وهى تتسائل عمن يكون القادم فى هذه الساعة غير المناسبة للحضور ·

وتقدمت المرأة صوب الباب وهى تحاول السيطرة على اعصابها المشدودة حيث كان الجرس مستمرا فى الرنين المزعج · كانت يدها المرتعشة تحاول أن تساوى خصلات شعرها المشعثة التى عبثت بها أصابع صديقها وكذا ردائها الذى تهدل من الخلف ‥ وفتحت المرأة

الباب لتفاجأ بالمرضة تقول لها في اعتذار بعد ان رأت علامات الضيق والدهشة مرتسمة على وجهها ·· اننى آسفة للازعاج فأنا أعلم اننى جئت في وقت غير مناسب للزيارة لكن صدقينى انه الوقت الذى استطيع أن اضمن فيه وجود مرفت فى البيت وبالمناسبة هل هى موجودة · وأشارت الأم الى حجرة ابنتها المغلقة وقالت لضيفتها المزعجة انها نائمة على ما اظن ·· على اى الاحوال يمكنك الدخول اليها وايقاظها من النوم ·

كانت مرفت راقدة فى فراشها فعلا فى تلك اللحظة ترتدى غلالة نوم شفافة تبرز جمال جســمها الابيض الاخاذ بينما كان شعرها الاشقر الجميل يرقد فوق الحشية كانه شلال من نور وعندما أحست بالمرضة تدخل عليها وهى تتسحب على أطراف أصابعها كى تفاجئها وهى نائمة فتحت عينيها الزرقاوتين وما زال النعاس يطل منهما وافتر ثغرها عن ابتسامة كسولة مغرية استلقت بعدها على ظهرها وقد بدا وجهها فى مواجهة عينى المرضة التى كانت تنظر اليها فى اعجاب شديد لا يخلو من غيرة من جمالها الأخاذ والتى قالت لها ضاحكة الى متى ستضيعين حياتك فى النوم ايتها الكسولة ··

شابة جميلة مثلك تنام بعد الظهر اننى لا اصدق ذلك · ولما رأت ان مرفت لا تزال تحدق فيها بتلك النظرات شبه النائمة اردفت قائلة هيا استيقظى ودعى الكسل جانبا ·· فهناك كلام كثير اود ان اقوله لك · قالت مرفت بصوت نائم كعينيها دعينى نائمة ارجوكى فاننى أشعر بتعب شــديد وأريد أن أستريح بعض الوقت ·· ثم ماذا تريدين منى الآن · نظرت المرضة الى جسم مرفت العارى الأبيض الذى يتقلب أمامها بلا حرج والى الانوثة التى تتفجر منه

ثم قالت وعيناها تلمعان بطريقة غريبة الآن وبعد ان رأيت جسمك الرائع هذا أدركت سر اعجاب الرجال بك ٠ ثم مدت يدها وراحت تهز جسم مرفت فى مرح وهى تقول لها هيا ارتدى ملابسك ولا داعى لهذا الكسل فأنا وأنت وراءنا مشوار هام جدا ٠٠ فقالت مرفت مستنكرة وقد بدأت تتنبه لكلام المرضة ٠٠ مشوار ٠٠ الآن ٠٠

هل تنسين أن ورائى مذاكرة ٠ قالت المرضة فى صوت شبه آمر ٠٠ ستذاكرين بعد ان نعود من المشوار ٠ ثم ابتسمت قائلة لتشجيع مرفت على النهوض ٠٠ انهم أكثـر ثراء من رفاق المرة السابقة وسيدفعون أكثر منهم ثم لا تنسى اننى وعدتهم بالحضور بعد ساعة من الآن ٠٠ هيا قومى من النوم ولا تكونى كسولة ٠ ثم ضربتها فوق مؤخرتها بمرح فتأوهت مرفت فى دلال ونهضت من الفراش ووقفت تتأمل نفسها فى اعجاب أمام المرآة قبل أن تبدأ فى ارتداء ملابسها استعدادا للخروج ٠٠ ونظرت اليها المرضة طويلا ثم قالت بصوت حالم لتثيرها وتشحذ خيالها ٠٠

هناك مفاجأة سأقولها لك ونحن فى الطريق ٠٠ مفاجأة ستحقق لك كل احلامك القديمة ٠ وفرغت مرفت بسرعة من ارتداء ملابسها وعمل مكياج كامل لوجهها اصبحت مع الوقت تجيده فى اقصر وقت ممكن ٠ وقالت لها المرضة وهى تنظر اليها باعجاب شديد٠٠ انك حقا كنز يا مرفت ٠٠ صدقينى انا وانت سنصنع معا اشياء رائعة ٠ ثم تبادلت معها نظرة ذات مغزى ضحكت لها المرأتان من قلبيهما قبل أن تتخذا طريقهما الى خارج الحجرة ٠ وبينما كانتا فى طريقهما الى باب الشقة استوقفتهما الام التى كانت جالسة مع مراد وسألتهما عن المكان الذى ستذهبان اليه ٠ فقالت مرفت بعد لحظة تردد قصيرة حاولت خلالها ان تعثر على اجابة مناسـبة

محاسن تريد شراء بعض الملابس وهى تريدنى ان اصحبها لنشاهد الفتارين معا ·

ونظرت اليهـا الام فى ريبة لكن مرفت قابلت نظرات امهـا بعينين مليئتين بالتحدى مما جعلها تســارع بالقول وهى تبتلع شكوكها الواضحة حسن يمكنك ان تذهبى معها على الا تتأخرى كثيرا فى المساء فانا اعرف مشاويركما وكم تطول ·

قالت العبارة الاخيرة بلهجة ذات مغزى واضح وهى تنظر مباشرة فى عينى ابنتها التى قابلتها بنوع من اللامبالاة مما جعل الأم تشيح بوجهها بعيدا عنها، وكأنها لا تجـد جـدوى فى هذه التمثيلية السـخيفة التى تلعبها امام ابنتهـا · وسألت مرفت صديقتها وهما تهبطان الدرج عن نوع المفاجأة التى وعدتها بها · فقالت المرضة وهى تنظر الى عينى مرفت بعمق وبصوت ذى نغمة موحيه ·· هل ما زلت تذكرين ما قلته لك فى المرة السابقة عن الرجل الذى سيحقق لك كل احلامك حسن انه موجود الآن وعلى استعداد لأن يدفع خمسمائة جنيه مرة واحدة ·

ونظرت اليها مرفت بدهشة وصاحت وكل خلجة فى وجهها تنطق بالسعادة التى استولت عليها خمسمائة جنيه مرة واحدة يا له من مبلغ كبير لكن ماذا يريد منى مقابل ذلك · فنظرت اليها المرضة فى استنكار وقالت لها انك بالتأكيد تعرفين ماذا يريد منك فلا داعى للتخابث معى · قالت مرفت لكنى لا استطيع ان اعطيه ما يريد ·· لا استطيع · قالت المرضة بلهجة صارمة بل تستطيعين اذا اردتى ذلك · وصمتت برهة ثم قالت لها وهى تنظر بعمق فى عينيها فى محاولة لقهر ارادتها ·· ثم لماذا تظنين انه

سيدفع هذا المبلغ الكبير الا مقابل هذا الشىء الذى لا تعطيه الفتاة بسهولة ٠

قالت مرفت فى خوف وتردد لكنى لم افعل هذا الشىء حتى الآن ٠ قالت المرضة وهى تضحك وهو لهذا السبب بالذات سيدفع لك هذا المبلغ الكبير ٠ وصمتت برهة ثم قالت وهى تنظر مباشرة الى عينى مرفت فى محاولة لاغراءها على القبول ٠ هل تظنين انك الاولى التى فعلت او على استعداد لان تفعل ذلك ٠ صدقينى يا حبيبتى ان هناك آلاف الفتيات فعلن ذلك او هن على استعداد لان يفعلنه فى مقابل هذا المبلغ الكبير من المال ٠٠ اننى اعرف فتيات غيرك على استعداد لقبول ما اعرضه عليك الآن غير انى افضلك أنت لانك أول من فاتحتهن فى هذا الموضوع ثم لأنى أعرف انك بحاجة الى المال فأنت جميلة وتلزمك نفقات كثيرة لتكونى دائما فى الصورة التى تريدنها لنفسك ٠

قالت مرفت وهى ما تزال خائفة مترددة ارجوكى اعطنى فرصة لافكر ٠ قالت المرضة حسن سأعطيكى هذه الفرصة لكن لا اكثر من بضعة ايام والا فسأضطر لاســـتبدالك بفتاة اخرى فالرجل لن يظل منتظرا الى الابد ٠٠ كانت المرأتان تسيران فى الشارع عندما وصل الحوار بينهما الى هذا الحد فأشارت الممرضة الى سيارة تاكسى حملتهما الى المشوار الجديد الذى اصبح يتكرر كثيرا فى حياة مرفت بعد ان دخلت الى حياتها الممرضة اللعوب الحسناء ٠

★ ★ ★

ان الشلة التى تقف على ناصية الشارع الذى يسكن به عادل لا تختلف عن اية شلة اخرى تجدها عند ناصية اى شارع آخر

مشابه · انها مكونة من خمسة من الاصدقاء الشبان فى مقتبل العمر · طلبة مفلسون كالعادة وفى قلوبهم نفس العطش الى الحياة والحياة بالنسبة لهم ·· ان لم يكن على سبيل الممارسة الفعلية فعلى الاقل على سبيل الاحلام تعنى النساء والسيارات المسروقة التى يلهون بها بعض الوقت ثم يتركونها فى احد الشوارع الجانبية والسهرات الصاخبة فى الملاهى الليلية والطعام الجيد والضحكات من القلب ومعاكسة باقى مخلوقات الله وبالطبع الرســـوب فى امتحانات آخر العام وايضا عدم حمل ايه مسؤلية على الاطلاق فالمسؤلية كلها يحملها الآباء الذين يكدحون من اجل اعالتهم · ان افراد الشلة جالسين الآن الى طاولة رخامية صغيرة فى تراس المقهى الكبير الذى تعودوا قضاء فترة بعد الظهر به والذى يطل على الشارع العريض الذى يمر به قطار المترو وتعدوا حتى ساعة متأخرة من الليل آلاف السيارات التي تملأ الشارع بالصخب هى وذلك العدد المهول من البشر ·

كانوا يضحكون كالعادة عندما اقبل عليهم الجرسون دون ان يطلبوا منه الحضور · ووقف امامهم وقد راح يحدق فيهم بنظرات فيها استهانة واضحة بامرهم ان لم يكن احتقار حقيقى لهم يفشل دائما فى اخفاءه عن انظارهم هذا على فرض انه يبذل ايه محاولة على الاطلاق لاخفاءه فهذه الشلة من الشبان المفلسين لا تطلب شيئا سوى ارخص مشروب يقدمه المقهى وهو الشاى وهم لا يدفعون بقشيشا على الاطلاق لذلك الجرسون المسكين الذى لا يسلم من السنتهم الحداد ومحاولتهم الدائبة فى السخرية منه · ثم يضاف الى هذا كثرة طلباتهم التى لا تعدو ان تكون عشرات من اكواب الماء المثلج يطلبونها طول الوقت ثم يقذفون الجرســون بسيل من الشتائم والسخرية ان لم يحضرها لهم ·

وروضع الجرسون يديه فى وسطه على سبيل التحدى واطلق تنهيدة عميقة تدل على مدى تأففه الشديد منهم ثم خاطبهم قائلا بلهجة جافه اننى لن اظل واقفا طول الوقت كى تقولوا لى ماذا تريدون هيا اتفقوا على رأى واحد وخلصونى . ونظر اليه واحد من أفراد الشلة باحتقار وقال له اننا نفكر ماذا نطلب أليس لديك صبر . وهنا قال الجرسون ساخرا وهل عمركم طلبتم غير الشاى . علام تفكرون اذن . ضحك افراد الشلة وقالوا فى نفس واحد معك حق كيف فاتنا هذا .

حسن احضر لنا خمسة اكواب من الشاى وعشرة اكواب من الماء المثلج . واستدار الجرسون عائدا الى داخل المقهى وهو يبرطم بشتائم مكتومة ينفس بها عن غضبه الشديد . قال واحد من أفراد الشلة هـذا الجرسون الوقح ينبغى أن يؤدب لهجته ليس فيها اى احترام على الاطلاق . ورد عليه آخر قائلا ولماذا تريده أن يحترمنا ونحن لا ندفع له بقشيشـا واذا فعلنا لم يزد هـذا البقشيش عنقرش واحد لكن لو اننا منحناه بقشيشا سخيا . لو رأى مع واحد منا مرة واحدة حافظة متخمة بالنقود لاحترمنا بالتأكيد . وهنا قال الأول بعصبية وضيق هل معنى ذلك أن من لا يملك حافظة متخمة بالنقود لا يحظى باحترام الآخرين له .

قال الثانى لقد قلتها بنفسك . قال الأول وقد زادت عصبيته وبدا الضيق على ملامح وجهه حسن سأمتلك حافظة متخمة بالنقود حتى لو اضطررت الى سرقتها طالما ان هذا هو ما يريده الناس . وأشار واحد من أفراد الشلة الى رجل متقدم فى السن يجلس وحيدا الى طاولة فى آخر التراس وامامه زجاجة بيرة وبضع اطباق من

المازة وقال بحسرة شديدة اراهن ان حافظة هذا الرجل العجوز متخمة بالنقود وانه لا يعرف ماذا يفعل بها ٠٠

هل تتصورون انه يأتى كل يوم ليلعب الطاولة مع شلة من العواجيز امثاله طول فترة الصباح ولا يفعل شيئا آخر على الاطلاق٠ وضحك واحد من افراد الشلة قائلا وماذا تريد منه ان يفعل ٠٠ ان كل ما يقدر عليه الآن هو ماتش طاولة لا أكثر ٠٠ ولو جئت له باجمل امرأة لما أثارته بقدر ما تثيره قشاطات الطاولة ٠
وقال آخـر اذن ما فائدة النقود بالنسبة له ٠٠ قال الأول بمـرارة شـديدة لا شىء على الاطلاق انها تبقيـه فقط على قيد الحيـاة ليأتى هنا كل صبـاح ويلعب ماتش طاولة ٠٠ لكـن تصوروا لو أن معنا نقـود هـذا الرجل ماذا كان يمكننـا أن نفعل بها ٠٠ قال واحد من أفراد الشلة بسخرية شـديدة هذه الدنيا عجيبـة حقا انها تمنح الناس النقود بعد أن يصبحوا فى غير حاجة اليها ٠٠ اما فى بداية حياتهم عندما يكونون قادرين على الاستمتاع بكل النقود التى يمكنهم الحصول عليها فان الحياة تضن عليهم بها ٠ وجاء الجرسون ووضع امام افراد الشلة اكواب الشاى السوداء التى طلبوها ٠ ورشف واحد من افراد الشلة من كوب الشاى ثم صرخ من اعماقه اخ ما هذا الشاى اللعين ان طعمه يشبه منقوع الفئران ٠ ثم بصق ما فى فمه على الأرض ٠ وقال آخر بعد ان ذاق طعم الشاى انه بارد ومر كالعادة ٠ ثم قال بضيق شديد لقد سئمت هذه القهوة اللعينة وكل ما يقدمونه فيها ما رأيكم لو نغادرها الى اى مكان آخر فى العالم فهو لن يكون اسوأ منها٠

فقال الاول ساخرا ان اى مكان آخر سـيكون شبيها بهذا المكان ٠٠ نفس الجرسون الوقح ونفس الشاى الاسود البارد فلماذا

نكلف انفسنا عناء الانتقال ٠ وهنا قال صاحب الاقتراح بعصبية انا اعنى مكانا مختلفا وليس مجرد مقهى آخر ٠

فقال واحد من افراد الشلة ساخرا وهل معك نقود لهذا المكان الاخر الذى اتصوره ناديا ليليا مثلا وهذا يتكلف الكثير ٠ قال صاحب الاقتراح وهو يخفض بصره الى الارض معى خمسة وثلاثون قرشا ٠ فأطلق الآخر ضحكة عالية وهو يقول بسخرية شديدة انها لا تكفي ثمنا لفنجان قهوة هناك ٠ قال صاحب الاقتراح بحماس نستطيع ان نجمع نقودنا ونعطيها لواحد منا كى ينفق منها طول المساء واذا اقتصرنا على زجاجات الكوكاكولا أمكن لهذه النقود أن تكفينا جميعا ٠ ثم التفت الى افراد الشلة قائلا فى حماس شديد هيا اخرجوا ما فى جيوبكم ودعونا نحصيها ٠ وعدوا النقود فوجدوها حوالى ثلاثة جنيهات فقال واحد من أفراد الشلة انها تكفينا لكى نذهب الى سينما فى وسط البلد ونتناول وجبة عشاء خفيفة ٠ هل تعرفون انهم يعرضون فى احدى دور السينما فيلم جيمس بوند الجديد إنه رائع كما يقولون ٠

قال صاحب الاقتراح بعصبية واضحة انكم لم تفهمونى حتى الآن ٠٠ اننى أريد أن نخرج من هذا الاطار الجامد لحياتنا ٠٠ أريد شيئا جديدا لم نفعله من قبل ٠٠ شيئا مثيرا ٠ فقال واحد من افراد الشلة ساخرا ما رأيكم فى سندوتشات فول ونذهب الى الحديقة لنأكل ونهرج بعض الوقت ٠ قال صاحب الاقتراح وقد زادت عصبيته ارجوك كف عن السخرية اننى اريد نساء ٠٠ شراب مكانا به حياة هل تفهمون ملهى ليلى والا فلنبق فى هذا المكان ولا نغادره ٠ فى هذه اللحظة توقفت سيارة سبور انيقة امام باب المقهى ونزل منها شابان سرعان ما اختفيا داخل البار الموجود فى المكان المسقوف

من التراس ونظر اليهما افراد الشلة بحسرة شديدة لا تخلو من بعض الاعجاب اذ كان الشابان يمثلان فى نظرهم كل ما يفتقدونه فى حياتهم ٠

وقال واحد من افراد الشلة وهو يتأمل السيارة الجميلة الغالية الثمن باعجاب شديد ٠ هذه هى الحياة التى ينبغى أن يعيشها الانسان ٠٠ لا ريب ان اباه غني جدا ليشترى له هذه السيارة الغالية الثمن ٠٠ انه شاب مثلنا ولا يستطيع بالتأكيد ان يشترى هذه السيارة بنقوده الخاصة ٠ فقال آخر وهو يتنهد بحسرة شديدة اتمنى لو كان ابي غنيا مثل ابيه يلعن ابوه يلعن كل الاباء الذين على ظهر الارض ٠٠ هل تعرفون ٠٠ أحيانا أحس اننى أريد أن امسك بخناق ابى وان اظل اضربه حتى يموت فى يدى على الاقل ليكف عن انجاب أطفال آخرين ٠

قال العبارة الأخيرة ثم ضحك بصوت مرتفع مليء بالمرارة ٠٠ وهنا قال آخر من أفراد الشلة أما أنا فلن أنجب أطفالا على الاطلاق عندما أتزوج يكفى ما رأيناه نحن من الحياة ٠٠ ورد عليه ثالث قائلا أما أنا فسأنجب بعد أن أصبح ثريا ٠٠

فقال له الأول مازحا ومن الذى سينجبهم لك ٠٠ وضحكوا جميعا وهنا قال الشاب الذى يريد أن يضرب أباه حتى الموت لنتكلم كلاما جادا ٠٠ ماذا يفعل المرء لكى يصبح ثريا ؟ ٠٠

قال واحد من أفراد الشلة كأنه يحلم ٠٠ هل تعرفون ماذا أريد أن أفعل الآن لو أن معى نقودا كافية ٠٠ أدخل الى هذا المطعم وأطلب فرخة كاملة وزجاجة بيرة مثلجة وأظل آكل حتى أشبع ثم

أدخل الى البار وأتناول ثلاثة كئوس من الويسكى ثم أخرج الى الشارع لاصطاد امرأة جميلة أصحبها معى الى البيت ..

فقال آخر بنفس اللهجة الحالمة المليئة بالمرارة .. أما أنا فأريد زوجة جميلة وشقة فى عمارة على النيل وسيارة أنيقة تقف أمام الباب .. فرد عليه ثالث قائلا : أما أنا فأحلامى متواضعة للغاية مجرد جاكتة شمواه وبنطلون جينز جديد ..

صرخ فيهم من أثار التساؤل فى أول الأمر وأطلق كل أحلام اليقظة المكبوتة فى داخلهم .. أن ما تقولونه سخف لن يوصلكم الى شىء على الاطلاق ومن العبث أن تنقضى حياتكم على هذا النحو مجرد أحلام يقظة لن تبعدكم سنتيمترا واحدا عن هذا المقهى اللعين .. فكروا فى طريقة حقيقية للثراء ثم تأكدوا أن جميع أحلامكم ستتحقق عندئذ ..

قال واحد من أفراد الشلة هناك ألف وسيلة لذلك .. ان العالم ملىء باللصوص والأفاقين وكل واحد منهم له طريقة خاصة للوصول الى الثراء السريع .. وصمت برهة ثم أردف قائلا : من يدريكم أن والد الشاب الذى يقود السيارة الأنيقة ليس سوى لص كبير لكن المهم ألا يضبطه أحد وهو يسرق .. المهم دائما أن يبدو شريفا أمام الناس وليس مهما كيف يحصل على النقود ..

قال آخر بغضب وهو يشوح بقبضته فى الهواء .. أنا لا يهمنى الناس .. انهم منافقون أوغاد وكلهم لصوص وان كانوا يتظاهرون رغم ذلك بالشرف .. تأكد أن الناس سيحترمونك على أى الأحوال طالما انك تملك نقودا حتى لو كانوا متأكدين انها أتت

عن طريق غيـر شريف ·· على الأقل لن يقـولوا لك انك لص فى وجهك ·

وهنا قال واحد من أفراد الشلة فى ضجر انكم تتكلمون دائما عن النقود ·· آلا يوجد موضوع أفضل من ذلك للكلام عنه · النساء مثلا ·· فرد عليه آخـر بلهجة ساخرة ، صديقى العزيز تأكد أن هناك رابطة قوية بين المال والنساء بل بين المال وكل شىء فى هذه الحياة اللعينة فاذا أنت ملكت المال ستملك النساء وستملك كل شىء آخر كذلك ·

فقال الأول ضاحكا واذا ملكت النساء ·· فرد عليه هذا قائلا : عندئذ ستضطـر للحصول على المال لتنفقه عليهن ·· وضحكوا جميعا ·· وهنا قال واحد من أفراد الشلة بلهجة هو نفسه لا يستطيع أن يحدد ما اذا كانت جاده أو مازحة ·· أريد أن أصبح شيوعيا ·· أعتقد أن ذلك هو الحل لنا جميعا ·· أن نصبح كلنا فقراء ·· فضربه آخر على رأسه وهو يقول له ضاحكا أرجوك كف عن هذا التخريف فأعصابنا لا تتحمله ·

فقال صاحب الاقتراح الأول ما رايكم لو ذهبنا الى أحد الملاهى الرخيصة فى عماد الدين ·· اننا لو اكتفينا بخمسة زجاجات كوكاكولا فان النقود التى جمعناها يمكن أن تكفينا ·· وهنا قال آخر ضاحكا ولماذا لانطلب خمسة قهوة سادة انها أرخص بالتأكيد · فقال صاحب الاقتراح بحماس ما رأيكم فى الفكرة التى عرضتها عليكم ·· وعلى الفور لمعت عيون أفراد الشلة عندما تأكدوا أن الفكرة يمكن تحقيقها ·· وانهم سيدخلون أحد الملاهى الليلية للمرة الأولى فى حياتهم ·· وأعطوا كل ما معهم لصاحب الاقتراح كى

ينفق منه طول السهرة ·· ونادوا على الجرسون واعطوه لدهشته قرشا واحدا كبقشيش ثم غادروا تراس المقهى على عجل فى الوقت الذى كان فيه المترو الواقف فى المحطة المقابلة للمقهى على وشك أن يتحرك ·· وبدأ الشبان الخمسة يعدون وراء المترو ويقفزون اليه واحدا بعد الآخر وهم يضحكون من قلوبهم اذ كانوا على وشك أن يحققوا حلما قديما سيجعل حياتهم الراكدة تتحرك تلك الحياة التى تدور كلها حول المقهى ولا شىء غيره ·

★ ★ ★

وقفوا فى مدخل الملهى المغمور بالأضواء الخافتة يتطلعون بعيون مبهورة الى صور النساء اللاتى يعملن فى الداخل والمعلقة خلف فتارين من الزجاج الذى ينبعث من وراءه ضوء قوى يزيد من اغراء هذه الصور بحيث أصبح من العسير تصور فكرة أن هؤلاء الفتية المسمرين فى أماكنهم يمكن أن يعودوا أدراجهم دون أن يدخلوا الى الملهى ·· وقال واحد من أفراد الشلة للشاب الذى يمسك الحساب هيا اقطع التذاكر ولا تتردد فان أية قوة فى العالم لا يمكن أن تمنعنا من الدخول الى هذا المكان ·

ومضى الفتية يقولون لبعضهم البعض وهم ينظرون بجوع الى الصور العارية المعلقة أمامهم انهن رائعات أليس كذلك ولا شك أن الأصل أروع كثيرا من الصور ··واطلقوا بضع ضحكات تعكس حالة الاثارة التى يحسونها وهم مقبلين على هذه المغامرة الفريدة فى حياتهم ·

وتقدم الشاب الذى يمسك الحساب من شباك التذاكر بشىء من التردد والخوف وضربات قلبه تعلو عن أى صوت آخر يسمعه ··

فى النافذة الصغيرة كان هناك وجه لا يختلف كثيرا عن وجوه النساء المعلقة فوق حوائط الملهى ·· انه وجه جميل أسمر لفتاة فى مقتبل العمر فوقه طبقة سميكة من طلاء الوجه الأبيض تكاد تخفى معالمه الحقيقية تتوسطه عينان سوداوتان واسعتان تتميزان بالضحالة وبنظرة ناعسة مخدرة تطل منهما وحول العينين ظلال جفون كثيفة ذات لون صارخ غير مألوف والى جوار الشفتين المخضبتين بطلاء غامق اللون كانت توجـد الحسنة التقليدية لفتاة الليل المحترفة وبالطبع كانت الفتاة تلوك لبانة بين شدقيها وتطرقع بها بين الحين والآخر ·· وابتسمت الفتاة للشاب الواقف أمامها مشجعة بعد أن لاحظت خوفه وتردده فى الوقت الذى راح هو فيه يتطلع اليها بعينين جائعتين تلتهمان مفاتنها الصارخة ·

كانت نظرات الفتاة للشاب تقول له أنا أعرف لماذا جئت الى هذا المكان انظر الى جيدا فأنا العينة لنوعية النساء اللاتى ستراهن فى الداخل ··

قال الشاب بشىء من الخجل خمس تذاكر من فضلك ·· ردت الفتاة بلهجة مغرية وقد زادت من تأثير ابتسامتها اننى لم أرك هنا من قبل أو أى واحد من زملاءك ·· هل هـذه هى المرة الأولى التى تأتون فيها الى هذا المكان · قال الشاب نعم ·· المرة الأولى · قالت الفتاة وهى تغمز له بعينيها أعتقد انكم ستحبونه كثيرا ·· لدينا هنا برنامج ممتاز وأعتقد أن الصور المعلقة على الحائط قد أقنعتكم بذلك ·

قال الشاب وهو يبتسم بعينيه للفتاة وأنا أشاركك نفس الاعتقاد ويخيل الى انها لن تكون المرة الأخيرة التى نأتى فيها الى هـذا المكان ·

وبعد أن أخذ الشاب التذاكر من الفتاة عاد مرة أخرى الى زملائه الواقفين فى الانتظار والذين كانوا ما يزالون مبهورين بكل ما يحيط بهم حيث دخلوا جميعا الى الملهى ٠

أحسوا وهم يدخلون من الباب الرئيسى والأضواء الخافتة السابحة فى المكان تتسلل الى عيونهم وهم يرون النساء العاريات الظهور اللاتى يتحركن هنا وهناك كأنهن حوريات غريبات فى جنة مسحورة بينما صوت الفرقة الموسيقية الغربية التى تصدح فى البيست تصك حواسهم ٠٠ أحسوا برهبة ممزوجة بسعادة غريبة عليهم فها هو أحد أحلامهم القديمة يتحول الى حقيقة واقعة ٠٠ وقادهم المتردوتيل ذو السترة السوداء الأنيقة والحركات المترفعة المحسوبة الى مائدة الى جوار البست المستدير المصنوع من خشب الباركيه المصقول ٠٠

وبدأ الفتية وما زالت رؤوسهم مخدرة من الانبهار يديرون أبصارهم لاستكشاف المكان ٠٠ فى آخر الصالة الواسعة كان يوجد البار وخلفه رفوف تصطف فوقها عشرات من زجاجات الخمور المختلفة ٠٠ وفوق الكراسى المرتفعة المصفوفة أمام البار جلست بعض نساء الملهى ومعهن بعض الزبائن يشربون فى انتظار بدء البرنامج ٠ كان الرجال يداعبون النساء مداعبات فجة مكشوفة أثارت الفتية وجعلتهم يتمنون لو أن فى مقدورهم أن يفعلوا مثلهم ٠٠ وهناك خلف أعمدة الملهى المبطنة بالمرايا كانت توجد بعض الموائد المنعزلة والغارقة فى ضوء خافت يجعل من الصعب رؤية ملامح الجالسين اليها أو ماذا يفعلون ٠٠ الى بعض هذه الموائد جلست بعض النسوة فى انتظار بعض الرجال ليجلسوا معهن ٠

كانت نظراتهن الى زبائن الملهى تحمل دعوة صريحة لذلك ٠٠ وكان هذا مثيرا للشباب الذى يرونه للمرة الأولى فى حياتهم بعد أن ظلوا يسمعون عنه فقط ممن سبقهم الى دخـول هـذه الأماكن الغريبة ٠٠ وأبصر الشاب الذى يمسك الحساب وهو رياضى الجسم وعلى درجة ملحوظة من الوسامة فتاة جميلة تجلس الى البار بهره جمالها وأحس بغريزته القوية تلح عليه كى يتعرف اليها ٠٠

نظر اليها ولدهشته الشديدة وجدها تنظر اليه هى الأخرى ٠٠ كانت السهولة التى نظرت بها الفتاة اليه غريبة عليه ومثيرة أيضا ٠ ثم زادت دهشته عندما وجد الفتاة ترفع كأسها فى الهواء لتحيته وكأنها تدعوه كى يأتى ويجلس معها الى البار ٠

وأحس الشاب انه لا يستطيع أن يرفض هذه الدعوة المغرية وهم من مقعده كى يتوجه اليها لكن واحدا من أفراد الشلة جذبه من يده وأجلسه مرة أخرى وهو يقول له محذرا :

هل أنت مجنون لتذهب اليها بقدميك ؟ ٠٠ هل تعلم كم يكلفك ثمن كأس الويسكى هناك ؟ ٠٠ هيا اجلس على مقعدك ودعنا نعود الى بيوتنا بسلام ٠٠ وقال آخر محاولا تهدئة العواطف الثائرة لقد جئنا الى هنا كى نشاهد البرنامج ثم نعود الى البيت ٠٠ ونحن بالتأكيد لا نريد مشاجرات أو متاعب من أى نوع ٠

وجلس الفتى على مضض لكن بصره ظل مسلطا طول الوقت على الفتاة الجالسة الى البار والتى كانت تبادله النظـرات بين الحين والآخر وهى تبتسم له فى اغراء ٠

وقام بعض الرجال بدعوة بعض فتيات الملهى للرقص ٠٠ وتطلعت عيون أفـراد الشلة بنهم وانبهار الى النسوة العاريات الظهور وهن غائبات فى أحضان الرجال الذين لم يعبئوا بالعيون الشاخصة اليهم فمضوا يداعبون النساء تلك المداعبات الفجة المثيرة والتى لم تكن لتلفت نظر أحد على الاطلاق كشىء مستهجن وغريب ففى مثل هذه الأماكن التى تنطلق فيها الغرائز بلا قيد ليست هناك أعمال مشينة أو مستهجنة ٠

وقال الشاب الرياضى لباقى أفراد الشلة وهو يغادر مقعده اننى ذاهب لدعوتها الى الرقص واننى أحذر أى واحد منكم أن يحاول منعى من ذلك ٠

وتقدم الشاب بشىء من التردد الى الفتـاة وطلب منهـا أن تصحبه للرقص ٠ كان يخشى أن ترفض لكن لدهشته الشديدة وجدها تقبل على الفور وبسهولة شديدة ٠٠ نظرت اليه الفتاة من خلال أهدابها الصناعية الثقيلة وتفحصته من أعلى الى أسفل ثم لاحت على شفتيها ابتسامة ودودة وقالت له ولم لا ٠٠ هيا بنا الى الحلبة ثم سألته قائلة ألست أنت الفتى الذى ظل يحدق فى طول الوقت دون أن يرفع بصره عنى ٠٠ قل ما الذى أعجبك فى ٠٠ رد الفتى قائلا وهو يلتهمها بعينيه ٠٠ كلك اعجبتنى ٠٠ وفى حلبة الرقص ضمها بقوة الى صدره العريض حتى كاد يخنق أنفاسها فأبعدته الفتاة بشىء من الجفاء وهى تقول له متأففة انك تخنقنى بهذه الطريقة ٠٠ ألم يسبق لك مراقصة فتاة من قبل ٠٠

وقال لها الشاب اننى آسف لم أقصد أن أضايقك لكن يبدو اننى نسيت نفسى بعض الشىء ٠٠ ونظر اليها طويلا ثم قال بحرقة شديدة

انك جميلة جدا أجمل فتاة وقعت عليها عيناى حتى الآن ٠٠ وابتسمت الفتاة وهى تقول له بلهجة ساخرة وان كانت فى أعماقها تشعر بالسعادة نتيجة للاطراء الذى سمعته ٠٠ من كلامك وطريقتك فى الرقص أستطيع أن أؤكد انك خام جدا ٠٠ قل لى ألم يسبق لك ان تعرفت على فتاة من قبل ٠٠ قال بسذاجة أدهشتها ٠٠ كلا ٠٠ أنت أول فتاة أعرفها ٠

ضحكت قائلة هذا ما كنت متأكدة منه ٠٠ وقالت الفتاة بعد برهة وهى تتحسس ذراع الشاب القوى ٠٠ يبدو أنك رياضى ٠٠ أى نوع من الرياضات تمارس ٠٠ قال بزهو اننى بطل المدرسة فى الملاكمة وفى هذا العام سأدخل بطولة المدارس كلها ٠٠ ثم ضمها بلهفة الى صدره وحاول أن يقبلها فى شفتيها لكنها دفعته بجفاء الى الخلف وهى تقول له مذعورة هل جننت ٠٠ ثم أشارت بطرف عينها الى مكان فى آخر الصالة وهى تقول له هل ترى ذلك الرجل الأصلع الجالس هناك انه صاحب الملهى ولو رأى ما فعلته الآن فانك ستتسبب فى ايذائى ٠

وسألها الشاب بدهشة لماذا اننى لم أفعل شيئا لا يفعله الآخرون ٠٠ قالت الفتاة وهى تتفرس فيه انك فعلا ساذج لأن المفروض أن آخذك الى البار أولا لتبتاع لى كأسا قبل أن أسمح لك بمراقصتى ٠ قال الشاب اننى آسف لم أكن أعرف ذلك لكن حتى لو أخذتنى الى البار الآن فلن أتمكن من أن أبتاع لك كأسا ٠٠ ليس هذه المرة لاننى لا أملك نقودا كافية لكنى أعدك اننى سأفتح لك فى المرة القادمة زجاجة ويسكى كاملة ٠

وعلى الفور أبعدته الفتاة بجفاء عن نفسها وهى تقول له بلهجة سببت له صدمة شديدة اذن لماذا طلبتنى للرقص لماذا جئت الى

هذا المكان اذا لم تكن معك نقود كافية هل تظن اننا ندير هنا ملجأ خيريا ٠٠ اسمع أن كل شيء في هذا المكان له ثمن حتى النظرة لها ثمن ٠٠ وهمت بالنزول من حلبة الرقص بعد أن انفلتت من بين ذراعيه لكن الشاب سألها وهو ما يزال يجذبها من ذراعها لماذا لا تكملين الرقصة اذن صدقيني في المرة القادمة ستكون معي نقود كثيرة وسأفتح لك زجاجة ويسكى فقط لا تتركيني على هذا النحو ٠٠ قالت الفتاة وهي تجذب ذراعها من يده بجفاء عندما تحضر نقودا تستطيع أن تطلبني للرقص ٠٠ ثم نزلت بسرعة من فوق البيست واتجهت الى البار والشاب ما يزال يحدق فيها بتلك النظرات الجائعة الحالمة التي ترفض أن تصدق أو تعقل ما حدث ٠

ثم تقدم منها الشاب بعد أن جلست فوق أحد المقاعد العالية أمام البار وخاطبها قائلا ٠٠ أرجوكي ان علاقتنا لا يمكن أن تنتهي بهذه الطريقة أؤكد لك انني لن أسبب لك أي احراج بعد الآن ٠٠ كل ما أريده هو خمس دقائق فقط لأتكلم معك ٠٠ انني أريد أن أعرفك أكثر هل تفهمين وأن أتيح لك الفرصة كي تفهميني أنت أيضا ٠٠ نظرت الفتاة برعب الى حيث يجلس صاحب الملهى وقالت بصوت مرتعش تكلم لكن لا أكثر من خمس دقائق ٠٠ ماذا تريد أن تقول ٠٠ قال الفتى وهو يتأملها بنظراته الحالمة انك جميلة جدا لن يمكنني أبدا أن أنساكي ٠ وصمت برهة ثم قال لها هل تنصرفين وحدك بعد أن ينتهي العمل مباشرة ٠٠ نظرت اليه الفتاة بتفرس ثم كادت أن تنفجر من الضحك ٠٠ وسألته قائلة لماذا تسأل هذا السؤال الغريب ٠٠ هل تريد أن تصحبني الى البيت مثلا وأنت لا تملك ثمن كأس من الشراب ٠٠ اذا كنت تتصور هذا فأنت ساذج فعلا ٠٠ قال لها الشاب متوسلا أرجوكي لا تفهميني خطأ ٠٠ انني أريد أن أصبح صديقا

لك لذلك لا بد أن أعرف عنك كل شيء وأنت أيضا لا بد أن تعرفي عنى كل شيء ٠

قالت الفتاة ونظرات الشاب الصادقة الصريحة تبعث فيها طمأنينة غريبة تجاهه ٠٠ حسن اذا كان هذا هو قصدك فانني سأقول لك بعض المعلومات عن حياتى ٠٠ انني أتوجه الى البيت مباشرة مع احدى زميلاتي فى العمل بعد أن يغلق الملهى أبوابه فى ساعة متأخرة من الليل ٠٠ اننا نأخذ سيارة أجــرة من هنا اتفقنا مع سائقها أن يوصلنا الى البيت كل يوم ٠٠

قال لها الشاب بشيء من التردد ودون أن يجرؤ على النظر مباشرة الى عينيها وماذا عن زبائن الملهى هل تعطيهم مواعيدا بعد انتهاء العمل ٠٠

قالت ضاحكة بصوت مرتفع بالطبع أعطيهم مواعيدا أمام باب الملهى لكنى لا أذهب لهم ٠٠ هل تعرف لماذا لأن سيارة التاكسى تكون فى انتظارى أمام الباب الخلفى فأركبها واختفى عن أنظارهم الى الابد ٠

قال الفتى وهو يحس بسعادة لكلامها بينما جواسه كلها تهفوا اليها فى الوقت الذى بدت فيه بعيدة جدا عن متناول يده فقط لانه لا يملك ثمن كأس يدعوهــا اليه حسن ومــاذا تفعلين بعد ان تعودين الى المنزل أعنى طوال اليوم الذى لا تذهبين فيه الى العمل ٠ لا ريب انك تشعرين بارهاق شــديد فتظلين نائمة طول الوقت ٠٠ قالت وقد تجهم وجهها معك حق انني أكاد أشعــر بجسمى كله يتفتت اثناء النهار فأحاول ان اســـتريح اطول فترة ممكنة لكنى

مضطرة دائما لمغادرة الفراش لكى البى احتياجات والدتى العجوز المريضة وخدمة اخوتى الصغار · قال لها الفتى وقد بدأ يميل اليها ويحس بشىء من الاشفاق عليها اننى سـعيد لاننى عرفتك على حقيقتك ان هذه الدقائق الخمس التى منحتيها لى من وقتك هى اثمن خمس دقائق فى حياتى كلها ·

وتأملته الفتاة باعجاب مشوب بشىء من الاشفاق عليه نظرا لسذاجته الواضحة وصراحته · ثم سألته قائلة قل لى كم عمرك عشرون سنة · رد عليها بسذاجة توقعتها منه نعم كيف عرفتى ذلك· قالت بسخرية واضحة اما انا ففى الخامسـة والعشرين اى اننى اصلح لكى اكون اما لك · قال لها بحماس انا لا يهمنى سنك يهمنى أنت فقط · قالت ضاحكة وهى تنظر الى عينيه لا تقل لى انك أحببتنى من اول نظرة · قال لها وهو يلتهمها بعينيه نعم من اول نظرة · قالت منتشية يا لك من ساذج هل تعرف انك طفل كبير · صرخ فى وجهها قائلا لا تقولى عنى اننى طفل بعد الآن هل تفهمين ··

ستترين اننى فى المرة القادمة سأحضر نقودا كثيرة وسأفتح لك زجاجة ويسكي كاملة · قالت بغضب وهى تدير ظهرها له حسن عندما تحضر نقودا تعالى واجلس معى اما قبل ذلك فلا يحق لك ان تطلب منى أى شىء هل تفهم ·· وانصرف الفتى عائدا الى رفاقه وعلامات الاحباط الشديدة بادية على وجهه · وسأله افراد الشلة عما فعله مع الفتاة فصرخ فيهم وهو يضرب المائدة بقبضة يده··· اريد نقودا على الفور هل تفهمون نقودا كثيرة والا فاننى سأرتكب جريمة قتل · واطفئت انوار الملهى بأستثناء البسـت الذى ظلت الاضواء القوية مسلطة فوقه وارتفعت الموسـيقى الصاخبة ايذانا ببدء البرنامج ·

كانت النمرة الاولى فرقة من راقصات الباليه الاجنبيات خرجن الى البست ورحن يؤدين بعض الرقصات الايقاعية وهن يحركن مراوح الريش الكبيرة منحول أجسامهن الفارعة ليخفين بها البكينى الصغير جدا الذى يرتدينه عن العيون المحملقة فيهن بانبهار شديد ٠ وجحظت عيون افراد الشلة وهم يتطلعون الى الفتيات الاوربيات شبه العاريات وهن يتحركن على بعد سنتيمترات قليلة منهم ٠ وقال واحد من افراد الشلة وعيناه تلمعان بطريقة غريبة ترى كم تأخذ واحدة منهن لتخرج معنا آخر الليل ٠ ورد عليه آخر قائلا لو ان معنا نقودا كافية لاخذنا اثنتين منهن وليس واحدة فحســـب وهنا قال ثالث اعتقد ان واحدة تكفينا جميعا انظروا كم هن ضخام الاجسام وضحكوا جميعا ٠ واخذت النمر تتوالى حتى جاء الدور على الراقصة الشرقية التى خرجت الى البست وقد تركزت فوقها دائرة قوية من الضوء جعلت بذلتها الارجوانية الشفافة تبرز بشكل واضح تفاصيل جسمها وتحدث تناقضا مثيرا للحواس بينهـا وبين بشرة الفتـاة النبيذية الصافية ٠

كانت فتاة فى مقتبل العمر ٠٠ جميلة ٠٠ عيناها واسعتان وشعرها الاسود الفاحم يتأرجح وراء ظهرها وهى تقوم بحركاتها المثيرة التى جعلت عيون الشبان تنظر اليها بجوع شديد ٠ ولاحظ الشبان انه من بين رواد الملهى جميعـا فانها تهتم بصفة خـاصة بالزبون الذى يجلس الى المائدة المجاورة لهم ٠ كان رجلا اصلع فى حوالى الخمسين من العمر يميل الى البدانة والقصر وكانت ملابسه ذات ذوق فج سقيـم وطريقته فى الكلام سوقيـة تنبىء عن أصله الوضيع وكان يداعب الراقصة بحركات وقحة مكشوفة لكن المائدة العامرة التى يجلس اليها وزجاجة الويسكى الكاملة كانت تقول بأنه رجل ملىء حتى حافته بالنقود ٠

كان يأكل بشراهة ويعب من زجاجة الويسكى وهو يطلق النكات المكشوفة وعندما تخلو يداه من الاكل كان يمدهما عبر المائدة وهو يحاول امساك الراقصة من جسمها فى حركات كانت تضحك الجميع عليه ٠ وبدأ افراد الشلة يراقبون هذا الرجل عن كثب وقد كانت اعماله تثير اعجابهم الشديد ٠ كان الرجل يمثل فى نظرهم نوع الحياة التى يتمنونها لانفسـهم حياة صاخبة لاهية لا تعبأ بشىء وتحقق لهم اكبر قدر من المتعة والاثارة ٠ ثم زاد اهتمامهم به بعد ما لاحظوه من حظوته لدى الراقصة التى كانت تقف امامه معظم الوقت وهى تقوم بحركات مكشوفة فاضحة وقد راحت تتطلع اليه بعينيها الجريئة وتضحك لمداعباته السوقية ونكاته المكشوفة ٠ ثم ملأ الانبهار عيونهم عندما وضعت الراقصة العصا الرفيعة التى كانت تستعملها خلال الرقصة حول رقبته الغليظة التى تشبه عنق زجاجة سميكة وقد اخذت تلح عليه فى القيام الى البست ومشاركتها الرقص ٠ لكن الرجل نصف الغائب عن الوعى من كثرة ما تناوله من طعام وشراب كان يقاوم هذه الرغبة مكتفيا بمداعباته المكشوفة للراقصة وهو جالس فى مكانه ٠

ومال عليه اقرب واحد من افراد الشلة هامسا له انك محظوظ فالراقصة لا تهتم باحد سواك فى هذا المكان ٠٠ يبدو انك زبون دائم هنا ويبدو انك تنفق كثيرا لتحظى باهتمامها ٠ وضحك الرجل وهو يقول بزهو مثير للضحك بالتأكيد انا زبون هنا وربما قبل ان تولد انت وجميع من يعمل بالملهى يعرفوننى ويعملون لى الف حسـاب فأنا انفق عليهم بسخاء ٠ وفجأة حانت من الرجل نظرة الى مائدة رفاقه الجدد فأكتشف حقيقة مثيرة للضحك ان الفتيان لم يكونوا يشربون سوى زجاجات الكوكاكولا فحسب وقطب الرجل جبينه فى قرف وهو يقول بلهجة سـاخرة الم تجدوا غير لبن الاطفال هذا

لتشربوه • فقال واحد من افراد الشلة ان الكوكاكولا هى ارخص شىء يقدمه هذا الملهى وليس فى مقدورنا ان نبتاع مشروبات كحولية غالية الثمن •

لكن الرجل البدين شوح بيديه فى ضيق وصاح قائلا كلام فارغ لابد ان تشربوا شيئا حقيقيا • ثم نادى على الجرسون وطلب منه احضار زجاجة ويسكى وبعض أطباق المزة لأصدقائه الجدد قائلا انه سينوب عنهم فى دفع الحساب • وأحس الشبان بسعادة غامرة لهذه اللفتة غير المتوقعة من جانب الرجل فتحولوا اليه يشكرونه من أعماق قلوبهم ويبدون استعدادهم لعمل اى شىء لرد جميله • وابتسم الرجل بعينيه الضيقتين الخبيثتين وهو يسمع ذلك خاصة وقد بدا الصدق واضحا فى لهجتهم • كان الرجل ابن السوق المحنك يدرك تماما تأثير النقود القوى على نفوس الناس •• وكانت لحظة كهذه عندما تحدث النقود تأثيرها الواضح على نفوس الآخرين تبهجه وتجعله يحس وهو البدين القمىء الذى جاء من قاع صفيحة القمامة انه شخص قادر على أن يرفع ويخفض بارادته وحدها ••

قال الرجل وهو ما يزال يبتسم بعينيه الخبيثتين وبشىء من السخرية انكم طلبة على ما اعتقد والا لاستطعتم ان تطلبوا لانفسكم شيئا غير الكوكاكولا ثم اننى لم اركم هنا من قبل • قالوا فى نفس واحد نعم نحن طلبة وموظفون على قد الحال • قال الرجل وهو يضحك بصوت مرتفع ولم تجدوا سوى هذا المكان لتأتوا اليه الا تعرفون انه يحتاج الى نفقات كثيرة ليست فى مقدوركم • قال الشبان وهم يشعرون بكلمات الرجل الجارحة تلسعهم كالسياط نعرف لكن ماذا فى مقدورنا ان نفعل لقد كنانتمنى دائما ان ندخل احد الملاهى الليلية ونستمتع بكل ما يدور فيه ولو مرة واحدة فى حياتنا وايضا

لنفكر في وسيلة نكسب بها مالا سريعا يمكننا من ان نعيش كالآخرين مثلك تماما ·· اننا شبان أقوياء ولا ينقصنا الذكاء والفهلوة وفى امكاننا ان نفعل اى شيء اذا عاوننا رجل قدير مثلك ان كل ما نريده هو فرصة مجرد فرصة ·

قال الرجل البدين وهو يقتحمهم بعينيه النفـاذتين ويقرؤهم ككتاب مفتوح · لاحظت ما حدث لصديقكم عند البار انه امر مؤسف للغاية لكنه كان متوقعا ·· ان القانون هنا اذا كنتم لا تعلمون ان كل شيء له ثمن حتى النظرة العابرة او مجرد التحية لها ثمن ولو ان صديقكم كان يملك نقودا كافية لاستطاع ليس فقط ان يراقص هذه الفتاة التى عاملته بخشونة وقحة بل أن يصحبها معه آخر الليل الى البيت ·· فى هذا المكان النقود هى كل شيء واذا لم تملك شيئا منها فان الفتيات لن يكلفن انفسهن مجرد عناء النظر اليك حتى لو كنت روميو نفسه · قال واحد من افراد الشلة واضح جدا انك تملك نقودا كثيرة والا لما حضرت الى هذا المكان وانفقت بهذه الطريقة المسرفة · هل يضايقك لو سألناك ماذا تفعل لتكسب كل هذه النقود الطائلة ·· فنحن نريد ان نصبح مثلك فى يوم من الايام · ابتسم الرجل وهو يقول بطريقة التاجر الذى لا يفصح عن شيء قبل ان يتأكد تماما من نية محدثه وهدفه من وراء سؤاله اننى اعمل فى كل ما يدر على نقودا كثيرة هات وخذ ·· صفقات من كل نوع اسمعوا اذا كنتم جادين فى موضوع النقود هذا فهاهو الكارت الخاص بى يمكنكم ان تأتو لزيارتى فى اى وقت لنبحث هذا الموضوع معا وانا واثق اننى سأتمكن من ان اكون مفيدا لكم ·

واعطاهم الكارت وهم غير مصدقين ثم عاد مرة ثانية ليداعب الراقصة ويجرع من زجاجة الويسكى والشبان يرمقونه باعجاب شديد كمثل اعلى يتمنون الوصول اليه فى يوم من الايام ·

خرجوا من الملهى الليلى بعد انتهاء البرنامج متجهين الى محطة المترو الذى سيحملهم الى منازلهم · وفور خروجهم من الباب الرئيسى للملهى أبصروا الرجل البدين جالسا خلف عجلة القيادة فى سيارة فارهة متوقفة فى أحد الازقة الصغيرة المتفرعة من الشارع الذى يوجد به الملهى · وصمم الشبان على الانتظار بعض الوقت كى يعرفوا من الذى ينتظره الرجل البدين فى هذا الزقاق الضيق شبه المظلم وان لم يكونوا من السذاجة بحيث لا يمكنهم تخمين ذلك الشخص لكنهم أرادوا فقط ان يتأكدوا بأنفسهم وقد سيطر عليهم فضول شديد منعهم من مغـادرة المكان · وقال واحـد من افراد الشلة : المسألة واضحة كالشمس ان هذا التيس العجوز ينتظر الراقصة التى كانت تشاغله فى الداخل كى يصحبها معه الى البيت ·

وقال آخر وعيناه تلمعان بغيرة لم يستطع أن يخفيها ·· ان هذا العجوز الافاق محظوظ للغاية انه سيقضى ليلة ممتعة مع هذه الفتاة الجميلة التى اثارت كل من كان بالملهى ·· لكنه الوحيد الذى سيستأثر بها فى النهاية كل هذا لانه يملك نقودا كثيرة · وقال آخر باستنكار نقود كثيرة انه يجلس على تل يا صديقى ، انظر الى السيارة التى يركبها او النقود التى انفقها داخل الملهى · وهنا قال ثالث ان هذا الرجل الغريب لقطة لا ينبغى ان نفلتها من ايدينا قبل ان نعتصرها تماما ، ثم لمعت عيناه بشدة وهو يقول لو صدق هذا الرجل فى كلامه واشركنا معه فى مشروعاته أيا كانت فان حالنا سيتبدل بالتأكيد وليس من المستبعد أن نأتى كل ليلة لنسهر فى الكباريه ·

وهنا قال الاول بفضول : ترى ماذا يعمل هذا الرجل ليكسب كل هذه النقود ؟ ورد عليه آخر قائلا : ربما كان يعمل عملا غير شريف ويريد ان يورطنا معه · وهنا صاح فيه جميع افراد الشلة باستنكار:

نحن لا يهمنا نوع العمل الذى يمارسه هذا الرجل طالما انه سيعود علينا بمال وفير فى نهاية الامر · وقال واحد من افراد الشلة : اننى أرى من الصواب ألا نذهب اليه نحن الخمسة فى العنوان الذى اعطاه لنا حتى لا نخيفه ·· اثنان منا على الاكثر يذهبان اليه وعندما يتمكنا من اكتساب ثقته يفاتحانه فى رغبة الباقين فى العمل معه· ووافق افراد الشلة على هذا الاقتراح الصائب وقال واحد منهم بعد ان طال انتظارهم بضع دقائق : هيا بنا نغادر هذا المكان فلا داعى لوقوفنا اكثر من ذلك · فأننى أخشى ان يلمحنا الرجل فى مرآه السيارة فيظن اننا واقفين كى نتجسس عليه ·

وبينما كان الشبان على وشك الانصراف اذا بهم يبصرون راقصة الملهى وهى تتقدم ناحية السيارة الفارهة وتغيب بداخلها· ثم سمعوا صوت الموتور يهدر وأبصروا السيارة وهى تبتعد بسرعة· وصفر واحد من أفراد الشلة بفمه طويلا ·· وقال اخر وهو يتنهد بحرقة انها امرأة حقيقية تلك الراقصة ·· آه كم انا احسد هذا الرجل العجوز واتمنى لو كنت فى مكانه · وظل الشبان واقفين فى مكانهم حتى اختفت السيارة تماما · وقال واحد منهم لابد ان نذهب الى هذا الرجل على الفور فأنا اريد سيارة كهذه وأمرأة كالتى اخذها معه الى البيت · وهنا ضربه آخر على رأسه وهو يقول له مازحا : كفى أحلاما وهيا بنا نغادر هذا المكان فأننى أخشى لو بقينا فترة أطول ألا نجد فى انتظارنا قطارا للمترو يحملنا الى منازلنا ·

★ ★ ★

نظر الرجل الى الرقم المدون فوق الكارت الذى أعطاه لهما الرجل البدين ثم الى الرقم المكتوب فوق لافتة صغيرة من الصفيح معلقة الى جوار باب احدى عمارات وسط البلد الكبيرة وصاح بفرح قائلا لزميله: نعم انها هى العمارة التى نبحث عنها · وهما بالدخول من الباب غير ان البواب النوبى العجوز استوقفهما وسألهما عن الوجهة التى

يقصدانها • فأخبراه بأنهما متوجهين لزيارة السيد حسنين ساكن الشقة رقم ٤٢ بالعمارة • فأخبرهما البواب بأنه ليس موجودا بها • فسألاه عن المواعيد التى يتواجد بها عادة فى الشقة • فقال لهما البواب بأنه ليست له مواعيد ثابتة لانه لا يقيم اقامة دائمة بالشقة بل يأتى فقط للزيارة بين الحين والآخر •

فقال واحد منهما بعصبية شديدة للآخرين : انه حظ تعس بكل تأكيد فمعنى عدم وجود مواعيد ثابتة للرجل ان نظل معلقين بمجرد الصدفة الحسنة فقد يجىء بعد دقيقة واحدة وقد نظل بانتظاره طول اليوم دون ان يجىء •• اسمع لماذا لا ننصرف الآن ثم نجىء له فى موعد آخر نتأكد فيه من وجوده داخل الشقة • لكن الآخر صاح فيه غاضبا : كلا اننى لن انصرف من هنا قبل ان اقابل هذا الرجل حتى لو اضطررت لانتظاره طول اليوم • وصمت برهة اردف بعدها قائلا بلهجة حاول ان تكون مقنعة : هل نسيت من هو هذا الرجل ؟ اما انا فلم انسى بعد انه الفرصة الوحيدة التى ظللنا ننتظرها منذ سنوات وانا لست على استعداد لتضييع هذه الفرصة لانى لا احتمل الانتظار فترة من الوقت •

قال الآخر باستسلام : حسن سننتظر اذا كان هذا ما تريده لكن أرجو أن يأتى هذا الوغد سريعا فان أعصابى قد بدأت تتوتر منذ الان • ومر وقت طويل ظل الشابان واقفين خلاله أمام باب العمارة والملل يقتلهما • وتسكعا بخطوات بطيئة امام واجهات المحال التى تملأ الشارع لكن بصرهما ظل مسلطا طول الوقت على باب العمارة والامل يحدوهما ان يشاهدا الرجل وهو يقف بسيارته امامه فيلحقا به على الفور ويذكراه بنفسيهما • لكن الدقائق كانت تمر بطيئة والرجل لا يريد ان يجىء • واخيرا وبعد ان تحطمت أعصابهما أبصرا

سيارة الرجل التى يعرفانها جيدا منذ ان رأياها امام باب الملهى وهى تقبل من اول الشارع • فأسرعا بالوقوف امام باب العمارة كى يكونا فى استقبال الرجل عندما يجىء •

ووقفت السيارة الفارهة امام الباب وترجل منها الرجل البدين وبينما هو يهم بالدخول من الباب اقتربا منه وهما يتسمان ليخفيا اضطرابهما الشديد اذ كانا يخشيان ألا يتذكرهما الرجل بعد اللقاء العابر معه فى الملهى الليلى خاصة انه كان مخمورا تلك الليلة وحتى اذا تذكرهما أن يحاول التنصل من وعده لهما ولم تكن أعصابهما التى أنهكها الانتظار الطويل لتتحمل هـذه الصدمة الشديدة لكن الكارت الذى كان معهما كان يطمئنهما بعض الشىء •

ومد الشابان يديهما لمصافحة الرجل الذى تردد فى الاستجابة لهما اذ بديا له غريبين وان كان شكلهما مألوفا بعض الشىء •• كان يحاول أن يتذكر أين رآهما من قبل ؟ وأدرك الشابان ذلك فقدما له الكارت الذى يحملانه قائلين له انهما تعرفا اليه فى الملهى الليلى وأنه دعاهما للحضور اليه فى أى وقت يناسبهما •

وصاح الرجل قائلا : آه تذكرتكما الآن وانفرجت أســارير الشابين •• وقال لهما الرجل اننى صاعد الى الشقة لانجاز بعض الأعمال لماذا لا تأتيان معى لنتكلم بعض الوقت ، ثم تركهما الرجل وتوجه الى مؤخرة السيارة وفتح الشنطة الخلفية وأخــرج منها صندوقين كبيرين من الكرتون وضعهما على الرصيف ثم نادى على بواب العمارة كى يحملهما له الى باب المصعد •• وبينما كان البواب على وشك أن يصل الى الصندوقين كان الشابان أسرع منه اليهما وأصرا على حمل الصندوقين بنفسيهما •• وسارا مع الرجل الى باب المصعد الذى حملهما الى الطابق الذى توجد به شقة الرجل •

فى داخل الشقة وضع الشابان الصندوقين الى جوار صناديق عديدة تملأ الشقة التى أدرك الشابان من النظرة الأولى لها أن الرجل يستعملها كمخزن سرى للبضائع التى يتاجر فيها والتى يبدو انها تدر عليه دخلا يتيح له أن يعيش بالطريقة التى رأيا نموذجا لها فى الملهى الليلى والتى حركت خيالهما وتمنيا أن يعيشا مثلها ٠

كانت البضائع التى تملأ الصناديق الكبيـرة الحجم تشكل مجموعة هائلة من البضائع المختلفة الأحجام والأشكال ٠٠ مئات من علب الصفيح التى تحتوى كل شيء من الأطعمة الى المشروبات وحتى الأدوية ٠٠ وكان هناك بالطبع عديد من الأجهزة المنزلية والالكترونية وبضع برادات مختلفة الاحجام والالوان ٠

قال واحد من الشابين هامسا فى اذن الآخر وهو يبدو مبهورا بما يراه حوله : ما كل هذه البضائع الهائلة ؟ من أين يأتى بها ؟ وماذا يعمل ؟ هل هو حرامى أم ماذا ؟

قال الآخر وهو يرمقه باستنكار :
لا تكن غبيا ٠٠ ثم ما شأننا نحن اذا كان حرامى أم لا ؟
قال الأول : اذن ماذا يعمل ؟ فقال الآخر :

الواضح أنه يعمل تاجر شنطة لكن على مستوى ضخم جدا ٠٠ وأدار بصره فيما حوله ثم همس فى اذن صديقه قائلا :

ان البضائع الموجودة فى هذه الشقة تساوى ثروة طائلة ٠٠ ثم لا تنسى انه لا يدفع عنها أية ضرائب للحكومة لأنها كلها مهربة وهو يبيعها بأضعاف ما دفع فيها من ثمن ٠٠

ولاحظ الرجل علامات الدهشة والانبهار على وجهى الشابين ، وقرأ التساؤل الذى نطقت به عيونهما فأسرع قائلا :

حتى لا تذهب بكما الظنون أى مذهب فتتصوران اننى أقوم بعمل غير مشروع أحب أن اطمئنكما أن كل ما أقوم به مشروع تماما ، اننى أحضر هذه البضائع من الخارج وأقوم ببيعها فى داخل البلاد وأحقق من وراء ذلك أرباحا طائلة وليس فى هذا ما يخالف القانون ٠

وهز الشابان رأسيهما موافقين وتابع الرجل قائلا :

لكنكما تدركان بالطبع أن بضائع بهذا الحجم والتنوع لا أستطيع أن أحضرها بمفردى ٠

ولمعت عينا الشابين انتظارا للكلام الذى سينطق به الرجل والذى لم يكن من الصعب التنبؤ به ٠٠وأردف الرجل قائلا :

لا بد لى من أشخاص يعاونوننى فى هذه المهمة ٠٠ أشخاص يسافرون الى الخارج ويحضرون هـذه البضائع وأعطيهم مكافآت مجزية ٠

ولاحظ التاجـر المحنك علامات اللهفة التى بدت على وجهى الشابين وهما يستمعان الى عبارته الأخيرة ٠ فقال لهما بلهجـة مؤثرة :

ما رأيكما لو أرسلتكما فى بعض هذه المهام وبالطبع سأمنحكما مكافآت سخية مقابل مجهودكما ٠٠ وكاد الشابان أن يقفزا من شدة

الفرح فقد تحقق ما جاءا من أجله بسهولة لم يكونا يتوقعانها ·· وقالا للرجل بلهفة شديدة ولماذا تظننا جئنا اليوم ، لقد جئنا لنعمل معك ·· قال الرجل وهو يحس انه وضع الشابين القليلى الخبرة فى جيبه وانه يستطيع أن يفعل بهما ما يشاء ··

حسن سأجربكما فى بعض العمليات الصغيرة أولا فاذا تأكدت من ذكائكما واخلاصكما لى كلفتكما بعمليات أكبر وبالطبع ستكون المكافآت متكافئة مع حجم العمل ·

وصمت برهة ثم قال وهو يرمق الشابين بخبث :

هل معكما بطاقتان شخصيتان ·· وعلى الفور قدم له الشابان بطاقتيهما فألقى عليهما نظرة متفحصة أخذ بعدها يدون فى مفكرة صغيرة بعض البيانات التى أخذها منهما ·· ثم قال وهو يعيد لهما البطاقتين وبلهجة متصنعة : انه اجراء روتينى ليس الا وعندما يتم التعارف بيننا أكثر سنتعامل بكلمة الشرف ·

والآن ما قولكما فى السفر الى بيروت فى أول تعامل بيننا ·· ان هناك طلبية ينبغى احضارها من هناك وأنا فى حاجة الى شخصين غير معروفين لرجال الجمارك ليحضرا هذه الطلبية ·· وصمت برهة حدج فيها الشابين بواحدة من نظراته المقتحمة الخبيثة ثم قال لهما : هل تظنان أن بمقدوركما القيام بالمهمة ·

قال الشابان دون تردد متى تريدنا أن نسافر ؟ قال فى خبث : هكذا بسرعة دون أن تعرفا ماذا سأعطيكما فى المقابل ؟

قال الشابان بحماس شديد اننا متأكدان انك ستعطينا ما يتكافأ مع جهودنا ·

قال الرجل : حسن ما رأيكما فى ثلاثين جنيها لكل منكما مضافا اليها نفقات الاقامة وتذاكر السفر ؟

صاح الشابان من قلبيهما : موافقان ·

قال الرجل عليكما بالاستعداد للسفر خلال بضعة أيام ·· بالمناسبة هل لديكما جوازات سفر ؟ فأجاب الشابان بالنفى ·

فقال الرجل : ينبغى أن تبدآ على الفور فى استخراج جوازى سفر فأنا لا أريد أى تعطيل لهذه الرحلة ··

وصمت الرجل برهة سبح خلالها الشابان مع فيض من الأحلام الجميلة التى بدأت تتدفق فى داخلهما ·· أحلام الثراء السريع الذى سيحقق لهما كل شىء ·· وفجأة قال الرجل ليخرجهما من فيض الأحلام الجميلة التى غرقا فيها ويعود بهما بقسوة الى أرض الواقع المر الذى يجعل الانسان لا يثق كثيرا بأخيه الانسان بل يحاول بكل طريقة ممكنة أن يأخذ حذره منه وهو يتعامل معه ·

مسألة بسيطة جدا لا أظنكما تمانعان فيها انها فقط للاطمئنان لا أكثر حتى يأتى الوقت الذى لا نعود بحاجة اليها ·· اننى سأضطر لأن احـرر ضدكما أيصالى أمانة بالمبالغ التى ستأخذانها منى بالاضافة الى نفقات السفر فقط حتى تحضرا البضاعة · ما رأيكما ؟ وتردد الشابان بعض الشىء وأخذا ينظران الى بعضهما البعض فى حيـرة لكن ترددهما لم يطل اذ كانا قد تفاهما بسرعة على ما ينبغى أن يقال ·

كانت رغبتهما فى المال عارمة ولا يمكن لأى عقبة أن تقف فى طريقها وقال الشابان بحماس : اننا نوافق على كل ما تطلبه منا اذا كان هذا يريحك ، لكن تأكد انك بعد هذه العملية ستتعامل معنا باطمئنان تام ودون حاجة الى أى اجراء من هذا القبيل ·

قال الرجل وابتسامة خبيثة ترتسم على شفتيه بالتأكيد ·· بالتأكيد ··

وبعد فترة من الوقت غادر الرجل والشابان الشقة ·· قال لهما وهو يصافحهما قبل أن يركب سيارته سأنتظركما بعد بضعة أيام على أن تكون جوازات السفـر معكما ·· وبعد أن اختفت سيارة الرجل عن أنظار الشابين قفزا على الرصيف من شدة الفرح وأحدهما يقول للآخر اننى لا أكاد أصدق أن كل هذا حدث بمنتهى السهولة ·· ورد عليه الآخر قائلا :

هذا الرجل هدية من السماء لتغيير حظنا ·· وجذبه الأول من يده بشدة وهو يقول له ضاحكا : ماذا ننتظر هيا بنا نخبر الشلة بما حدث ·

★ ★ ★

عادا بسرعة من سفرية بيروت التى لم تستغرق أكثر من بضعة أيام وبعد أن سلما البضاعة الى الرجل فى مخزنه السرى أسرعا الى المقهى ليطمئنا باقى أفراد الشلة الذين كانوا ينتظرون فى لهفة سماع أية أخبار ترد عن الغائبين ·

كانوا يجلسون كالعادة فى تراس المقهى الكبير يضحكون ويثرثرون وينتظرون أن يعود رفيقاهم من سفرية بيروت ليقصا عليهم كل تفاصيل المغامرة الى خاضاها ويعطوهم الهدايا التى أحضروها معهم خلال الرحلة ..

فجأة أبصروهما يدلفان من باب المقهى ويتقدمان نحوهم وقد بدت السعـادة واللهفـة على قسمات وجهيهما فقاموا من مقاعدهم وأسرعوا اليهما وأخذوهما بالأحضان وهم يصرخون من الفرح .. وامتلأت أعينهم بالدهشة وهم يرون الملابس الفاخرة التى يرتديها صديقاهما ..

وبعد أن جلسوا حول المائدة الصغيرة وهدأت عواطفهم من مفاجأة اللقاء بدأوا يسألون العائدين عن أخبار الرحلة والمكاسب التى حققاها منها .. وأحس الشابان بالزهو لأنهما محور اهتمام الشلة ومن ثم بدآ يسردان تفاصيـل الرحلة بشىء من المبالغـة والاثارة المتعمدة ليحدثا تأثيرا أقـوى على مستمعيهم وليظهرا بمظهر البطولة العظيمة .. وبالغا أيضا فى المكاسب التى حصلا عليها ليشبعا نهم باقى أفراد الشلة المتعطشين لسماع أخبار من هذا النوع .

ثم ضحكا وهما يقولان وأظن هذا واضح علينا مشيرين الى ملابسهما الجديدة .

وهنا قال لهما واحـد من أفراد الشلة مازحا ما دمتما قد أصبحتما من أفراد الطبقة الراقية لماذا لا تطلبان لنا بيرة بدلا من هذا الشاى اللعين الذى سمم أبداننا .

ولم ينتظر الشاب ليسمع ردهما على اقتراحه بل أسرع ينادى الجرسون الذى جاء متثاقلا كالعادة يحدجهم بنظراته التى تنضح كراهية وازدراء والذى مط شفتيه وهو يقول لهم فى وقاحة : أظنكم تريدون دفع الحساب أم تراكم تريدون دورا آخر من الشاى ٠٠ وجحظت عينا الجرسون من الدهشة وهو يسمع الشاب الذى أشار له بالقدوم وهو يطلب منه احضار خمس زجاجات من البيرة مع بعض أطباق المزة ٠٠

وقال الجرسون وهو غير مصدق : هل قلت خمس زجاجات من البيرة ؟ !

قال الشاب ساخرا : نعم ومثلجة مثلك تماما أيها الأحمق وأسرع لاننا فى شدة الظمأ ٠٠ لكن الجرسون ظل واقفا فى مكانه لا يريد أن يتحرك ٠٠ وهنا قام واحد من العائدين من سفرية بيروت باخراج رزمة من الأوراق المالية أراها للجرسون وهو يقول له : هل سبق لك أن رأيت معنا مثل هذه الكمية من النقود ؟ والآن بعد أن اطمئننت هيا أسرع باحضار البيرة ٠

واستدار الجرسون عائدا الى داخل المقهى وهو يردد بينه وبين نفسه تساؤلا بلا جواب عما يمكن أن يكون قد حدث لهؤلاء الفتية الذين كانوا دائما مفلسين واذا بهم فجأة يملكون هذه الكمية الضخمة من النقود ؟ ترى ماذا حدث لهم ؟ هل سرقوا فيللا رجل غنى أم تراهم انضموا الى عصابة لتهريب المخدرات أو تزييف النقود ؟ ٠

وبدأ الشابان العائدين من رحلة بيروت يتابعان حديثهما بتفصيل أكثر عن رحلتهما المثيرة وكيف انها رغم كل مخاطرها

تمت فى سهولة ويسر وذلك بفضل نفوذ الرجل القوى فى كل مكان ذهبا اليه ٠٠ وسألهما أفـــراد الشلة عما فعلــه معهما رجال الجمارك ٠٠

وابتسم الشابان فى خيلاء وهما يقولان بأن رجال الجمارك لم يفتحوا الحقائب على الاطلاق رغم انها كالعادة كانت متخمــة بالبضائع التى تدفع عنها رسوم جمركية باهظة ٠٠ اكتفوا فحسب بالقاء نظرة من الخارج ثم مرروها من الجمرك ٠

ثم غمز أحد الشابين بعينه وهو يقول متفاخرا : والفضل بالطبع لنفوذ الرجل القوى بين رجال الجمارك ٠٠ أحسب أنه يعطيهم رشاوى كبيرة لقاء هذه الخدمات ٠

وبدا باقى أفراد الشلة مبهورين بما سمعوا من أخبار الرجل خاصة ما تعلق منهــا بمرور الحقائب من الجمرك دون أن تفتح ٠٠ وقال واحد منهم أظنكم توافقوننى على أن هذا الرجل هدية لنا من السماء كى تتبدل أحوالنا الى الأحسن ٠٠ هل تعرفون اننى أعتبره بالنسبة لنا أهم من الليسانس الذى سنحصل عليه بعد بضعة سنوات ليعطوننا فى مقابله عشرين جنيها فى الشهر ٠

وهنا قال واحــد من الشابين العائدين من سفــرية بيــروت متفاخرا : هل تعرفون كم أعطانا الرجل فى هذه السفرية مضافا اليها النفقات وتذاكر السفر ٠٠ ثلاثين جنيها لكل واحد منا فى رحلة لم تستغرق أكثر من أربعة أيام ٠

وهنا قال واحد من الشلة ضاحكا حسن مادمتما على هذا القدر من الثراء لماذا لا تدعوانا لتمضية سهرة فى الكباريه على حسابكما

لقد مضت مدة طويلة منذ أن كنا هناك لآخر مرة ووافق الشابان على اقتراحه ٠

وقال آخر : اننى أتساءل عن حقيقة عمل هذا الرجل ؟ أعنى بالاضافة الى تهريب البضائع ، هل هو يهرب ذهب مثلا أو مخدرات ؟

فعلى حد علمى هذه هى النشاطات التى تصنع الثروات الضخمة فى أقصر وقت ممكن لأنه اذا كان يعمل فى هذه المجالات المحـرمة فأنا بالتأكيد لن أتعامل معه ٠

وهنا صرخ فيه واحد من الشابين العائدين من سفرية بيروت ٠٠ أما أنا فسأعمل مع هذا الرجل حتى لو تأكدت انه يهرب مخـدرات أو يزيف نقودا ٠٠ لقد اتفقنا منذ البداية على أن هدفنا هو النقود فلماذا ندخل الاعتبارات الاخلاقية فى العمل لنفسد كل شىء ٠

اننا جميعـا بحاجة الى المال ولا يهمنا بالتأكيد من أين يأتى أليس كذلك ؟ ٠

ووافقه باقى أفراد الشلة على رأيه ٠٠ لقد كانوا على استعداد لأن يعملوا أى شىء ليعيشوا حياة نصف الليل ٠

وغادروا المقهى بعد أن فرغوا من احتساء البيرة ولأول مرة فى حياتهم منحوا الجرسون بقشيشا سخيا فنظر اليهم بدهشة لكن فى احترام ٠٠ واستقلوا سيارة أجرة حملتهم الى الملهى الليلى بدلا من الشعبطة فى قطار المترو ٠

وهم يدلفون من باب الملهى كانوا أكثر ثقة فى أنفسهم عن المرة السابقة فالنقود الكثيرة فى جيوبهم كانت تمنحهم هذه الثقة · وحياهم الجرسون الأنيق وهو يبتسم ابتسامة خبيثة اذ كان عقله يقول له أن هـذه الشلة من الشباب فى طريقها الى أن تصبح من زبائن الملهى الدائمين وطالما انهم يملكـون المال الكافى لذلك فسيقابلون دائمـا بالترحاب أما عندما تفرغ نقودهم فسيلقى بهم الى الشارع من جديد · وقادهم الجرسون بأدب مصطنع الى احدى الموائد الأنيقة بجوار البيست ··

ولمح الفتى الرياضى فتاته الجميلة جالسة الى البار فتقدم منها بثقة وجلس الى جوارها فوق واحد من المقاعد العالية وطلب لها كأسا من الويسكى ثم دعاها الى حلبة الرقص وهناك احتوى بجوع وبرغبة فى الانتقام للاهانة التى لحقت به فى المرة الماضية جسدها المثير الذى يلهب حواسه ·· لقـد كادت الفتاة أن تختنق بين ذراعيه القويين وهما تضمانها بشهوة الى صدره العريض القوى لكنها لم تتأفف منه كما فعلت فى المرة السابقة · وكانت تميل برأسها على كتفه وتتمسح به فى دلال وتوجه اليه عينيها المليئتين بالاغراء وبيأس لا نهاية له وباستسلام غريب جعله يحس انه ملكها وانها حبيبته الصغيـرة الخاضعة التى يمكن أن تحقق له كل رغباته مهما كانت ·

كان يتأمل وجهها الشهوانى الملطخ بالاصباغ الكثيفة فيحس بأنه حيوان جائع جدا وأنها فريسة سهلة يمكن أن تشبعه وكان يضمها الى صدره بشهوة كمن سيطرت عليه رغبة دفينة أن يفنيها أو يفنى هو فيها ··

وفجأة نظرت اليه الفتاة بعينيها المثقلتين بالنعاس وبالأهداب الصناعية الكثيفة وقالت له وهى تحاول أن تتملص من بين ذراعيه

هيا بنا الى البار لتبتاع لى كأسا فأنا أحس بظمأ شديد ·· ثم أن صاحب الملهى ينظر الينا بين الحين والآخر ·

حدث هذا فى منتصف الرقصة والموسيقى ما تزال مستمرة وغريزة الشاب ما زالت تتدفق كبركان ثار فجأة وراح يقذف طوفانا من الحمم الساخنة ثم جاءت هذه الفتاة الشرهة الغبية لتحاول سد فوهة البركان بخرقة مبللة ·

قال لها الشاب بغيظ وقد صدمه تصرفها المشين ، لكنك شربت كأسا منذ دقائق قليلة ·· فنظرت اليه الفتاة بتنمر وهى تقـول له بعصبية شديدة : اسمع اننا هنا نشرب طول الوقت اذا لم تكن تعلم ·· ان هذا الكباريه مفتوح من أجل هذا الغرض ··

وهنا قال لها الفتى بسذاجة جعلتها تنفجر من الضحك ·· ولا تسكرون أبدا ·· رفعت أصبعها السبابة وداعبت به شفتيه فى حركة تدليل مصطنعة وهى تقول له بلهجة مخمورة ناعسة : ولا نسكر أبدا ·· هل تعرف لماذا ؟ لأنهم يضيفون لنا الماء على الويسكى هل تتصور ؟ ·

قال لها بغضب شديد : لكنى لا أستطيع أن أبتاع لك كأسا من الويسكى كل خمس دقائق ·· ان ميزانيتى لا تسمح بذلك ·· نظرت اليه الفتاة بازدراء وهى تقول له : لكنك فى المرة السابقة وعدتنى بأن تفتح لى زجاجة ويسكى كاملة ، هل نسيت ؟

قال الشاب وهو يشعر بالحرج : نعم لقد وعدتك بذلك ، لكن ظروفى لا تسمح هذه المرة ·

وكانا قد وصلا الى البـار وطلبت الفتـاة لنفسها كأسا من الويسكى وقالت للبارمان وهى تدير ظهرها للشاب فى ازدراء : هذه الكأس على حسابى أنا ·

ثم جاء المتردوتيل وهمس فى اذنها ببضع كلمات التفتت على أثرها ناحية احدى الموائد البعيدة حيث كان يجلس أحد الزبائن الذى رفع كأسه لتحيتها ٠٠ فابتسمت له وقامت وهى تترنح متجهة اليه ، لكن يد الشاب القوية أمسكت بها من ذراعها قبل أن تتحرك ثم لانت ملامحه وهو يقول لها متوسلا أرجوكى لا تذهبى اليه ٠٠ امكثى معى هنا على البار وسأحضر نقودا من أصدقائى وأبتاع لك كأسا آخر ٠٠ لكن الفتاة نزعت ذراعها من يده بعنف وهى تقول له : ان الرجل الذى هناك سيفتح لى زجاجة شمبانيا ، هل تفهم ؟ ثم نظرت اليه برثاء وقالت له بنفس لهجتها الصريحة الحادة التى تشبه حافة الموسى ٠٠ اسمع أننا هنا ندير محلا للعمل لا مجال فيه للعواطف أو المجاملات . اننى هنا من أجل أى انسان يطلبنى بشرط أن يدفع ثمن جلوسى معه ٠٠ وعندما رأته ما يزال ينظر اليها تلك النظرات المستعطفة التى لا تجدى شيئا فى هذا المكان وكأنه لم يفهم حرفا واحدا مما قالته له ، أردفت قائلة :

اسمع فى المرة القادمة أحضر معك نقودا كثيرة وأنا أجلس معك كما تريد ٠٠ ثم أدارت له ظهرها متجهة الى مائدة الرجل الآخر ٠

وعاد الفتى الذى شعر باهانة دامية الى رفاقه وقال لهم بغضب شديد وهو يضرب المقعد بالأرض فى عنف أريد نقودا كثيرة وبسرعة ، هل تفهمون والا فاننى سأرتكب جريمة قتل ، وهنا قال واحد من أفراد الشلة ضاحكا :

معذور انه يحب والفتاة التى يحبها تموت فى النقود ٠٠ لكن الفتى الرياضى رمقه بازدراء وهو يقول له اصمت أيها الغبى ماذا تعرف أنت عن الحب وران على الجميع صمت متوتر كئيب ٠

★ ★ ★

خرجا وسط جموع الطلبة المندفعين من قاعة المحاضرات وهما يسيران جنبا الى جنب كأى طالبين عاديين ٠٠ لكن المسافة بينهما لم تكن بهذا القرب الذى يفصل بين أى طالب وطالبة بينهما رباط وثيق من الصداقة ٠

كانت بعيدة وكان يشعر أحيانا انها تتسع ولا تضيق ٠٠ وكان هذا الشعور يعذبه ويجعله يتمنى لو يحسم العلاقة بينه وبين فتاته بشكل أو بآخر لتأخذ شكلها الصحيح ٠٠ اما علاقة حب حقيقية بكل أبعادها العميقة ٠٠ بكل حرارة مشاعرها وقلقها وسعادتها أو مجرد زمالة لا أكثر ٠

كان الشاب يتأملها فى وله وصمت بين الحين والآخر وداخله يتعذب لانها لم تدرك بعد كم يحبها الى درجة العبـادة ٠٠ وكان يحاول أن يوهم نفسه وهو ينظر اليها تلك النظرات الحائرة المعذبة انه هو الوحيد الذى يمكن أن ينظر اليها كحبيبة رغم آلاف العيون المحيطة بها والتى يمكن أن تشعر بنفس الشعور ٠

كان يتمنى لو أن بمقـدوره أن يرفع أناملها الرقيقة ويقبلها خلسة عن العيون أو حتى يلمسها بأصابعه لتحدث بينهما تلك الشرارة التى تربط بين قلوب المحبين ، لكن أناملها كانت بعيدة وهى نفسها كانت بعيدة أيضا ٠

كانت بالنسبة له فتاته الجميلة التى لا ينبغى لأحد أن يحبها أو يعجب بها سواه لذلك كان قلبه يمتلىء بغيرة هوجاء عندما توجه نظرة اعجاب الى زميل يروقها أو عندما يوجه لها أحد غيره تلك النظرة وكم كانت هناك من آلاف العيون التى تمتلىء اعجابا عندما

تراها ·· تلك العيون التى كانت تقتله وتسبب له احساسا غامرا بالتعاسة ·

كان يعيش نوعا غريبا من الوهم فهو يحب فتاة لا تكاد تدرى شيئا عن شعوره الحقيقى نحوها ·· ربما كانت تعلم على سبيل التخمين انه يعجب بها لكنها بالتأكيد لا تعلم انه يحبها ·· وكانت علاقتهما أشبه بشىء هلامى لم يتحدد شكله بعد انه ليس حبا وهو بالتأكيد أكثر من مجرد زمالة ·

وكان الهدف بالنسبة اليه أن يحدد شكل هذه العلاقة فى صورة حب قوى يربط بينه وبينها ·· لكن المشكلة كانت كيف وهو يدرك بمرارة شديدة أن فتاة مثلها لا بد وأن تبحث عن الصفات الممتازة فى الانسان الذى تمنحه قلبها ·

كان يؤمن فى قرارة نفسه أنه يملك بعض هذه الصفات فهو وسيم وهو يحبها بعمق لكن لا شىء أكثر من هذا ·· وكان احساسه بأنه قطرة فى بحر من الطلبة الذين يذهبون الى الجامعة سيرا على أقدامهم يشعره بالأحباط وبأنه من الصعب أن يملك قلب فتاة فى امكانها أن تختار الأحسن ·

والأحسن دائما يركب سيارة أنيقة يتميز بها عن الآخرين ·· لكن أحيانا كان يحاول أن يقنع نفسه بأن وسامته شىء فريد يميزه عن الآخرين لكن نظرة واحدة الى وجوه الطلبة المحيطين به كانت تمحو هذا الاحساس فى نفس لحظة وجـوده ·· فالجامعة مليئة بآلاف الطلبة الذين يماثلونه ان لم يفوقونه وسامة ·· لا شىء يمكن أن يميزه عن الآخرين سوى المال الذى لا يملك شيئا منه ·

لذلك كان ينقم على كل فتاة تعجب بانسان لأنه يملك سيارة جميلة وينقم أكثر على صاحب تلك السيارة ٠

رأى فتاته الجميلة فى السنة الأولى التى دخل فيها الى الجامعة وأحبها من أول نظرة حبا عميقا غذاه خياله الجامح وبعد المسافة التى تفصل بينهما ٠٠ المسافة التى ولدها الخوف فى قلبه ٠

كان احساسه بانه انسان عادى تماما لا يتميز عن الآخرين بشىء خاص يجعله خائفا من أن يصارحها بشعوره الحقيقى نحوها ٠ اكتفى بأن يحبها فى صمت ومن مسافة بعيدة كأنه يحب نجمة فى السماء .

ومرت السنة الأولى دون أن يقدم على عمل واحد يجعلها تحس بشعوره الحقيقى نحوها ٠٠ لكن فى السنة الثانية صمم على أن يصبح صديقها ٠٠ وبدأ يتقدم منها بحذر شديد حتى لا يرتكب غلطة تنسف كل شىء ٠٠ بدأ يتعمد أن يجلس بالقرب منها فى قاعة المحاضرات ٠٠ يجلس بحيث تستطيع أن تراه دائما وأن تراه كثيرا ليصبح وجهه مألوفا لها ٠٠ وعندما يقع بصرها عليه كان يبتسم لها بعينيه ويحاول أن يعبر لها بملامح وجهه عما يكنه لها من مشاعر ٠٠ ثم تجرأ أكثر وأصبح يلقى عيلها بتحية الصباح ثم خطا خطوة أكبر من ذلك عندما أعطاها دفتر محاضراته لتنقل منه بضع كلمات ضاعت منها أثناء المحاضرة ٠

وأخيرا أصبح يسير الى جوارها وهى خارجة من قاعة المحاضرات وأحيانا وهما يسيران فى فناء الجامعة معظم الوقت مع

غيرها من الزملاء ٠٠ لكن أحيانا وحدهما ٠٠ وكثيرا ما كانت تضمهما شلة كبيرة من الزملاء والزميلات تقف فى فناء الجامعة فى فترة الراحة بين المحاضرات ٠

وهنا كان يحس بعذابه الأكبر اذ كان يشعر بكيانه الخاص يذوب فى كيان ليس له طبيعة محددة ٠٠ كيان قوامه الثرثرة الفارغة والضحكات المجوفة والعلاقات المائعة غير المحددة الشكل ٠

كان يريد علاقة خاصة وشكلا محددا ومشاعر لا يمكن أن يطلق عليها سوى لفظ واحد ٠٠ الحب ٠

أحس انه سأم أن يكون مجرد زميل أو حامل للكتب ٠٠ كان يبحث عن الحب أو لا شىء ٠٠ وكان احساسه بأنه انسان يخلو من ناحية تفوق خاصة يعذبه ويصيبه بنوع من اليأس من أن يصبح حبيبا لفتاته ٠

وكانت نوعية الفتاة أيضا تساعد على مضاعفة هذا الشعور لديه فهي من النوع الاجتماعى الذى يمارس نشاطات عديدة والتى يحوم حولها عدد كبير من الشبان الذين يخطبون ودها وفى مقدمتهم ذلك الشاب الرياضى الوسيم الذى يقود سيارته الخاصة والذى يبدو أنه سيصبح المفضل لديها لو لم يسبقه هو الى ذلك بطريقة أو بأخرى ٠٠ لكن كيف ؟ كيف ينافس تلك السيارة الضخمة التى يقودها ذلك الفتى والتى كثيرا ما يرى شلة من الفتيات متجمعات حولها يتأملنها بنظرات تكاد تنطق بما يعتمل داخل نفوسهن من مشاعر تتلخص فى انهن على استعداد لأن يفعلن أى شىء فى سبيل أن يركبن داخل تلك السيارة الفاخرة ٠

كان يكره ذلك الفتى لتميزه عنه بشيء فريد لا يستطيع هو أن يحصل عليه خاصة انه لم يفعل شيئا يستحق عليه ذلك الشيء سوى مجرد ميلاده لأب غنى ٠

كان يأتى دائما الى الكلية بملابس أنيقة يستبدلها فى كل مرة مستفزا بذلك مشاعر آلاف الطلبة الفقراء الذين قد تنقضى سنوات قبل أن يغيروا ملابسهم ٠

وألقى الفتى نظرة حانقة على قميصه الكاروهات الخفيف الذى يرتديه فى عز الشتاء ومن تحته بلوفر رخيص مليء بالثقوب ٠٠ هذا القميص الذى لا يتغير أبدا لأنه لا يملك غيره ٠٠ وأحس بالمرارة تخنقه ٠٠ أما بنطلونه فقد كاد يبلى من كثرة استعماله وهو ليس مصنوعا من قماش الجينز الأزرق الذى يرتديه الطلبة الأثرياء لكنه مجرد بنطلون عادى تجده ببساطة على عربة يد فى سوق الكانتو ٠٠ أما حذاؤه فقد كاد لونه الأصلى أن يمحى تماما وقد توالت عليه الترقيعات ورغم ذلك عجز عن استبداله بحذاء جديد ٠٠

وراح يفكر والحزن يملأ قلبه : كيف يمكن لفتى فقير مثله مهما كان صدق حبه أو سمو عواطفه أن ينافس السيارة الضخمة والملابس الفاخرة المستوردة ٠

ان ما ينقصه اذن هو المال الوفير كى يغطى به النقص الذى يشعر به وعليه أن يحصل عليه بأية وسيلة ممكنة ٠٠ وصمم على أن يتخلص من صفة حامل الكتب أو المرافق حتى باب الجامعة الخارجى ليصبح صديقها أو يفقد كل شيء ٠

وأحس انه لا بد أن يصارحها بحقيقة شعوره نحوها والوسيلة مكان هادىء يجمعهما وحدهما ·· كازينو على النيل مثلا ·· لكن ترى هل ستقبل دعوته ؟ عليه أن يحاول على أى الأحوال ·· وهما جالسين وحدهما فى ذلك الجو الرومانتيكى سيحاول اقناعها بأنهما يستطيعان أن يبدآ الحياة من الصفر اذا ما ربط الحب بين قلبيهما ·· يسيران الطريق خطوة خطـوة وليس من الضرورى أن يقفزا الى النهاية فى نفس لحظة البداية ·· لكنه فى أعماقه كان يحس بأنه يخدع نفسه عندما يتصور انها يمكن أن تقتنع بكلامه فكل الفتيات من هذا الجيل·· الجميلات منهن على وجه الخصوص يعبدن المال ·· يردن زوجا يملك كل شىء الآن وليس غدا ·· زوجا ليس من الضرورى أن يقطعن معه الطريق خطوة خطوة طالما أن فى مقدوره أن يصل بهن الى النهاية فى نفس لحظة البداية ·

انه كثيرا ما يسمع عن فتيات فى عمر الزهور يفضلن زوجا عجوزا ثريا على شاب قلبه ممتلىء بالحب وجسمه ملىء بالعافية ·· يا الهى أى عصر نعيش فيه وأى حقارة ··

كانا يسيران فى فناء الجامعة متجهين الى الباب الرئيسى ·· النجيل الأخضر يمتد بطول الممشى الذى يسيران فوقه ·· نسمات الهواء الخفيفة تتلاعب بقمم أشجار النخيل العالية فتوحى بالأمل والشموخ ، وأن الوقت هو وقت الأحلام الجميلة والحب ·· وأحس الفتى ان هذه هى أنسب لحظة لدعوتها لكازينو هادىء على النيل ·· وأن عليه أن ينتهز الفرصة قبل أن يصلا الى باب الجامعة فيضطر لوداعها ثم يسير كل منهما فى طريق يختلف عن طريق الآخر كما يحدث فى كل مرة ·

وفى اللحظة التى هم فيها بأن يفتح فمه ليتكلم اذا به يبصر سيارة الشاب تتوقف الى جوارهما وقد جلس فيها غريمه فى ثقة خلف عجلة القيادة وعلى شفتيه ابتسامة عذبة وجهها لفتاته الجميلة التى بادلته الابتسام وقد تألق وجهها لرؤيته ·· وانقبض قلب الشاب من فرط احساسه بالتعاسة وضياع الفرصة النادرة التى كان فى مقدوره أن يصارح فيها الفتاة بحقيقة شعوره نحوها ·· وبدأ احساسه بالضآلة يلح عليه من جديد وهو ينظر بكراهية الى تلك السيارة الفارهة التى ترمز لكل ما يكرهه ويحبه فى نفس الوقت ·· وتجمدت أحاسيسه التى كانت منذ لحظات تفيض بالحياة ·· ماتت فيها الحرارة وتحولت الى أشياء باردة لا روح فيها ··

كان يغلى من الغيظ لان انسانا غريبا جاء فى لحظة مواتية وخطف شيئا يخصه هو وحده ·· وأحس أنه يريد أن يقتل هذا الشاب ·· يقتل كل شىء فيه خاصة ثراءه لانه هو الشىء الوحيد الذى يجعله متفوقا عليه ·

وسألته الفتاة عما به بعد أن لاحظت التغير المفاجىء الذى طرأ على وجهه واختفاء الابتسامة المشرقة من فوق شفتيه كأنها شمس غابت بلا مبرر ·· وأجابها بجفاء وهو يشيح ببصره بعيدا عنها بأنه متعب من المحاضرات ويريد أن ينصرف الى بيته ·· ونظرت اليه الفتاة بدهشة ولم تفهم شيئا ··

وهبط غريمه من السيارة ذلك الشاب الرياضى الطويل الجسم الذى ينطق كل شىء فيه بالثراء الذى يرفل فيه ·· ملابسه أنيقة مستوردة ·· ورائحة كولونيا غالية تفوح من بشرته الناعمة ·· وشعر رأسه الأسود اللامع ·· ابتسامة ساحرة كئيبة تتربع فوق

شفتيه وهو يتقدم نحوهما شاخصا بعينيه الى فتاته الجميلة يلتهم ملامحها الفاتنة ·· يحاول أن يخدرها بسحره الذى لا يقاوم ·· يلقى عليها شباكا تمنعها من الحركة وتشل حواسها ·· الوغد ·· يود لو يقتله لكنه كان حقيقة واقعة لا يمكن انكارها ·· حقيقة تتقدم نحوه كأنها قدر لا يمكن تجنبه ·· قدر يسحقه ويسلبه فرصة حياته الوحيدة ·

قال الشاب الواثق من نفسه وهو يتقدم من الفتاة الجميلة متظاهرا بأنه رآها بمحض الصدفة مع أنه يشك فى أنه كان يراقبهما منذ لحظة خروجهما من قاعة المحاضرات : اننى حقا سعيد الحظ لاننى لحقت بك فى اللحظة الأخيرة لاننى لو تأخرت دقيقة واحدة لما تمكنت من رؤيتك وضاعت منى هذه الفرصة الرائعة ·· لكن أين تراك ذاهبة الآن فى هذا الوقت المبكر من النهار ؟

وضحكت الفتاة وهى تقول : الى البيت بالطبع ·· ماذا تظن ؟

قال وهو يتظاهر بالدهشة ·· فى مثل هذه الساعة ·· كلا ليس معقولا ·· اسمعى لماذا لا تأتين معى لنلعب ماتش تنس ·· ان الشمس اليوم رائعة وخسارة أن نضيعها فى الذهاب الى البيت ·· وراقت الفكرة للفتاة وتهلل وجهها من السعادة لكنها تذكرت فجأة رفيقها الآخر الذى كان واقفا الى جوارها وقد تجمدت حواسه تماما ولم يستطع أن ينطق بحرف واحد ··

ونظرت اليه بعينين فيهما تساؤل واعتذار وأحست بالعطف عليه ·· كان مثيرا للرثاء ·· متضائلا يذوب مع الوقت كأنه قطعة جليد تسيح تحت شمس ساخنة ·· وأحس هو بما تريد أن تقوله دون أن تنطق بحرف واحد ·· فأسرع يقول لها بكبرياء مهيضة الجناح ·

يمكنك أن تذهبى معه اذا أردت ولا يهمك أمرى فاننى كنت ذاهبا الى البيت على أى الأحوال وكنت سأوصلك فقط الى محطة الأوتوبيس ·

وكأنما أراد غريمه ألا تمر هذه اللحظة دون أن يكمل هزيمته · حدجه بنظرة أحس أنها تنغمد فى روحه كنصل حاد ·· نظرة تحمل خليطا من السخرية والاستفزاز ثم قال له باستعلاء : يمكنك أن تأتى معنا اذا أردت فمشاهدة مباريات التنس متعة لا تقل عن ممارستها ·· أجاب بجفاء :

اننى لا أحب مشاهدة مباريات التنس على الأقل ليس فى هذه اللحظة ·

وركبت الفتاة مع غريمه فى سيارته التى انطلقت بهما فى اتجاه ملاعب التنس وظلت عينا الفتى المقهور الذى يحس بأقصى درجات الهوان والتعاسة تتابع السيارة حتى اختفت تماما ·

وتبلور تصميم حاد فى داخل الفتى بأنه لا بد أن يحصل على النقود بسرعة لينافس بها غريمه ويتفوق عليه ·· نقود كثيرة لا يهم من أين تأتى حتى لو اضطر لارتكاب جريمة قتل ليحصل عليها ·



خرج الطبيب من حجرة المريضة ووقف فى صالة البيت المتواضعة التى تضم مائدة الطعام التقليدية المربعة الشكل والتى اصطفت من حولها بضعة كراسى عتيقة خرجت أحشاؤها بعد أن تمزق جلدها الحائل اللون وقد جلس فوق مقعدين منها طفلان يناهزان الثانية عشرة ·· طفلة كانت تقرأ باهتمام كتابا مدرسيا وطفل

أصغر منها قليلا كان يقرأ فى مجلة أطفال وهو يلتهم شطيرة بجوع يبدو واضحا على قسمات وجهه وقد أخذ يحدق بعينيه الواسعتين السوداوتين وبفضول شديد الى الطبيب الذى كان واقفا مع والده وأخيه الأكبر الذى يناهز الثلاثين من العمر وهو أحد أفراد شلة الشارع والذى يعمل موظفا صغيرا فى احدى المصالح الحكومية ·· وقد دار بين الثلاثة حوار هامس كان الطبيب خلاله يحاول أن يشرح طبيعة المرض للرجل العجوز وابنه بعيدا عن عينى المريضة طريحة الفراش والتى كانت تشرئب بعنقها بين الحين والآخر لكى تقرأ من خلال باب الحجرة المفتوح ما تقوله وجوه الرجال الثلاثة ·· كان الطبيب يقول للعجوز وابنه :

انه لا جدوى بعد الآن من العلاج الباطنى للمريضة حيث أن مرارتها قد بلغت حدا كبيرا من التضخم يستلزم استئصالها جراحيا فضلا عن انها مليئة بعدد كبير من الحصاوى التى تسبب لها آلاما مبرحة ·

وبرغم أن الرجال الثلاثة كانوا حريصين على ألا يظهر فوق ملامح وجوههم ما يمكن أن ينبىء العجوز بما دار بينهم من حوار الا أن المريضة كان بامكانها أن تخمن ذلك بسهولة شديدة اذ كانت تدرك المرحلة المتقدمة التى وصل اليها مرضها وكانت تعرف أن العملية الجراحية ضرورية ·· ولم يكن ما يقلقها ويثير خوفها هو مخاطر العملية نفسها واحتمال أن تموت خلالها لكن ما تتكلفه العملية من نفقات باهظة لن يتحملها معاش زوجها البسيط الذى بالكاد يكفى أفراد الأسرة ليعيشوا فى أدنى مستويات الحياة ·

أيضا كان قلقها من أجل ابنها الذى اضطر ذات يوم لترك الدراسة والالتحاق بوظيفة صغيرة كى يساعد أباه على تحمل نفقات الأسرة الكبيرة ··

كانت تعلم انه عاطفى لن يسمح لها بدخول أحد المستشفيات العامة لتموت فيها من الاهمال ·· وانه ربما حاول الحصول على المال اللازم لادخالها أحد المستشفيات الخاصة مهما كلفه ذلك من مشاق أو مخاطر ·

وسأل الرجل العجوز الطبيب بنفس ذليلة حائرة وهو يكاد يعلم الاجابة مسبقا عما اذا كانت العملية ستتكلف مبلغا كبيرا من المال ·

وأدار الطبيب بصره فى أرجاء الصالة الصغيرة وأحس باشفاق حقيقى على الرجل المسكين اذ كانت مظاهر الفقر بادية على كل شىء فى المكان ·· وكأنما أراد الطبيب ألا يجيبه بطريقة تصدمه وتصيبه بنوع من الاحباط فقال بلباقة : ان هذا يتوقف على مكان اجراء العملية وما اذا كان مستشفى خاصا وهذا ما ينصح به أم مستشفى عاما وفى هذه الحالة ستتناقض النفقات الى درجة كبيرة ·

وسأله الابن فى قلق عن المبلغ الذى يمكن أن تتكلفه العملية فى تصوره فى حالة اجراءها فى مستشفى خاص ··

وفكر الطبيب لحظة ثم قال وهو يمط شفتيه : أعتقد أن المبلغ لن يكون أقل من مائتى جنيه بما فهيا أجر الجراح الذى سيجرى العملية ·

وخيم صمت عميق على الرجال الثلاثة وقد بدا الذهول واضحا على قسمات وجهى العجوز وابنه اللذين بدا لهما هذا الرقم خرافيا · وتكلم الأب فى حزن ومرارة قائلا : كنت أود أن أدخلها مستشفى

خاصا لتلقى العناية الواجبة لكنى لن أقدر أبدا على النفقات ٠٠ انها فوق طاقتى ولذلك ليس أمامى سوى ادخالها أحد المستشفيات العامة وأنا آسف من أجل ذلك ٠٠

وهنا صرخ الابن قائلا وقد كان معبأ حتى حافته بمشاعر غاضبة ملئته احساسا بالمرارة : كلا انك لن تدخلها مستشفى عاما طالما أنا حى ٠٠ ان والدتى ستدخل مستشفى خاصا وأنا كفيل بتدبير النفقات المطلوبة مهما بلغت ٠٠ لكن الأب الذى زادت من عذابه واحساسه بالعجز والهوان كلمات ابنه العاطفية ، سأله قائلا : ومن أين ستأتى بالنقود الكثيرة التى يتطلبها اجراء العملية فى مستشفى خاص وأنا وأنت نعلم حالتك المالية جيدا ؟ اسمع دعنا من الكلمات الكبيرة التى لن تفيد شيئا ولندخلها مستشفى عام وليجرى لها ما يجرى لغيرها من الناس فنحن لسنا أفضل من الآخرين بحال ٠

لكن الابن رد على أبيه بعصبية شديدة قائلا : لقد قلت أن والدتى لن تدخل مستشفى عاما وهذا كلام نهائى لن أتراجع عنه أما عن نفقات المستشفى الخاص فاطمئن يا أبى فاننى سأجد طريقة لتدبيرها ٠ وتبادل الاب والابن نظرات تقول كلاما كثيرا دون أن ينطقا بحرف واحد ٠

وأحس الطبيب بحرج موقفه بينهما فاستأذن فى الانصراف على أن يخبراه فى وقت لاحق بما استقر عليه رأيهما ٠٠ ودخل الرجل العجوز الى حجرة زوجته مهموما محطما وعلى شفتيه ابتسامة اغتصبها بصعوبة بالغة ٠٠ ابتسامة مشجعة لزوجته ومانعة له من الانهيار باكيا أمامها ٠٠ وجلس الى جوارها على الفراش ، وتناول يدها وضغط فوقها بحنان بالغ فى الوقت الذى كانت فيه عينا الابن

ترمقان هذا المشهد المؤثر ومشاعر متضاربة عنيفة تموج فى داخله .. وفجأة أحس انه لم يعد يحتمل البقاء فى هذا المكان لفترة أطول من ذلك فاندفع خارجا من الشقة بعد أن صفق الباب وراءه بعنف أزعج الصبيين الموجودين فى الصالة فرفعا بصريهما اليه فى دهشة لسلوكه الغريب . ونزل على السلالم عدوا ورأسه تكاد تنفجر من دوامة الافكار التى تدور بداخلها .. كان يلوم نفسه لانه اندفع بلا روية فتعهد أمام والده والطبيب بالوفاء بالتزام يبدو مستحيلا بالنسبة له . لكن ما كان يضايقه أكثر هو ادراكه أن عدم الوفاء بالالتزام الذى تعهد به هو شيء مشين سيحط من شأنه فى نظرهما .

وقد بدت له هذه النتيجة المحتملة مخيفة ومروعة ، لذلك استقر رأيه على أن يحصر تفكيره فى كيفية تدبير النفقات اللازمة للوفاء بالتزامه ، وجلس فى المقهى الذى تعودت الشلة الجلوس به وهو يحاول أن يفكر فى طريقة يحصل بها على النقود اللازمة لكنه لم يستطع أن يجد هذه الطريقة .. وفكر فى أن ينتظر حتى تحضر الشلة فيعرض عليها مشكلته فربما يتمكن أفرادها من مساعدته على حل مشكلته العويصة .. لكن الشيء الذى بدا مؤكدا بالنسبة له هو ضرورة الحصول على النقود بأسرع ما يمكن ولا يهم كيف يحصل عليها .

انه على استعداد لعمل أى شيء حتى ارتكاب جريمة قتل فى سبيل الحصول على النقود .. وعندما فكر فى القتل أصابه شيء من الفزع وأحس أنه يستنكر فى قرارة نفسه أن يصل تفكيره الى هذا المدى البعيد المخجل ، لكن الغريب أن نفس فكرة القتل هذه بدأت تبدو له مع مرور الوقت شيئا عاديا ومألوفا .. بدأت تصبح أحد الحلول المطروحة للخروج من أزمته الغريبة .



كان بحلق عائدا من المتنزه القريب من البيت بعد أن ظل هناك فترة من الوقت جالسا فى صمت واسترخاء فوق دكة خشبية صغيرة وقد أغلق عينيه واستسلم الى ما يشبه النوم ، وترك لاشعة شمس الشتاء الدافئة وللهواء الرطب المحمل برائحة الورود المنتشرة فى الحديقة الكبيرة أن تحدث أثرها فى نفسه ٠٠ وهو أثر مهدىء وباعث على الامل فى قلب بحلق المليء بالشجن والعذاب ٠

كان يشعر فى هذه الجلسات الهادئة التى تحدث بين الحين والاخر فى حياته أن الحياة تهادنه ولو لفترة قليلة من الوقت قبل أن تتابع حربها الضارية عليه من جديد ٠٠ وبرغم أن رواد الحديقة الدائمين ألفوا شكله من كثرة ما رأوه يتردد عليها جالسا كعادته فوق احدى الارائك الخشبية لا يكاد يتركها معظم الوقت الذى يقضيه فى الحديقة لا يكلم أحدا ولا يكلمه أحد الا للضرورة القصوى ، فانهم لم يستطيعوا أن يهضموا فكرة أنه انسان مثلهم من حقه أن يستمتع بهذه اللحظات القليلة من الهدوء والمتعة كأى واحد منهم ٠٠ ظل دائما فى مخيلتهم التى لم تستطع أن تراه على حقيقته مجرد ظاهرة محيرة يفسرها كل منهم بطريقته الخاصة التى تتفق مع مزاجه الشخصى ودرجة تعليمه ورقيه الاجتماعى ٠٠ فهو فى نظر البعض عبيط أو مجنون ، وفى نظر البعض الاخر غبى وقبيح الخلقة ، انه أعجوبة بشرية يكرهها كل منهم لسبب خاص به ٠ لكن الكل يجمع على معاملته على أنه انسان شاذ لا يمكن لاحد أن يحبه أو يثق به ٠

وغالبا ما كانوا يكتفون فى الاحساس بوجوده بينهم بمجرد النظر اليه من بعيد دون أن يكلف أحدهم نفسه بالاقتراب منه أو التحدث معه حديث أنسان لانسان مساو له ٠ فاذا رآه أحدهم جالسا فوق دكة خشبية امتنع عن الجلوس الى جواره ولو كانت الدكة الاخرى مزدحمة برواد الحديقة الاخرين ٠ واذا كان جالسا فوق دكة

رجاء بحلق للجلوس الى جوراه سارع هذا بالقيام بعيدا وهو ينظر اليه بكراهية واشمئزاز ٠

وكان بحلق الطيب القلب الذى تعود على الاضطهاد طول حياته يعتبر هذا السلوك اللا أخلاقى من جانب رواد الحديقة ومعظمهم من الرجال العواجيز أو ربات البيوت اللاتى يصحبن اطفالهن الى الحديقة فى فترة الصباح ٠٠ أو المربيات اللاتى يتجمعن فى حلقات صغيرة ليتبادلن الضحكات والثرثرة طول الوقت بينما الصغار يلعبون أمامهن على النجيل الاخضر أو فى المشايات المليئة بالرمل الاصفر ٠

كان بحلق يعتبر هذا السلوك المزرى من جانب هؤلاء الناس شيئا عاديا يمكن احتماله بشكل أو بآخر فأين هو من الايذاء المتعمد الذى يصل الى درجة سحق آدميته تماما من جانب أناس اخرين ٠٠ أين هو من الطوب يقذفه به الصغار فى ظهره أو الشتائم المقذعة يلقون بها فى وجهه دون خجل أو احساس بالاشفاق عليه ٠ لكن الامر لم يكن يسلم أيضا من بعض الاستفزاز يوجهه له رواد الحديقة خاصة الاطفال الصغار الذين كانوا يصيحون فى وجهه أو يفرون من أمامه وهم يتصنعون الذعر ٠٠ أو كلمة سباب تأتى من هنا أو هناك أو نظرة تتلصص عليه وهو جالس فى هدوء فتصيبه بالفزع وتضطره لمغادرة مكانه والبحث عن مكان اخر بعيد ٠

لكن كل هذا الرعب الذى كان رواد الحديقة يبثونه فى قلب

بحلق المسكين لم يكن يمنعه من الاحساس بمتعة الهدوء والصفاء وهو جالس فوق دكة خشبية صغيرة وشمس الشتاء الدافئة تحنو عليه وتمسح جراحا فجرها أناس ينتمون الى جنس الوحوش ٠٠ كان يسعى الى الحديقة بقدميه ليخرج من الحبس الانفرادى الذى فرضته عليه

الطبيعة والناس وليحس وهو جالس خلال الفترة التى يقضيها هناك بنفحة انسانية تتسلل الى قلبه وتبعث فيه شيئا من الامل ، وبالتالى القدرة على الاستمرار فى حياة أقل ما يقال عنها أنهـــا مأساة أليمة ٠٠

كان بحلق قد قضى الساعتين الاخيرتين فى واحدة من تلـــك الجلسات الهادئة التهم خلالها عددا من ثمار اليوسفى الذى ينضج فى ذلك الوقت من السنة ويصل الى قمة حلاوته ، وأيضا كيســـا كبيرا من الفول السودانى بقشره والذى يحبه كثيرا ، بل أنه من فرط احساسه بالسعادة تشجع ومد يده بثمرة يوسفى ناضجة الى ذلـك الرجل العجوز الذى لم يأنف من الجلوس الى جواره على الاريكة والذى أخذها منه بعد أن نظر اليه بعطف ملأ قلبه بالدفىء ٠٠ وهو شعور جعل بحلق ينظر الى الرجل العجوز بامتنان شديد ويتبادل معه بضع جمل دون أن يحس بالخوف كما هى عادته فى كل مرة يتحدث فيها الى واحد من الناس ٠٠ وفجأة أقبلت طفلة صـــغيرة وراحت تلعب بكرتها فى الممشى الملىء بالرمل الاصفر أمامهمـــا مباشرة ٠

كانت طفلة جميلة ذات جدائل شقراء تتأرجح وراء ظهرها ٠ وتوقفت الطفلة فجأة عن اللعب وراحت تحدق فى بحلق الذى كان يلتهم ثمار اليوسفى بشهية واضحة ٠٠ كان بالنسبة لها عالما غريبا تريد أن تستكشفه ٠٠ كان يبدو لها انسانا لكنه ليس كالآخرين ٠٠ هناك شىء يميزه عنهم ٠٠ شىء يثير خوفها وقلقها وفضولها ٠٠ وابتسم لها بحلق ليبعث فى قلبها شيئا من الطمأنينة من ناحيتـــه وليشجعها على الاقتراب منه ثم تشجع أكثر ، فمد لها يده باحـدى ثمار اليوسفى الناضجة طالبا منها بملامح وجهه التى امتــلأت بالحنان وبعينيه المليئتين بالصدق ان تتقدم وتأخذها منه ٠

وترددت الفتاة الصغيرة في بادىء الامر ثم تشجعت وتقدمت من بحلق وقلبها يدق بعنف شديد ، ثم مدت يدها وخطفت منه ثمرة اليوسفى ثم تراجعت بسرعة الي مكانها الاول وراحت تلتهم الثمرة بشهية بالغة .

وفى تلك اللحظة لمحتها والدتها التى كانت جالسة فوق دكة قريبة وقد انهمكت في الثرثرة مع احدى النساء فانتفضت غاضبة اذ اعتبرت ما فعله بحلق مع ابنتها عمل لا يغتفر من جانبه اذ كيف يجرؤ هذا المخلوق البشع الذى يكرهه ويخاف منه كل الناس على أن يشجع ابنتها الصغيرة على الاقتراب منه فضلا عن أن يعطيها احدى ثمار اليوسفى لتأكلها .. هذا اليوسفى الذى لا يدرى أحد من أين أتى به أو ما الذى يوجد بداخله .

وتقدمت المرأة متنمرة الى حيث يجلس بحلق الذى أحس بخوف عميق من هيئتها المخيفة الناوية على الشر ، ووقفت أمامه فى تحد وصرخت فيه بأقصى درجات الكراهية والتعصب : ألا يكفى أننا نسمح لك بدخول هذه الحديقة دون أن نطردك منها كما كان ينبغى أن نفعل لتعتدى على الاطفال الصغار بهذه الطريقة .. انك تخيف ابنتى أيها الوغد .. ثم من قال لك بأن تعطيها احدى ثمار اليوسفى دون أن تستأذن من أمها المسئولة عنها .

ثم مدت المرأة يدها واختطفت باقى ثمرة اليوسفى من يد ابنتها وألقت بها على الارض وهى تصرخ فى وجه بحلق الذى تجمدت ملامحه من الشعور بالرعب والخجل والذى عجز عن أن ينطق بحرف واحد دفاعا عن نفسه ضد هجوم المرأة الذى لم يخطر له على بال .. لتكن هذه هى المرة الاولى والاخيرة واياك أن تفعلها مرة ثانية والا كان لى معك شأن آخر .

ثم جذبت ابنتها من يدها بعنف وهى تصرخ فى وجهها قائلة : هيا إبتعدي عن هنـــا وابحثى لنفسك عن مكان آخر لتلعبى فيـــه واحس بحلق بألم يعتصر قلبه ألم يفوق ما يحس به عندما يســـبه شخص ما أو عندما يقذفه الصبية الصغار بالطوب فى ظهره • كان عقل بحلق عاجزا عن ادراك جريمته التى يستحق عنها هذه المعاملة المزرية •• كان يظن أنه قام بعمل ينبغي أن يشكر عليه • لكنه وبكل المرارة تذكر انه ليس أنسانا عاديا ليمارس تصرفات الناس العاديين •• انه انسان منبوذ عليه أن يظل صامتا متقوقعا على نفسه ليأمن شر الآخرين •

وامتلأت عينا بحلق بدموع صـــامتة حارة ظلت معلقة فى مقلتيه وهو يلتفت الى الرجل العجوز متسائلا بنظراته الحـــائرة المعذبة عن تفسير لما حدث له •• لكن وجه العجوز ظل جامدا خاليا من التعبير كأن شيئا لم يحدث أمامه أو كأن ما حدث هو ما كان ينبغى أن يحدث ••

وقام بحلق المسكين يجر جسمه المترهل الذى هده الاحبـــاط الذى شعر به متخذا طريقه الى منزله •• هناك سيدخل كصرصـار صغير فى جحر تحت الارض •• مكان وحيد فى هذا العالم يشعر فيه بالامان من شرور الآخرين •• سار فى الممشى الرئيسى فى الحديقـة وقد تحولت الوجوه الجالسة هنا وهناك الى صفحات بيضاء خالية من الملامح •• وتباعدت أصوات الكلمات حتى البذيئة منها فأصبحت لا تصل الى أذنيه الا نوعا من الصمت •• كان عالما وحيدا خائفـــا يسير فى فراغ مجهول •• ووصل الى رصيف الحديقة الخارجى •• وهم بعبور الشارع وفجأة وجد أمامه ذلك الرجل الذى باع له ورقة اليانصيب منذ فترة من الوقت كاد لبعدها أن ينسى كل شىء بخصوص هذا الموضوع •

كان وجه الرجل متهللا على غير عادته وهو يقبل ناحيته مهرولا ٠٠ صاح فى وجهه دون مقدمات : أين الورقة التى بعتها لك ؟ هيا اخرجها على الفور ٠٠ ان حظك من السماء ٠٠ لقد ربحت الجائزة الاولى خمسة آلاف جنيه مرة واحدة ٠

لكن بحلق الذى فاجأته كلمات الرجل وأحدثت له ما يشبه الذهول ظل صامتا لبضع لحظات كان يحاول خلالها أن يستجمع نفسه فى الوقت الذى كان فيه بائع اليانصيب يستحثه على سرعة اخراج الورقة لمضاهاتها على الكشف واعطائه الحلاوة على الفور ٠ وبعد أن أفاق بحلق من ذهوله قال لبائع اليانصيب : لكن الورقة ليست معى الآن ، انها فى البيت ٠ وتجهم وجه بائع اليانصيب ، وقال بضيق : حسن سآتى معك الى البيت كى تعطينى الحلاوة الآن ألست أنا أول من بشرك بالنتيجة ٠٠ لكن بحلق قال بذكاء بدا غريبا على الرجل الذى ظن أنه يمكن أن يضحك عليه بسهولة ٠ أما بخصوص الحلاوة فاننى سأعطيها لك بعد أن أقبض قيمة الجائزة اذ من الذى يضمن لى أنك تقول الصدق ؟ وحدجه بائع اليانصيب بكراهية وكل ما فيه من مشاعر يستنكر أن يفوز مثل هذا الانسان الابله بكل هذا القدر من النقود وقال له بازدراء : حسن سأمر عليك فى البيت بعد حوالى الساعة على أن تكون قد عثرت على الورقة خلال تلك الفترة ٠٠ وبصق على الارض وتركه وانصرف ٠

وأسرع بحلق مهرولا فى طريقه الى منزله ودوامة من المشاعر العنيفة تمسك بخناقه وتسبب له حيرة بالغة ٠٠ فماذا تراه فاعل بهذه الكمية الضخمة من النقود عندما تصل الى يده ؟ ان عالمه المحدود للغاية لن يسمح له بانفاقها كما ينبغى أو الاستمتاع بها ٠ لكن الفرح الغريزى لمجرد حصوله على نقود كثيرة غير متوقعة كان يسيطر عليه رغم ذلك ٠ وما كاد بحلق يصل الى دكان البقال الكائن

على ناصية الشارع الذى يقيم به حتى أصابه الفزع اذ أبصر بائع اليانصيب واقفا الى جوار البقال وقد راح يهمس فى أذنه ببضع كلمات أحس بحلق بغريزته ومن ملامح وجهيهما ونظراتهما التى كانت ترمقه بفضول غريب انها تدور حوله ·· وبالذات حول فوزه بالجائزة الاولى فى اليانصيب ··

ولم يكن بحلق ليشعر بالطمأنينة عندما يعلم أن البقال عرف بفوزه بهذه الثروة الكبيرة اذ لا يعلم الا الله ما يمكن أن يحدث بعد ذلك ·· وتضاعف احساس بحلق بالخوف والتعاسة وهو يلاحظ نظرات أفراد الشلة الواقفين أمام دكان البقال اليه ·· كانت مليئة بكراهية عنيفة وبنوع من الاحتجاج ضد القوى المجهولة التى خصت هذا الانسان الابله بضربة الحظ المفاجئة ، فما الذى سيفعله هذا الانسان بكل هذه الكمية الضخمة من النقود الا أن يكنزها فى مكان ما حتى تبلى مع الوقت أو يسرقها أحدهم منه ·· فى الوقت الذى هم فيه أحوج ما يكونون الى تلك الثروة الكبيرة ·

وبصق البقال البدين ذو العينين الممسوحتين والرأس الصلعاء الماكرة على الارض وهو يقول لبائع اليانصيب بمرارة واضحة : ألم أكن أنا أولي بهذه النقود الطائلة التى ربحها هذا المعتوه الذى لن يعرف ماذا يفعل بها ، أما أنا فكان يمكن أن ·· لم يدعه بائع اليانصيب يكمل كلامه اذ أسرع يقول : أما أنت فكنت ستتزوج للمرة الثالثة وربما تطلق احدى زوجتيك القديمتين ·· أليس كذلك ؟ وهنا قال البقال وهو يضحك بصوت عال : وكنت سأشترى أيضا بضائع كثيرة ناقصة للمحل · قال الشاب الرياضى لزملائه وهو يشير الى بحلق بغيظ وقد أخذ يهرول مبتعدا عنهم فى طريقه الى منزله والخوف والتعاسة يملآن قلبه :

أنها مهزلة أن يكسب هذا المخلوق العبيط خمسة آلاف جنيـه بينما نحن شلة من الشباب فى عمر الزهور لا نجد ما ننفقه عــلى أنفسنا ، ورد عليه آخر قائلا :

ألا توجد طريقة لتصحيح هذا الخطأ ؟ أعنى ، بالحصول على المال من هذا الغبى ، انه ليس من حقه لانه لن يعرف كيف ينفقه ، فقال الشاب الرياضي : بالتأكيد توجد طريقة لكن لا تظن أن الامر سيكون سهلا ٠٠ ان بحلق رجل قوي الجسم رغم البلاهة البادية عليه وهو بالتأكيد سيدافع عن نفسه بضراوة إذا ما حاولنا سرقتــــه بالاكراه ، فرد عليه الأخر قائلا :

ليس من الضرورى أن تكون سرقة بالاكـــــراه ، ما رأيكم لو نوهمه بمشروع تجارى حتى نلهف منه النقود ٠٠ ان هذا أســهل بالتأكيد ٠٠ وهنا قال واحد من أفراد الشلة محتجا وندخل السجن بعد ذلك ، كلا فكروا فى طريقة أخرى أضمن من ذلك ٠ قال الشــاب الرياضى :

حسن اذا أردنا ألا يعرف أحد بما سنفعله ببحلق فليس أمامنا سوى حل واحد ٠٠ أن نقتله لنضمن سكوته الى الابد ٠ وعندما نطق الشاب بهذه الكلمة استولى على باقى أفراد الشلة شعور عميــق بالارتياح لأن أحدهم قد نطق علانية بما يفكر فيه كل واحد منهم فى داخله ولا يجد الشجاعة ليقوله للاخرين ٠

وبدأت أنظار أفراد الشلة تتفرس فى بحلق فى فضول وهــو يهرول مبتعدا عنهم ووراءه راح يعدو بائع اليانصيب يريد اللحاق به ، كأنهم ينظرون الى زمن مجسّم للحل السحرى الذى يفكرون فيه والكفيل بانقاذهم من أزمتهم المستحكمة ٠٠ ووصــــل بحلق وبائع

اليانصيب الى البيت وبعد أن راجعا الورقة على الكشف وتأكدا أنها الرابحة اتفقا على الذهاب سويا الى البنك في الصباح لصرف قيمة الورقة وأعطاه بائع اليناصيب الحلاوة التى يريدها ·

وأحس بحلق أنه يريد لصديقه عادل أن يشاركه فرحته بهذا الخبر السعيد ، وايضا ليدله على طريقة يستغل بها هذا المال ويبعده عن أيدى اللصوص والطامعين فيه ·· فأسرع بالتوجه الى منزل عادل وجلس فى انتظاره على سلالم العمارة ·· جلس طويلا دون أن يشعر بالملل ·· حتى اذا ما رأى سيارته تقبل من أول الشارع هب واقفا على قدميه وأسرع لاستقباله على رصيف العمارة ، وما أن وقف أمامه عادل وهو ينظر اليه بدهشة لوجوده فى تلك الساعة على غير المألوف حتى فاجأه قائلا دون تمهيد :

كسبت الجائزة الاولى يا عادل ·· خمسة آلاف جنيه ·· وغدا سأتوجه الى البنك لاصرف قيمة الورقة ·· وبرغم أن عادل أحس بفرحة حقيقية للسعادة التى بدت على بحلق وهو يتحدث عن فوزه بالجائزة ·· الا أنه لم يستطع أن يمنع خاطرا مزعجا من أن يسيطر عليه فمعنى وجود هذا المبلغ الضخم فى حوزة بحلق ومعـــــرفة الآخرين بذلك كارثة محققة ، فماذا سيفعل هذا الانسان المسكين بكل هذا المبلغ من المال ألا أن يحيط نفسه بأخطار مروعة · فهو يمكن أن يتعرض للضرب المبرح أو حتى محاولة قتله فى سبيل سرقة هذا المبلغ منه ·· ورغم هذا الاحساس بالقلق الشديد الذى سيطر على عادل وهو يسمع هذا الكلام من بحلق الا أنه كان يحس بفـــــرحة حقيقية لسعادته ·· ارتسمت على شفتيه ابتسامة عطوفة صادقة وهو يقول له :

اننى جد سعيد من أجلك يا مكرم ·· لكن لابد أن نفكر بسرعة لابعاد هذه النقود عن المنزل ·· لان وجودها هناك يشكل خطـرا

جسيما عليك · ونظر اليه بحلق بقلق وخوف وان لم يبد عليه تماما انه أدرك الاخطار الجسيمة التى تحيط به وهنا سأله عادل : هل الورقة معك يا مكرم ؟ فأجابه بحلق بأنها فى البيت ·· فقال عادل على الفور :

-حسن هيا بنا نحضرها من هناك ·· فلا ريب أن النبأ قد انتشر الآن وقد يفكر أحدهم فى التوجه الى المنزل لسرقتها ·· وفى منزل بحلق سأله عادل قائلا : هل لديك مانع فى أن احتفظ لك بالورقة حتى الصباح ·· انك تعلم أنها لو فقدت منك فلن يمكنك صرف النقود ·· فالورقة هى مستندك الوحيد ·· ومد بحلق يده بالورقة لعادل دون تردد ، وابتسم عادل وهو ينظر الى بحلق فى اشفاق شديد ، فهذا الانسان بلغت به الطيبة حدا جعله يستأمنه على مبلغ خمسة آلاف جنيه دون تردد ·· وتصور لو أن عادل كان شخصا آخر ماذا كان يمكن أن يحدث لبحلق المسكين ·

ووضع عادل يده فى حنان بالغ فوق كتف بحلق وهو يقول له : اطمئن يا مكرم ، غدا فى الصباح سنذهب أنا وأنت الى البنك لنصرف قيمة الورقة ونرى ماذا سنفعل بالمال الذى سنحصل عليه · كل ما أطلبه منك الآن أن تذهب الى المنزل وأن تبقى فيه حتى الصباح وأن تغلق عليك الباب بالمزلاج من الداخل ·· وأن لا تسمح لأحد بالدخول حتى آتى اليك فى الصباح ·

فى اليوم التالى وبينما عادل وبحلق خارجين من باب المنزل رأيا بائع اليانصيب يهرول ناحيتهما ، قال لعادل وهو يضحك فخورا بنفسه : لم يعد أحد فى الحى يجهل أن السيد مكرم كسب خمسة آلاف جنيه · رمقه عادل باشمئزاز وهو يقول له : والبركة فيك بالطبع ·

وفجأة لمعت فى ذهن عادل فكرة أوحى بها اليـــــه كلام بائع اليانصيب الوغد .. لماذا لا يقوم بنفس دوره كاذاعة آدميه متنقلة لكن هذه المرة لحساب مصلحة بحلق وليس ضدها .. وعندما لمـح بائع اليانصيب برغبته فى التوجه معهما الى البنك لم يمانع عادل . وبعد أن تم قبض قيمة الورقة وقبل أن يعطى عادل الحلاوة لبــائع اليانصيب تعمد أن يشترى أمامه بكل مبلغ الجائزة شـــــهادات استثمار باسم بحلق وهو واثق ان الاذاعة المتنقلة ستقوم فــور مغادرتها البنك بالدور الذى كان عادل واثقا من أنها ستقوم به .

وفى طريق العودة الى البيت تعمد عادل أن يتوقف عنـــد البقال ليذيع النبأ بنفسه .. ولمح أفراد الشلة واقفين فى مكانهــم المعتاد .. رمقوه بفضول .. فرد عليهم بنظرة متحدية .. وقــد ارتسمت على شفتيه ابتسامة بدت لهم غريبة وغير مفهومة . وطلب عادل من البقال علبة سجائر ، فسأله هذا وهو يناوله العلبة وعيناه مليئتان بشراهة واضحة ، هل صرفتم النقود ، سمعت أنكم توجهتم اليوم الى البنك .. قال عادل بسخرية :

نعم توجهنا اليوم الى البنك غير أننا لم نصرف النقود ، أعنى أنها ليست معنا الآن .. ارتفع حاجبا البقال فى دهشة وهو يسأل : كيف توجهتم الى البنك ورغم ذلك لم تصرفوا النقود ؟ قــال عادل بشماتة :

لقد صرفناها فعلا .. لكننا اشترينا بها شـــهادات استثمار باسم مكرم شهادات لا يمكن صرفها الا باسمه وحده .. ثم نظر الى أفراد الشلة وقال متهكما فعلنا ذلك لأن اللصوص كثيرون هــذه الايام .. وأخذ البقال الذى فاجأه كلام عادل يضرب كفا بكف وهو يقول ضاحكا بصوت مرتفع : اشتريتم بكل النقود شهادات استثمار

ولم تبقوا منها شيئا على الاطلاق ؟ وانصرف عادل وبحلق عائدين الى منزليهما ·· وعادل يشعر بسعادة غامرة وباحساس تام بالرضاء عن النفس لانه قام اليوم بعمل يمكن أن ينقذ صديقه المسكين من خطر كان يمكن أن يقع له لو لم يقوم بهذا العمل ·

★ ★ ★

دق جرس التليفون فى منزل مرفت التى كانت جالسة الى مكتبها الصغير بحجرة نومها تقرأ فى أحد كتب الكلية ·· وكأنما أحست مرفت بشعور داخلى مبهم أن هذا التليفون من أجلها هى فهرولت خارجة من الحجرة ورفعت السماعة فى لهفة لتسمع صوت المرضة يقول لها ضاحكا : أرجو ألا أكون قد أيقظتك من النوم أيتها الكسولة · أجابت مرفت بضيق بعد مفاجأة سماع الصوت الخطأ الذى لم تكن تريد أن تسمعه ، انك لم توقظينى من النوم فقد كنت جالسة الى المكتب أستذكر دروسى · ضحكت المرضة بصوت مرتفع وهى تقول بسخرية جرحت مشاعر مرفت : تستذكرين دروسك ؟ لم أكن أعرف أنك تفعلين ذلك منذ أن تعرفتى بى على أى الأحوال ، دعى دروس الكلية الآن ، فهذه يمكن تأجيلها الى وقت آخر ·· أما درس اليوم فلا أعتقد أنه يمكن تأجيله على الاطلاق ·· قالت مرفت بدهشة :

درس اليوم ؟ ماذا تعنين بذلك : ضحكت المرضة بخلاعة وهى تقول : أهم درس فى حياتك يا عزيزتى ·· قالت مرفت :

اننى لا أفهم شيئا ·· قالت المرضة وقد بدأ صوتها يفقد لهجته المرحة ويكتسب شيئا من الصرامة والجدية ، اسمعى هل ما زلت تذكرين الرجل الذى قلت لك أنه على استعداد لان يدفع

لك مبلغ خمسمائة جنيه نظير شئ معين ، انه موجود الأن ، وعلي استعداد لتنفيذ الاتفاق ، بل انه لا يكف عن السؤال عنك طول الوقت ·· قالت مرفت بخوف وقد تعالت ضربات قلبها فجأة : يسأل عنى أنا هل تراك قلت له شيئا عنى ·

قالت المرضة باستنكار : كلا بالطبع أيتها الساذجة ، كل ما قلته له أننى أعرف فتاة جميلة مناسبة للغرض الذى يريده لكنى لم أذكر له اسمك أو الكلية التى تنتمين اليها ·· انك بالطبع تدركين أن الكتمان ضرورى جدا فى مثل هـــذه الامور ·· ثم اننى لست ساذجة أو يمكن الضحك على بسهولة · قالت مرفت وهى تتنهد فى ارتياح : الحمد لله انك لم تقولى له شيئا ·

وبعد لحظة صمت قالت فى فضول : لكن من يكون هذا الرجل هيا أخبرينى بكل شئ عنه هل هو شاب أم عجوز ؟ وسيم أم قبيح ؟ اسمعى ، اننى لا أريد رجلا عجوزا لامارس معه تجربتى الأولى ، هل تفهمين ؟ ضحكت الممرضة وهى تقول : مهـــلا اننى لا أستطيع أن أخبرك بكل شئ عنه فى التليفون كل ما باستطاعتى أن أقوله الآن أنه شاب وسيم وهو ليس مصريا ومن هذه الناحية فلن تخشى شيئا على الاطلاق ·· فلن يعرف سرك أحد ثم أنه يملك سيارة أنيقة تتمنى كل الفتيات أن يركبنها · وأموالا طائلة فى البنك تودع له فى الخارج فى حسابه الشخصى ثم هو يعيش فى شقة فاخرة على النيل ستذهلين عندما ترينها يوما ما ·

وصمتت برهة لتترك كلماتها تحدث تأثيرها السحرى فى نفس مرفت ثم تابعت قائلة لتضرب الحديد وهو ما يزال ساخنا : اظنك لا يمكن ان تطلبى أحسن من هذا ·· قالـــت مرفـــت وهى تحس بمشاعرها تضطرب فجأة بحيث لم تعد تدرى ما الذى تريده حقيقة

أو بماذا يمكن أن تجيب على تساؤل المرضة ، أرجـــوكى اننى خائفة ألا يمكن تأجيل هذا المشوار الى وقت آخر أو حتى الغـــاؤه تماما ٠٠ قالت المرضة بكل ما تملك من قدرة على الاقناع : مرفت حبيبتى لا تكونى ساذجة انك تعلمين ان هذه فرصة لا تأتى الا مرة واحدة فى العمر ، وأظنك لا تريدين تضييعها من يدك ، تخيلى مبلغ خمسمائة جنيه مرة واحدة ، وماذا يمكن أن تفعلى به ثم انك لن تقومى بعمل لا تقوم به عشرات غيرك من الفتيات لا يقلون عنك جمالا أو تعليما ، فتيات مثلك فى الجامعة ٠

وصمتت المرضة برهة أردفت بعدها قائلة وهى تحاول أن تحث مرفت على قبول العرض الذى تقدمه لهـــا ، هيا يا مرفت لا تكونى مترددة أو جبانة وقولى نعم لهذه الفرصة التى جاءت لك من السماء ٠٠ فأنا لا أحب المترددات اذ اننى في هذه الحـــالة سأضطر للبحث عن فتاة غيرك ٠

ومرت لحظة صمت طويلة كانت كل من المرأتين خلالها نهبـــا لشاعر متضاربة عنيفة ٠٠ وبالنسبة لمرفت فقد كانت تبذل مجهودا مستحيلا كى ينطق لسانها بكلمة نعم الصعبة التى تريدها منهـــا المرضة ٠٠ لكن شيئا قويا فى داخلها كان يمنعهـــا من ذلك ٠٠ شيئا لا تدرى كنهه على وجه التحديد ٠٠ قد يكون الخوف أو التردد أو الخجل أو الاحساس بالاثم أو كل هذه المشاعر معا ٠٠ وقطـــع صوت المرضة الغاضب فترة الصمت قائلا :

حسن ماذا قلتى يا مرفت أريد أن أسمع صوتك جليا واضحـــا ٠٠ هل أنت موافقة أم لا ٠٠ ؟ ومرت لحظة صمت أخرى حاولـــت مرفت خلالها أن تقهر كل عوامل الخوف والتردد فى داخلها ٠٠ وأخيرا نطقت بالكلمة التى اشتاقت المرضة لسماعها ٠٠ قالـــت

مرفت بنبرات واضحة قوية وبصوت مرتفع كأنما تريد أن تقطع على نفسها خط الرجعة :

حسن ٠٠ تعالى خذينى من البيت الآن ٠٠ وأحست الممرضة بسعادة بالغة وهى تسمع اجابة مرفت وقالت لها : كلا اننى لن أستطيع الحضور اليك فى البيت بل ستقابليننى أنت عند ناصية الشارع بعد ساعة من الآن ، ومن هناك سنأخذ سيارة أجرة تحملنا الى العنوان المطلوب ٠٠ وصمتت برهة ثم قالت :

أما اذا سألتك والدتك عن المكان الذى ستذهبين اليه فقولى لها أنك متوجهة الى عيد ميلاد احدى صديقاتك ٠٠ وانك ربما تتأخرين فى العودة تحسبا لأى مفاجأة ٠٠ ووضعت مرفت سماعة التليفون وانسحبت الى حجرتها وهى تحس أنها على وشك السير فى طريق لا يمكنها التراجع عنه ٠٠ كان شيئا قاهرا ربما كان مصيرها الخفى يجذبها اليه ، أحست أنها فراشة تقترب من نار مثيرة طالما تمنت أن تقترب منها حتى لو كان مصيرها الهلاك فى نهاية الامر ٠ كانت مضطربة خائفة سعيدة مليئة بعشرات الاحلام الجميلة التى تموج فى داخلها ٠

ووقفت أمام مرآة التواليت وراحت ترتدى ملابسها واللهفة والخوف مرتسمان على قسمات وجهها الجميل ٠٠ كانت حريصة على أن تبدو فى أجمل صورة ممكنة فى ذلك اليوم غير العادى من حياتها ٠ وتأملت جمالها النادر فى المرآة ٠٠ بشرتها البيضاء العاجية وقد انسدلت فوقها خصلات من شعرها الاشقر الجميل الذى راحت تحرك فوقه الفرشاة فى حركات وئيدة ٠٠ كانت تدغدغ حواسها وتبعث فيها نوعا غريبا من الراحة والاسترخاء بحيث ودت

لو تنام وتنسى كل شيء باستثناء الاحلام الجميلة التى تتطاير فى داخلها كفراشات حائرة تبحث عن طريق للهروب ٠

ولمعت عيناها الزرقاوتان فوق سطح المرآة المصـــــقول ٠٠ لمعتا بشدة كأن شيئا فى داخلها يوهجهما ويبعث فيهما ذلك البريق الغريب الذى يعكس حالة النشوة والخوف التى تعيشها ٠٠ وكادت أن تبكى من فرط احساسها بالعاطفة القوية التى تتحرك فى داخلها ٠٠ العاطفة الخليط من احساس عارم بالسعادة والتعاسة ٠ لكنها سرعان ما ابتسمت فى نشوة ٠٠ نشوة من يمتلك شيئا فريدا خصتها به الطبيعة لتتفوق به على الآخرين ٠٠ الجمال الباهر المسيطر ٠٠ أعظم نعمة فى الوجود ٠٠ أعظم حتى من العبقرية نفسها ٠

وفجأة سيطر عليها شعور غريب بالتعاســـــة وهى تفكر فى النهاية التى سيقودها اليها هذا الجمال الباهر الذى تجسدها عليه كل الفتيات الاخريات ٠٠ انها نهاية لا تعرفها الآن ٠٠ تتمنى من أعماقها ألا تكون نهاية حزينة كما يحدثها قلبها فى تلك اللحظـــة وكأنه يقرأ صفحات مجهولة من مستقبل حياتها ٠٠ غير أنهـــا سرعان ما عادت لتفاؤلها من جديد عندما بدأت تفكر فى كل الاحلام الجميلة التى ستحققها عندما تضع يدها على هذا المبلغ الضخـم من النقود ٠

وبدأت تفكر فى لحظتها الحاضرة ٠٠ العمل الذى ستقدم عليه بعد ساعة من الآن والذى سيتوقف عليه مصيرها بأكمله ٠٠ وبدأ شعور من الخوف يتسلل الى قلبها ٠٠ ربما شىء من الشعور بالاثم أو حتى النشوة ٠٠ وابتسمت لا تدرى لماذا ؟ هل هى ســـعيدة أم تعيسة ؟ لكنها بالتأكيد كانت قلقة ٠٠ فاليوم هو اليوم الذى تنتظره كل فتاة وتخشاه فى نفس الوقت ، انه اليوم الذى ستتحول فيه الى امرأة ستسلم جسدها لرجل غريب ليس من حقه أن يلمسه ومقابل

ماذا ؟ مبلغ من المال ، انها تحس بهذه الطريقة ، انها تبيع أغلى ما تمتلك ‥ تبيع روحها ، نفسها ، لكن المبلغ كبير ومغـــرى ‥ وسيحقق لها أحلاما كثيرة ثم ان أحـدا لن يدرى بما ستفعله فى الخفاء ، لقد وعدتها صديقتها المرضة بذلك وهى كفيـلة بأن تفى بوعدها ‥

وراحت تفكر فى كل الاشياء الجميلة التى ستبتاعها بهذا المبلغ الضخم ‥ كل الملابس وأدوات الماكياج الفاخرة ‥ بل أن هـذا الشاب الغنى يمن أن يعجب بها ويتخذها صديقة له بل ربما اشترى لها سيارة صغيرة تذهب بها الى الجامعة ‥ وتتيه بها على زميلاتها اللاتى يذهبن سيرا على اقدامهن ‥ وكلما شعرت مرفت بالخوف من المجهول يتسلل الى قلبها أو برغبتها فى الذهاب الى هذا المشوار تتناقص لاى سبب من الاسباب ‥ فكرت فى كلمات المرضة التى بدت لها مقنعة وصريحة كأنها شمس تحرق عينيها ٠

تذكرى أن هناك آلاف الفتيات غيرك يفعلن أو هن على استعداد لآن يفعلن ما أنت على وشك أن تفعليه الآن دون أن يعذبهن أدنى احساس بالاثم أو الخجل ‥ وراحت مرفت تعمل بسرعة لتتحـــول الى الفتاة الجميلة الخليقة بالمناسبة الخطيرة التى تمر بها الآن ‥ وعندما فرغت من ذلك ألقت على نفسها نظرة أخيرة فى المرآة ‥ واحست بسعادة تملأ قلبها فقد كانت أجمل من أى فتاة وقعت عيناها عليها حتى الآن ٠

وأسرعت مهرولة خارج الحجرة وقبل أن تصل الى باب الشقة سمعت صوت أمها يسألها عن المكان الذى ستذهب اليه ‥ ونظرت اليها مرفت بجرأة ووجدت نفسها تردد عليها نفس الاكذوبة التى لقنتها أياها المرضة من أنها مدعوة الى عيد ميلاد احدى صديقاتها

وانها ربما اضطرت للتأخر فى العودة ·· وشعرت مرفت بأنهـــا انتصرت على أمها في تلك الحرب الصامتة بينهما رغم الهدنة المعلنة عندما قالت لها : حسن يمكنك الذهاب الى عيد الميــــلاد على ألا تتأخرى كثيرا فى المساء ·

عند ناصية الشارع وجدت الممرضة تنتظرها داخل احــدى سيارات الأجرة التى تحركت بهما على الفور الى الموعد المضروب ·
فى سيارة الاجرة ظلت المرأتان صامتتين لفترة من الوقت ·· كانت مرفت خلالها نهبا لمشاعر عنيفة تجتاحها ·· فمهما كانت المغريات فلا شك أن ما هى مقدمة عليه الآن يمثل تجـــربة خطيرة قد يتوقف عليها مصيرها بأكمله ·· كانت تفرك يديها فى قلق وتنظر من خلال زجاج السيارة الى أبعد ما يمكن أن تصل اليه عيناها ·

وأمسكت الممرضة بيدها وقالت لها مشجعة : اطمئنى يا مرفت كل شيء سيمضى على ما يرام تماما كما رسمته ·· فأنا أعرف ماذا أفعل ·· ثم ضحكت قائلة : ذكرينى أن أرى وجهك وأنت تضعين المبلغ الضخم داخل حقيبتك ، ثقى أنك ستشكريننى على ذلك ·

ووصلتا أخيرا الى العمارة الضخمة الرابضة على النيل ·· ودلفتا الى البهو الذى يشع بالضوء المبهر حيث قام لهما البــواب النوبى محييا وراح يهرول كى يفتح لهما المصعد الكائن في نهــاية الدهليز الطويل المفروش بسجاد أحمر فاخر ·· وقد بدا من ملامحه أنه رأى الممرضة من قبل ·· قال وعلى شفتيه ابتسامة ســـاخرة حاول أن يداريها ، لكن مرفت بذكاءها الحاد أبصرتها وأحـــدثت بداخلها تعاسة مفاجأة ، انكما صاعدتان الى شقة ســـتون أليس كذلك ؟ قالت الممرضة دون أن تؤثر فيها نظراته الفاحصة التى لا

تخلو من استخفاف بهما رغم محاولته الدؤوبة تصنع الادب وعدم ادراك ما يدور من حوله :

نعم شقة ستون ·· ثم دست فى يده جنيها كاملا كعادتها فى

كل مرة تأتى فيها لزيارة هذا المكان مما جعل البواب يتمتم ببعض كلمات الشكر ويبالغ أكثر فى احترام المرأتين اللتين يعلم تماما لماذا قدمتا الى هذا المكان ·· وأدى سلوك البواب الى ارضـــاء كبرياء المرضة ·· والى بعث حالة طمأنينة فى قلبها جعلها تنظر الى مرفت فى سعادة وثقة وهى تبتسم لها ·· فى المصـــعد قالت مرفت التى شحب وجهها فجأة وأطل الذعر من عينيها :

كاد دمى أن يجف والبواب يهرول وراءنا ·· تصورت أنه جاء ليطردنا من العمارة ·· ضحكت المرضة وهى تقول لها : يا لك من ساذجة يا مرفت ولماذا يطردنا من العمارة ويمنع عن نفســه رزقا وفيرا ·

وصمتت لحظة ثم قالت : هل تتصورين أن بواب أى عمــارة لا يدرى شيئا عما يدور داخل عمارته انه بالتأكيد يعرف كل شىء ·· لكنه يغمض عينيه لأن مصلحته فى أن يغمضهما ·· ثم ضغطت يدها برفق لتبعث فيها شيئا من الثقة وقالت لها مشجعة اطمئنى ياعزيزتى ليس هناك ما تخشينه وأنت معى ·· لكن مرفت التى كانت أعصابها مشدودة والخوف يملأ قلبها ·· قالت لها بتوسل :

أرجوكى دعينا نعود من حيث أتينا ·· ان احساسا يداخلنى بأن هذا المشوار سينتهى نهاية غير سعيدة ·· وأعدك بأن آتى معك فى المرة القادمة عندما تهدأ أعصابى ·· وهنا وجهت اليها المرضة نظرة محذرة وقالت لها بصرامة مخيفة أفزعتها : لا ريب أنك مجنونة

يا مرفت لتقولى هذا الكلام الابله بعد كل ما تجشمناه فى سبيل الوصول الى هنا ٠

وصمتت برهة ثم قالت لها وقد لانت ملامحها بعض الشيء . هيا تشجعى ولا تتصرفى كالاطفال الصغار ان طفلة فى نصف عمرك كانت ستتصرف بشجاعة أكثر منك ، ثم ضحكت قائلة لتبث فيهـــا شيئا من الشجاعة آه لو رأيت الفتيات الصغيرات وهن يصـــعدن وحدهن الى الشقق المفروشة وكتبهن المدرسية تحت أبطهـــن وفى جرأة نساء فى الاربعينات ٠٠ اذن لكان تصرفك أعقل من هذا ٠٠ ولم ترد عليها مرفت اذ أصبحت مقتنعة أنها مساقة الى مصـــير لا يمكنها التراجع عنه ٠٠ على الاقل ان الوقت قد فات لذلك ٠

وما أن فتح باب المصعد فى الطابق الحادى عشر حتى دفعتها الممرضة من كتفها كى تتقدمها فى الخروج وذلك حتى لا تدع لهـــا فرصة للتراجع ٠٠ وسارت المرأتان فى الدهليز الموصل الى الشقة التى يقصدانها حتى اذا ما رأت مرفت رقم الستين المعدنى اللامع فوق الباب قالت وهى ترتعش من الخوف ٠٠ أرجوكى لا أريده أن يرانى مرة واحدة ٠٠ أحس أننى سأسقط مغشـــيا على لو فعلت ذلك ٠٠ قالت الممرضة وهى ترمقها فى غيظ : وماذا تريديننى أن أفعل حيال ذلك ؟ قالت مرفت بصوت متوسل : ادخلى أنت أولا الى الشقه ودعيه يدخل الى احدى الحجرات ثم يأتى بعد ذلك ليقـــابلنا كأى ضيوف عاديين ٠٠

حدجتها الممرضة بغيظ شديد لكنها اضطرت لان تقول لهـــا باستسلام ، حسن يا مرفت سأفعل ما تريدين لانها المرة الاولى فقط لكن تأكدى أن أحدا غيرك لا يفعل ما تفعلينه ٠٠ انك ساذجة عنيدة

لتطلبى منى هذا الطلب السخيف لكنى أريدك أن تتأكدى أن عينى ستظل تراقبك على البعد حتى لا تراودك أية أفكار غريبة أظنـــك تفهميننى ؟ وتنهدت مرفت فى راحة وقالت لتطمئن المرضة : تأكدى أننى لن أتحــــرك من مكانى حتى تأتى أنت لتأخذيننى ٠٠ قالت المرضة :

حسن ٠٠ ابق أنت فى هذا المكان وأديرى ظهرك اذا أردت ٠٠ أما أنا فسأسبقك الى داخل الشقة ٠٠ وابتعدت مرفت بضعة خطوات عن باب الشقة وأدارت ظهرها كما أوصتها المرضة وقد تعـــالت ضربات قلبها الى الذروه ٠٠ وفى تلك الاثناء فتح باب الشقة وظهر فيه شاب حاول من وراء كتف المرضة أن يرى ملامح الشــــابة الجميلة التى تعطيه ظهرها والتى تأكد من ملابسها الانيقة وشعرها الاشقر المسترسل وراء ظهرها ومن رائحة البارفان النفـــاذة التى تفوح منها أنها لابد وأن تكون رائعة الجمال ، لكن المرضة دفعتـه فى صدره برفق حتى أدخلته الى الشقة ٠٠ ثم قالت له ضاحكة :

ستراها فى الوقت المناسب لا تكن متعجلا ٠٠ انها فقط خجولة ولا تريد أن تفاجأها على هذا النحو ٠٠ ثم أشارت الى احدى الحجرات وقالت له : هيا أدخل هناك وأغلق الباب وراءك وعندما تأتى سأنادى عليك ٠٠ ودخلت مرفت الى الشقة وهى ترتعش من الخـــوف ٠٠ وجلست الى جوار المرضة فوق أريكة وثيرة تتوسط حجرة المعيشة الواسعة والبالغة الاناقة ٠٠ قالت المرضة وهى ترى ملامح الانبهار على وجه مرفت : ما رأيك فى الشقة ؟ هل رأيت مثلها طول حياتك ٠٠ اسمعى نصيحتى وحاولى أن تكونى صديقته الوحيدة ٠٠ ان واحدة بمثل جمالك لن يستعصى عليها أن تطرد كل الفتيات الاخريات من حياته ٠٠ وأدار تبصرها فى شراهة فى أرجاء الشقة الفاخرة ثم قالت وهى تبتسم :

انتفى ريشه ‥ هل تفهمين ، ان هؤلاء الاوغـــاد الاجانب لا يتعبون كثيرا فى النقود التى يجلبونها الى هذه البلاد ‥ انهــم يحضرونها فى صناديق كبيرة كحقائب الملابس ‥ وفجأة فتح باب الحجرة المغلقة وتقدم الشاب صاحب الشقة من المرأتين الجالستين فى الانتظار ‥ ووجهه يتهلل فى سعادة لدخول الصيد الجديد الى المصيدة ‥ وتأكد أن المسألة مسألة وقت يمر يلتهم بعده الصـــيد الجديد بنفس الشراهة والمتعة التى التهم بها عشرات الفتيات من قبل ٠

كانت مرفت تنظر الى ناحية أخرى غير التى قدم منها الشاب وفور أن أحست بباب الحجرة يفتح حتى اتجهت ببصرها اليه ‥ وما أن رأت الشاب وهو يخرج منه حتى كاد يغمى عليها من المفاجأة المذهلة التى حدثت لها ‥ كان آخر انسان تتوقع أن تراه أمامها ‥ ونفس الشىء حدث للشاب مع شىء من الاختلاف بينهما فبينما كانت المفاجأة ذات وقع ثقيل بالنسبة لمرفت فانها بدت مفاجأة مبهجـــة بالنسبة للشاب فها هى الانسانة التى طالما تعالت عليه والتى ظن أنه لن يطولها أبدا الا بأن يعرض عليها الزواج ‥ أجمل فتاة فى الجامعة بأسرها ذات الجمال المذهل الخارق ٠

ها هى بنفسها جالسة أمامه فى استسلام تنتظر منه أن يأتى ويضع يده عليها ثم يحملها الى الفراش ويلتهمها ‥ هكذا بسهولة مروعة ودون أن يبذل أى مجهود وفى مفاجأة كانت آخر ما يمكن أن يتوقعه ‥ وللحظة مرت كدهر بدا وجها الفتاة والشاب جامدين كتمثالين من الحجر لكن المشاعر التى كانت تموج فى داخلهما كانت متدفقة عنيفة بصورة رهيبة ٠

وراح الشاب يحدق فى سعادة ذاهلة فى وجه الفتاة الشاحب المرعوب .. وقد أخذت تنظر اليه بعينيهـــا الزرقاوتين الجميلتين اللتين تحولتا الى زجاج شفاف يكاد يرى من خلاله أعماقها المرتجفة المتوسلة .. وكاد من عمق المأساة ان يضحك من قلبه اذ كانت برغم مرارتها باعثة على الضحك اذ من كان يظن أنه سيجد نفسه فى هذا الموقف الغريب ومع آخر انسانة كان يتوقع أن تشاركه فيه .. ووجد نفسه يصيح بلا وعى : أنت ، غير معقول ، وأسرعت مرفت مهرولة تجاه باب الشقة تريد الهروب ، لكن الشاب كان أسرع منهـــا فى الوصول اليه ، ووقف بجسده حائلا بينها وبين الباب ، وعنـــدما حاولت مرفت أن تبعده عن طريقها .. أمسك بها من ذراعها فى قوة جعلتها تتأوه من الالم ..

ثم دفعها بعنف فى صدرها وهو يقول لها بلهجة وقحة متحدية وقد اكتسبت ملامح وجهه صرامة مخيفة : كلا انك لن تخرجى أبدا بهذه الطريقة ، اذا أردتى أن نتفاهم فأنا على استعداد لذلك ، لكنى لن أخضع أبدا لمنطق القوة ، هل تفهمين ؟ ثم ضحك وهو يخبط كفا بكف فى حركة دهشة سوقية ويقول لها : كنت متأكدا أنك منهن وان لك ثمنا كالاخريات ، اذن لماذا كان التصنع والكلام الفارغ عن الزواج وكل هذه الاسطوانة ، هل كنت تتصورينني مغفلا كبيرا حتى أتزوجك أنت ، بينما فى مقدورى أن ابتاعك كالاخريات .

وذهلت المرضة وهى تسمع هذا الكلام الذى لم تكن تتوقع أن تسمعه .. اذ كانت تظن أن الشاب يرى الفتاة لاول مرة لكن كلامه لها وتصرف مرفت المفاجىء وجريها ناحية الباب أنبأها بوجود صلة سابقة بينهما .. صرخت فى وجهيهما قائلة :

هل يمكنكما أن تفهمانى ما الذى يحدث فى هذا المكان ؟ هل تعرفان بعضكما من قبل ؟ قال الشاب وابتسامة وقحة ترتسم على

شفتيه : نعرف بعضنا من قبل ؟ إننا زميلان فى كلية واحدة ياسيدتى، لكن الآنسة المحترمة كانت تضع قناعا فوق وجهها ٠٠ كانت ترسم على زواج لكنى كنت مغفلا كبيرا بحيث لم أعرف أن الطعم الذى ألقيته لها لم يكن كافيا ، وتنهدت الممرضة فى ارتياح وقالت ببساطة أذهلت مرفت :

هل هذا كل ما بينكما ، لقد ظننت الامر أخطر من ذلك بكثير ٠ وصمتت برهة ثم قالت وهى تضحك ، لقد نشفتما دمى أنتما الاثنان ٠ ولم تحتمل مرفت فصرخت فيها قائلة : ماهذا الكلام الذى تقولينه ؟ لقد قال لك أننا زميلان فى كلية واحدة ، هل تعرفين معنى ذلك ؟ معناه أن فضيحتى ستنتشر فى الكلية وأصبح مضغة فى أفواه الطلبة وربما انتهى بى الامر الى الفصل من الجامعة ، وهنا قالت الممرضة بنفس لهجتها الباردة التى أثارت مرفت :

على العكس يا حبيبتى ان فهد شاب شهم وليس له مصلحة فى الاضرار بك ٠٠ ثم انكما ستصبحان صديقين ومن مصلحته كتمان الامر بينكما ، ثم التفتت الى فهد قائلة : أليس كذلك يا فهد ؟ وابتسم فهد فى خبث من قدرة الممرضة على المراوغة خاصة وصفها له بأنه شهم وكتوم فهو يعلم عن يقين أن الشهامة هى احدى الصفات الجوهرية التى تنقصه ٠ لكنه عقب على كلام الممرضة قائلا : بالتأكيد ٠٠ بالتأكيد ٠٠ هذا ما سأفعله ٠ أردفت الممرضة قائلة بنفس لهجتها المراوغة :

هل رأيت يا حبيبتى ٠٠ ألم يقل لك بلسانه أنه سيحافظ على سرك ٠٠ ليس هناك اذن ما تخشينه ٠٠ لكن مرفت صرخت من أعماق قلبها وهى تنتحب بشدة ٠٠ مصيبة ٠٠ مصيبة ٠٠ ثم قالت بنوع من

الهذيان ٠٠ يارب ما الذى دعانى للقدوم الى هذا المكان ؟ ثم التفتت الى الممرضة وقالت لها لهجة صارمة محذرة انني أريد أن أخرج من هنا على الفور ، هل تفهمين ٠٠ وهنا وجهت الممرضة كلامها الى فهد قائلة بنفس لهجتها الهادئة المراوغة : فهد قل لها شيئا يطمئنها انك لا تريدها أن تفلت من يدك أليس كذلك ؟ فقال فهد بلهجة حاول بمجهود كبير أن تبدو مقنعة ٠٠ مرفت صدقيني أنني لن أفشي سرك لأحد ٠٠ سرنا معا ٠٠ ليس لى مصلحة فى ذلك ٠٠ ثم اننى كنت نواقا للتعرف بك أنت تعلمين ذلك على وجه اليقين فلماذا أحاول أن أضرك الآن ؟

قالت مرفت والدموع تملأ عينيها وهى تردد بصرها فى توسل وذهول بين وجهين منحوتين فى الصخر : أرجوكما دعانى أنصرف من هذا المكان وأعدكما بأننى لن أخبر أحدا بشىء على الاطلاق ٠٠ لكن فهد الذى انقلبت سحنته فجأة صرخ فى وجهها قائلا : كلا أيتها الفتاة الجميلة ، انك لن تخرجى من هذا المكان قبل أن تقومى بالعمل الذى جئتى من أجله ٠٠ ينبغى أن تعلمى أننى لست ساذجا لادعك تفلتين بهذه السهولة ٠٠ ثم أخرج من جيبه مظروفا متخما بالنقود ألقى به على المائدة أمام المرأتين وهو يقول لهما ها هى النقود التى اتفقنا عليها خمسمائة جنيه كاملين يمكنكما أن تعداها ٠

ومدت الممرضة يدها الى المظروف وأخرجت منه أوراق النقد الكبيرة الحجم ، ثم بدأت تعـــدها فى شراهة ليست غريبة على انسانة تمارس مهنتها ، ثم قالت وهى تبتسم لمرفت : انها كاملة ، هيا ابتسمى لفهد ولا تكونى عنيدة ، انه يحبك ، وهنا قال فهد بشىء من النعومة : صدقينى يا مرفت ليس من صالحى أن يصيبك أى مكروه ٠٠ انك تعلمين كم أنا معجب بك ٠٠ أنك أجمل وأرق فتـاة رأيتها فى حياتى وثقى أننا سنصبح صديقين حميمين ومهما حدث

فلن أتخلى عنك أبدا ٠٠ أما ما سيحدث اليوم فسيبقى سرا بيننا نحن الاثنين لا يعرفه أحد سوانا ٠

وضحكت المرضة فى خلاعة وقالت على الفور : بل بيننا نحن الثـــلاثة يا عزيزى ٠٠ هل نسيت أننى موجـــودة معكما ٠٠ ثم نظرت الى مرفت وقالت بلهجتها المراوغة : هل رأيت كم هو طيب ويمكن الوثوق به هيا اجلسى الى جوارى ولا تكونى عنيدة ٠٠ ثم جذبتها من يدها ومرفت تحاول أن تقاوم حتى أجلستها الى جوارها ٠٠ كانت مرفت هادئة مستسلمة أشبه بسمكة يئست من الافلات من الخيط الذى يمسكها من فمها فهدأت حركتها انتظارا لمن يجـذبها الي القارب ٠٠ وأدركت المرضة ذات الخبرة الطويلة بهذه المسائل أن الصيد على وشك أن يستسلم ويدخل الى القفص بقدميـــه ٠٠ ابتسمت وهى تقول لفهد فى تكلف : هيا ولا تقف هكذا كاللوح ٠٠ احضر لنا زجاجة ويسكى وطبقا كبيرا من مزتك الفاخرة ٠ وانبسطت أسارير فهد وقال بحماس :

دقيقة واحدة ويكون كل شىء أمامكما على المائدة ٠٠ وعاد بعد قليل وهو يحمل زجاجة الويسكى وطبـــق المزه الكبير ٠٠ ثم جلس أمام مرفت وراح يتأملها بجوع وشغف وهو يتخيل ما سيفعله معها عندما يغلق عليهما باب حجرة النوم ٠٠ وأعدت المرضة ثلاثة كئوس من الويسكى وزعتها عليهم جميعا ٠٠ ثم رفعت كأسها وقالت ضاحكة : فى صحة أجمل عروسين ٠٠ وضرب فهد كأسه بكأسهـا وهو يقول ضاحكا : بل فى صحة مرفت أجمل عروس فى العالم ٠

أما مرفت التى كانت ما تزال صامتة مذهولة فقد وضعت كأسها على المائدة دون أن تشرب منها ٠٠ وهنا قام فهد وجلس الى جوارها وأحاط ظهرها بذراعه ثم رفع الكأس بهدوء حتى قربها من شفتيها

ثم قال لها بنعومة شديدة : هيا ارشفى شيئا من هذا السائل المنعش أنه سيجعلك تحسين بنشوة لم تحسيها من قبل ٠٠ وأمال الكأس قليلا حتى لامست شفتا الفتاة السائل الموجود به فأحست بالامتعاض من طعمه المر ودفعت الكأس بعيدا عنها وهى تقول باشمئزاز : اننى لن أستطيع أن أشربه ٠٠ لن أستطيع أن أشربه ٠

وضحك فهد والمرضة التى انتهـــزت الفرصـــة لتقول له متفاخرة : أنظر كم هى ساذجة بريئة انها لم تذق طعم الخمر فى حياتها حتى الآن هل تتصور ذلك ؟

ومرة أخرى قرب فهد الكأس من شفتى مرفت محاولا تشجيعها على أخذ رشفات منها ٠٠ وهنا أمســـكت مرفت الكأس من يده ووضعتها بعنف على المائدة مما جعل بعض محتوياتهـــا تنسكب فحدجتها المرضة بغضب وقالت لها محذرة : هيا اشربى من الكأس يا مرفت ولا تكونى عنيدة ٠٠ لقد تحملتك أكثر من اللازم ٠٠ ان طفلة صغيرة لا يمكن أن تفعل ما تفعلينه الآن ٠٠ ومدت مرفت يدها الى الكأس ورفعتها على مضض ورشفت منها بضعة رشفات وعلامات الامتعاض بادية على وجهها ٠

وضحك فهد والمرضة فى سعادة وقد أيقنا أن المسألة هى مجرد وقت يمر لتصبح الثمرة الشهية جاهزة للالتهام ٠٠ وبعـــد بضعة كئوس أخرى رشفتها مرفت بهذه الطريقة ، الحاح من فهـــد والمرضة وامتعاض من جانبها ٠٠ دارت رأسها فسحبها فهد من يدها وهى تترنح فى مشيتها وتكاد تسقط على الارض ودخل بها الى حجرة النوم ٠٠ وعاد بعد فترة طويلة وملامح الانتصار بادية على وجهه وقال للمرضة بتعال ٠٠ خذيها الى الحمام وضعى رأســـها

تحت الماء فانها ما تزال مخمورة ‥ وأخرجت كلمات فهد المرضة من حالة الكآبة التى انتابتها وهى تمضى الوقت الطـــويل انتظارا لخروج مرفت من حجرة النوم ‥

قامت متأففة وقالت مخاطبة نفسها بصوت خفيض أشــبه بالبرطمة : ها قد جئنا للقرف ‥ ودخلت الى حجرة النوم حيث كانت مرفت لا تزال مستلقية على الفراش بقميصها الداخلى الـذى يجعلها شبه عارية ‥ وقد تهدل شعرها الاشقر الطويل على الحشية التى كانت منكفئة عليها بوجهها ‥ وجذبتها من يدها فى شىء من الخشونة وهى تصيح قائلة : ما الذى دهاكى أيتها الحمقاء هيـــا معى الى الحمام لاعيدك الى صوابك ، هل تظنين أنه يمكنك أن تعودى الى البيت بهذا الشكل ؟ ‥ فى الحمام وضعت رأسها تحت مياه الصنبور المتدفقة فى عنف ومرفت تحاول صارخة أن تبعد رأسها دون جدوى ‥ اذ كانت يد المرضة أقوى من مقاومتها ٠

وعندما أفاقت مرفت تماما بدأت المرضة تجفف لها شعرها بفوطة وتحاول أن تهون الامر عليها وهى تقول لها ضاحكة : انـك اليوم أصبحت امرأة كاملة ولن تعودى تخشين شيئا على الاطلاق والفضل لىأنا ولفهد الذىيجلس فىانتظارك علىأجر من الجمر ، هيا بنا نذهب اليه ‥ ثم سحبتها من يدها ومرفت تسير وراءها فى صمت واستسلام الى حيث كان فهد يجلس فوق أريكة الصالة الوثيرة وبيده كأس من الويسكى راح يرشف منها فى سعادة واضحة وقد بدت امارات الشبع والرضاء عن النفس تطل من عينيه الشـــديدتا السواد ٠

وجلست مرفت أمامه فى خجل شديد من نظراته المقتحمـــة لانطوائها واحساسها بالذنب وأيضا من نظرات المرضة الساخرة التى لا تخلو من شماتة ‥ كان يفكر وهو يتأملها فى القدر الغريب

الذى صنع له هذه المفاجأة المذهلة وبسهولة لم يستطع أن يعقلها حتى الآن ·· كانت مرفت الجبارة المتألهة التى تعذب كل من ينظر اليها بجمالها الصارخ الفذ تجلس أمامه عارية تنتفض من البرد والشعور بالاذلال ، شعرها الاشقر الطويل الذى طالما حلم بأن يمر عليه بأصابعه ·· فقط يمر عليه باصابعه ولا شيء اكثر من ذلك مبلل بالماء ومنسدل حول وجهها فى تشوش عذب يثير الاشفاق بنفس القدر الذى يثير فيه الاعجاب ·· وجهها الابيض الجميل خالى من المساحيق يشوبه شحوب قليل من الخوف والشعور العميق بالخجل ·

ورغم ذلك كان صبوحا يضج بالحياة والشباب ·· عيناها الزرقاوتان جميلتان كعهده بهما دائما ، لكن شيئا فى داخلها اطفأ بريقهما ·· شيئا صنعه هو ·· شيئا يجعله يحس بالخجل من نفسه واحيانا بالانتصار أو النشوة لكنه فى جميع الاحوال يجعله يشعر بالاشفاق عليها ·

كانت أمامه عارية مهزومة ترتعش من الاذلال والخوف ·· أجمل مهزومة رآها فى حياته رغم أنه هزم كثيرات غيرها من قبل ، لكنها من ناحية أخرى بدت له كثمرة شهية لم يرتشف كل رحيقها بعد ·· ما زال هناك الكثير ليرتشفه فى المستقبل ·· واستقر رأيه على ألا يفلتها من يده ·· سيظل يحتفظ بها طالما بقيت بضع قطرات ما زالت تحتفظ بها فى داخلها ، لكن نظراته اليها ما لبثت أن اعتراها تغير ملحوظ وهو يتذكر تعاليها القديم عليه ·· أحس ناحيتها بشيء من الشماتة لم يستطع أن يقاومها ·

لكن شعوره بالشماتة كان شعورا عابرا اذ ما لبث أن راح ينظر اليها باشفاق من جديد ·· اشفاق لا يدرى له سببا فهو

بالتأكيد ليس من النوع العاطفى الذى تهزه أمثـــال هذه المواقف الدرامية وضميره لا يعبأ بانسانة أتت اليه بقدميها كى يهزمهـــا كعشرات سبقنها الى مثل هذا الموقف الأسوى ·· ربما لأنها كانت أجمل من الاخريات ·· ربما لانها المرة الاولى فى حياتها ·· ربما لان عينيها جميلتين لا تطل منهما نظرة الاعتياد والفجور التى تعود أن يراها فى عيون الفتيات اللاتى مررن بهذه التجربة من قبل ·

وفجأة أحس أنه يريد أن يضع غطاءا حول جسدها العـــارى ليسترها به ·· أول مرة فى حياته يحس بهذا الشعور ·· لقـــد بدأ يراها كضحية أكثر مما يراها آثمة ·· على أى الاحوال فهو شريكها فى الاثم ·· بل هو محرضها الاول عليه ·· وبدأت نظرة الانتصار تختفى من عينيه فأى انتصار هذا الذى يحسه الانســان ليس تجاه غريمه بل تجاه ضحيته ·· عذبه هذا الشعور الذى لـم يحسه من قبل ·· فقد كان يمارس اللعبة دائما بأعصــــاب هادئة وضمير ميت ·· فقال بغضب للمرضة : هيا خديها الى الداخـــل والبسيها ثيابها فاننى لا أريد أن راها على هذه الصورة ·· ونظرت اليه المرضة بدهشة ثم قالت باستهتار : هكذا بسرعة ، كنت أظنك لن تشبع منها قبل وقت طويل جدا ··

فصرخ فهد فىوجهها : افعلىماقلته لك دون مناقشة · وقالت المرضة لمرفت بغضب : هيا بنا ندخل الى حجرة النوم فأنا لا أطيق أن يحدثنى أحد بهذه العصبية ·· وفى داخل حجــرة النوم قامت المرضة بتجفيف وجه مرفت وشعرها من جديد ثم وضعت لهـــا مكياجا بدل الذى ساح تحت صنبور المياه ·· ومشطت لها شعرها حتى اعادته الى حالته الطبيعية من جديد ·· ثم نظرت الى ساعتها وقالت لها لقد تأخر الوقت ويحسن بنا أن ننصرف الآن حتى لا تقلق والدتك ·

في الصالة مال فهد على مرفت وقبلها في شفتيها بنهم وهو يقول لها : سأراك بعد بضعة أيام في الكلية واطمئني لا أحد سيعرف بما حدث اليوم ٠٠ وسارت مرفت في صمت تجاه باب الشقة ، وقالت الممرضة التي تأخرت بضعة خطوات الى الوراء لفهد ما رأيك فيها ٠٠ قال فهد بنهم أطل من حدقتي عينيه اللامعتين انها أجمل فتاة دخلت الي هذا المكان ، وأنا أعتقد أنها تستحق كل قرش أخذته مني ٠٠ قالت الممرضة في سعادة :

حسن ٠٠ ومتى تريدني أن أراك ، لا أحسبك ستستغني عن خدماتي بعد أن عرفتك بمرفت ، قال فهد بسرعة : بالتأكيد كلا ان مرفت ستظل صديقتي لكني أرحب بأي صيد جديد يمكنك أن تأتي به ٠٠ وابتسمت الممرضة في سعادة ولحقت بمرفت التي كانت قد فتحت الباب وخرجت من الشقة ٠ في المصعد الذي راح يهبط بالمرأتين الى الطابق الارضي ٠٠ أخرجت الممرضة رزمة الاوراق المالية من حقيبتها وأعطتها لمرفت وهي تقول لها : ها هي النقود التي وعدتك بها انها كاملة ٠٠ أما أنا فأخذت نصيبي من فهد ٠

ولما لاحظت أن مرفت لا تزال صامتة حزينة تفكر فيما حدث لها داخل الشقة ، قالت مشجعة : لا تكوني ساذجة يا مرفت ان ما حدث لك كان سيحدث ان عاجلا أو آجلا ٠٠ ثم انك توافقينني على أن مبلغ خمسمائة جنيه ليس شيئا تافها ٠٠ تخيلي كل الاشياء التي حلمت بشراءها ٠٠ كل الاصدقاء الذين ستتعرفين بهم ، كل المتع التي ستمارسينها دون أن تخشي شيئا على الاطلاق ٠٠ وفي طريقهما للخروج من باب العمارة وقف لهما البواب النوبي باحترام كما فعل وهما صاعدتين الى الشقة لكن نفس الابتسامة الساخرة التي عذبت مرفت عندما رأتها لاول مرة كانت مرتسمة على شفتيه ٠

وركبت المرأتان سيارة أجرة حملتهما الى البيت ‥ وعنـــد ناصية الشارع الذى تسكن به مرفت ودعتها المرضة قائلة : اعتقد انك الآن قادرة على الذهاب وحـــــــدك الى البيت ، أليس كذلك يا عزيزتى ؟ قالت العبارة الاخيرة بشىء من التهكم جعل مرفت تشعر بالنقمة الشديدة عليها لكنها ظلت صامتة تكتم غيظها فى نفســـها بينما أردفت المرضة قائلة : هيا خذى هذه القطعة من اللبـــان وامضغيها جيدا حتى تضيع من فمك رائحة الويسكى الذى شربتيه ، وتذكرى اذا سألتك والدتك عن أى رائحة غريبة فى فمك أن تقولى لها انهم دعوك الى كوب من البيرة فى عيد الميلاد ‥ وانك لـــم تستطيعى أن ترفضى الدعوة ٠

وصمتت برهة ثم قالت بسخرية على أى الاحوال فأنا لا أعتقد أن أمك المسكينة يمكنها التفريق بين رائحة البيرة ورائحة الويسكى ‥ ونزلت مرفت من سيارة الاجرة ومضت فى طريقها الى بيتها ‥ هواء الليل المنعش الخالى من الغبار يداعب رأسها نصف الغائب عن الوعى فيجعلها تفيق مع كل خطوة ‥ كانت تود أن تظل غائبـــة عن الوعى حتى لا تدرك أبعاد المأساة التى حدثت لها ‥ وانتابتها رغبة عميقة فى البكاء حتى تستنزف آخر قطرة دموع فى داخلها ‥ حتى تجف تماما وتصبح غير صالحة لشىء ٠

وعندما وصلت الى بيتها لم تحس كالغريق عندما يضـــع قدميه فرق أرض صلبة ‥ بل أحست بأنها تغرق أكثر ، وان الارض تبتعد تحت قدميها أكثر وأكثر ‥ وتوجست من المقابلة العاصفة المتوقعة بينها وبين والدتها التى ستدرك كل شىء بمجرد النظر الى عينيها ‥ وضغطت جرس الباب بيد مرتجفة ‥ وظل اصبعها فوق الجرس حتى فتحت لها والدتها الباب فدخلت مترنحة دون أن تحييها

ووجهها ونظرات عينيها تنطق بما حدث لها ·· ووقفت فى وسط الصالة حائرة لا تدرى أين تذهب وقد أحست برغبة عميقة فى أن ترتمى فوق صدر أمها وتبوح لها بكل شىء ·

لكن نظرات الام المريبة لها جعلت كبرياءها تثور ·· جعلتها تتحدى تلك النظرات بنظرة قاسية باردة كالثلج ·· جعلت أمها ترتجف وتعجز عن النطق بما يدور فى داخلها من شكوك ·· وقالت مرفت وهى تدور حول نفسها وذراعاها مفرودتان فى الهواء ·· وبصوت أقرب الى البكاء اننى اليوم أكاد أموت من السعادة يا أمى ·· ألا تلاحظين ذلك على وجهى ·· ولما وجدت أمها صامتة لا تريد أن تتكلم ·· صاحت فى وجهها قائلة : هيا انظرى الى جيدا ألا تلاحظين شيئا مختلفا ·· انك بالتأكيد تلاحظين لكنك تنكرين ذلك ·· ولما وجدت أمها لا تزال صامتة انفجرت فيها قائلة : كفى عن التحديق فى وجهى بهذه الطريقة وقولى شيئا ·

وفجأة انتابتها الرغبة العنيفة فى البكاء ·· أحست أنها لو بقيت دقيقة واحدة أكثر من ذلك ، فستنهار باكية أمام عينى أمها اللتين ما زالتا تحدقان فيها بتلك النظرات المستريبة الباردة التى لا تريد أن تفصح عن شىء ·· قالت لامها بلا مبالاة وهى تتخذ طريقها الى حجرة نومها : اننىداخلة لانام فأنا أشعر بالنعاس يغلبنى ·· تصبحين على خير ، لكن والدتها جذبتها من ذراعها وصاحت فى وجهها بغضب : كلا انك لن تدخلى هذه الحجرة قبل أن تحدثينى عما حدث لك هذه الليلة ، لكن مرفت أفلتت ذراعها من قبضة أمها بشىء من العنف وقالت وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة وقد راحت تحدق فى عينى أمها بتحد مخيف : أحقا تريدين أن تعرفى ما الذى حدث لى هذه الليلة ··

أولا هذا ليس من شأنك فأنا فتاة كبيرة الآن وأستطيع أن أهتم بشئونى الخاصة ·· انظـــرى الى جيدا يا أمى فأنا امرأة مثلك تماما ·· ألا تلاحظين التغير الذى حدث لى ·· ثم راحت تضحك بصوت مرتفع أتاح لامها القريبة منها أن تشم رائحة الخمر المنبعثة من فمها فصفعتها بشدة على وجهها وهى تصرخ قائلة : وسكرانة أيضا ، هيا تكلمى أين كنت وما الذى حدث لك ·

ونظرت مرفت الى أمها باستهتار وهى تقول لها : كنت أظن أننا تفاهمنا على كل شىء يا أمى ·· أنا أفعل ما أريد وأنت تفعلين ما تريدين ، وراحت أمها تهزها بعنف من كتفيهـــا وهى تصرخ قائلة : ماذا فعلتى بنفسك أيتها المجنونة ماذا فعلتى بنفسك ·· وهزت مرفت كتفيها بلا مبالاة وقالت ساخرة ·· لا شىء يا أمى سوى أننى أصبحت كبيرة وعاقلة ·· ويمكننى أن أفعـــل ما أريد دون أن أخشى شيئا ·

وصمتت برهة ثم قالت وهى تضحك بجنون من الآن فصاعدا سأكسب نقودا كثيرة وسأشترى كل ما حلمت بشراءه ، ثم فتحت حقيبتها وأخرجت رزمة النقود وألقت بها على المائدة وقالت لامها بتحد : انظرى كم استطعت أن أكسب الليلة خمسمائة جنيه مرة واحدة ·· ثم اندفعت متجهة الى حجرة نومها · وعند البـــاب التفتت ناحية أمها وقالت لها بلهجة آمره : لا توقظينى فى الغد فأنا سأستيقظ من تلقاء نفسى ·· ثم دخلت الى الحجرة وأغلقت وراءها الباب ·· وظلت الام واقفة فى مكانها تحدق فى ذلك الباب المغلق بذهول وقد جمد حواسها استهتار ابنتها الذى فاق كل تصـــور · لكن عيناها سرعان ما تنبهتا الى رزمة النقود الملقاة على المائـــدة فمدت يدها وأخذتها ·

ولانت ملامحها وهي تعدها ·· وربما قالت لنفسها : ان ما حدث قد حدث لكن النقود باقية ويمكنها أن تفعل الشيء الكثير ·
ودخلت الام الى حجرة نومها كي تضع النقود في دولاب الملابس وبينما هي تفعل ذلك حانت منها التفاتة الى زوجها النائم في الفراش وهو يغط في سبات عميق وقد أخذ صدره يرتفع وينخفض برتابة جعلتها تشمئز منه فخرجت الى الصالة من جديد وبدأت تفكر في صديقها الشاب ومتى سيأتي ليراها في المرة القادمة ·

★ ★ ★

دخل فهد بسيارته السبور الانيقة من بوابة الجامعة ·· وقد راحت عيون الطلبة الموجودين بالفناء الفسيح تتطلع اليها في انبهار كعادتها دائما في كل مرة تراها أمامها ·· كان يسير بسرعة كالعادة حتى اذا ما وصل الى باب الكلية ضغط على فرامل السيارة بطريقة مفاجئة جعلت عجلاتها تصدر صوتا كالعواء وهي تحتك بأسفلت الشارع مما جعل كل العيون الموجودة حولها تتطلع اليها في سخط لا يخلو من انبهار وهي مندهشة من هذه الاعمال الصبيانية التي يقوم بها هذا المغرور للفت الانظار اليه خاصة أنظار الفتيات الجميلات اللاتي تبهرهن دائما مثل تلك الاعمال الصبيانية ·

ونزل فهد من السيارة وهو يشعر بسعادة غامرة بعد ان استطاع لفت الانظار اليه وراح يعبث بسلسلة مفاتيحه الذهبية وهو مستند على سقف السيارة المنخفض ·· وقد راحت عيناه تتطلعان حولهما كأنه يبحث عن شيء معين ، وقد كانت تلك دائما طريقته في لفت الانظار اليه ، ثم استقر بصره على طوفان الطلبة والطالبات المندفعين من باب قاعة المحاضرات الى فناء الجامعة الفسيح حيث

نمتد مساحات النجيل الواسعة بطول الطريق الاسـفلتى الى باب الجامعة الخارجى والتى تتيح لهم مكانا للاسترخاء تحت أشـجار النخيل الباسقة وانشاء علاقات من كل نوع بينهم ٠

كان بصره يتطلع الى أن يرى وجها معينا جاء اليوم لرؤيته ٠ وجهـا يستطيع أن يميزه بين آلاف الوجوه الأخرى التى تزحم الفناء من حوله ٠٠ ان شعر مرفت الاشقر يخطف دائما بصره كأنه شمس لا يستطيع أن يخطئها ٠٠ ومرت به شلة من الفتيات وهو واقف الى جوار سيارته يتطلع بطريقته الفريدة فى النظر الى ما حوله ٠٠ وراحت الفتيات يتغـامزن ضاحكات وهن يتطلعن اليه بفضول ٠٠ وقالت واحدة منهن لزميلتها :

ان الدون جوان الخطير قد جاء يبحث اليوم عن صيد جديد ، انظرى الى وقفته الى جوار سيارته والطريقة التى يتطلع بهـا الى الفتيات الجميلات ٠٠ ترى لماذا لا يدخل الى قاعة المحاضرات مثلنا ؟ اليس طالبا هو الآخر فى هذه الكلية ؟ ٠٠ لكن زميلتها ردت عليهـا بمرارة واحساس بالازدراء يتملكها : طالب مثلنا ؟ ٠٠ لا تجعلينى اضحك فلست فى حالة نفسية تسمح لى بذلك ٠٠ ان سيارته وحدها تساوى مرتباتنا جميعا لبضعة سنوات ، ثم جذبتها من يدها وهى تقول لها ضاحكة : هيا بنا ندخل الى قاعة المحاضرات فليس لدينا آباء يشترون لنا مثل هذه السيارات الغالية الثمن ٠

ونظر فهد الى شلة الفتيات وهو يبتسم ، وفجأة خفق قلبه بشدة ٠٠ فقد رأى مرفت الجميلة بشعرها الاشقر المتوهج وعينيها الزرقاوتين الصافيتين وبنطلونها الجينز الازرق الذى يكاد يتمزق تحت ضغط جسمها المتفجر بالانوثة وشباب سن العشرين ٠٠ كانت خارجة وسط شلة من زملائها وزميلاتها من باب الكلية فى طريقها

الى فناء الجامعة الفسيح ·· ابتسم وهو يتخيل الرعب الذى سيطل من عينيها الجميلتين عندما تراه واقفا أمامها ·· وتشعر أنه كان ينتظرها هى بالذات ، لكنه دون أن يتبادل معها كلمة واحدة سيقول لهـــا اطمئنى يا مرفت فاننى لم آت الى هذا المكان لأفضـــحك بين زملائك أو أسبب لك أى نوع من الاحراج ·· لقد آتيت لاننى أردت أن أراك ·· لأننى لم أستطع أن أبقى طويلا بعيدا عنك ·· حينئـذ ستطمئن وستنظر اليه وهى تبتسم بعينيها الجميلتين ·· سيقول لها أيضا : مرفت حبيبتى كفى عن تعذيب نفسك فبرغم ما فعلتيـــــه تمازلت مرفت الجميلة الباهرة التى يمسح جمالهـــا كل الأخريات برغم ادعاءهن الشرف والفضيلة ·

انك لست رخيصة يا مرفت فجمالك النادر يغفر كل شىء حتى السقوط نفسه ·· وابتسم فى نشوة وهو يتخيل كل هذا الجمال النادر وكل هذا الشباب عاريا بين ذراعيه يستمتع به وحده دون الآخرين ·· وفجأة بدا يفكر فى كل ما قالوه له عن هذه البلاد قبـل أن يحضر اليها لطلب العلم ·· وارتسمت على شفتيـــه ابتسامة ساخرة لا تخلو من مرارة ·· قالوا له :

ان نساء هذا البلد رائعات الجمال ·· قالها كل من قدم اليها وتذوق لحوم فتياتها الجميلات ·· لكنهم حذروه من استهتارهن ، قالوا له انهن لعوبات خائنات ·· الفضيلة لا تعنى لديهن شيئا على الاطلاق بل المال والمال وحده ، قالوا له أيضا : ان الآباء هنـــاك طيبون للغاية ومتسامحون فى كل شىء وانهم يتركون الحبل عـلى الغارب طواعية أو كرها لفتيات الجيل الجديد اللاتى يتميزن بنزعة وحشية للانطلاق من كل قيد وعمل كل شىء وخوض كل تجربة ·

قالوا له ان هذا البلد تحول الى سفينة غارقة · وأن الناس هناك تحولوا الى فئران يهربون من السفينة قبل أن تغوص فى الماء ··

وقالوا له أن البحر فى كل مكان وان الصيد وفير وان شبكته مجرد سيارة أنيقة تبهر العيون ·· وشقة فى عمارة كبيرة تتوه فيهـــا الفتيات الصغيرات عن عيون الناس الذين يمكن أن يضيقوا عليهن الخناق ·· وفى شقته المفروشة على النيل تحقق فهد من صدق كل ما سمعه من قبل ··

ابتسم وهو يتذكر طابور النساء الطويل الذى صعد الى شقته وكيف فعلت كل واحدة منهن ما أصابه بالذهول دون أن تحس بأدنى قدر من تأنيب الضمير أو الشعور بالخجل ·· نساء متزوجات ·· طالبات يحملن كشاكيل المدرسة أو الجامعة ·· حبوب منع الحمـل ··قصص عن الخيانة وعمليات البكارة ·· عمليات الاجهاض اللاتى يعملنها وكأنهن يتناولن أقراص الاسبرين ·· الفتيات اللاتى يغبـن عن بيوت أهلهن بالايام ، وأحيانا بالاسابيع دون أن يسألهن أحد أين كن ·· الفتاة التى تنفق على أسرة ·· الفتاة التى تبيع نفسها كى تشترك فى نادى وتعيش فى مستوى رفيع ·· الجوع ·· انهيار الاخلاق ·· مجتمع وصل الى القاع ·

فتيات صغيرات فى أعماق كل واحدة منهن انثى مخيفة فقدت بكارتها ربما قبل أن تولد ·· نساء رجال مشـــــهورين ذوى مراكز خطيرة ·· نجمات سينما ومذيعات تليفزيون وراقصـــــــات فى الكباريهات ، تذكر طريقتهن التى لا تكاد تتغير وهن يضعن النقود داخل حقائبهن ·· القبلة السريعة على الشفاة ، النظرة اللامعة فى العيون التى لا تعرف الخجل ، الجملة التقليدية يقلنها وهن عـلى وشك الانصراف من الشقة :

ينبغى أن أسرع الآن قبل أن يعـــود زوجى الى البيت ·· آه يا الهى لكم أضحكته هذه العبارة لانها تقال دائما بنفس الطريقة

وباستعمال نفس الكلمات ·· هذه الفئة الشيطانية من النســـاء اللاتى يتبعن الديانة الجديدة السائدة فى المجتمع ·· عبـــــادة المال ·· وكلما كان حظك من المال وفيرا كان حظك فى الحصــول على مستوى أرفع من الجمال أكبر ويظل معدل العمر يتناقص حتى يصل الى عمر الزهور ·· عمر طالبات المدارس الثانوية ·· لكن كل من عرفهن خلال مغامراته الطويلة لا يساوين مرفت فى جمالها المبهر المترفع ·· فى أنه أول رجل فى حياتها ، فى اللذة القصــوى التى حصل عليها بعد طول مطاردة لها ، أحس فيها بالامتهـــــان لقدراته كصياد نساء محترف ·

ان مرفت الجميلة ليست فتاة مرة واحدة وتنقضى أو حتى بضعة مرات ، انها فتاة عمر بأكمله ·· انها ثمرة بعد أن تذوق طعمها الفريد قرر ألا يبعدها عن شفتيه قبل أن يرتشف كل الرحيق الحلو الذى تختزنه فى داخلها ·· عندئذ لن يجد بأسا فى أن يلقيها بعيدا عنه ويبحث عن ثمرة جديدة يعتصرها بين شفتيه ·· طافت كل هذه الذكريات بمخيلة فهد وهو يلمح وجه مرفت القادمة باتجاهه سائرة وسط شلة من زملائها وزميلاتها والتى لم تكن قد رأته بعد ، وتقدم هو باتجاهها محاولا أن يضع فوق وجهه تعبيرا يطمئنها ويبعد الخوف عن قلبها عندما تفاجأ به أمامها وتسأل عن السر فى قدومه الى الكلية ·

ابتسم لها بعينيه ابتسامة حارت فى أول الامر فى تفسيرها ·· هل هى ابتسامة ساخرة متحدية ام ماذا ؟ لكن تعبيرات وجهه قالت لها ان سرهما محفوظ وانه جاء لرؤيتها فحســـب ، ابتسمت له بعينيها هى الاخرى ، فأحس بسعادة تملأ قلبه ثم مد يده وأخذ يصافح أفراد الشلة التى كانت تربطه بأفرادها رابطة سطحية ·· وعندما جاء دور مرفت استبقى يدها الرقيقة المضمخة بالعطر فترة

أطول من المعتاد وقد أخذ يضغط عليها بأصابعه ضغطات رقيقة يعبر بها عن شعوره ، لكن دون أن يلاحظ أحد من أفراد الشلة شيئا مما حدث بينهما ٠٠ كان وجه مرفت هادئا بعد أن ايقنت أن فهد لم يأت الى الكلية ليفضحها فى المكان الوحيد الذى تحـــرص فيه على سمعتها ٠

وبدأت مع الوقت تسترد مرحها السابق وتنظر الى وجـــود فهد نظرتها الى وجود أى واحد آخر من زملائها ، ثم أخذت تفـكر لماذا تخاف من فهد وما هى مصلحته فى فضحها بين زملائها فى الكلية ٠٠ انه لو فعل ذلك فانه بالتأكيد سيخسرها الى الابد ٠٠ وملامحه الآن تقول : انه ما زال راغبا فيهـــا وعلى استعداد لأن يفعل أى شىء فى سبيلها ، ثم لماذا تلومه على الرعب الذى استولى عليها عندما فوجئت به أمامها دون توقع ، أليست هى التى ذهبت اليه بقدميها وتركته يفعل بها ما فعل ؟ ٠٠ أليست هى التى أغرتها النقود وما زالت تغريها حتى الآن ٠

وشجع هدوء مرفت ونظرتها الطبيعية الى وجود فهد ضـــمن شلتها على أن يتقدم اليها بطلب غريب ٠٠ طلب كان لا يمكن لواحد من أفراد الشلة أن يتصور أنه يمكن أن يتقدم به فى يوم من الايام ٠٠ لقد طلب منها ببساطة شديدة أن تعيره دفتر محاضراتها لينقـل منه آخر محاضرة ألقاها الأستاذ ٠٠ فعل ذلك حتى اذا ما رآهمـا أحد معا لم يشك فى وجود صلة خاصة بينهما ٠

ونظر أفراد الشلة بما فيهم مرفت الى فهد بذهول اذ ان هذه كانت هى المرة الاولى التى يبدى فيها أى اهتمام بالكليـــــة أو المحاضرات ٠٠ لكن فهد فاجأهم قائلا ليبعد أى شك من نفوســـهم بخصوص طلبه الغريب : لقد قررت منذ الآن أن أبـدأ الدراســـة

بطريقة منتظمة ‥ ولما كانت مرفت من أكثر المواظبات على حضور المحاضرات فقد قررت أن أستعير دفتر محاضراتهـــا لأنقل منـه المحاضرة الاخيرة ٠

ونظر فهد الى مرفت متسائلا ‥ ورغم أنها أدركت السر وراء طلبه الغريب الا أنها أبدت بعض التمنع فى اعطاءه دفتـر محاضراتها حتى يبدو الامر طبيعيا وغير مثير للريبة ‥ وهنا قال لها فهـد متوســـلا ومتقنا دوره : أرجوكى يا آنسة مرفت اننى لا أظن أنك تمانعين فى أن أبدأ الدراسة بطريقة جادة ثم اننى أعدك بأن أرد لك دفتر المحاضرات فور أن أنقل منه المحاضرة ٠

وهنا قال له واحد من أفراد الشلة ضاحكا : ولماذا كشكول مرفت بالذات ؟ ألا ينفع كشكولى أنا مثلا ‥ ان به جميع المحاضرات فضربته واحدة من الفتيات على رأسه مداعبة وهى تقول له كلا أيها الساذج لابد من كشكول مرفت بالذات انه اجمل من كشكولك بكثير ‥ وضج أفراد الشلة بالضحك ‥ ثم بدأوا يتحركون متجهين الى باب الجامعة الخارجى ، لكن مرفت تأخرت بضعة خطوات لتكون قريبة من فهد ، وهنا مالت احدى الفتيات على اذن زميلتها بعد ان لاحظت ذلك وهمست لها قائلة :

أليس غريبا أن يطلب فهد كشكول المحاضرات من مرفت بالذات وهو يعلم شعورها نحوه ، انك تلاحظين بالطبع أنها تعامله دائمـــا بتعاظم شديد بل أستطيع أن أقول ببرودة كأنها لا تحس بوجوده ، وضحكت زميلتها وهى تقول لها ساخرة : وهل تصدقين ذلك أيتهـــا الساذجة ، انه تكتيك ذكى من مرفت كى تجذب انتباهه ناحيتها ‥ وقال واحد من أفراد الشلة يبدو انه سمع ما قالته الفتاتان لبعضهما ‥ الغريب انها وافقت على طلبه بمنتهى السهولة ‥ ثم أردف قائلا

بصوت خفيض وهو يلتفت برأسه الى الوراء ويرى كيف أن مرفت وفهد قد أصبحا يسيران جنبا الى جنب وحوار هامس يدعو الى الشك يدور بينهما :

هل تراهنونى على أنها ستركب معه فى سيارته ، وهنا قال واحد اخر باستنكار ‥ مرفت تركب مع فهد ، مستحيل انهـــــا تحتقره وتكرهه ، فقال الاول متحديا : بل اقول لك انها ستركب معه وأنا على استعداد لمراهنتك على أى مبلغ تطلبـــــه ٠ قالت مرفت لفهد وهما متجهين الى سيارته : ماذا تريد أن تفعل بى ؟ هل تريد أن تسبب لى فضيحة فى الكلية بعد حكاية الكشكول الغريبة التى اخترعتها ‥ قال فهد بلهجة متوسلة : أرجوكى يا مرفت كفى عن هذا الكلام السخيف ، انك تعلمين اننى ما جئت الى الكلية الا لكى أراكى ‥ انك لا تدركين كم أفتقدتك منذ آخر مرة التقينا ٠

وصمت برهة ثم قال وهو ينظر الى عينيها الجميلتين : هيـــا بنا نذهب بعيدا عن هذا المكان ، بعيدا عن كل العيون التى تحملق فينا ‥ ما رأيك لو نذهب الآن الى شقتى ؟ أعتقد أنها أنسب مكان يمكن أن ننفرد فيه ببعضنا ٠ نظرت مرفت طويلا الى عينيـــه كأنهـــا تريد أن تصل الى أعمق أعماقه ، ثم قالت وكأنها اختنقت طويــلا بالكلام الذى نطقت به : فهد ما مصير علاقتنا ‥ انك تدرك بالطبع أننا لا نستطيع أن نستمر بهذه الطريقة ‥ نتقابل فى الظـــــلام كاللصـــــوص ‥ ان هـــذه العـــــلاقة ستفتضح يوما ما وحينئــذ لن أستطيع أن أبقى فى الكلية ، فهل أنت على استعداد لان تتزوجنى أم لا ؟

وضعت كلمة الزواج سمع فهد وجعلته يفيق من أحـــــلامه الجميلة بقضاء وقت ممتع مع مرفت داخل الشقة ، قال بعصـــــبية

شديدة وبكلمات ليس لها سوى معنى واحد قاطع الدلالة : مرفت ، هل من الضرورى أن تفسدى اللحظة الجميلة التى نعيشها بالكلام عن الزواج ٠

وصمت برهة ثم قال وهو ينظر اليها ببرود : لكن ما دمتى قد ذكرتى الزواج فدعينى أقول لك بصراحة اننى لا أفكر فى الزواج الآن لا منك ولا من أى انسانة أخرى فأنا ما زلت شابا وأمامى وقت طويل قبل أن أفكر فى الارتباط بانسانة واحدة ٠ ثم ضحك قائلا : يا الهى اننى عندما أفكر فى ذلك أحس بأننى أكاد أن أختنق ٠

وصمت برهة ثم أردف قائلا : ثم لماذا نتزوج يا حبيبتى ؟ ما قيمة هذه الورقة السخيفة أمام علاقتنا الحميمة التى لن تنفصم أبدا ٠٠ وتطلع الى وجه مرفت ليرى تأثير كلماته عليها ، وأحس بسعادة عندما وجد وجهها خاليا من الصدمة التى توقع أن تبدو عليه بعد سماع كلماته القاطعة ٠٠ وبدأت أحلام قضاء وقت ممتع مع مرفت داخل الشقة تراوده من جديد ٠ قال لها باستعطاف : مرفت صدقينى اننى لن أتركك أبدا وسأبذل كل ما فى وسعى لتحقيق كل أحلامك ٠ لكن أرجوكى لا تطلبى منى أكثر من ذلك فاننى لن استطيع أن أعطيه لك ٠

ونظرت اليه مرفت وقد أحست باليأس يطوق قلبها ، لكن الغريب أنها هدأت بعد سماع كلماته القاطعة ٠٠ فانها على الاقل تعرف نيته نحوها وتعرف أن عليها أن تكف عن اجترار أحلام لن تتحقق أبدا ٠٠ وبدأت تدرك الامر بوضوح ٠٠ وكم كانت ساذجة عندما تصورت أن فهد يمكن أن يتزوجها بعد ما حدث بينهما ٠ ونظر اليها فهد بواحدة من نظراته المقتحمة وأدرك أنها حائرة لا تدرى كيف تتصرف ٠٠ فقال ليغريها على الموافقة على اقتراحه بالذهاب الى

الشقة : ما رأيك لو ذهبنا الى الشيراتون أولا لنتناول غذاءنا ثم نذهب بعدها الى الشقة ٠

ومضت مرفت صامتة الى سيارته وركبت الى جواره وانطلقت بهما السيارة الرياضية الجميلة تعدو فى طريق الخروج من الجامعة بينما أنظار الواقفين فى الفناء الفسيح تتطلع اليها فى انبهــار كالعادة ٠ ومرقت السيارة المرفوعة الغطاء من باب الجامعــة ٠٠ وشعر مرفت الاشقر الطويل يتطاير فى الهواء ٠ ولمحها أفــراد شلتها الذين كانوا قد خرجوا الى الشارع فالتفتوا ناحيتها غيــر مصدقين ٠

وابتسم الشاب الذى كان قد راهن زميله على أنها ستركب مع فهد فى سيارته ٠٠ وقال له وهو يمد يده اليه : هيا يا بطل اعطنى الرهان الذى اتفقنا عليه ٠٠ لقد رأيتها بنفسك داخل سيارته كما قلت لك ٠ ولما رأى الذهول ما زال مستوليا على زميله ٠٠ قال كأنه ينطق بحقيقة لا يرقى اليها الشك : لماذا تظن أن مرفت مختلفه عن الاخريات ، تأكد يا عزيزى انهن جميعا سواء ولا توجد واحدة منهن قادرة على مقاومة اغراء سيارة كهذه على الاطلاق ٠



ظل عادل واقفا أمام باب الجامعة يترقب حروج مرفت وأعصابه قد بلغت أقصى درجات التوتر والانهاك ٠٠ اذ مر وقت طويل وهو جالس فى سيارته يتطلع بلهفة الى وجوه الفتيات الخارجات من باب الجامعــة دون أن يلمح بينهــا الوجه الذى يريد أن يراه ٠٠ كان لا يزال يحبها من أعماقه برغم كل ما فعلتــه به ٠٠ وبرغم محاولاته الدائبة لنسيانهــا فانه لم يستطع ذلك ٠٠ كانت لا تزال

تمثل فى حياته الحلم الوحيد الجدير بالقيمة · الجدير بالتشبث به حتى الرمق الاخير ·

وتصور عادل أنه بشيء من المجهود البسيط ·· بشيء من الاقناع او الالحاح يمكنه أن يعيد هذا الحلم الى قبضته من جديد رغم أنه فى أعماقه كان يعرف أن هذا الحلم قد ضاع منه الى الابد ·· لكن العاطفة القوية التى كانت لا تزال تملأ قلبه ، كانت تدفعه الى التشبث بالوهم المسيطر عليه ·· كان يحاول أن يتقصى أخبار مرفت ·· يتتبعها فى كل مكان تذهب اليه ، ففى الصباح يكون واقفا فى انتظارها أمام محطة الاوتوبيس ·· ثم يسير وراءها حتى يوصلها الى الجامعة وفى الظهر ينتظرها أمام باب الخروج حتى يراها تخرج منه فيسير وراءها من جديد حتى يوصلها الى البيت ، وهو فى جميع الأحوال يتعمد لفت نظرها اليه بشتى الوسائل ·

واليوم ظل واقفا كالعادة ينتظر خروجها من باب الجامعة الخارجى ·· ومرت الى جواره شلة من البنات اعتادت مرفت أن تسير معها ·· وشعر عادل بخيبة أمل شديدة عندما لم يجدها بينهن ·· كان وجه عادل قد أصبح مألوفا للفتيات من كثرة ما رأينه واقفا أمام باب الجامعة يحملق فى وجوههن وهن خارجات الى الشارع ·· ولمحته واحدة من الفتيات فنبهت زميلاتها اليه ·· وعلى الفور انتابتهن حالة ضحك عارمة وقد رحن يتفرسن فيه بطريقة أربكته وجعلته يشعر بالحرج ·· اذ أخذ يسأل نفسه عن سر هذه الضحكات السوقية والنظرات الغريبة المتفرسة التى لا تخلوا من شماتة وسخرية ·

وفجأة أدرك سر ذلك التصرف الغريب عندما لمح تلك السيارة الرياضية الجميلة وهى تندفع بجنون خارجة من بوابة الجامعة

بينما تشعر مرفت الاشقر الطويل يتطاير في الهواء من حول وجهها .
واحس عادل بقبضة قوية تعتصر قلبه وبنوع من الوجوم الصامت
يسيطر على حواسه ويعطلها عن العمل ، خاصة عندما وجهت اليه
مرفت بصرها في لحظة خاطفة أحس انها استمرت دهرا بأكمله .
لقد أصابته هذه اللحظة بنوع من الشلل النفسى التام .. نوع من
الخواء الغريب جعله يحس أنه فقد معنى وجوده نفسه .. فما
معنى الوجود وما قيمته اذا ما تحول حلمه الاثير الى رماد .. اذا
ما تلوث بصورة تفجعه وتهين رجولته وتصيبه بنوع مروع من
الصدمة .

اما مرفت فقد ملأتها هذه اللحظة باحساس عميق بالرثاء
لعادل المسكين الذى وجد نفسه في هذا الموقف المهين .. لكن هذا
الاحساس كان يخالطه شعور عميق بالخوف مما يمكن أن يقدم
عليه عادل في لحظة غضب يفقد فيها سيطرته على اعصابه .
كانت مرفت موقنة أن عادل سبق له أن راها تركب سيارات زملاءها
في الكلية ، لكن هذه المرة بدت لها مختلفة تماما ، هذه المرة تركب
وحدها في سيارة زميل يبدو من خلقته أنه ليس مصريا ونمر
السيارة الجمرك تقطع بذلك .. سيارة سبور أنيقة تستفز كل من يراها
.. سيارة مرفوعة الغطاء ، وشعر مرفت الاشقر الجميل الذى
طالما لمسه عادل بأصابعه في وله وحب يتطاير في الهواء ويلامس
وجه رفيقها الذى يبدو سعيدا منتشيا برفيقته الجميلة التى يحسده
عليها كل من يراها معه .

مرفت كانت تشعر في أعماقها أن عادل المثالى الحالم ، عادل
العاطفى العصبى المزاج يمكن أن يقدم على أية حماقة مهما كانت
فظيعة في ثورة احساسه بأن رجولته قد أهينت ، لكن مرفت حاولت
أن تطمئن نفسها بأن عادل بعد كل ما فعلته به لابد أن يكون قد

يئس منها تماما ٠٠ وان رؤيته لهـــا تركب ســـيارة رجل غريب وبطريقة مثيرة للشك لن يحرك عواطفه الى الدرجة التى تتخيلها ٠٠ انه ربما يصاب بصدمة ٠٠ ربما يغضب بعض الشيء لكنه لن يقدم على الحماقة التى تصورت أنه يمكن أن يقدم عليها عنـــدما يحس أنه حقيقة أهين ، وانها حقيقة تمثل قيمة يحرص عليها ٠٠ لكن مرفت كانت مخطئة فى تصورها فقد أحس عادل فعلا بأنه أهين وبارغم أقتناعه الداخلى بأنه فقد مرفت الى الابد الا أنها بالنسبة له لـم تكن أبـــدا صـــــفحة طويت الى الأبـد ٠٠ كانت ما تزال هنـــــاك بضـــعة ســـطور للقـــــــــراءة ٠٠ أحس عـادل أن رجولته أهينت مرتين مرة كعاشق طعنته حبيبته طعنة غادرة ومرة كمواطن يشعر بالعار وهو يرى فتاة جميلة من بلاده فضـــلا عن كونها حبيبته تترخص الى الدرجة التى تصاحب فيها أجنبيا وغـدا على مرأى من كل زملائها وزميلاتها فى الجامعة ، ودون أن تشعر بأى قدر من الخجل أو العار بل ربما شعرت بالفخر لذلك ٠

وأدار عادل بصره من حوله وروعته اعداد الوجوه الهادئة المستسلمة الضاحكة أحيانا كأن شيئا كريه الرائحة لا يحـــدث الى جوارها ٠٠ وأحس باشمئزاز يتصاعد فى داخله ٠٠ كيف طاوعتهم قلوبهم ٠٠ كيف لا يثورون لكرامتهم ٠٠ لرجولتهم الذبيحـــة على هذا النحو المروع ؟ وكانت المفارقة دامية ومضحكة فى نفس الوقت ٠٠ فها هو الانسان الذى تحاصر الشكوك رجولته يثـــور ٠٠ لأن شرفه الوطنى ٠٠ شرفه الانسانى قد أهين فى نفس الوقت الـذى لا يثورون هم فيه لنفس الاهانة الموجهة لهم ٠٠ هم الأكثر رجـولة ٠٠ الأكثر غرورا ٠٠ الأعلى صوتا ووقاحة ٠

وأفاق عادل من الصدمة التى شلت حواسه لبضعة ثـوان وقد اعتراه تصميم أكيد على مطاردة السيارة التى كانت قد خرجت

من بوابة الجامعة وراحت بسرعة جنونية تشق طريقها بين زحام السيارات الأخرى فى الشارع · اندفع بسيارته بأقصى سرعة محاولا اللحاق بالسيارة التى تسبقه وبعد أن استطاع أن يلحق بها تعمد أن يحاذيها وهو يسير بنفس معدل سرعتها ·

ثم وجه نظرة حملت كل كراهيته واحتقاره الى مرفت التى حدجته بنظرة تجمدت من الرعب ·· فعادل الغاضب المجروح فى كرامته الذى ما زال يحبها رغم كل الاهانات التى وجهتها له يمكن أن يقدم على عمل متهور يسبب لها فضيحة مدوية ·

ونظرت مرفت الى فهد وكان قد بدأ يلاحظ مطاردة عادل لهما وتوسلت اليه أن يهرب منه بأى طريقة وسألها فهد بلا مبالاة : هل تعرفين هذا الشخص ؟ فأجابت قائلة : بأنهما كانا شبه مخطوبين ، فقال فهد بسخرية واضحة الآن أستطيع أن أدرك السبب فى مطاردته لنا بهذه الطريقة ، ثم التفت ناحيتها وقال ضاحكا : والآن أمسكى أعصابك جيدا فأنا على وشك أن أمارس لعبتى المفضلة ·· الهرب عند اللزوم ·

وضغط فهد على بنزين السيارة القوية لتنطلق بأقصى سرعة لها وسط زحام السيارات الأخرى التى أصابها الذعر فأخذت تفسح لها الطريق ·· كان يناور ببراعة ولا يعبأ بشىء حتى أنه كسر احدى اشارات المرور الحمراء التى اضطر عادل للتوقف عندها عندما وقفت أمامه احدى السيارات وقد راح من فرط غيظه لافلات السيارة الأخرى منه بهذه الطريقة يضرب مقود سيارته بعنف بالغ فى الوقت الذى أخذت فيه السيارة الأخرى تبتعد حتى اختفت تماما ، حينئذ استدار عادل عائدا الى الكلية من جديد ·· كان يريد أن يجمع أكبر قدر من المعلومات عن غريمه الجديد ·

ودخل بسيارته من بوابة الجامعة وتوقف فى فناء الكليـــة وترجل من السيارة ووقف حائرا لا يدرى ماذا يفعل ٠٠ وفجأة ٠٠ طرأت على ذهنه فكرة نفذها على الفور ، سأل أول طالب مر به عن صاحب السيارة الرياضـــــية التى خرجت منـــذ لحظات من باب الجامعـــة ، والذى يبدو من خلقته أنه من أحـــد الأقطار المجاورة ، وصاح الشاب قائلا بضيق :

انك تقصد فهد بالتأكيد ، نعم أعرفه وهل يوجـــد أحد فى الجامعة لا يعرفه ، انه يأتى فقط ليعاكس البنات بسيارته الجميـلة وهم يقولون عنه فى الكلية انه غنى جدا وانه من احـــدى بلاد البترول العربية ، وصمت الشاب برهة ثم قال بتأفف شديد : اننى حقيقة لا أدرى لماذا يتحفوننا بهذه البلاوى التى تزحم علينـــا بلادنا الضيقة ؟ ألا يكفى ما نحن فيه من فقر ليعطوا أماكننا فى الجامعات وفتياتنا الجميلات أيضا للأجانب ٠٠ وسأله عادل قائلا :

هل تعرف عنوان منزله ؟ وأجاب الشاب باحتجاج ، وكيف أعرف عنوان منزله وأنا لا أحب أن تكون لى صلة بهؤلاء الناس ثم انهم لا يصادقون المصريين حقيقة ٠٠ أعنى الرجال منهم ٠٠ دائما الفتيات ٠٠ ثم تركه الطالب وانصرف ٠٠ فجأة تذكر عادل أن بمقدوره أن يعرف عنوان الشاب العربى عن طريق قلم المرور ، وكان عادل قد التقط رقم سيارته الجمـــرك وهو يطارده بسيارته لكن عادل أحس فجأة بشىء من الحيرة فلماذا يريد أن يعـــــرف عنوان الشاب العربى ٠٠ لقد أدرك اليوم من نظرة مرفت اليه ٠٠ تلك النظرة التى حملت قدرا كبيرا من الخـــــوف واللامبـــالاة والكراهية انه فقدها الى الأبد ٠

فلماذا يعلق أوهاما كاذبة عليها ، ماذا يريد منها بعد أن أصبحت تكرهه ٠٠ بعد أن أصبحت ملوثة أثر انحدارها الى هوة

مصاحبة العرب .. ثم ما هى فرصته أمام منافس يملك سيارة كهذه .. انه لا يدرى .. فقط يحس أن رجولته قد أهينت وانه لابد أن ينتقم .



بعد عدة ساعات من النوم بعد الظهر استيقظ عادل وهو يشعر بشىء من الانتعاش على غير المألوف فى حياته فى الآونة الأخيرة التى مرت ككابوس مخيف وهو يفكر فى علاقته الغريبة مع مرفت ، كان يشعر دائما بأنه مرهق ويميل الى الاعتكاف فى حجرته .. وكان يجلس بالساعات مع والدته دون أن ينطق الا بالكلمات التى تمليها الضرورة مما جعله يحس بالذنب تجاه والدته المسكينة التى تحملته رغم كل شىء وبذلت كل ما فى وسعها لكى تعيد اليه توازنه النفسى المفقود .

ابتسم وهو يجلس الى جوارها كى يشاهدا معا برامج التليفزيون المسائية .. وقد كانت تلك عادتهما منذ فترة طويلة من الوقت .. وفجأة تذكر أن عليه أن يتوجه الى منزل بحلق كى يعطيه الهدية التى اشتراها من أجله .. فاستأذن من والدته فى الانصراف لفترة من الوقت واعدا اياها بألا يتأخر كثيرا فى الخارج .. طالبا من تفيدة الخادمة بألا تترك والدته وحيدة حتى يعود هو الى المنزل .. وقبل والدته فى جبينها وأسرع بالتوجه الى منزل بحلق الذى ما أن رآه حتى فتح ذراعيه وأخذه بالأحضان وقد راح يقبله فى وجنتيه بحب يندر أن يحس به تجاه أى انسان آخر .

فعادل هو الانسان الوحيد الذى يطرق بابه بين الحين

والآخر أو يهتم بالسؤال عنه ٠٠ حتى أخـــوه الشقيق لا يفعـــل ذلك معه ٠٠ والواقع أن رابطة غريبة بعيدة عن مسارات الصداقة التقليدية تربط بين كائنين ليس بينهما أدنى شبه ٠٠ لكن رغم ذلك يوجد بينهما خيط غير مرئى يشدهما الى بعضـــهما البعض ٠٠ فعادل ذو القلب الكبير لا ينظر الى بحلق على أنه مجرد صـــديق بل على أنه انسان هو مسئول عنه بشكل أو بآخر ٠٠ كأنه خلـق خصيصا من أجله ٠

ان نظرة عادل الى بحلق بغض النظر عما يحسه تجـــاهه من احترام ٠٠ احترام انسان لانسان ليست أكثر من نظرته الى حيوان حرمته الطبيعة من أدوات الدفاع عن النفس ضــــد بشر زودتهم نفس الطبيعة بكل أدوات العـــــدوان والايذاء ٠٠ وكان احساس عادل بثقل هذه المسئولية وجسامتها يملؤه بشعور حزين مقبض بأنه لا وجود لأى عدل أو رحمة فى هـــذا العـــالم البالغ القسوة ٠٠ اذ لا ريب أنه من العار أن يظل بحلق المسكين معتمدا اعتمادا يكاد يكون مطلقا على غيره من الناس فى تدبير حيــاته والدفاع عن نفسه ضد أناس يناصبونه العداء بلا سبب مفهوم هذا على فرض وجود هذا الانسان النبيل المستعد فى تجرد تام للقيام بهذه المهمة الانسانية طول الوقت وبلا أى مقابل على الاطلاق سوى مجرد احساسه بالواجب بنفس القدر من الحب والاحســاس العميق بالصداقة التى تربط بينهما ٠ كان عادل يحتــوى جســـد بحلق الضخم ويربت كتفه بحنان بالغ وهو يقول له بعد أن اجتازا باب الشقة وأصبحا واقفين فى الصالة الصغيرة :

لدى لك اليوم مفاجأة سارة حذر ما هى ؟ وكان بواب العمارة واقفا وراء عادل يحمل فى يده شيئا ضخما مطويا وملفوفا بخيط

سميك من الدوبارة ·· فطلب منه عادل أن يضعه على الأرض وينصرف ·

أغرورقت عينا بحلق بالدموع من المفاجأة التى أعدها لـــه عادل فهو لم يتعود أن يقدم له أحد من الناس هدايا من أى نوع أو حتى يعامله معاملة رقيقة ·· فالجميع بالنسبة له وحــوش لهم قلوب من صخر حتى أخاه الأصغر عندما يأتى اليه عـــلى فترات متباعدة كى يعطيه نصيبه من ميراث والدهما فانه يبـــدو متجهما ينظر اليه باحتقار وكراهية ·· يأتى اليه كى يؤدى مهمة محددة ثم ينصرف على الفور ·

انه لم يكلف نفسه مرة واحدة أن يكلمـــه كلاما طيبـــا ·· كلام انسان لانسان ·· انه ينظر اليه كمـــا لو كان قد نكب به ·· انه لم يسأله مرة واحدة كيف يعيش وحيدا فى هذا العـــالم القاسى الذى لا يرحم حتى الأقوياء ·· من يقضى له حوائجـــه ·· من يحضر له الطبيب عندما يمرض أو يعد له وجبات غذاءه ·· أو يناوله الدواء ·· أما عادل فانسان آخر مختلف عن كل الذين عرفهم فى حياته ·

وانحنى عادل على اللفافة الضخمة الموضوعة على الأرض وقطع خيط الدوبارة الذى يربطها ·· ثم فردها على الأرض وهو يقـول لبحلق ضاحكا ما رأيك فى هذه المفـــاجأة ؟ ألم تتمنى أن تكون لك سجادة مثل هذه يوما ما ؟ حسن ·· لقد وعدتك بشراءهـا لك كى تحميك من برودة البلاط ، وأغرورقت عينا بحلق بالدموع التى سرعان ما تحولت الى نشيج مؤلم ، هز مشـــاعر عادل من الأعماق فى الوقت الذى كانت فيه ابتسامة سعيدة ترتعش عـــلى شفتى بحلق الذى كان يهتز من قمة الانفعال ·

وأحس عادل بارتباك مفاجيء من الحساسية المفرطة لصديقه المسكين الذى يتصور الناس البلهاء أنه ليس أكثر من مجـــرد حيوان ليست له مشاعر الانسان المرهفة وقدرته على الاحساس بالعاطفة القوية التى تتدفق بداخله ·· ولبث عادل صامتا لبضع دقائق يتأمل بحلق فى حزن ·· وأخيرا قال له ضـاحكا وهو يحس أنه بذلك يتخلص من الحرج الذى يشعر به :

لماذا لا تدخل الى المطبخ وتعد لنا قدحين من الشاى ·· وبينما كان بحلق فى المطبخ وقف عادل يتأمل عصفور الكناريا الموضــوع داخل قفص معلق فوق حائط الصالة ·· وأحس بشعور غريب وهو يركز بصره فوق ذلك الطائر الصغير المنكمش على نفسه والذى لم يكن يصدر أى صوت جميل رغم مداعبة عادل له بأصبعه··شعور بأن الكائن الضعيف حزين لأن كائنا أقوى منه يعذبه ويحرمه من حقه الطبيعى فى الانطلاق والحرية ·· لكن ألسنا جميعا موضوعين داخل أقفاص مثل هذه تماما ·· الأقوى منا يضع الأضعف منــه داخل قفص ويعذبه والانسان يضع الطائر أو الحيوان داخـــل قفص ·· والحياة نفسها والعمر أليست أقفاصا يوضع فيهـــا الانسان ليقضى فترة عقوبة لا يعرف مداها مقدما ولا يملك امكانيــة الهروب منها ·

وأحس عادل بأنه يختنق داخل جدران الصالة الصغيرة التى هى بدورها قفص من نوع ما فخرج الى الحديقة وملأ صدره على كل اتساعه بهواء الليل المنعش المحمل برائحة زهور البرتقال ·· وقطرات الندى العالقة بأوراق الشجر السوداء ·· وتطلع الى السماء البعيدة ·· الى النجوم التى يرتعش ضوئها الخافت على بعد ملايين السنين الضوئية ·· ورغم ذلك يحس الانسان أنهـــا ترتعش داخل قلبه ·

وأحس بالصمت المعبر وهو يملأ نفسه بآلاف المشاعر النبيلة .. وأحس عادل أن الطبيعة جميلة وها هى اللحظة الحاضرة بكل صفاءها وعذوبتها تبرهن على ذلك بطريقة فذة أخـــاذة .. لكن أسوأ ما فى الطبيعة هو الانسان ، وكأنما أراد الانسان الذى يتفنن دائما فى خدش صفاء الطبيعة وجمالها ألا يخيب ظن عادل اذ ضربت حصاة صغيرة الباب المفتوح الى جواره فى عنف بالـغ أعقبها صوت كالفحيح يصيح قائلا بصوت يختنق بالضحك :

ماذا تفعل عندك يا بحلق يا ابن الكلب .. هيا أدخل الى الشقة وأغلق وراءك الباب قبل أن نحطم لك رأسك .. ودخل عادل بسرعة الى الشقة وأغلق وراءه الباب .. وفى نفس اللحظة جاءت حصاة أخرى لتضرب الباب من جديد .. وصاح نفس الصوت المختنق بالضحك : هل دخلت الى الشـــقة يا بحلق يا جبان ان هذا خير لك لأننا سنظل نضرب الباب حتى نشبع .

وتوالى ضرب الباب بالحصى الصغير الذى كان يهز مشاعر عادل التى تشربت سكون الطبيعة منذ لحظات قليلة كما لـــو كان قنابل تنفجر فى داخله .. وأحس عادل بأنه يختنـــق من التعاسة وتمنى لو يخنق بيديه العاريتين الانسان الذى يسبب بلا مبرر التعاسة لانسان آخر . وجاء بحلق بقدحى الشاى وجلس هو وعادل يحتسيان الشاى فى صمت وكآبة فرضت نفسها عليهما .

وفجأة سمعا طرقات على باب المنزل الخارجى .. ونظر عادل الى بحلق متسائلا عما اذا كان ينتظر أحدا فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ، فأجابه بحلق بالنفى وهو لا يقل عنه دهشة اذ لم يكن معتادا على زيارة أحد فى مثل هذا الوقت المتأخر ، فطلب منه عادل أن يقوم ليفتح الباب بعدأن يعرف شخصية الطارق أولا .. وجـــاء

بحلق بعد لحظات ومعه رجل أصغر منه قليلا فى السن يبـــدو من ملامحه رغم انها لرجل عادى تماما أنه يمت له بصلة القرابة . كان هذا الرجل الضئيل الحجم النادر العينين يضع ذراعه فوق كتف بحلق فى محاولة لصنع حنان مزيف اثارت اشمئزاز عادل فحدجه بنظرة احتقار هائلة .. وكان يقول لبحلق بشيء من التكلف :

سمعت انك فزت بالجائزة الاولى في اليانصيب فجئت لأهنئك وايضا لاراك .. فان مدة طويلة قد انقضت منذ ان كنت هنـــا لاخر مرة .. أما بحلق فقد راح ينظر الى الرجل فى برود ولم يبد عليـــه انه سعد برؤيته .. ولم يكن من الصعب على عادل نظرا للشـــبه الملحوظ بين بحلق والرجل أن يدرك أنه أخاه خاصة أنه حدثه عنـــه كثيرا من قبل .. عن انانيته الشديدة وغلظة طبـــاعه ، وكل هذه الصفات الكريهة التي يبدو أنها تنطبق تماما على الشخصية التي يراها أمامه .

وأحس عادل بنفور طبيعى من الرجل منذ اللحظة الاولى التى رآه فيها يدخل الى الصالة وذراعه موضوعة فى ود مصطنع فــوق كتف بحلق .. ولم تبد له زيارة الرجل بريئة تماما من الغرض .. وأيقن أن الدقائق القليلة القادمة ستكشف عن الغرض الحقيقي الذى جاء من أجله وأن صداما وشيكا سيحدث بينهما بسبب ذلك المخلوق المسكين الذى يجلس بينهما حائرا وكل وسيلته للحـــــكم علـى عواطف الآخرين مجرد احساس داخلى لا يدعمه الا قدر أدنى من العقل .

وفجأة تنبه الرجل الى وجود عادل فى المكان فحدجه بنظـــرة عدائية وهو يقول له لا أحسبنى رأيتك هنا من قبل ، هل يمكنك أن تقول لى من أنت وماذا تفعل مع أخى .. ولا تقل لى أنك صـــديقه

فانني لن أصدق ذلك فأنا أعلم أن أحدا لا يمكن أن يصادق أخى الا اذا كان يتظاهر بذلك من أجل غرض ما ٠

ونظر اليه عادل وابتسامة ساخرة مرتسمة على شفتيه ثم قال له بلهجة لا تقل عداءا عن لهجته :

وأنا أيضا لم أرك هنا من قبل وان كنت قد سمعت عنك كثيرا من صديقى مكرم وأنا أعنى كلمة صديقى صدقت ذلك ام لم تصدقه وبامكانى أن أسألك نفس السؤال ماذا تفعل هنا ولا تقل لى أنك أخو مكرم وأنا أعنى أخوه الحقيقى فاننى لن أصدق ذلك أيضا ٠٠ وهنا صرخ الرجل قائلا :

كيف تجرؤ على سؤالى من أنا وأنا هنا فى بيتى ٠٠ فقال له عادل باستنكار شديد : بيتك ٠٠ وما الذى جعله بيتك وأنا لم أرك هنا من قبل ٠٠وبالمناسبة ما الذى دعاك الى القدوم اليوم ولا تقل لى أنك أتيت للاطمئنان على أحوال أخيك العزيز فاننى لن أصدق ذلك ٠

وصمت الرجل برهة حدج فيها عادل بعينيه الماكرتين وأدرك انه أمام انسان يدرك طبيعته وان من حسن السياسة أن يأخذه بشىء من اللين ٠٠ فقال له بلهجة أقل عداءا ٠٠ عندما علمت بأن أخى فاز بالجائزة الاولى فى اليانصيب أدركت المخاطر التى سيتعرض لها عندما يعلم الناس بذلك وهم سيعلمون بالتأكيد فلا شىء يخفى عليهم ٠٠ وهنا قررت أن أسلم شىء هو أن آتى لآخذ منه النقود وأحتفظ له بها فى منزلى حتى لا يسرقها أحد ٠٠ أى عيب فى هذا ؟ وابتسم عادل فى سخرية وقد بدأ يدرك سر الزيارة المفاجأة لهذا الرجل الافاق وقال له متهكما :

آه المسألة أصبحت واضحة الآن فأنت لم تأت للاطمئنان على أحوال أخيك كما تدعى أو لكى تحتفظ له بالنقود فى منزلك حتى لا يسرقها أحد لأنك أنت اللص الذى جاء ليسرق منه النقود ·· وصمت عادل برهة ثم أردف قائلا وما زالت نفس الابتســـــامة الساخرة مرتسمة على شفتيه : لكنى أحب أن أطمئنك بأنه لا توجد أية نقود فى المنزل ·· ثم حدجه بنظـــرة متفرسة كى يرى تأثيـر كلماته على وجهه ·· وانفجر الرجل قائلا :

اننى لا أصدقك فأنا متأكد أنه ربح الجـــائزة الأولى فى اليانصيب خمسة آلاف جنيه فأين ذهبت النقود اذن ؟ قال عـــادل متشفيا وهو يركز بصره فى عينى الرجل ليشاهد فيهما كل علامات الاحباط والتعاسة عندما يسمع اجابته بأنه اشترى بكل النقود شهادات استثمار باسم مكرم وان أحدا غيره لا يمكن أن يصرفها · صرخ الرجل فى وجه عادل بجنون ·· ومن اذن لك أيها الأحمـــق أن تفعل ذلك بنقود أخى ·· نقودى أنا اذا شئت الحقيقة فان هذا الأبله لا يدرى ماذا يفعل بالنقود ·

صرخ عادل بدوره فى وجه الرجل : بأى حق تقول أنهـــا نقودك أيها الأفاق ، انها نقود ذلك التعس المسكين الـــذى تدعى أخوته ·· لكنى أحذرك بأننى سأدافع عنه حتى آخر قطرة فى دمى وأنك لن تتمكن من أخذ مليم واحد منه · ونظر عادل الى بحلق كأنه يستطلع رأيه فيما قاله لأخيه ·· وراعه ومزق مشاعره أن بحلق كان مذهولا متألما وهو يشاهد هذا الصراع الدائر بين الرجلين وهو يدرك ان لم يكن بعقله فعلى الأقل بمشاعره انه يدور من أجله هو وأنه لا يستطيع أنيفعل شيئا حياله · لكن نظرات بحـــلق اليه كانت نظرات متعاطفة وهنا قال عادل للرجل هل رأيت بنفسك

أن أخيك موافق على كل كلمة قلتها لك ·· فصرخ فيه الرجل وهو يرتعش من الغضب ·· انها مؤامرة دبرتماها معا لكنى لن أقبل ذلك ·· ان هذه النقود من حقى أنا وأى محكمة تحكم لى بذلك ·

وصمت برهة ثم قال مخاطبا عادل بلهجة مستعطفة : ألا ترى أنه معتوه وان من الخطر ابقاء النقود معه ؟ ثم ماذا سيفعل بها غير مجرد تجميدها حتى يموت ·· أما أنا أخوه العاقل الوحيد فيمكننى أن أفعل بها الشىء الكثير · نظر اليه عادل باشمئزاز وهو يقول له :

النقود هى كل ما يهمك ، لكنك لا تسأل كيف يعيش أخوك المسكين وسط كل الوحوش من أمثالك الذين ينهشون لحمه بلا رحمة ·· ما هى احتياجاته كانسان ·· كيف يتغلب على احساس الوحدة القاتلة التى يعيشها أم أنك تظن أن أخاك مجرد من المشاعر فقط لأن الطبيعة سلبته شيئا من العقل أو الادراك السليم ·· اننى أطلب منك أن تكون شجاعا وأن تعترف بالحقيقة وهى أنك لست أخا لهذا الانسان المسكين لكن وغد آخر يريد أن يسطو على نقوده لكنى لن أمكنك من ذلك أبدا هل تفهم ؟

وصرخ الرجل فى وجه عادل : لكنه مجنون لا يدرك قيمة النقود ألا يمكنك أن تفهم ذلك · قال عادل متهكما : اذا كان مجنونا كما تدعى فلماذا لم تدخله احدى مستشفيات الأمراض العقلية كى يعتنوا به أم انك نسيت أن هذا هو واجب الأخ تجاه أخيه · قال الرجل وهو يرمق عادل بكراهية شديدة : أعتقد أنه لا جدوى من الكلام معك ·· حسن ·· اننى ذاهب الآن لكن تأكد أنك ستسمع منى قريبا عن طريق المحكمة ·

وخرج الرجل وصفق الباب وراءه بشدة ·· بعدها بلحظات خرج عادل الى الحديقة الصغيرة ·· كان الليل هادئا من حوله مليئا بالأسرار والأحلام وكان الهواء قد أصبح أكثر برودة ونقاءا عما كان من قبل ·· هواء يمسح الجراح ويحيى الآمال الميتة·· وكانت أوراق الشجر السوداء ترتعش تحت ضربات الهواء وهى تصدر خشخشة تدغدغ الحواس وكانت رائحة زهور البرتقال تأتى فى موجات متتابعة كموجات البحر لتملأ صدر عادل بذلك العطر الذى ينعش أحلامه الميتة ·

ونظر عادل من حوله وملأ صدره بأكبر كمية من الهواء الرطب المنعش وراوده نفس الاحساس القديم أن الطبيعة جميلة لا شك فى ذلك وأسوأ ما فيها هو الانسان ·



دق جرس التليفون فى شقة فهد الجميلة على النيل حيث كان مسترخيا فوق أريكة حجرة المعيشة الفاخرة ، وقد راح يقلب فى صفحات مجلة البلاى بوى الشهيرة ويرشف من كأس الويسكى باستمتاع شديد بينما كانت الموسيقى الحالمة المنبعثة من جهاز الاستريو الضخم تداعب خياله وتجعله يعيش فيما يشبه الحلم ·

لكنه فجأة أحس بملل من كل ما حوله اذ لم يكن معتادا على مثل هذه الجلسات المسترخية الحالمة التى تتناقض مع طبيعته العنيفة الباحثة عن الحركة والاثارة اللتين يجدهما فى الأماكن المزدحمة حيث الموسيقى الصاخبة ·· وسحب الدخان الكثيفة والوجوه التى لا تترك له لحظة واحدة يحس خلالها بالملل ·· وأمسك فهد بمفكرته الصغيرة التى تحتوى على نمر تليفونات صديقاته العديدات وهم بأن

يطلب واحدة منهن كى تأتى اليه لتمضى معه السهرة فى احدى علب الليل التى تعود أن يقضى بها أمسياته هو وشلة كبيرة من أصدقائه وصديقاته ٠

وبينما هو يهم برفع سماعة التليفون كى يطلب الرقم الذى استقر عليه اذا بالتليفون يرن فجأة ، وخامره احساس غامض بأن هذا الرنين يحمل له مفاجأة سارة ، ولم لا وكل من يطلبه فى التليفون فتيات ونساء بارعات الجمال على استعداد لعمل أى شىء فى سبيل أن يعاملهن بسخائه المعتاد ، ورفع فهد سماعة التليفون فى لهفة وتوقع أن يسمع صوت أى فتاة أخرى باستثناء مرفت ٠٠ رقم واحد فى قائمة تليفوناته الطويلة ٠٠ وهزته المفاجأة السعيدة ٠٠ ومرفت تقول له بصوتها الحالم المنغم :

كنت أخشى وأنا أطلبك الآن ألا تكون موجودا فى البيت بل تتصرمح فى الشارع بسيارتك الجميلة والى جوارك واحدة من اياهن ٠٠ وضحك فهد للاطراء الموجه له رغم الاتهام الظاهرى الذى حملته كلمات مرفت وقال بسعادة : مرفت حبيبتى انك تظلميننى كثيرا عندما تتصورين أننى عاجز عن قضاء أمسية هادئة فى البيت ٠٠ ألا يخطر ببالك أننى قد أمضى الوقت أقرأ فى أحد كتب الكلية ، وكاد ينفجر بالضحك وعيناه تقعان على غلاف مجلة البلاى بوى الفاضح ٠ وقالت مرفت بلهجة مرحة غاضبة على أى الأحوال هذا ليس وقت محاسبتك ٠٠ ثم انك تستطيع أن تعيش بالطريقة التى تعجبك ٠

وصمتت برهة ثم قالت بلهجة جادة : اسمع هل أنت وحدك الآن ٠٠ قال باستنكار مزيف : بالتأكيد ماذا تظنين ؟ قالت مرفت حسن ٠٠ هل لديك مانع فى أن آتى اليك الآن لنمضى السهرة معا ؟

هتف فهد من أعماقه وهو يلقى بمفكرة تليفوناته بعيدا ٠٠ مانع؟ تعالى على الفور ٠٠ لكن مرفت أردفت قائلة : هناك شيء واحد أود أن أقوله لك قبل أن أجيء ٠٠ انني لست وحدى الآن بل معى احدى صديقاتى أود أن أعرفك بها ٠

وصمتت برهة ثم قالت : لقد قلت لى مرة أنك تحب التعرف بأكبر عدد من الفتيات الجميلات وانك تقدر الفتاة التى تعرفك بصديقاتها ، أليس كذلك ؟ قال فهد وهو لا يكاد يصدق ما سمع : نعم أعتقد أننى قلت ذلك مرة على أى الأحوال أحضرى صديقتك معك اذا أردت ٠٠ لكن هل هى جميلة مثلك اننى أشك فى ذلك ٠ قالت مرفت بصوتها الذى يفيض أنوثة : وهل تظننى أعرف غير الجميلات ، ثم انها زميلتى فى الكلية ، ولقد حدثتها كثيرا عنك فرغبت فى التعرف بك ٠٠ ثم قالت بسرعة :

اسمع ليس لدى وقت أضيعه فى التليفون ان صديقتى الى جانبى الآن وأنا أكلمك من المنزل ٠٠ بعد ساعة واحدة سنكون عندك ٠ ووضع فهد سماعة التليفون ورأسه يدور من المفاجأة المذهلة التى أعدتها له مرفت ٠٠ من كان يصدق أنها هى الجميلة المتعالية تعرض عليه أن تأتى له باحدى صديقاتها ، انها لم تصبح فقط فى متناول يده يحصل عليها فى أى وقت يريدها بل أصبحت أيضا موردة للفتيات الجميلات مثل المرضة تماما ٠٠

ومد فهد يده الى كأس الويسكى ودفع بما تبقى فيه مرة واحدة الى جوفه كأنه أراد أن يطفىء الشعور الحاد الذى ثار فى داخله ٠٠ كان داخله كله يتوهج من النشوة ٠٠ وتوجه الى حجرة النوم ووقف أمام مرآة التواليت وأحس بزهو شديد وهو يتأمل ملامحه

الوسيمة السمراء بينما أصابعه تتحسس شعره الأسود اللامع الذى ينسدل على مؤخرة رأسه فى عذوبة ضاعفت من احساسه العميق بالنشوة .. ثم أمسك بخاخة الكولونيا وهو ما يزال يتأمل فى زهو وجهه الوسيم وعينيه السوداوتين اللامعتين .. ثم أرسل بخات من السائل المنعش ذى الرائحة العطرة الى شعر رأسه الأسود اللامع والذى ملأ صدره بغيبوبة سعيدة أكدت احساسه العـــــارم بذاته ورجولته .

ثم أطفأ نور الحجرة وغادرها وهو يحاول بحس موسيقى منعدم أن يصفر لحنا مرحا يعبر به عن سعادته الطاغيـــة .. ثم أسرع الى المطبخ ، ومن الثلاجة الضخمة ذات البابين بدأ يخرج ما يحتاجه من مزات متنوعة ويضعها فى أطباق صغيرة حملها أولا بأول الى مائدة حجرة المعيشة .

ثم توجه الى البار وأحضر ثلاثة كئوس فارغة وملأ الوعــاء المعدنى بكمية ضخمة من مكعبات الثلج .. أما زجـــاجة الويسكى فكانت لا تزال ممتلئة حتى نصـــــفها وموضوعة فوق مائدة غرفة المعيشة .. وملأ فهد لنفسه كأسا ومد ساقيه أمامه فوق حشـــــية صغيرة موضوعة على الأرض .. وأراح ظهره فوق مسند المقعـــد الوثير وبدأ يرشف من كأس الويسكي في سعادة وهو يهيىء نفسـه للمفاجأة السارة التى ستحضرها له مرفت بين لحظة وأخرى .

وأغمض عينيه وراح يتذكر تاريخه الطويل مع نســـــاء هذا البلد .. انه تاريخ ممتع بالتأكيد ليس فيه احباط أو جوع كالتى يحسها غيره من الناس الفقراء .. انه سلسلة غزوات متصــلة كان يحس فيها دائما أنه يقتحم المجهول ويعيش فى اثارة مستمرة

ابتسم حين وصل به خياله الى هذا الحد ، ان اقتحام المجهول كان بالنسبة له دائما أجمل ما فى غزواته الغرامية ·· الاستحواذ على شىء جديد لم يملكه من قبل ·· الاستغراق فيه الى درجة الفناء التام ثم احساس سريع بالملل يعقبه القاء ذلك الشىء بعيدا والبحث عن شىء جديد ليحل محله تماما كالطفل الذى يمل سريعا لعبته القديمة ويبحث عن لعبة جديدة لتحل محل القديمة ·

وأمسك فهد بقطعة خبز صغيرة وضع فوقها شريحة من لحم الدجاج البارد ·· ثم قربها من فمه ببطىء ، ولبث برهة ساكنا ثم دفع بقطعة الخبز الى فمه وراح يلوكها فى استمتاع شديد ، بينما خياله يسبح وراء الصيد الجديد الذى سيدخل الى شبكته ·· كان لا يستطيع أن يمنع نفسه من تخيل رابطة الشبه الوثيقة بين ذلك الصيد وبين قطعة الدجاج الشهية التى يلوكها فى فمه باستمتاع مدهش ·

★ ★ ★

سألت الفتاة مرفت وهما جالستين فى سيارة الأجرة التى حملتهما الى منزل فهد عما اذا كانت لا تخشى بسلوكها الغريب هذا وهو تقديمها لفتيات غيرها صغيرات فى السن وجميلات الى فهد ·· سألتها عما اذا كانت لا تخشى من منافسة الفتيات الأخريات لها أم تراها واثقة جدا من جمالها بحيث لا تخشى من تلك المنافسة ·

وضحكت مرفت وهى تقول لصديقتها : المسألة يا عزيزتى لا علاقة لها بالثقة بالنفس أو حتى بالمنافسة ·· لكنى أعرف أمثال فهد ·· انهم متقلبوا المزاج ينظرون الى المرأة على أنها متعة وقتية يفرغون

منها ثم يبحثون عن غيرها ·· ان هذا يدفعهم الى البحث عن الوجوه الجديدة دائما ·· ومع الوقت يتحولون الى ذئاب تقتل لا لأنها جائعة بل لمجرد القتل ·· تقتل لأن لذة الصيد والاستحواذ على الجديد تصبح عندها غريزة لا تقاوم أو نوعا من الهواية الممتعة التى يدفعهم الى ممارستها احساسهم الطاغى بذاتهم وشراهتهم التى لا تنتهى ·· وأنا عندما أقدم وجها جديدا مثلك أنت يا حبيبتى الى فهد فاننى أبقى على علاقتى به وثيقة ومتجددة على الدوام ·· لأنه يعلم أننى سأقدم له جديدا بين الحين والآخر · ثم لا تنسى أن فهد أخذ منى كل شىء أى أننى سأصبح مع الوقت انسانة لا يجد فيها أى جديد وهذا سيدفعه الى تركى والبحث عن انسانة أخرى تعطيه هذا الجديد فلماذا لا أحتفظ بعلاقتى به لأطول فترة ممكنة بأن أقدم له وجوها جديدة بين الحين والآخر ·

ونظرت مرفت الى صديقتها ورأت ابتسامة تلمع فوق مقلتيها الواسعتين الجميلتين ·· ولم تتكلم الفتاتان ومضت بهما سيارة الأجرة الى منزل فهد ·· الذئب الذى يقتل لا لأنه جائع بل لمجرد القتل



وضع فهد عددا من أوراق البنكنوت فى شنطة مرفت وهو يقول لها وعيناه تلمعان من السعادة : لم أكن أعلم أن مفاجآتك جميلة الى هذا الحد ، ان صاحبتك لا تقل جمالا عنك ثم مال على الفتاة وقبلها بنهم فى شفتيها كأنه لم يشبع منها بعد ·· أما مرفت فقد نظرت الى فهد بتعبير زجاجى صامت لمعت فوقه غيرة لم تستطع أن تخفيها ، فمال عليها وقبلها بنهم فوق شفتيها وهو يقول لها ضاحكا :

أما أنت فستظلين حبيبتى الى الأبد ، ثم نظر الى الفتاة الأخرى بجوع شديد وهو يقول لمرفت : لكنى أيضا لن أشبع من كل صديقاتك اذا كن على هذه الصورة الرائعة من الجمال ·· ومضى فهد وهو يحتوى الفتاتين الجميلتين بين ذراعيه صوب باب الشقة ·· ثم قال وهو يداعب مرفت بأصبعه أسفل ذقنها : سأراكى قريبا أليس كذلك ؟ قالت مرفت :

بالتأكيد سنتصل بك بالتليفون أو نراك فى الكلية ·· لكن فهد أرجوك حذار أن يعرف أحد فى الكلية عن علاقتى بك والا فانها ستكون كارثة ·· مصيبة ·· وابتسم فهد فى خبث وهو يقول لها ضاحكا : وهل تظنيننى ساذجا الى الدرجة التى أذبح فيها الدجاجة التى تبيض لى فتيات جميلات ·· اطمئنى يا مرفت من هذه الناحية ، وبينما الفتاتان على وشك الخروج من باب الشقة قال لهما فهد ضاحكا : ماذا تعطيانى لو أوصلتكما بسيارتى الى المنزل ؟ أنا متأكد أنكما لن تجدا سيارة أجرة فى هذه الساعة المتأخرة ، وتهلل وجها الفتاتين من الفرحة وقال لهما فهد بمرح : دقيقة واحدة أضع فيها بلوفرا فوق القميص ونمضى على الفور ·

★ ★ ★

كان بحلق عائدا الى منزله فى المساء يحمل عشاءه الذى ابتاعه من عند البقال عندما أبصر سيارة فهد الجميلة تتوقف بالقرب من ناصية الشارع ثم رأى مرفت وهى تهم بالنزول منها ·· رآها جيدا على ضوء السيارة الداخلى الذى توهج فجأة عندما فتحت الباب ·· وسمع العربى يكلمها برطانته الغريبة ، ومرفت ترد عليه بكلمات لم يسمعها جيدا لكن انعكاسها على

وجهها كان واضحا ٠٠ اذ بدت كما لو كانت فى قمة السعادة ٠٠ وأسرع بحلق بالاختباء فى بقعة مظلمة حتى لا تراه مرفت ٠٠ ثم راح يحدق فيها بذهول بعينيه الملوثتين بالألم والتعاسة ٠ فمرفت بالنسبة له ليست مجرد حبيبة مستحيلة تداعب خيالة بين الحين والآخر وتصيبه بنفس القدر من الاحباط واليأس فى كل مرة ٠٠ انها جمال خرافى مذهل ينبغى أن يبقى مقدسا مصونا من الابتذال ، ان مرفت فى خيال بحلق الجائع المحروم ٠٠ ويمكننا أن نقول أيضا البرىء الساذج ربما كانت رمزا للحياة نفسها أو الوطن أو الكرامة ٠٠ والآن ويا للأسى ها هو يرى رمزه المقدس يبتذل أمام عينيه وممن ؟ من انسان لا يحق له حتى مجرد النظر اليه ٠

وأحس بحلق أن نجمته الفريدة قد تهاوت فجأة وسقطت على الأرض ، وان الضياء البعيد الذى كانت ترسله الى قلبه قد تحول الى رماد ٠

كانت مرفت دائما فى خيال بحلق نجمة بعيدة بالنسبة لانسان ليست له أجنحة ليطير اليها ٠٠ ولم يكن هذا غريبا حتى بالنسبة لبحلق نفسه فلا أحد يملك أمام الجمال الا أن يعجب به ويتذوقه حتى من خلال عينين لهما قبح وبشاعة عينى بحلق المسكين ٠٠ الجمال كالشمس التى تدخل من أى نافذة وتستلقى على أى أرض باعثة الدفىء والحياة حتى فى الصخور أو الجليد ٠

ظل بحلق يحدق بعينيه المذهولتين المتألمتين فى وجه مرفت على ضوء السيارة المتوهج وهو يحس أن عاطفة هوجاء تقتلع جذوره كرجل ٠٠ ويبدو أن مرفت أحست بالوهج المنبعث من

عينيه فالتفتت ناحيته لتفاجئها تلك اللعنة الأبدية المسلطة فوقها ·· هاتان العينان اللتان تصيبانها دائما بشلل فى حواسها ·· كانت تعلم أن هاتين العينين اللتين تسكنان نفس الشارع يمكنهما أن تتكلما وتبوحا بالسر ·

وظهر الرعب على ملامح وجـــه مرفت وهى ما تزال تـــرنو ببصرها الى البقعة المظلمة التى يتوارى فيها بحلق ·· ولاحظ ذلك الشاب الجالس الى جوارها فالتفت ببصره الى نفس الاتجاه ورغم الظلام المحيط بوجه بحلق فان الشاب أصيب بحالة رعب واشمئزاز وهو يتطلع الى أغرب وأقبح وجه رآه فى حياته ·· وضحك قائلا لمرفت :

هل هذا هو ما جعلك تتجمدين من الرعب ؟ ماذا تقترحين أن أفعل معه ؟ أنزل وأضربه انه يبدو لى مسالما رغم غرابتـــه الواضحة ·· قالت مرفت بضيق :

أرجوك يا فهد لا تهزل فى هذه الأمور ·· اننى خائفة ·· قال فهد باندهاش : مم تخافين ؟ فى رأيى أنه هو الانسان الذى ينبغى أن يخاف ، على أى الأحوال ، بامكانى أن أدخل بالسيارة الى الشارع وأوصلك حتى باب المنزل ·· صرخت مرفت قائلة :

هل أنت مجنون يا فهد ؟ اننى سأنزل وحدى وسأســـير الى البيت ، وبامكانك أن تظل واقفا بضع دقائق حتى يفهم هذا المجنون أننى لست وحدى ·· ونزلت مرفت من السيارة وسارت مهرولة فى اتجاه بيتها ·· لكنها كانت تلتفت وراءها فى ذعر باحثة عن عينى بحلق التى كانت متأكدة أنها ما تزال تراقبها من مخبئها الخفى ··

لكن قلبها كاد يتوقف من الرعب عندما أحست بوقع خطوات تتبعها عن بعد ·· وكلما أسرعت فى خطوها كلما أسرعت تلك الخطـــوات بنفس القدر · ووصلت مرفت الى باب العمارة وقد كادت أن تصاب باغماء من فرط الرعب المسيطر عليها ·· ودلفت الى البهـــو المضيء ·· وبحركة غريزية التفتت الى الوراء ·· وهنـــاك كانت عينا بحلق فى انتظارها متسعتان تشـــعان بذلك البريق المخيف الذى يشل حواسها ·

وظل بحلق واقفا يحدق فى مرفت حتى اختفت عن ناظريه . وبقلبه المهزوم ورجولته المهانة وبدموع تملأ عينيه هرول متجهـــا الى منزل عادل ·· ورغم أن الوقت كان متأخرا فقد أحس بحاجة للصعود اليه والبكاء على صدره ·· وبسرعة وصل الى الســـطح وطرق باب المرسم حيث كان عادل مستغرقا فى العمل والذى فوجيء ببحلق واقفا أمامه بعد أن فتح الباب ووجهه ينطق بالمأســـاة التى حدثت له ·

وأدخله عادل المرسم وأغلق الباب ·· ونظر اليه باشفاق شديد ، كان العرق يتصبب بغزارة على وجهه ، وكانت أنفاســـه لاهثة متقطعة من جراء المجهود العنيف الذى بذله فى صـــعود الســـلالم عدوا ·· وطلب منه عادل أن يجلس ويســـتريح ثم يقص عليه القصة منذ البداية ·· لكن بحلق الذى كان يجد صعوبة بالغة فى السيطرة على أعصابه قال بصوت باك متحشرج ·· لقد رأيت مرفت تنزل من سيارة العربى عند ناصية الشـــارع · قـــال عادل وأنا أيضا رأيتها معه · قال له بحلق بدهشة :

هل كنت تعلم ذلك ؟ هز عادل رأسه فى أسى وهو يقول : نعـــم كنت أعلم ذلك ·

وصمت برهة ثم قال بحزن يمزق قلبه : انني كففت منذ فترة طويلة عن النظر الى مرفت كصديقة ، انها لا تستحق ذلك ·· انها واحدة من الأخريات ·· مجرد ساقطة ·

نظر اليه بحلق بدهشة بينما أردف عادل قائلا : نعم يا بحلق كلهن أصبحن ساقطات فى هذا البلد ·· كلهن أصبحن ساقطات · لكن بحلق قال بسذاجة كادت أن تجعل عادل يضحك رغم مأساوية الموقف : لكن مرفت ليست كالأخريات ·· انها جميلة جـــدا · قال عادل بسخرية :

ربما لهذا السبب أصبحت ساقطة · ومرت لحظـــــة صمت كئيبة قطعها بحلق قائلا بنفس الدهشة الساذجة التى كادت أن تجعل عادل يضحك من قبل : لكن لماذا يفعلن ذلك يا عادل ؟ وقال عادل والأسى يملأ قسمات وجهه : انهن يفعلن ذلك من أجل النقود يا مكرم ·

وهنا نظر اليه بحلق ببلاهة كأنه لم يفهم شيئا ·· لكن الواضح انه كان يحس بألم عميق لذلك · ووضـــع عادل يده فى رفق على كتف بحلق وقال وهو يرنو اليه باشفاق : أنت أيضا تحبها يا مكرم لكن بطريقتك الخاصة ·· وصمت برهة ثم قال بلهجة ساخرة :

لماذا تندهش من ذلك ؟ ألسنا جميعا نحبها ؟ ألسنا جميعـا نحب الشمس عندما تشرق على قلوبنا ·· لكن الشمس هذه المرة خائنة ولا تستحق حتى مجرد النظر اليها · احس بحلق بخجـــل شديد من كلمات عادل الصريحة التى أحس أنها عرت حقيقته ·

نظر اليه عادل باشفاق شديد وقد أحس أن القناع الســـميك الذى وضعته الطبيعة الظالمة فوق وجهه قد تلاشى فجأة ولم تبق هناك سوى حقيقة الانسان الذى يدعو الى التعاطف مع مأساته ··

الانسان الجوهر ·· الانسان الروح المجـــــردة التى لا تعبأ كثيرا بالأشكال والألوان والأعمار ·· الروح التى يمكنها أن تحب بعمق وفى كل وقت وأى انسان · وفجأة قام بحلق الذى أحس بأنه عــار أمام عينى عادل رغم كل التعاطف الذى يطل منهما ودون أن ينطــق بكلمة واحدة اندفع خارجا من الباب بينما وقف عادل حائرا لا يدرى ماذا يفعل ·



استطاع عادل أن يحصل من ادارة المرور على عنوان فهــد صديق مرفت وتوجه لمقابلته على الفور ·· كان متأكدا أن فى امكان هذا الانسان أن يقدم له الدليل الحاسم على خيانة مرفت وانحرافها ·· ذلك الدليل الذى كان بحاجة اليه كى يرد الضربة مضـــاعفة لأم مرفت المتعجرفة التى فضحته أمام والدته العجوز المشلولة دون أن تثور فى داخلها أية نوازع انسانية على الاطلاق ·· سحقته كما لو كان قشرة بيض تحت قدميها ·· كذلك كان الفضول يدفعه الى التعرف على الصفات الشخصية لهذا الانسان البشع الذى سلبـــه الشىء الوحيد الجميل فى حياته ·· فأصابه بشرخ لن يلتئـــم أبدا ·· كان يريد أن ينتقم منه ·· أن يظل يضربه حتى يموت بين يديه ·

وربما كانت فى أعماقه أيضا رغبة يرفض الاعتراف بها ، هى أن ينتزع منه فتاته الجميلة التى كان برغم كل ما فعلته به ما يزال يحبها فى تلك البقعة السحيقة من أعماقه التى لا سيطرة لارادته عليها ، ربما أيضا كان يريد أن يصاب بصدمة عنيفة تفيقه من حبه الرومانسى الميئوس منه لفتاته الجميلة عندما يرى الدليل الحاســم على خيانتها له · أحس وهو واقف أمام باب شقة الشاب العــربى

وأصبعه تضغط على الجرس أن داخله مزدحم بمشاعر هى خليط من الاحباط الشديد والشعور بالعار من وقوفه هذا الموقف المخجل الذى دفعته اليه الظروف ·

وراودته رغبة عارمة فى أن يهبط السلالم عدوا قبل أن يفتح الباب ويجد نفسه فجأة أمام غريمه ·· لكن الباب فتح وانعدمت أمامه فرصة التراجع · نظر اليه الشاب متسائلا ، حاول عادل أن يدخل الى الشقة ·· اعترضه الشاب بجسمه وهو يشعر بدهشة من تصرفه الغريب ·· دفعه عادل فى صدره بقوة ليبعده عن طريقه ·· صاح فى وجهه قائلا :

لدى مسألة خاصة جئت لأسويها معك · ازدادت دهشة الشاب وقال له متعجبا : مسألة خاصة معى أنا ؟ لا ريب أنك مخطىء فهذه أول مرة فى حياتى أراك فيها · ثم حدجه بنظرة غاضبة وهو يقول له : ثم كيف سمحت لنفسك باقتحام الشقة بهذه الطريقة ألا تعرف أنك ترتكب جريمة بذلك · ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى عادل وهو يقول له : كما سمحت أنت لنفسك باقتحام حياتى والسطو على الشىء الوحيد الجميل فيها ·

قال الشاب وهو يحدق فى عادل بريبة بينما الغضب قد بدأ يظهر على ملامح وجهه : لا ريب أنك مجنون فأنا لا أفهم شيئا مما تقول ، واذا لم تغادر الشقة على الفور سأستدعى لك البوليس · قال عادل بهدوء ليفحم الشاب وليفاجأه بطريقة تمنعه من المراوغة : انك تعرف مرفت بالتأكيد ؟
وظهرت ملامح الرعب على وجه الشاب ، وقبل أن يفتح فمه ليقول شيئا فاجأه عادل قائلا : كلا لا تحاول أن تنكر والا اضطررت

لاتباع أسلوب آخر معك · قال الشاب باستسلام : ليكن ما تقـــوله صحيحا ·· ماذا تريد منى الآن ·· اننى لا ذنب لى فيمـــا حدث صدقنى · قال عادل بلهجة ساخرة :

فى هذه اللحظة كل ما أريده منك هو أن تغلق الباب بهدوء وأن تقص على كل شيء منذ البداية · ظهر التردد على وجه الشاب فنظر اليه عادل متوعدا وهو يقول له : يحسن بى أن أعرفك بنفسى ، أنا خطيب مرفت ومن حقى أن أعرف كل شيء · فى تلك اللحظـة تذكر فهد أنه رأى هذا الوجه من قبل فصـــــاح به قائلا : انه أنت الذى كنت تطاردنى بسيارتك ، أليس كذلك ؟ قال عادل بسخرية : اننى سعيد لأنك بدأت تتذكر ·· والآن هلا قصصت على كل ما حدث بينك وبينها وحذار أن تغفل شيئا فاننى سأعرف ذلك ·

قال الشاب وملامحه تنطق بالخوف الذى يحس به فى داخله : ما حدث بيننا هو ما يحدث بينى وبين أى فتاة ·· صدقنى لا ذنب لى فى أى شيء، هى التى كانت تأتى الى هنا بمحض ارادتهـا ، وكنت أعطيها نقودا فى كل مرة · قال عادل والمرارة تعتصر قلبـــه : اننى لم آت الى هنا لكى أحاسبك والا ما كان الكلام هو أسلوبى معك ، لقد جئت لكى أطلب منك شيئا محددا اذا رفضته سأضطر لاتبـاع أسلوب آخر معك · وتذكر أن مرفت لا تزال قاصرا ويمكننى فى كل الأحوال أن أتهمك بغوايتها أو حتى بخطفها وهى جريمة خطيـرة كما تعلم قد تلقى بك خارج هذه البلاد · قال الشاب بقلق عميـق : أرجوك لا داعى لهذه العصبية ، اننى على استعداد لكى أعطيـك ما تريد · قال عادل وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة :

كنت متأكدا أننا سنتفاهم بسهولة ·· ومرت لحظة صـــمت أدار فيها عادل بصره فى أرجاء الشقة الفاخرة قبل أن يقول للشاب

والمرارة تعتصر قلبه : انك تملك مكانا يدير رؤوس الفتيـــــات الصغيرات لا غرو أنك استطعت التغرير بفتاة جميلة مثل مرفت ٠ ثم تحول وجهه الى اشمئزاز هائل وهو يقول للشاب الذى بـدا عاجزا عن الرد ، قل لى كم عدد الفتيات اللاتى استطعت التغرير بهن حتى الآن ؟ أراهن أنهن بالعشرات ٠

قال الشاب وقد بدأ يستعيد قدرته على الرد وبلهجة ساخرة : اسمح لى أولا أن أصحح معلوماتك ٠٠ فأنا بالتأكيد لا أغـــرر بالفتيات كما تدعى ٠٠ انهن يجئن الى هذا المكان بمحض ارادتهن بل أستطيع أن أقول انهن يتكالبن على المجىء الى هنا وكل واحدة منهن تأتى تجر وراءها كل ما تعرفه من الفتيات ٠٠ وصمت برهـة حدج فيها عادل بتحد قبل أن يقول له هل تعرف لماذا يجئن الى هذا المكان لأنهـــن يحققن فائدة محققة من وراء ذلك والا فمـــا الذى يدفعهن الى المجىء ٠٠ انك لا تستطيع أن تسمى هذا تغـــــريرا بالفتيات أليس كذلك ؟ وابتسم وهو يقول له انى أحيانا أتســاءل من منا الذى يغـــرر بالآخـــر ٠٠ أنا أم هن ؟ ثم لا تنس أن هؤلاء الفتيات البريئات كما تصفهن يجئن الى هذا المكان وهن يعلمــن تماما ما الذى سيحدث لهن ، ورغم ذلك يجئن هل تعـــرف لماذا ؟ لأنهن طامعات فى الثمن الذى أدفعه لهن بسخاء شديد ٠

وقال عادل مذهولا بعد الكلام الذى سمعه وماذا بشـــأن مرفت ٠ لا ريب أنك أغريتها بسيارتك الجميلة ٠ وبهذه الشـــقة وبعشرات أخرى من الأشياء حتى رضيت أن تأتى معك الى هـذا المكان ٠ قال الشاب وهو يشعر باشفاق تجاه عادل الخـالى الذهن تماما عن العالم الفاسد الذى يموج من حوله : أؤكد لك أن الأمر لم يكن على النحو الذى تظن ٠٠ نعم لقد حاولت بشتى الطرق أن أغريها على القدوم الى هذا المكان لكنى لم أفلح فى ذلك ٠

وفجأة تحقق ما كنت أريده بطريقة لم أكن أتوقعها ، هل تريد أن تعرف كيف ؟ امرأة أتت بها الى هنا ، نعم امرأة تحترف هذا العمل . ولم يشعر عادل بنفسه الا وهو ينقض على الشاب وينشب أصابعه فى عنقه محاولا خنقه . لكن الشاب القوى البنية دفعه فى صدره بعنف ألقى به على الاريكة .. ثم قال وهو يلوح بقبضته أمام وجهه :

أرجوك لا داعى لاستعمال العنف فانك لا تبدو أهلا له ثم لا تنس أنك فى بيتى وفى مقدورى اتهامك بأى شيء يخطر لى على بال .. دخول الشقة بالقوة أو سرقة مبلغ من النقود أو أى شيء آخر .. ثم صمت برهة أردف بعدها قائلا وهو يتأمل وجه عادل المتألم العاجز عن عمل أى شيء لرد كرامته المهانة : صدقنى أننى أدرك مدى الألم الذى تحسه وأقدره .. ولو كنت مكانك لفعلت نفس الشيء ، لكن عليك أن تكون واقعيا وأن ترى الأمور كما هى لا كما تريدها أن تكون .. ثم قال بلهجة عطوفة :

انك تحبها أليس كذلك ؟ كلا لا داعى لأن تقول شيئا فان هذا واضح على وجهك ، وصمت برهة ثم أردف بعدها قائلا : انك تتصور اننى السبب فى احساسك بالألم وهذا صحيح الى حد ما لكن قل لى ماذا يكون تصرفك اذا كانت الفتيات هن اللاتى يطاردنك هن اللاتى يلححن عليك كى تنشيء معهن علاقة ما .. هل يمكنك أن ترفض ذلك لأن انسانا مجهولا منك .. انسانا مثاليا مثلك قد يتألم يوما .. لماذا لا يفكرن هن فى هذا الانسان المسكين .

قال عادل وهو يغلى من الغضب والاحساس بالقهر : لكنه أنت الذى تغريهن بمالك أيها الأجنبى القذر . قال الشاب وعلى شفتيه ابتسامة فضحت شعوره الحقيقى بالتشفى فى عادل الذى

كان يحتقره رغم كل شيء : انك لا تستطيع أن تلومنى على ذلك بالتأكيد فأنا ضحية أكثر منى جانيا ، ثم ماذا تريد الآن بعد أن عرفت الحقيقة · قال عادل بلهجة آمرة : أريد دليلا على أن مرفت جاءت الى هنا بمحض ارادتها وأنك لم تغرها على الحضور ·

قال فهد واذا أعطيتك هذا الدليل ؟ قال عادل : سأغادر هذه الشقة ولن ترانى بعد ذلك مرة أخرى · وغاب فهد بضع دقائق ثم عاد وهو يحمل مظروفا ناوله الى عادل طالبا منه أن يلقى نظرة على محتوياته ·· وما كاد عادل يفعل ذلك حتى كاد يصعق ·· ان لم تكن محتويات هذا المظروف سوى صور مرفت العارية تماما فى أوضاع شائنة ·· كانت الحقيقة المجردة أفظع من كل ما فكر فيه أو تخيله ·· حقيقة تمسك بخناقه وتنشب أظفارها فيه ·· ونسى عادل للحظة رغبته العارمة فى الانتقام من مرفت وأمها ، ولم يبق فى داخله سوى شعور هزيمة مروعة ·· هزيمة انسان ·· هزيمة مجتمع بأسره ·

واسترسل فهد قائلا وعلى شفتيه نفس الابتسامة المتشفية ·· لعلك تتساءل عن الكيفية التى أخذت بها هذه الصور · ببساطة وكما هى عادتى مع كل فتاة أريد أن أبقيها فترة من الوقت ، كلفت أحد أصدقائى بالتقاط هذه الصور خلسة وأنا مختلى بها داخل حجرة النوم ·

وصمت برهة ثم قال ضاحكا : انها هواية كما تعلم · قال عادل فى غضب : سآخذ هذه الصور اذا لم يكن لديك مانع · قال فهد وهو يهز كتفيه بلا مبالاة ·· يمكنك أن تأخذها اذا أردت فلدى الأصل الذى يمكننى من استخراج غيرها من الصور · ونظر اليه عادل

بريبة وهو لا يدرى ماذا يقصد بذلك ؟ هل يقصد أصل الصور الفوتوغرافية أم يقصد أصل الأصل أى مرفت نفسها ؟

★ ★ ★

كانت آمال الشلة قد انهارت فجأة فى الحصول على مورد مالى دائم لنفقاتها المتزايدة بعد العملية الأولى التى حمل فيها اثنان من أفرادها بضاعة للرجل الكبير ، حيث علما من بعض المصادر الموثوق بها أن الرجل قبض عليه فى احدى عمليات تهريب المخدرات ·· وبرغم أن نجاتهما من هذا الحادث كانت فى حد ذاتها مكسبا لهما الا أنها من الناحية الآخرى كانت حظا بالغ السوء لهما ولباقى أفراد الشلة الذين كانوا يطمعون فى القيام بعدة عمليات للرجل تغطى مصاريفهم التى بدأت تتزايد فى الآونة الأخيرة بعد أن عرفوا طريقهم الى الكباريه ·

ثم جاء القبض على الرجل ليقضى على كل أحلامهم الوليدة ·· جاء ليعيدهم الى نقطة الصفر من جديد حيث يتعين عليهم البحث عن وسيلة أخرى لكسب المال السريع · وحول المائدة المعتادة فى المقهى جلسوا يفكرون فى حل ·· قال الشاب الرياضى وهو يزفر فى ضيق : اننا لا نستطيع أن نمضى الوقت هكذا دون أن نفعل شيئا ·· ان فتاتى ستضيع منى بهذه الطريقة ، وأنا لن أسمح بذلك تحت أى ظرف من الظروف ، اننى فى كل مرة أذهب فيها الى الكباريه فاننى لا أستطيع أن أنظر الى عينيها ، اننى أقرأ فيهما اتهاما لى بالعجز عن الحصول على نقود كثيرة تشبع احتياجاتها ، وصمت برهة ثم قال وهو يوجه كلامه للشلة متفاخرا :

هل تعرفون كم تكلفنى هذه الفتاة للاحتفاظ بها ·· حسن ·· ماذا تقولون · قال واحد من أفراد الشلة : ماذا تقترح أنت للخروج

من المأزق الذى نحن فيـــه لا ريب انك فكرت كثيرا فى ذلك ، أليس كذلك ؟ قال الشاب الرياضى : نعم فكرت ، لكنى لم أصل الى حل ، ان علينا أن نفكر معا لنصل الى هذا الحل ، لكن كل ما أطلبه منكم أن نفكر بسرعة وألا نضيع الوقت ٠

وصمت برهة قبل أن يردف بلهجة يائسة : اننى لا أدرى ماذا سأفعل اذا لم نصل الى حل بسرعة ، اننى على استعداد لعمل أى شىء حتى ارتكاب جريمة قتل ٠ هل تفهمون ؟ وهنـــا قال الشـــاب الآخر ساخرا : انه يريد نقودا كثيرة لينفـق على حبيبته ، أما أنا فمصيبتى أكبر من ذلك بكثير اننى أريد نقودا لأشـترى بها بلوفر أنيق أرتديه وأنا ذاهب الى الكلية فى الصباح ٠٠ هل تعلمون اننى أصبحت أحس بالخجل الشديد وأنا أذهب الى الكلية ٠٠ ومنـــذ سنوات بنفس القميص الخفيف الذى يجعلنى أرتعش من البرد ، وأيضا من نظـــرات زملائى لى ٠٠ وصـــمت برهة ثم قال كأنه يحلم :

ثم اننى أريد سيارة جميلة أذهب بها الى الجامعة مثل باقى الطلبة الأثرياء ، لماذا يذهبون هم بسياراتهم الفارهة ليخطفـوا أبصار الفتيات الجميلات بينما أتوجه أنا الى الجامعة سائرا على قدمى ، قولوا لى لماذا ؟ وصمت برهة ظهر فيها الحزن الشـديد على وجهه قبل أن يردف قائلا :

هل تعلمون أننى أحيانا التمس العذر لفتاتى عندما أراهـــا تركب مع الشاب الآخر فى سيارته اذ ما الذى يدعوها الى السير معى فى الطريق ثم الانحشار داخل سيارة أوتوبيس مزدحمـــة فى الوقت الذى يعرض فيه شاب آخر يملك سيارة فارهة أن يقلها

معه ، وأحيانا عندما أفكر فى الأمر بموضوعية أتساءل عن الشىء الذى يميزنى عن هذا الشاب الآخر فلا أجد شيئا ، أما هو فعلى الأقل لديه سيارته الجميلة التى يغريها بها ٠

وصمت من جديد قبل أن يقول بمرارة شديدة صدقونى أننا نعيش فى عالم مادى حقير لا قيمة فيه الا للنقود التى تبتاع الأشياء الجميلة بما فيها الفتيات ، واذا نحن لم نحصل على النقود فاننا لا شىء ٠ وهنا قال الموظف الذى يكبرهم فى السن والألم يطل من قسمات وجهه : أما أنا فأشدكم حاجة الى النقود ٠٠ ثم اننى لا أطلب مبلغاكبيرا هل تعرفون ماذا سأفعل به عملية لأمى ٠٠ نعم عملية تنقذها من الموت فى أحد المستشفيات المجانية الحقيرة ٠

وهنا قال الشاب الرياضى بعصبية شديدة : حسن ٠٠ كل واحد منا يريد النقود لتحقيق غرض معين يتصور أنه أهم من أغراض الآخرين ٠٠ وهذا سخف والأسخف منه ألا نعمل شيئا للحصول على النقود سوى مجرد التنفيس عن غضبنا ببضع كلمات لا قيمة لها ٠٠ اننى أقول لكم تحركوا قبل فوات الأوان ٠ قال واحد من أفراد الشلة : حسن ٠٠ ماذا تقترح أن نفعل كى نحصل على النقود ؟

قال الشاب الرياضى : نسطوا على فيللا رجل غنى ٠٠ ما رأيكم فى ذلك ٠٠ قال الموظف باستخفاف : ان هذا أغبى ما سمعت فأولا نحن لسنا لصوصا محترفين ٠٠ وحتى لو نجحنا فى عملية السرقة فاننا لن نتمكن من توزيع المسروقات وسينتهى بنا الأمر الى السجن ٠٠ وهنا قال الشاب الجامعى بهدوء : ان

ما نريده هو بضعة آلاف من الجنيهات تكون موجودة لدى شخص لا يهتم البوليس كثيرا بالعثور على سـارقه أو حتى قاتله ·· وصمت برهة ثم قال ما رأيكم فى السيدة العجوز التى تسـكن فى آخر الشارع ، انهم يقولون عنها أنها تحتفظ بثروة كبيرة داخل الشقة ·· ثم انها تقيم بمفردها وهذا يسهل مهمة مهاجمتها ·· ولمعت عيون أفراد الشـلة فقد أيقنـوا أن هـذا هو أنسب حل لمشكلتهم · ثم راحوا يخططون لتنفيذ الجريمة ·

قال الشاب الجامعى : علينا أولا أن نجمـع أكبـر قدر من المعلومات عن السيدة العجوز قبل أن نشرع فى تنفيذ الجريمة ·· اننا لا نريد أن نرتكب عملا ينتهى بنا الى السجن وهذا يتطلب رسم خطة محكمة · علينا أولا أن نقرر هل سنكتفى بسرقتها أم نقتلها · قال الشاب الرياضى وعيناه تبرقان بشدة : أعتقد أن قتل السيدة العجوز هو الضمان الوحيد لنجاتنا · صاحوا فى نفس واحـد نعم نقتلها · قال الشاب الجامعى :

حسن ·· لنضع الآن تصورا لما سنفعله مع السيدة العجوز ·· علينا أولا أن نراقب المنزل جيدا وفى اللحظة التى نتأكد فيها من عدم وجود البواب فى المنزل يصعد واحد منا ويضع قطعة من الشمع فوق قفل الباب كى يتسنى لنا عمل مفتاح مصطنع يتيح لنا فتح الباب دون استعمال العنف ، تذكروا دائما أننا نريد أن تتم العملية فى أقصى درجات الهدوء حتى لا نلفت الأنظار الينا ·· فى يوم التنفيذ لن نكتفى بأخذ المفتاح المصطنع معنا بل سـنأخذ أيضا بضعة مفاتيح أخرى على سبيل الاحتياط ·· بل لا بأس من أخذ عدة نجار معنا كذلك وينبغى أن نحرص على ارتداء قفازات فى أيدينا حتى لا نترك وراءنا بصمات تقود الينا · سيكون عملنـا

بالنهار حتى لا يكون هناك احتمال باغلاق باب الشقة بالترباس من الداخل وحتى لا نثير فضول الجيران ونحن نصعد الى الشقة ٠٠ فور دخولنا الى الشقة سنبدأ بمهاجمة العجوز وأعتقد أنها فور أن ترانا ستموت من الرعب بحيث لا نعود بحاجة الى قتلها ٠٠ وضحكوا جميعا وتابع الشاب قائلا :

أما النقود فلا أعتقد أن العثور عليها سيكون صعبا فان سيدة مثلها لابد وأن تضع نقودها فى مكان قريب منها ٠٠ دولاب الملابس مثلا ٠٠ أوحتى الحشية التى تنام فوقها ، وصمت الشاب وصمتوا جميعا وقد راح كل واحد منهم يحلم باللحظة التى سيضع فيها يده على نصيبه من نقود العجوز بعد قتلها ٠



أخذ عادل يطرق باب مرفت طرقات متوالية عنيفة وهو لا يكاد ينتظر الدقائق القليلة حتى يفتح له الباب بطريقة طبيعية ٠ كان يود لو يجد نفسه فجأة داخل الشقة ليفجر فى وجه مرفت وأمها القنبلة التى جاء بها معه ٠٠ انها المظروف الذى يحوى صور مرفت العارية والذى أخذه من صديقها العربى فهد ٠

كانت تعبيرات وجهه تنم عن الفرحة التى يحس بها وهو يتخيل وقع الصدمة الشديدة على أم مرفت عندما تشاهد صور ابنتها العارية لكنه أيضا كان يشعر بشىء من الخوف والتوتر ٠٠ فهذا العمل الذى هو مقدم عليه الآن يتنافى مع طبيعته كرجل يمنعه ضميره من ممارسة الأعمال المشينة التى يترتب عليها فضح الآخرين أو ايذاء مشاعرهم فضلا عن أنه كان يفكر فى العواقب الوخيمة التى يمكن أن تترتب على عمله هذا ٠

لكنه كان لا يفتأ يتذكر الفضيحة التى سببتاها له فيحس برغبته فى الانتقام تقوى مع الوقت بحيث لا يوجد بداخله غيرها ٠٠ وبلغ احساس عادل بالتحفز ذروته وهو يسمع صوت أقدام الأم تهـــرول ناحية الباب وصوتها يصرخ فى عصبية شديدة : هلا كففت عن هذا الطرق أيها المجنون انك ستحطم الباب بهذه الطريقة ٠

كان الهدوء الشديد يخيم على الشقة باستثناء صرخات الأم العصبية اذ يبدو أن عادل وقد اختار المساء بالذات ليزورهم فيه قد فاجئهم وهم منكمشين تحت الأغطية فى هذا اليوم البارد ٠٠ وبحركة عنيفة فتحت الأم الباب وهى متحفزة لتصب نقمتها الشـــديدة على الطارق أيا كان ٠٠ لكن ملامحها كادت تتجمد من الدهشة وهى ترى أمامهـــا آخر انسان كانت تتوقع أن تراه فى تلك اللحظة ٠ وأحست الأم من ملامح عادل التى تنوى على الشر ومن الوقت الذى اختـــاره للزيارة ومن الطرقات العنيفة على الباب أنه جاء ليرد لها الضربة التى سبق أن وجهتها له وان الضربة هذه المـــرة تتعلق بابنتهـــا عرفت ٠

وقبل أن تسأله الأم عن سر زيارته الغريبة وقد تحفـــزت هى الأخرى لترد هجومه المتوقع كان عادل قد اقتحم طريقه الى داخـــل الشقة ٠٠ وصرخت الأم مذعورة وأخذت تنادى على ابنتها وزوجها الذين أقبلا مهرولين على صوتها الصـــارخ كى يستطلعا الأمر ٠٠ وما كادا يريان عادل واقفا فى الصالة وملامحه تنطق بالتحـــدى والشر الذى ينوى عليه حتى تجمدت ملامحهما من الرعب ، وراحا يحدجانه بدهشة وتساؤل عن السبب وراء اقتحامه الشقة بهـــذه الطريقة ، ولم تحتمل أعصاب الأم فصرخت فى وجه عادل قائلة :

كيف جرؤت على اقتحام الشقة بهذه الطريقة وماذا تريـــد منا الآن ؟ هيا تكلم والا استدعيت البوليس ٠ ونظر اليها عادل بازدراء ثم

قال بهدوء زاد من حالة الهياج الوحشى الذى تشعر به : لا أعتقـــد أن من مصلحتك اسدعاء البوليس ٠٠ فما أحمله داخل هذا المظروف لن ترغبوا بالتأكيد فى أن يطلع عليه أحد من الناس خصوصا رجال البوليس ٠٠ انه هدية متواضعة أرد بها على هدية ســـبق لك أن قدمتيها لى فى يوم من الأيام ٠

أعتقد أنك تذكرين الهدية جيدا أليس كذلك ؟ وبهدوء محطـــم لأعصابهم جميعا ٠٠ هدوء مستفز متشف أخرج الصور من المظروف ثم ألقى بها فى اهمال على المائدة الصغيرة مما حدا ببعض الصور الى السقوط على الأرض ٠٠ ومدت الأم يدها بسرعة والتقطت بعض هذه الصور وكذا فعلت مرفت ٠٠ وعلى الفور تحـــول وجهاهمـــا الى شىء ممتقع ينطق بالخوف والألم الشديد ٠

وأحست الأم أن قدميها لم تعودا قادرتين على حملها فألقت بنفسها فوق أقرب مقعد وهى تحس أنها توشك على الاغماء ٠٠ ونظر اليها زوجها بدهشة وهو لا يدرى السبب وراء ما حدث لها ٠ لكن تفكيره هداه الى أن السر كامن فى هذه الصور المبعثرة على الأرض ، فمد يده والتقط واحدة منها ، وما كاد يلقى عليها نظـرة حتى أحس بأنه يختنق ومادت الأرض من تحت قدميه ، وأسرعت المرأتان باجلاسه فوق أحد المقاعد وأخذتا تهويان له أمام وجهـه اذ كان يجد صعوبة بالغة فى استنشاق الهواء ٠

ونظر اليه عادل باشفاق فقد بدا له الانسان الوحيد فى هذا البيت الذى يستحق الاشفاق ٠٠ لكنه لم ينس رغبته فى الانتقـام ٠٠ قال للمرأة بتهكم : يمكنكم الاحتفاظ بالصـور اذا أردتم فلدى الأصل الذى يمكننى من طبع غيرها من الصور ٠٠ وفجأة أحس

عادل بأنه يختنق تماما كالرجل العجوز ولسـبب مختلف ·· لم يكن يتصور أن رغبته العارمة فى الانتقام يمكن أن تدفعه الى سحق آدمية أناس آخرين بالقسوة التى فعلها بها ·· واندفع خارجا من الشقة دون أن ينطق بحرف واحد وود لو كان الى جواره مقعد وثير ليلقى عليه بجسده كما فعلوا مع الرجل العجوز ·



وقفت مرفت أمام باب شقة فهد واصبعها فوق جرس الباب تنتظر اللحظة التى ترى فيها وجه الوغد الذى تسبب لها فى تلك الفضيحة الشائنة التى يداخلها احساس عميق بأنهـــا ستنتهى بتدمير حياتها تماما كى تنفجر فى وجهـــــه وترد له انتقـــامه مضاعفا ·

كانت تنتفض من شدة الغضب وهى تفكر فى عشرات الأشياء التى يمكن أن تفعلها عندما تراه واقفا أمامها بملامحه التى تحولت فى خيالها وبفعل نقمتها الشديدة عليه الى تجسيد حى للحقـــارة فى أحط صورها ·

كانت تفكر فى أن تنهال على وجهه صفعا بكلتا يديها أو تبصق عليه أو تنشب أظافرها الطويلة فى عنقه وتمزق لحمه أو تفعل كل هذه الأشياء فى وقت واحد · وما أن فتح البـــاب ورأت فهد واقفا أمامها يحدق فيها بتلك النظرات الخائفة المسترببة كرد فعل طبيعى لفعلته الشنعاء حتى أحست بكل قـــوة الغضب فى داخلها تتجمع فى كفها التى ارتفعت بسرعة ثم هوت فى صفعة مدوية رنت فوق صدغه ·

وروقف فهد لبضع لحظات مذهولا عاجزا عن الرد ‥ لكنه سرعان ما استرد سيطرته على نفسه وأحس بعمق الاهانة التى وجهتها له الفتاة فانتابته حالة ثورة عارمة راح خلالها يهزها بعنف بالغ من كتفيها وهو يصرخ فى وجهها قائلا : سأقتلك أيتها اللعينة من أجل هذه الاهانة هيا اغربى عن وجهى قبل أن أحطم رأسك هل تفهمين · لكن مرفت التى تحولت الى قطة متوحشة تدافع عن كرامتها دفعته فى صدره بقوة واقتحمت طريقها الى داخل الشقة · وأخرجت الصور العارية من حقيبة يدها وصفعته بها على وجهه فتناثرت على الأرض ثم صرخت فى وجهه قائلة : سأقتلك أيها الوغد من أجل ما فعلته بى ، هل تفهم ‥ سأقتلك ثم تهدج صوتها وهى تقول له :

كيف طاوعك قلبك على أن تفعل بى ذلك ؟ كيف ؟ ثم اجهشت ببكاء عنيف · وظل فهد صامتا يحدق فيها دون أن يدرى ماذا يقول · وغاظها صمته فأمسكت بحقيبة يدها وراحت تضربه بعنف بالغ فوق رأسه وهى تصرخ قائلة : انك تستحق أن تموت من أجل ما فعلته بى وراح فهد يحاول تفادى الضربات دون استعمال العنف تقديرا للدوافع التى حدت بها الى ذلك وعندما وجدها قد تمادت فى هياجها وأبصر خيطا من الدم ينساب على جبهته ثار ثورة عنيفة وأمسك بها من ذراعها فى قسوة ثم دفع بها لتسقط فوق الاريكة وهى تلهث بشدة من عمق انفعالها ومن المجهود العنيف الذى بذلته وهى تقاوم انسانا أقوى منها بدنيا ‥ انسانا تحول الى كائن مثير للغثيان لا تتصور كيف أنها سمحت له ذات يوم أن يقترب منها · قال فهد وهو يحاول تهدئتها :

مرفت أرجوكى استمعى الى أولا قبل أن تصدرى حكمك ‥ اننى لم أتطوع باعطاء صديقك الصور التى أخذها ، لقد هددنى من

أجل أن يحصل عليها وكان لابد أن أعطيها له ·· كان سيبلغ البوليس هل تفهمين ·· قالت مرفت وهى تنتفض من الغضب والدموع تملأ عينيها : أيها الوغد الخسيس لقد فضحتنى دون رحمة ، أضعت حياتى الى الأبد · لقد وثقت بك ، أسلمتك نفسى وكنت أظنك انسانا · قال فهد وهو ينظر اليها باشفاق ويحس بأنه صادق فى واحدة من المرات القليلة فى حياته :

مرفت صدقينى لا يوجد انسان واحد فى هذا العالم تحركه الدوافع النبيلة وحدها ·· اننا جميعا نتصرف بدافع من مصالحنا الذاتية ولا نفكر فى الناحية الآخلاقية الا عندما تتطابق مع هذه المصالح وحدها ·· أنا مثلا تصرفت بدافع الخوف من المتاعب التى يمكن أن أتعرض لها وأنت تصرفتى بدافع الطمع · قولى لى أين هى الأخلاق فى تصرفنا نحن الاثنين ··

وصمت برهة وراح يحدق فيها بنظرات لا تخلو من كراهية واحتقار ·· نظرات تقتحم داخلها وتفضحه ·· أنت مثلا هل كان يمكن أن تسلمينى نفسك لو اننى كنت طالبا عاديا من زملاءك فى الكلية ؟ بالتأكيد كلا · لقد أسلمتينى نفسك لأننى فهد الانسان الغنى الذى يمكنه أن يحقق لك كل رغباتك · لماذا تتمسحين الآن بالمثاليات وأنت مجردة منها ، اسمعى أيتها السيدة الفاضلة أنا وأنت وكل الناس من طينة واحدة لا يوجد انسان أحسن من انسان ، لماذا تلومينني على ما حدث ولا تلومى نفسك أولا وأخيرا ·

وصمت برهة ثم قال بازدراء ان من تسير فى الطريق التى تسيرين فيها عليها أن تتوقع نتائج مثل هذه يوما ما · قالت مرفت غاضبة وعيناها غائمتان من الدموع ونفسيتها محطمة مقهورة

بالأخص لأنها تدرك أن ما يقوله هو الحقيقة : انك وغد سافل تحاول أن تبرر جريمتك الشنعاء باللغو الذى تقوله لى · قال فهد بتحد وقد بدأت نظرة الاشفاق تغادر عينيه : ان ما أقوله لك ليس لغوا وأنت تعرفين ذلك ، لقد جئت الى وأنت تعرفين ما الذى سيحدث لك بل وأنت راغبة فى أن يحدث لك ما حدث فلماذا تلومينني الآن بدلا من أن تلومى نفسك ·

ومرت لحظة صمت قال فهد بعدها بلهجة خالية منأىعاطفة : اننى مضطر لأن أطلب منك الآن أن تغادرى بيتى على الفور فأنا لست من النوع الذى يحب أن تثار من حوله الفضائح · وبدأت مرفت تستعمل أسلوبا أكثر ليونة مع غريمها عندما وجدت أن التهديد والخشونة لم يفلحا معه بل زاداه عنادا وشراسة · قالت له بصوت حنون : فهد أرجوك قدر ظروفى اننى لن أستطيع أن أعود الى البيت اذا لم تصنع لى شيئا يخرجنى من الورطة التى وضعتنى فيها ، اننى سأنتحر ·· صدقنى سأنتحر · قال فهد وهو يهز كتفيه بلا مبالاة : كفى عن هذا الهراء السخيف فأنا وأنت نعلم تماما أنك لن تنتحرى من أجل هذا السبب ·· انك لست أول انسانة يحدث لها ذلك ولن تكونى الأخيرة فلماذا تصنعين من الأمر مأساة حزينة ·

وصمت برهة ثم قال لها بمزيج من الاشفاق والازدراء : أرجعى الى البيت اذا أردتى نصيحتى وكفى عن السير فى هذا الطريق ·· انس ما حدث لك وتطلعى الى مستقبل عادى كآلاف الفتيات من حولك · ثم وجه اليها نظرة متوعدة وهو يقول لها : والآن اخرجى من بيتى قبل أن أفقد صبرى وأضطر لاخراجك بنفسى · لكن مرفت صرخت فى وجهه وهى تنتفض من الغضب :

كلا اننى لن أخرج من هنا قبل أن تجد لى حلا فأنت المسئول

عما حدث لى وعليك أن تصحح هذا الخطأ ‥ قال فهد بسخرية : ماذا تريدين ‥ نقودا . حسن حددى الرقم وأنا أكتب لك شيكا على الفور ، قالت مرفت وهى ترمقه بازدراء شديد : اننى لا أريد نقودك الملوثة بل أريدك أن تصحح الخطأ الذى أوقعتنى فيه ، قال فهد فى حيرة اذا كنت لا تريدين نقودا فماذا تريدين اذن . قالت مرفت وهى تحدجه بنظرة متحدية :

أريدك أن تتزوجنى . الآن على الفور ، قال فهد باستنكار شديد : أنا أتزوجك أنت لاريب أنك تهزلين ثم كيف تتوقعين منى أن أتزوج فتاة حصلت منها على كل ما أريد قبل الزواج وصورها العارية مع رجل آخر ، وبعد قليل ستصبح مع كل الناس ‥ قالت مرفت مهددة : لا تجبرنى على الذهاب الى البوليس واجبارك على الزواج بى . قال فهد ساخرا :

وتفضحين نفسك أمام كل الناس كلا انك أعقل من أن تفعلى هذا ثم انك نسيتى شيئا هاما وهو أنك جئتى الى هنا بمحض اختيارك وهناك شهود على ذلك وبالتالى لن يستطيع البوليس اجبارى على الزواج منك . قالت مرفت يائسة بعد أن أدركت أنها لن تستطع التغلب على خصم مراوغ عنيد كفهد يملك كل الأوراق الرابحة فى يده وبلهجة ناعمة لم تنس أن تضع فيها شيئا من التهديد : سأنتحر يا فهد صدقنى وسأترك خطابا أخبرهم فيه بكل ما حدث بيننا وسيحققون معك . هل هذا ما تريده ؟ ونظر اليها فهد وفى عينيه نفس النظرة المتوعدة وصرخ فى وجهها قائلا :

حسن كفانى هذا اللغو والآن هل ستخرجين من بيتى بالذوق أم أضطر لاخراجك بالقوة . صرخت مرفت فى وجهه وهى تشعر

بأنها تدافع عن آخر أمل فى حياتها : كلا اننى لن أخرج من هنـــا قبل أن تجد لى حلا ، هل تفهم · وهنا انقض عليها فهد بوحشـية فأمسك بها من ذراعها فى قسوة ثم أخذ يجرها وهى تقاوم بشـدة وتصرخ فى وجهه حتي قذف بها خارج الشقة ثم أغلق الباب · وقفت مرفت خلف الباب المغلق حائرة مقهورة لا تدرى ماذا تفعل ثم بدأت تعاود الطرق على الباب من جديد ، طرقته بكل التشبث بالأمل الواهى الباقى لديها ·· بكل القوى القليلة الباقية فى داخلها لكن الطرقات التى لم تكن تجد من يسمعها كانت نرتد اليها لتصيبها بنوع شـديد من الاحباط ·· نوع شديد من الحزن واليأس جعل يديها على الباب

تخفت ثم تسكن الى الأبد ·

وفجأة لم تعد مرفت قادرة على السيطرة على أعصابهـا ·· انفجرت فى نشيج مؤلم وهى تندفع بسرعة بعيدا عن المكان الـذى يذكرها بمأساتها التى لا تجد لها حلا · وقررت أن تعود الى البيت وأن تغلق على نفسها باب حجرتها ولا تكلم أحدا قبل بضعة أيام · وفور أن فتحت باب الشقة وجدت أمها جالسة فى انتظارها داخـل الصالة ، تطلعت اليها بوجه مليىء بالتساؤل والأمل ، لكن ملامح مرفت الجامدة الحزينة أصابتها بالاحباط الشديد ، سألتها رغم ذلك بعبارة صريحة : هل سيتزوجك أم لا ؟ ورغم أن مرفت كانت تريد أن تنفجر باكية الا أنها تمالكت أعصابها وأجابت بسخرية على تساؤل الأم : وهل كنت تتوقعين حقا أن يتزوجنى يا أمى ، يا لك من ساذجة ·· ثم اندفعت ناحية حجرة نومها ودخلتها وأغلقت وراءها الباب · ثم انكفئت على الفراش وأطلقت لكل عواطفها المحبوسة العنان ·· بعد أن هدأت حدة عواطفها وأحست أن بامكانها التفكير بطريقـة عقلية باردة قامت لتنفذ فكرة ظلت تراودها منذ أن حدثت لها تلك

المأساة المروعة · من أحد الأدراج أخرجت علبة اسبرين ثم أفرغت محتوياتها فى يدها وراحت تبلع تلك المحتويات بجرعات متوالية من الماء · ثم استلقت على ظهرها فوق الفراش مهيئة نفسها للنهاية السريعة المتوقعة · مع الوقت بدأت تحس باعياء شديد يسيطر عليها وببرودة تسرى الى كل أطرافها · ثم أحست بتقلصات حادة فى معدتها · ولم تحتمل فقررت أن تذهب الى الحمام وتفرغ ما فى جوفها ولم يكن الباعث على قرارها فقط أن تتخلص من الالم الذى يمزقها بل أن تنقذ حياتها فى اللحظة التى أحست فيها أنها أوشكت أن نموت · فقد بدت لها الحياة أثمن من أن تضيع بهذه البساطة ومن أجل مشكلة لابد أن تجد لها حلا ·

قامت متحاملة على نفسها مندفعة الى باب الحجرة لكن ساقاها لم تكونا قادرتين على حملها فسقطت مغشيا عليها بالقرب من السرير ·· وأحدث سقوطها ضجة نبهت أمها التى كانت واقفة وراء الباب تحاول التصنت على ابنتها لتعرف ما الذى يحدث لها ، وفتحت الأم الباب واندفعت داخلة الى الحجرة ثم حملت ابنتها بصعوبة الى حوض الغسيل وساعدتها الى افراغ محتويات معدتها بأن أعطتها محلولا من الماء وملح الطعام · ثم عادت بها وأرقدتها على الفراش من جديد · وأسرعت الى التليفون وطلبت الاسعاف ، وعندما جاء الطبيب أصر على ضرورة نقل مرفت الى المستشفى لاتخاذ ترتيبات أكثر تعقيدا لانقاذ حياتها ·

وعندما سألته الأم عما اذا كان سيبلغ البوليس بالحادث أجاب بأنه مضطر لذلك · فقالت له الأم متوسلة ، أرجوك يا دكتور لا داعى لابلاغ البوليس بما حدث فابنتى طالبة فى الجامعة وحادث كهذا لابد أن يحدث شوشرة على مستقبلها ، لكن الطبيب أصر على رأيه رغم تعاطفه مع الأم وابنتها ، وأمام المنطق البارد المجرد فى

كلام الطبيب سكتت الأم ولم تتكلم لكن قلبها كان يحدثها بأن محاولة ابنتها الانتحار رغم فشلها ستكون البداية فى سلسلة طويلة من الآلام تنتهى نهاية مروعة ٠



بعد محاولة مرفت الانتحار بدأت الألسنة تلوك سيرتها فى كل مكان ٠ وكان سلوك مرفت المتحدى اللامبالى بعد أن أدركت عدم جدوى التحفظ أثر فضيحتها المدوية يعطى هذه الألسنة ما تتقول به عليها ٠ وأصبح من المناظر المألوفة التى تستفز مشاعر الناس فى الشارع الذى تسكن به ان ترى مرفت وهى تنزل أمام باب البيت من سيارة فارهة يقودها رجل غريب دون أن تعمل أدنى حساب لعيون الآخرين التى لم تعد تتلصص عليها كما كانت تفعل من قبل بل أصبحت توجه اليها نظرات جريئة مليئة بالوقاحة كانت مرفت تقابلها بما تستحق من تحدى واحتقار ٠٠ أصبحت ملابسها غالية وضحكاتها عالية ونظراتها جريئة متحدية ٠

واختفت الى الأبد مرفت الملائكية الوجه التى كانت تثير آهة الاعجاب والحب فى قلب كل من يراها لتحل محلها مرفت التى يشتهيها الجميع لكن لا يحبها أحد ٠ وأصبحت المشاوير الخاصة التى تقوم بها مع المرضة وأحيانا بمفردها روتينية فى حياتها الجديدة ٠ وقال الجميع ان مرفت قد انفلت عيارها الى الأبد لأنه لا يوجد فى حياتها الرجل الذى تخشاه ٠ وجاء شلل والد مرفت ليدعم هذا القول فالرجل العجوز الذى أصبح يتحرك فوق مقعد ذى عجلات أصبحت تطل من عينيه نظرة حزينة مستسلمة تنطق

بالمهانة التى يحسها فى داخله نظرة لا تكاد تفارق عينيه اللامعتين بشىء كالدموع ٠

نقد أدرك الرجل أنه عاجز تماما عن عمل شىء لردع المرأتين اللتين تضجان حياة الى جواره هو الجثة المتحركة على عجلات ٠٠ اكتفى بالاستسلام الحزين وترك الأمور تتداعى الى نتيجتها الحتمية دون أن يتدخل لوقفها ٠ أحيانا قليلة كان يحس بشىء يتجمـــع فى داخله شىء كالغضب الذى يريد أن ينفجر ويعبر عن نفسه بطريقة أو بأخرى ٠٠ كان الرجل يكتفى بالاحتجاج الصامت من وراء زجــاج منظاره الشفاف وبملامح وان كانت جامدة الا أنها ناطقة بالألـــم الذى يحسه فى داخله ٠ وأصبح الرجل المسكين يقضى معظم وقتــه قابعا داخل حجرته المغلقة مطلقا لخواطره السوداء العنان ٠ فالعالم كله قد توقف عن عمل أى شىء سوى مجــــرد الكلام عنه وعن أسرته التى انفلت عيارها ٠

أحيانا وهو يحس بأنه يكاد يختنق كان يدفع بكرسيه المتحرك الى الشرفة الصغيرة ليمضى بعض الوقت تحت أشعة شمس الشتاء الدافئة وليستنشق هواء نظيفا بدلا من الهواء الراكد فى الحجــرة المغلقة ٠ كان يحن الى رؤية الوجوه الآدمية التى انقطع عن رؤيتها منذ فترة من الوقت لكنءاان تفتح واحدة من النوافذ ويرى وجهــا آدميا على شفتيه ابتسامة غامضة حتى يحس بأنه يكره الناس جميعا ولا يريد أن يرى واحدا منهم بعد الآن ٠ ويدفع بكرسيه المتحـــرك الى الحجرة ويغلق الباب ٠ وكان خاطر غريب يلح عليه بين وقت وآخر ٠٠ خاطر لحوح ثقيل كذبابة لا تريد أن تبتعد ٠٠ خاطر يدفعه الى التخلص من حياته لكنه كان يبتسم فى سخرية وهــو يقـــول لنفسه ٠ وأنا ألست الآن ميتا لكنى أشعر بكل ما حولى وتلك هى مأساتى الحقيقية ٠

وكان شعور الرجل المسكين بالالم والمهانة يصل الى الذروة عندما يشاهد ابنته الجميلة وهى تنزل من سيارة رجل غريب أمام باب البيت دون أن تعبأ بالعيون التى تحدجها فى جرأة كانت تمزق أحشاءه أو عندما يشاهد شلة الشارع وهى تسير وراءها وتلقى على مسامعها بالكلمات النابية المهينة التى كانت تسبب له ألما لا يطاق ·· أما المرأة الأخرى فلم تكن أقل انفلاتا من ابنتها اذ لم تعد تخشى حتى النظرات الصامتة المحتجة فى عينى زوجها العجوز أصبحت تمارس حريتها بشىء من الفوضى والوقاحة فهى تدخل وتخرج كما يحلو لها مع صديقها الشاب الذى أصبح يكثر من التردد على البيت دون أن يعبأ بأى انسان حتى بالرجل العجوز الذى كف عن الاحتجاج حتى بنظراته الصامتة الحزينة وترك المرأتين تفعلان ما يحلوا لهما مكتفيا بأن يموت هو فى بطء واستسلام ·

وظل بحلق المسكين الذى يحب مرفت باحساس عميق من اليأس وبأنه ليس كفؤا لها كرجل ·· الانسان الذى تتحرك غريزته البهيمية فى كل مرة يراها ·· ظل يراقبها عن قرب وهو يحس بأقصى درجات الألم والعذاب عندما يتأكد بأنها يمكن أن تكون ملك أى رجل آخر فيما عداه هو · كانت مرفت بالاضافة الى أنها الحلم المستحيل فى حياته هى القدم الغليظة التى تسحق رجولته · كانت عيناه دائما من حولها تتجسسان عليها ·· تتدلهان فى حبها تفضحانها · وكان عقل بحلق رغم غباءه الغريزى يدرك الجانب المشين فى سلوك مرفت فهو بعينيه يرى السيارات التى تهبط منها وبأذنيه يسمع الكلمات التى تدينها · وكان الألم يمزقه والشهوة تكاد تعصف به وهو يتخيل ما يفعله هؤلاء الرجال الغرباء مع معبودته الجميلة مرفت · كان يعود بسرعة الى شقته كأنه جرذ صغير يدخل الى جحره ويبدأ وحده فى اجترار أحزانه داخل جدران صماء

كانت تضاعف من تلك الأحزان وتجعلها بعيدة عن الاحتمال . لكن أحيانا قليلة وغالبا ما يكون ذلك أثناء الليل وسكون يطبق علـــى أنفاسه كان يتخيل مرفت عارية بين ذراعيه . كان يتحول فى تلـك اللحظات الى غريزة مطلقة .. الى خيال جامح مجرد .. خيـــال لا يعبأ بالمستحيل ولا يعترف به .

كان يتخيل نفسه واحدا من أصحاب السيارات الفارهة الذين يوصلون مرفت الى البيت . كان يستعذب تلك اللحظات ويتمنى أن تطول لكنه فى النهاية كان يتذوق مرارتها عندما يدرك أنهـــا كانت مجرد أحلام مرت بخياله فحسب . ومع مرور الوقت تحولت مرفـت الى أفيونته الخاصة التى يدمن استحلابها .. تحولت الى نوع من التسلط على حواسه ومشاعره بطريقة منعته من التفكير فى أى شىء آخر .. لكن أحيانا كان يفيق على حقيقة تصيبه بالفزع تقتـل كل الأحلام والخيالات فى قلبه .. حقيقة تكوينه كانسان .. انه تكوين معقد غريب يستفز مشاعر الغضب والكراهية لدى الآخرين فـــلا يتورعون عن اطلاقها فى وجهه بأقصى درجات العنف والتعصب .. أنه ليس فقط انسانا محروما من الجمال لكنه أعجوبة انســـانية يحوطها الناس بالضحكات فى كل مكان يقذفها الأطفال الأشـــقياء بالطوب فى الشارع يكتبون لها العبارات النابية على باب البيت الذى تسكن فيه . وتموت الأحلام الجميلة فى قلبه لكنها لا تلبث أن ترتد اليها الحياة من جديد عندما يرى مرفت أمامه .. كان ينسى كل شىء دمامته .. سخرية الناس منه .. الضحكات التى ترن من حوله ولا يرى سوى جمالها الذى يعذبه .

وبعينى قط جائع كان يراقبها وهو يخشى أن تقع عيناها عليـــه فتعاقبه بشكل أو بآخر .. يراقبها من أماكن من المستحيل عليها أن

تتصور أنه موجود بها · لكن أحيانا قليلة استطاعت حاستهـــا السادسة أن تضبطه متلبسا بالنظر اليها بعينيه المتوسلتين الجائعتين وبتعبيرات وجهه الجامدة التى لا تكاد تتغير · وعلى عكس ما كان يحدث فى الماضى قبل أن تصبح فضيحتها على كل لسان فان هــذه النظرات الغريبة البلهاء لم تعد تخيفها بل أصبحت تثير اشفاقها · كانت تعلم أن تلك الكتلة من الدمامة والحيوانية وهكذا كان يراه الناس جميعا من الخارج تشتهيها كما لا تشتهى شيئا آخر فى العالم ·· لكنها كانت تعلم أنها قادرة دائما على ايقافه عند حده بتــلك النظرات المحذرة من الاقتراب أكثر ممـــا ينبغى · وكان بحلق من ناحيته يحاول جاهدا أن يتفادى تلك النظرات مكتفيا بأن ينظر اليها من بعيد دون أن تراه ·

كان يحبها ويكرهها فى نفس الوقت وبطريقة أسلمته للضـياع التام · وكثيرا ما فكر فى قول عادل عندما سأله يوما ما عن الدافع لتصرف مرفت المشين · فقال له عادل أنها تفعل ذلك من أجل النقود وتحول ذلك التفكير الى تسلط غريب على عقل بحلق جعـله يتوهم أشياء يمكن أن تحدث ·· أشياء يمكن أن تلغى كل الفروق الرهيبة بينه وبين معبودته الجميلة · وأضمر بحلق شيئا فى نفسه ·

وفى يوم توجه الى البنك ومعه شهادات الاستثمار التى يملكها وبسرعة حولها الى مجموعة من الاوراق النقدية الكبيرة وطـــوال الطريق الى البيت أخذ يتخيل وجه مرفت الجميل عندما تقع عيناها الزرقاوتان على كل تلك الكمية الضخمة من النقود · ان نظرتها اليه ستتغير على الفور · لقد قال له عادل أنها تعبد النقود ·· حسن انه سيضع بين يديها كمية من النقود لم تقع عليها عيناها من قبل · انها يمكن أن تحبه وتعامله كرجل مثل الآخرين ·

ووقف فى انتظار عودتها الى البيت وقف طويلا دون أن يمل فقد كان هناك نوع من الغاز الخفيف يتمدد فى داخله ويكاد يجعله يطير من على الارض ولمح سيارة فارهة تتوقف عند ناصية الشارع ورأى مرفت تهبط منها ·· جريئة متحدية كعادتها بينما العيون تحدق فيها بانبهار وجرأة ·· ودق قلبه بعنف شديد فقد حانت أخيرا اللحظة التى ظل ينتظرها منذأول يوم رأى فيه مرفت ·· ورأته مرفت واقفا على الرصيف الآخر يحدق فيها بجرأة بدت غريبة عليها · لم يكن يحاول أن يتخفى كعادته بل كان يوجه اليها نظرات أصابتها بالفزع ·· نظرات تجاوزت حاجز الخوف المعتاد وفجرت كل الرغبات المكبوتة فى داخله · لكن مرفت رغم احساسها العميق بالخوف من ذلك المجهول الذى طرأ على نظرات بحلق الا أنها وجهت اليه نفس النظرة المستخفة المشفقة التى جرحت كبرياءه فى الصميم هذه المرة ·· أطلقت كل القوى المكبوتة المتحفزة فى داخله ·· قوى الجوع والخوف والحب والكبرياء والمهانة ·· ذلك النسيج المركب الذى تكون له على مدى الأيام · وتحول خوف مرفت الى فزع عندما رأته يعبر الشارع فى جرأةمتجها ناحيتها · وقد بدا من ملامح وجهه أنه لم يعد ذلك الكائن المذعور الذى توقفه نظره محذرة من عينيها ·· انه طوفان سيكتسح كل مايعترض طريقه اليها · وأحست مرقت أنها ينبغى أن تهرب من أمامه قبل أن يدهمها · فأطلقت ساقيها فيما يشبه العدو متجهة الى بيتها · لكن قلبها كاد يتجمد من الرعب عندما رأت بحلق يحاول اللحاق بها وأصبح الأمر بينهما نوعا من السباق · ولم تشعر مرفت بشىء من الامان الا عندما وضعت قدميها على عتبة بيتها ·

وبينما هى تهم بالدخول من باب العمارة أحست بقبضة من حديد تمسكها من كتفها ·· والتفتت وقد كادت أن تسقط مغشيا عليها

من الرعب لتجد عينى بحلق الرهيبتين تنظران اليها وقد أطل منهما تعبير هو أقرب الى الجنون أو الهياج الشديد الذى لايعرف التوقف عند حد معين • وبكل غريزة الدفاع عن النفس ضربته على رأسه بحقيبة يدها وهى تحاول جاهدة أن تنزع كتفها من قبضته الحديدية الممسكة بها وقد راحت تصرخ فى وجهه قائلة : ماذا تريد منى أيها المجنون دعنى أمضى والا صرخت ولمت عليك الشارع • لكن قبضة بحلق كانت تزداد اطباقا على كتفها والنظرة فى عينيه كانت تتحول الى جنون مخيف يرفض أن يتخلى عن شىء تمناه طول حياته لمجرد أنها تطلب منه ذلك •

وبسرعة مد بحلق يده الى جيبه وأخرج رزمة النقود الملفوفة بورقة جرائد وقربها من وجه مرفت وهو يقول لها بصوت متوسل مبحوح •• كل هذه النقود من أجلك أنت يا مرفت •• خذيها اننى لا أريدها •• فقط أنظرى الى اننى رجل كالآخرين أملك نقودا مثلهم • نقودا كثيرة أنظرى •• اننى أحبك يا مرفت أحبك • لكن مرفت نظرت اليه باشمئزاز شديد وصرخت فى وجهه قائلة هل تظن أننى يمكن أن أنظر الى مخلوق بشع مثلك حتى لو كان يملك كل نقود الارض •• انك حيوان فى نظرى •• مجرد حيوان لا أكثر •

وأحس بحلق بالاهانة تشرخ رجولته •• تقسمه الى نصفين • مزق ورقة الجرائد فتبعثرت النقود بين أصابعه • قربها من وجه مرفت وهو يصرخ قائلا : انظرى اليها انها النقود التى تحبينها •• خذيها كلها لك فقط عامليني كالآخرين اننى أحبك يا مرفت أحبك • لكن مرفت ضربت يده الممدودة نحوها بشىء من العنف جعل النقود تتساقط على الأرض • ثم راحت تضربه بوحشية على رأسه بحقيبة يدها وهى تصيح منادية على بواب العمارة •• وتحول بحلق الى

رجل هائج مجنون لا يملك السيطرة على مشاعره ·· ضمها بوحشية الى صدره ·· راحت شفتاه المحمومتان تبحثان عن شفتيهـــا ·· ثارت غريزته حتى تحولت الى بركان يكتسح أمامه كل شيء · عيناه جاحظتان مخيفتان ·· صدره يرتفع وينخفض فى لهاث محموم ·· عرق غزير يتصبب فوق جبينه فيزيده غرابة ووحشية ·· احساسه خليط من الشعور باللذة والالم من جراء ضربات مرفت له على رأسه بحقيبة يدها · وفجأة دفع بحلق الهائج المجنون مرفت الخائفـــة المنهوكة القوى الى الأرض وسقط فوقها ·· وامتدت يده لتمزق ثوبها وكانت الأجزاء التى تتعرى من جسدها أمام عينيه المنهومتين تزيد من حالة التوحش والهيــاج فى داخله · كان بحلق فى ذلك الوقت بهيمة انسانية تبحث عن حقها المشروع فى الحب والحنان فى عالـم خلا من الرحمة والعدالة ، وكان منظره هو ومرفت وهما يتصارعان بجنون على الارض يمثل مأساة انسانية فى قمة تبجحها ·· النقود من حولهما مبعثرة على الارض ·· الدم يسيل على جبهته بغزارة ·· مرفت عارية مفضوحة كما لم تكن فى حياتها من قبل · وأقبل البواب على استغاثة مرفت ·· بيده عصا غليظة لم يتردد فى أن يهوى بها على رأس بحلق المسكين بعد أن رأى أمامه ما جعل الدم يغلى فى عروقه · ورغم الضربات المتوالية فوق كل مكان من جسد بحلق الا أنه كان يرفض القيام منفوق مرفت التى راحت تئن من تحتـــه ·· ساقاها العاريتان وصدرها البارز من الرداء الممزق تزيدان من حالة هياجه وتوحشه · ومع توالى الضربات تحولت رأس بحلق الضخمة الى شيء مغطى بدماء كثيفة شيء يبعث على الغثيان والرثاء ·

وفتحت أبواب الشقق المغلقة وأطلت منها عيون فضولية تسأل عما حدث · وبعد أن شاهدوا ما يحدث أمامهم على الارض انضموا الى البواب فى ضرب بحلق بوحشية بالغة تركته بعد دقائق بيـن

الحياة والموت · وفجأة انتابتهم دهشة شديدة عندما رأوا بحلق المهزوم الساقط على الأرض المخضب بدمه كذبيحة كبيرة وهو يجهش بالبكاء كطفل صغير · وقد راح يدور ببصره المتسائل الخائف فوق وجوه التماثيل الحجرية المحيطة به · ثم فجأة خاطبهم بصـــوته المخنوق الأجش كأنه يهذى أو يكلم نفسه · لماذا فعلتم بى ذلك أنا لم أفعل شيئا ··اننى رجل مثل الآخرين ولقد أعطيتها نقودا كثيرة لماذا ترفضنى اذن · ونبهت كلمات بحلق الواقفين الى النقود المبعثرة على الأرض فحدثت بينهم حالة هياج شديدة اندفعوا على أثرها يجمعون تلك النقود حتى اذا ما فرغوا من هذه المهمة لبثوا برهــة عاجزين عن معرفة ما الذى يتعين عليهم ان يعملوه بعد ذلك ·· وهنا قال واحد منهم يبدو أنه أشفق على بحلق المسكين المنكفىء على وجهه المخصب بالدم والعاجز عن النهوض على قدميه ·· حسن دعوه يمضى الى حال سبيله ولما وجدهم ينظرون اليه باستنكار ·· أردف قائلا بشىء من العصبية ·· ماذا تريدون أن تفعلوا به أكثـر مما فعلتم لقد ضربتموه حتى أدميتموه ·· أخذتم نقوده بلا حق وهذه جريمة يعاقبكم عليها القانون فلا أقل من أن تدعوه يمضى الى حال سبيله ·· ثم تذكروا أنه رجل معتوه ومهما كانت جريمتـــــه فان القانون لا يعاقبه · ومد الرجل يده وعاون بحلق على النهوض على قدميه ثم همس فى أذنه قائلا أهرب قبل أن يغيروا رأيهم ·

ولم يصدق بحلق أنه نجا بحياته الا عندما وجد نفسه يعـــدو فى الشارع بأقصى قوته متجهـــا الى بيته · دخل بسرعة من بـاب الحديقة الصغير وأغلقه بالترباس من الداخل ثم دخل الى الشقة وأغلق وراءه الباب وهو لا يكاد يصدق أنه نجا بنفسه · وفجـــأة سمع صيحات بعض الناس خارج البيت وسمع اسمه يتردد مقترنا ببعض الشتائم وكاد يتجمد من الرعب فقد أيقن أنهم جاءوا للامساك

به · وأيقن أن بابا مغلقا لا يمكن أن يقف حائلا بينهـــم وبين ما يريدون وهو لم ينس ما فعلوه به فى المرة الماضـــية · وأسرع الى نافذة المطبخ ورأى جمعا كبيرا من الناس يقف وراء سور المنزل · وجوههم تنطق بالكراهية والشر · تملكته حالة خوف عارمة فعندما تقرر هذه الجماعة من الناس الامساك به فلن توجـد قوة فى هـــذا العالم قادرة على منعهم من ذلك ·· وفجـــأة قرر أن يتخلص من حياته فقد بدا له هذا الحل هو المهرب الوحيد من الوقوع فى قبضة الرعاع الذين جاءوا للامساك به ·

فى تلك اللحظة كان عادل يدخل بسيارته الى الشارع وأحس من الاعداد غير المألوفة التى تتسكع هنا وهناك ومن اســـم بحلق الذى يتردد على الالسنة مقرونا بتلك الكراهية التى تطل من الوجوه ان الأمر يتعلق بصديقه بحلق الذى ربما كان الآن فى ورطة ويطـلب معونتـــه ·· سأل واحدا من الواقفين فى الشـــارع عما حـــدث فقال له أن المخلوق الغريب الذى يسكن فى المنزل الذى هناك مشيرا الى منزل بحلق قد هاجم الفتاة الجميلة التى تسكن فى هذا المنزل وأنهم طاردوه حتى حاصروه داخل منزله · وأسرع عادل الى منزل بحلق وأصـــابه الفزع من كثرة الواقفين أمام الباب ومن الشر الذى تنطق به وجوههم كانوا يصيحون على بحلق أن يخرج اليهم قبل أن يدخلوا هم للاتيان به ·· وكانوا يقذفون المنزل بالطوب وهم يطلقون سيلا من الشـــتائم البذيئة ·

وفكر عادل فى أن يقتحم المنزل ليكون الى جوار صديقه الـــذى لا ريب أنه يموت الآن من الرعب ، وهو يفكر فى المصير المخيف الذى ينتظره على أيدى هذه المجموعة من الذئاب الجائعـــة لكنه تراجع فى اللحظة الأخيرة إذ بدا له هذا التصرف نوعا من الجنون ·· أنه ليس

فقط لن يتمكن من انقـــاذ صديقـــه بل سيصـبح هـو الآخــر ضحية لنفس المصير ·· وفكر عادل فى أن يسرع باستدعاء البوليس وبينما هو على وشك الانصراف اذا به يسمع صراخا مخيفا ينبعث من شقة بحلق ·· وأسرع ومعه جمع من الناس باقتحام الشقة وهنـــاك أصيبوا بفزع حقيقى وهم يشاهدون بحلق المسكين وهو يجرى فى ذعر داخل الشقة بينما النار قد أمسكت بملابسه فى الوقت الذى كان يصرخ فيه صراخا أليما أصابهم بنوع من الصدمة فلم يعرفوا ما الذى يتعين عليهم أن يفعلوه · لكن عادل أسرع باحضار بطانية لف بها الجســد المشتعل حتى استطاع أن يطفىء النار الممسكة به · ثم حمله وبعض الواقفين حيث أرقده على الفراش ·

كان بحلق يتأوه من الألم وقد انتفخ وجهه واحترق جلده فى أكثر من مكان وكانت عيناه مغمضتين كما لو كان فى شبه غيبوبة · ووقف عادل أمامه يتأمله فى ألم وذهول · وفتح بحلق عينيـــه فجأة وأبصر عادل واقفا الى جواره فابتسم له فى خفوت · واستطاع عادل أن يقرأ فى عينيه الصامتتين الحزينتين معانى الاعتذار عما فعل · كان يريد أن يقول له أنه الآن على وشك أن يتخلص من أحزانه الى الأبد · وان هذا الجمع من الذئاب الذى جاء لاقتناصه لن يتمكن من أن يضع يده عليه بعد الآن · وجاءت سيارة الاسعاف بطيئة كالعادة جاءت لتجـد جثة متفحمة فى انتظارها · ورفضت أن تحملها معها فالاســعاف لا تحمل الموتى · وبسرعة جاء أخو بحلق بعد أن سمع بالنبأ ووقف الى جوار السرير الذى ترقد فوقه جثة أخيه وهو يتظاهر بالحزن لكن عيناه كانتا تنطقان بالسؤال عن النقود التى كان يتصــور أن أخاه يخبئها فى مكان ما داخل الشقة ·

وابتسم عادل فى سخرية وهو يتخيل رد الفعل العنيف عندما يعلم هذا الأخ المتظاهر بالحزن أن الواقفين حوله داخل الشـــقة

والواقفين خارج الباب قد حشوا جيوبهم بكل النقود التى كانت مع بحلق قبل أن يموت · وعندما علم الأخ بما حدث انتابته حالة هياج شديدة ·· راح يصرخ فى الناس الواقفين من حوله يطلب منهـــم أن يردوا له النقود التى سرقوها من أخيه الميت والا فانه سيضطر الى ابلاغ البوليس لكن الناس لم يعيروه التفـــاتا ·· كانت على شفاهم ابتسامات ساخرة وهم يغادرون الشقة واحدا بعد الآخر ·



كان عادل يقف متواريا خلف المصراع الخشبى نصف المغلق فى حجرته يتأمل المشهد الحزين الذى يحدث أمامه فى شقة مرفت وهم ثقيل يجثم على صدره اذ برغم أنه لم يكن فى مقدوره أن يحدد شعوره تماما فى تلك اللحظة الا أنه من المؤكد انه كان يشعر بندم عميق لأنه تسبب فى المأساة الأليمة التى تحدث أمامه · وفى البداية عندما استطاع عادل أن يرد الضربة مضاعفة لمرفت وأمها سيطرت عليه مشاعر الشماتة لفترة من الوقت لكنه بدأ بعد ذلك يشعر بالندم وتأنيب الضمير اذ أدرك أن عمله بالاضافة الى بشاعته قد آذاه هو نفسه أكثر مما آذى مرفت وأمها ·

لقد أيقن أن حبه لمرفت ليس شيئا يمكن أن ينساه بسهولة انه يكون جزءا من نسيجه الحى نفسه يرفض أن يموت · وهو واقف يتأمل ما يحدث أمامه فى الشقة المقابلة كان يود أن يقول أو يفعل شيئا يكفر عن خطيئته · يخفف من احساسه العميق بالذنب ·· شيئا يمنع المأساة من التداعى الى نتيجتها الحتمية ويجعل مرفت تسامحه عما سببه لها من ألم · لكن لا أحد كان يمكن أن يســـمع منه شيئا فى هذه اللحظة التى تحول فيها الألم المجرد والكراهيـــة المجردة الى أشياء مادية ملموسة ·

لقد سكب عادل اللبن بيديه وترك وراءه جسورا محطمة وضاعت منه مرفت الى الأبد . كان العمال الذين يشاهدهم يتحركون في النافذة المفتوحة يعملون بنشاط فى رفع قطع الأثاث الموجودة بالشقة والنزول بها الى الشارع ووضعها داخل عربة نقل الأثاث الضخمة الواقفة أمام باب العمارة . وبين الحين والآخر كان يرى مرفت أو أمها وهى تعبر النافذة المفتوحة فيحس بمشاعره تهتاج وبأنه يريد أن يبكى . ان مرفت حبيبة عمره راحلة الآن الى الأبد وسط ظروف غير عادية أقربما تكون الى الطرد الاختيارى تسبب هو برغبته العمياء فى الانتقام فى حدوثها . مرفت راحلة الى مصير مجهول ينتظرها . وأحس عادل أن نفسه تنشرخ كجدار يتداعى .

وبدأت ذكريات مكتسحة تتوافد على مخيلته تدفع بسؤال يلح عليه بفظاعة هل كان بمقدوره أن يتنبأ بالنهاية قبل وقوعها فيحاول تجنبها أو التخفيف من المأساة التى تحملها فى داخلها .. وأحس براحة عميقة لأن الاجابة كانت بالنفى .. لو أننا جميعا علمنا بما ينتظرها وأبسطه هو الموت لما قطعنا خطوة واحدة من الطريق .. وتسلل الى قلبه شعاع دافىء بدد شيئا غير قليل من قتامة وبرودة اللحظات التى يعيشها وهو يتذكر بداية قصة الحب بينه وبين مرفت وتلك الومضات الخاطفة خلال الطريق الذى قطعاه معا . وتساءل باحساس عميق بالعذاب والمتعة كيف كان فى مقدوره أن يمنع الحب من أن يتسلل الى قلبه .. كانت البداية عيناها والنهاية أيضا عيناها . ولم يكن فى مقدوره أن يمنع شيئا مقدرا له الوقوع من أن يقع . بل حتى لو كان فى مقدوره أن يتنبأ بالنهاية كما حدثت لماخطرله أن يمنع حبها من أن يتسلل الى قلبه . كان المهم فى تلك اللحظة الفريدة فى حياته أن يهيىء نفسه لحبها لا أن يوصد قلبه دون ذلك الحب.

وفجأة لمح شعر مرفت الأشقر وهو يتحرك عبر النافذة المفتوحة وأحس أن مشاعره اختزلت فى شعور واحد هو الحب اختفى الندم والكراهية والشعور بالاثم وبقى الدفء وحده يملأ قلبـــه فى تلك اللحظة ·· وأحس أنه يود لو يضمها الى صدره ويمسح دموعهـــا بشفتيه ·

ان مرفت حبيبته الجميلة التى تعودت أن تســـير مدفوعة بكبرياء جمالها الخرافى الذى يمارس نوعا من السحر على مشاعره كرجل مهيضة الجناح ·· عارية ترتدى فوق رأسها الجميل أكليلا من الشوك كأنها مسيح صلبوه ·· وكان أفظـــع ما فى الأمر أنه كان هو الانسان الذى دق المسامير فى ذراعيها · وانتابه شـــعور عميق بالندم وود لو كان فى مقدوره أن يطلعها على شعوره الحقيقى فى تلك اللحظة حتى يمكنها أن تغفر له · لكن طيف مرفت سرعان ما انسحب من النافذة المفتوحة وعادت بعد لحظات لتغلق النافذة الى الأبد · ثم دارت على باقى النوافذ تغلقها الواحدة بعد الأخرى · وأحس عادل أن النهاية أوشكت أن تجيء · وتوقع أن يرى الموكب الحزين وهو يخرج من باب العمارة بين لحظة وأخرى وتوقف قلبه عن الخفقان وهو يركز بصره فوق الباب · وانتابه شعور عميـــق بالحزن فهـــذه الأسرة الصـــغيرة التى عاشت فى طمأنينة طوال السنوات السابقة مضطرة لأن تغادر منزلها الآن ورأسها مجـــللة بالعار ·· عار شارك هو فى صنعه ·

وفجأة اهتزت مشاعر عادل بشدة عندما بدأت تلوح أمـــامه بداية الموكب الحزين وهو خارج من باب العمارة · فى المقدمة كان الأب العجوز جالسا فوق مقعده المتحرك يحاول بوجه شاحب ملأته التجاعيد وبعينين صغيرتين يطل منهما كل حزن العالم أن يبـــدو

قويا رافع الرأس أمام العيون التى راحت تحدق فيه بفضول ووقاحة ·· كان أشبه بتمثال من الشمع بلا روح · وبين الحين والآخر كانت يده ترتعش فوق البطانية الصوف التى تغطى ساقيه المشلولتين ·· أما زوجته الشابة التى كان يلوح على وجهها الارهاق والذبول · ورغم ذلك كان يبدو جميلا وذا كبرياء رغم نظرة الحقد التى تطل من عينيها فقد كانت هى التى تدفع بالكرسى المتحرك الذى يجلس فوقه زوجها · كان رأسها مرفوعا ومن عينيها تطل نفس نظرة الرجل التى تحاول تجنب كل ما حولها كأنها لا ترى شيئا أمامها ·

وفجأة أحس عادل بصدمة تهزه من الأعماق عندما رأى المرأة وبحركة مقصودة ترفع رأسها وتتجه بها ناحية نافذته المغلقة كأنها أحست أنه واقف وراء المصراع الخشبى يشاهد المشهد الحزين وهو يتوالى أمامه · وتركز بصرها لبضعة ثوانى فى اتجاه نافذة عادل كانت كافية لتملأ قلبه بالرعب · كان فى عينيها كل الحقد الذى استطاعت أن تضعه فيهما ·· حقد يلمع فى وضوح رغم بعد المسافة بينهما · وفجأة أحس عادل أن المرأة وجهت له اهانة بالغة عندما بصقت بكل قوتها على الأرض وهى ما تزال توجه بصرها الى نافذته ·· ورغم ذلك لم يستطع أن يكرهها بل التمس لها العذر فى سلوكها المشين اذ كان يبدو متعاطفا تماما مع مأساة الأسرة الصغيرة ·· وأخيرا رأى مرفت تخرج من الباب · كانت تسير بخطوات بطيئة وراء أمها ورغم رأسها المرفوعة فى كبرياء وجمالها الخرافى الذى تنل منه الأحداث الأليمة التى عاشتها الا أن عينيها الحزينتين كانتا تنطقان بعمق الجرح فى نفسها ·

كانت نظراتها مستقيمة تحاول بها ألا ترى شيئا مما حولها · نظرات من زجاج مغسول تتحرك فوقه أطياف رمادية حزينة · كانت

جميلة كما كانت تبدو دائما لعينيه ملكة على قلبه كما ستظل دائما
٠٠ وأحس عادل أن ينبوعا من المشاعر الجياشة يتفجر فى داخله
٠٠ نهر من العذوبة المجردة يتدفق من بين صخور ميتة ٠ وانحنت
مرفت على أبيها المسكين تحاول أن تثبت البطانية فوق ساقيــــه
المريضتين ٠ وأحس عادل بقلبه ينفطر من الحـــزن ٠ وهمس من
أعماقه كأنه تصور أنها يمكن أن تسمعه مرفت حبيبتى سامحينى على
كل ما سببته لك من ألم ٠٠ صدقينى ان الحب كان طريقى دائمـا
وليس الكراهية ٠٠ كيف يمكن أن أكره قطعـــة من نفسى يا مرفت
افعلى شيئا لتعاقبينى لتجعلينى أحس بوجودى كانسان فأنا الآن
لا شىء مجرد دخان طائر فى الهواء ٠٠ ابصقى على الأرض لـــو
أردتى ٠ العنينى من قلبك ٠ فقط قولى انك غفرتى لى ٠٠ مرفـت
أنظرى الى لا تحولى بصرك الى الناحية الأخرى كأننى لم أوجد أبدا
فى حياتك فأنا موجود الآن يا مرفت وسأظل موجودا دائما ٠

لكن مرفت لم توجه بصرها ناحيته ومضى الموكب الحزين فى
طريقه الى سيارة التاكسى الواقفة فى الانتظار ٠ ثم تحرك الموكب
الحزين فى طريقه الى المجهول وظل عادل واقفا فى مكانه يتابعــه
ببصره حتى اختفى من أمامه ٠٠ فأغلق النـــافذة وهو يحس بأن
حياته لم يعد لها معنى بعد الآن وانها الى حد بعيد تشبه النـــافذة
التى أغلقها الآن ٠

★ ★ ★

كانت والدة عادل تجلس فى مســـاحة صغيرة من الشمس
تسللت اليها عبر النافذة المفتوحة واستلقت تحت قدميها هدية من
السماء الرحيمة للأم المشلولة العاجزة عن الحركة ٠ وكان الوقت

أصيلا والربيع قد بدأ بحرارته المبكرة وبرائحة زهور البرتقال التى بدأت تفوح فى الجو منبعثة من تلك التيجان الصغيرد البيضاء التى امتلأت بها فروع الأشجار في حدائق البيوت القريبة • وأقبل عادل من حجرة نومه وقد ارتدى ملابس الخروج فانحنى على أمه وطبع فوق جبينها قبلة حانية وقد أحس لأول مرة بهدوء يسيطر علـــى أعصابه التى انهكتها أحداث الأسابيع القليلة الماضية التى قضاها كلها فى شبه عزلة عن العالم كان خلالها يستمع الى الموســـــيقى الحزينة فى حجرته المغلقة أو يجلس فى استرخاء داخل مرســــمه لا يصـنع شيئا فقد سئم كل شيء حتى الرسم هوايته الوحيدة سئمها هى الأخرى •

خلال تلك الأسابيع التى تلبدت فيها السحب فى سماء ذلــك البيت الصغير كانت والدة عادل بحنانها الذى لا ينضب وعقلانيتها المتفهمة تبذل المستحيل كى تجذب ابنها الى الحيـــاة من جديد •• مدركة فظائع الأحداث التى أملت عليه اعتزال العالم بهذه الطريقة فانها لم تكن تلح عليه فى الخروج من عزلته موقنة أنه لا بد أن يأخذ وقته الكافى لذلك وان يقرر هو بنفسه التوقيت الذى يجد نفســـه فيه صالحا لمواجهة العالم من جديد •

وكان صديقه المحروق الوجه يأتى كثيرا لزيارته فيجلسان معا فى المرسم وأحيانا فى حجرة نومه يستمعان فى صمت الى الموسيقى الكلاسيكية الحزينة التى تثير شجونهما وتربط بينهما برباط وثيـق من الصداقة أو ينقل له أخبار العالم الخارجى الذى انقطعت صلته به منذ فترة من الوقت أو يخبره بتطور علاقته ، بمديحة التى بدأت تتحول بسرعة الى حب عميق كان يدخل شيئا من البهجة والأمـل الى قلب عادل اليائس المحطم •

نظرت الأم الى وجه ابنها المتألق وقد بدا عليها الارتياح اذ أدركت أنه استطاع التغلب على الأزمة التى كادت تعصف به وأنه عاد مرة أخرى الى مرحه المعتاد · كان فى عينية حنان غير محدود وهو يتأمل وجه أمه الطيب الذى تنبىء ملامحه بمدى الحب العميق الذى تكنه له ومدى فرحتها بعودة ابنها الطيب المرح الى الحيـــاة من جديد · قال لها بمرح وهو يدللها كما لو كانت طفلة صغيرة حذرى الى أين أنا ذاهب الآن يا أماه ولمعت عينا الأم وهى تتأمل التغيـــر الكبير الذى طرأ على حالة ابنها النفسية والذى بدا لها أشـــبه بالمعجزة ·· ثم قالت بلهجة تقطر حنانا وتعاطفا حسن دعنى أفكر ·· ربما كنت ذاهبا الى السينما أو الى زيارة صديق لك أو ربما ستذهب الى النادى فان مدة طويلة انقضت دون أن تذهب اليه ·

وصمتت برهة وتطلعت الى وجه ابنها فى سعادة ثم قالت له آه يا عادل كم مر من الوقت منذ أن رأيتك فى الحالة التى أراك فيها الآن ·· عادل أرجوك لا تعود الى الحزن مرة أخرى · فلا شىء فى هذا العالم يستحق أن تحزن من أجله · وضحك عادل قائلا اطمئنى يا أمى فأنا لن أعود الىالحزن مرة أخرى فقد شفيت منه الى الأبد · والآن لا تحاولى أن تهربى من سؤالى أيتها الخبيثة وقولى لى أين تظنين أننى ذاهب الآن لأننى لن أقول لك · وضحكت الأم وهى تقول لابنها : عادل لا تحاورنى أرجوك فقد أصبحت كبيرة على هـــذه الألاعيب الصغيرة ·· قل لى بلا مواربه أين أنت ذاهب الآن ؟ قال عادل بمرح حسن ما دمت تصرين على افساد المفاجأة التى أعددتها لك · اننى ذاهب يا أمى العزيزة لزيارة صديقتك العجوز التى تسكن فى آخر الشارع لأن لدى مهمة مقدسة هناك ينبغى أن أؤديها ·

وصمت برهة ثم قال فى سعادة والآن ما قولك فى هذه المفاجأة السارة · ان الانسانة الوحيدة التى فكرت فى زيارتها بعـــد أن

قررت أن أعود الى الحياة من جديد هى صديقتك العجوز الطيبة ٠ اشرق وجه الأم ثم قالت بدهشة انها حقا مفاجأة سارة لكنك لم تقل لى ما مناسبة الزيارة ٠ قال عادل بمرح انتظرى لحظة واحدة وستعرفين كل شيء ٠ ثم أسرع الى الشرفة وعاد يحمل أصيصا صغيرا به شجرة فل مجوز بدأت فروعها تتفتح عن براعم صغيرة بيضاء أشاعت جوا فواحا فى الحجرة جعل الأم تشهق من الاعجاب وهى تتأملها ٠

وقرب عادل الأصيص من وجه الأم وهو يقول لها بفخر شديد أنظرى اليها أليست أزهارا رائعة هيا خذى نفسا عميقا منها انها ستشعرك براحة شديدة ٠ وصمت برهة راح خلالها يتأمل الاعجاب الشديد الذى بدا على وجه الأم وهى ترنو الى الزهور الجميلة ثم قال لها بسعادة حسن هذه هى المفاجأة التى حدثتك عنها ٠ اننى ذاهب الآن الى السيدة العجوز كى اعطيها هذا الأصيص الذى وعدتها به فى آخر زيارة لى لبيتها ٠

ثم ضحك قائلا : هل كنت تتصورين أننى سأفعل شيئا كهذا ٠ ونظرت اليه الأم بحنان كبير ثم قالت له آه يا عادل انك لا تعرف كم ارتفعت فى نظرى الآن هيا اقترب منى ودعنى أقبلك ٠ وأمال عادل رأسه ناحيتها لتقبله ٠٠ ثم قال لها ضاحكا متى ستكفين يا أمى العزيزة عن معاملتى كطفل صغير ٠ اننى الآن رجل كبير كما ترين ٠ وضحكت الأم وهى تقول له ربما كنت رجلا كبيرا فى نظر الآخرين لكنك بالنسبة لى ستظل دائما طفلى الصغير الذى يحلو لى أن أدلله بين الحين والآخر ٠

وفجأة نظر عادل الى ساعته ثم قال مخاطبا أمه الوقت قد بدأ يتأخر ويحسن بى أن أنصرف الآن ٠٠ بالمناسبة هل تريدين شيئا

من صديقتك · قالت الأم ووجهها يفيض بالحنان كلا فقط بلغها سلامى وقل لها أن صديقتك تحب أن تراكى دائما فى بيتها · وصمتت برهة ثم أردفت قائلة بصوت واهن كأشـــعة الشمس التى بدأت تنسحب بسرعة من الحجرة · مسكينة هذه السيدة انها تجابه العالم بمفردها كأنها لم تنجب أولادا ذات يوم · اذن ما جدوى انجاب أطفال اذا كانوا لا يساعدون آباءهم فى شيخوختهم بل يتركونهم ينتظـــرون الموت فى وحدة قاتلة تماما كما أنتظره أنا · لكن عزائى الوحيـــد يا عادل أنك الى جوارى ولم تتركنى كالآخرين أليس كذلك · قـــال عادل وهو يحس بحزن عميق لنغمة اليأس المريرة فى كلام أمه ·· أرجوكى يا أمى لا تقولى مثل هذا الكلام مرة أخرى ·· اننى لا أريد أن أسمعه هل تفهمين·

وصمت برهة ثم أردف قائلا : المهم بالنسبة لنا نحن الاثنين أن نعيش معا أطول فترة نستطيعها وأن نبعد الأحزان عن حياتنا وألا نفكر أبدا فى الموت · ابتسمت الأم ولم تعلق على كلامه · وقال عادل لأمه وهو يحمل أصيص الفل بين ذراعيـــه أعتقـــد أنه يحسن بى الانصراف الآن حتى لا أتأخر على السيدة العجوز · فى الطـــريق مضى يتخيل وجه العجوز عندما يضع أصيص الفل بين يديها ·· لا شك انها ستبتهج به كثيرا ·· وأحس عادل بشعور دافىء يملأ قلبه لأنه سيقوم بعمل يمت الى الانسانية بصلة ما · ومضى عـــادل يهرول فى الطريق متعجلا الوصول الى البيت حتى يفاجئها عـــلى النحو الذى انتواه · وصعد السلالم فيما يشبه العدو ووضع اصبعه فوق جرس الباب ومر بعض الوقت دون أن يسمع صوت أقـــدام العجوز وهى تقترب لتفتح الباب أو صوتها الطيب العصـــبى النبرات يعلن عن قدومها بشىء من نفاد الصبر كما هى عادتهـــا دائما ·

كان الصمت المريب يخيم على الشقة رغم النور الخافت المنبعث من شراعة الباب الزجاجية · وظل أصبع عادل موضوعا فوق جرس الباب لفترة طويلة أخرى دون أن يجيبه أحد من داخل الشـــقة · وبدأ القلق يساوره لكنه حاول أن يطمئن نفسه بأن العجوز ربما كانت نائمة فلم تسمع جرس الباب وهو يرن لذا بدأ يطرق البـــاب طرقا عنيفا متواصلا حتى يوقظ العجوز من النوم · لكنه رغم ذلك لم يسمع أى صوت يتحرك داخل الشقة · وهنا أيقن عادل أن شيئا ما قد حدث للعجوز وأسرع يطرق باب الشقة المجاورة ·· وســـأل جيران العجوز عما اذا كانوا يعرفون ما اذا كانت بداخل الشـقة أم لا · وأجابه الجيران بأنهم لم يروها خلال اليومين الماضيين وانهم ظنوها فى زيارة لابنتها كما يحدث بين الحين والآخر فأخبرهم عادل بشكوكه وطلب منهم أن يصحبوه لكى يكسروا معا باب الشقة ·· فى الداخل كان الصمت رهيبا وكان نور حجرة النوم المضاء يقطع بوقوع كارثة ·

وأقبلت قطة العجوز تموء بطريقة مخيفة كأنهـــا تنتحب · وأضاء عادل نور الصالة وتأكد احساسه بوقوع الكارثة عنـــدما رأى المقاعد مقلوبة وأبصر خيطا من الدم يتجه الى حجرة النوم ·· وهرول عادل ومن معه الى حجرة نوم العجوز وهناك كان المشـــهد رهيبا ·· كانت العجوز ملقاة على أرض الحجرة الى جوار السرير مهشمة الرأس بينما بركة من الدماء المتجلطة تحيط برأسها وتلطخ ملاءة السرير البيضاء · وشم عادل رائحة كريهة تنبعث من الجثة التى كانت على وشـــك أن تتعفن · وأدار عادل بصره فيما حوله ليشاهد أن كل ما فى الحجرة قد عبثت به يد الجناة وقلبته رأسا على عقب ·

وأدرك عادل أن الجريمة قد حدثت بدافع السرقة والا لما حدثت كل هذه الفوضى الرهيبة ٠٠ كان دولاب الحجرة محطما وملابس العجوز وأشياءها الخاصة متناثرة على الأرض ٠ وجاء رجال البوليس وبدأوا فى تحقيق الجريمة التى حدثت ٠ وكان أول من سمعوه عادل الذى أخبرهم بقصة أصيص الفل واقتحام الشقة مع الجيران بعد الشكوك التى ساورته بخصوص العجوز ٠ وسأله رجل البوليس عما اذا كان يشتبه فى أحد ما يمكن أن يكون قد ارتكب الجريمة فأخبرهم بالشكوك التى تساوره تجاه شلة الشارع فهم أقدر الناس على ارتكاب هذه الجريمة فضلا عن حاجتهم الملحة فى الحصول على المال الذى تحتفظ به العجوز داخل شقتها ٠

ثم دلهم على المكان الذى كانت العجوز تحتفظ فيه بنقودها قائلا لهم أن العجوز أخبرته بذلك المكان لشدة ثقتها فيه ولأنها أرادت أن توضح له استحالة أن يعرف اللصوص المكان الغريب الذى تحتفظ فيه بنقودها ٠ وكانت المأساة أن رجال البوليس وجدوا النقود فى مكانها وأثبتت العجوز أنها كانت على حق غير أنها دفعت ثمنا باهظا لذلك هو حياتها ٠

وسمح له رجال البوليس بالانصراف الى منزله على أن يضع نفسه تحت تصرف النيابة لاستكمال التحقيق فى صباح اليوم التالى ٠٠ وعاد عادل الى البيت وهو يحس بأن العالم أصبح بلا معنى فما أسهل أن تنتزع حياة انسان لأتفه الأسباب فى الوقت الذى يعتقد فيه أن الوقت لم يحن بعد كى يموت ٠ لقد توجه لزيارة العجوز والأمل يحدوه فى أن يترك ابتسامة ما فوق شفتيها وعاد من هناك وقد ماتت الابتسامة فوق شفتيه هو ٠ ذهب اليها يحمل أصيصا صغيرا

به زهور جميلة توحى بالحياة · وعاد من هناك ورائحة الموت تملأ صدره · وبقى أصيص الفل الى الأبد فى بيت العجوز ·



كان عادل يشعر بقلق عميق على والدته فى الآونة الأخيرة خاصة بعد موت صديقتها الوحيدة تلك الميتة البشعة التى أدت الى انحطاط معنوياتها بصورة حادة اذ أحست بأن الدور أصبح عليها لتموت هى الأخرى · وكانت كلماتها الحزينة التى قالتها ذات يوم عن احساسها بقرب نهايتها تتردد فى نفسه كنغمة يأس قاتلة تزيده حزنا وقلقا عليها · ولم يكن قلقه منبعثا من فراغ · كان عادل مقتنعا بأن أمه العجوز المريضة قد أصبحت مهيئة تماما للموت وأن المسألة مسألة وقت يمر قبل أن تقع الفاجعة التى ستزلزل حياته وتجعلها خالية تماما من المعنى · اذ لم يكن عادل يتصور حياته بدون أمه الى جواره · وكان كلما فكر بأنه سيترك وحيدا بعد رحيلها عن هذا العالم أصيب بحالة يأس قاتلة تجعله يكره الحياة ولا يريد أن يعيشها ·

وكانت أمه بدورها تشعر بالقلق عليه اذ كانت متأكدة أنه بعد رحيلها عن هذا العالم لن يسأل عنه أحد حتى أخواته البنات المستغرقات فى حياتهن الخاصة واللاتى يتميزن بأنانية تصل الى درجة الحماقة لن يسألن عنه بدورهن ، اذ ما السبب الذى يدعوهن للسؤال عنه فى عالم قائم على تبادل المصالح وحدها حيث لا يمكن لعادل أن يفيدهن بشىء على الاطلاق ·

كان هذا الخوف المشترك من احتمالات المستقبل المجهول يربط بين الأم وابنها برباط يقوى مع الوقت بحيث أصبح كل منهما

لا يتصور حياته بدون الآخر • فبالنسبة لعادل ستصبح حياته جافة خالية من الحب وهو من ناحية أخرى لم تعد لديه الرغبة فى مصارعة عالم يناصبه العداء الشديد اذا لم يكن هناك قلب حنون الى جواره يجعله يجد جدوى من هذا الصراع • وعندما كان عادل يسرح بخياله الى احتمالات المستقبل البعيدة عندما تضطره سنوات الستين بأمراضها ووحدتها القاتلة لكى يربى قطا أو عصفورا صغيرا يملأ عليه حياته فانه كان يحس بانقباض شديد فى قلبه وبأنه أصبح يعاف حياة يمكن أن تنتهى به الى هذا المصير المخيف •

كانت والدة عادل قد بلغت الخامسة والستين من العمر ومنذ أن كانت فى الخمسين عندما أصيبت بالشلل لأول مرة فى حياتها أثر اصابة حادة من نزيف فى المخ وهى تعيش كمخلوقة من زجاج قابل للكسر فهى هشة رقيقة تخشى أن تصيبها نوبة جديدة ان لم تقض عليها فانها قد تأخذ منها ما تبقى لها من حواس تعيش بها وتتركها عالة على غيرها من الناس وهو أكثر ما كانت تخشاه فى حياتها •

وكان وعى الأم العميق بحالتها الصحية الدقيقة وتعلقها الشديد بالحياة ورغبتها فى أن تعيشها لأطول فترة ممكنة كى ترعى ابنها الوحيد كان كل ذلك يجعلها تفرض على نفسها نظاما علاجيا صارما لا تتزحزح عنه • فالدواء الخاص بهبوط ضغط الدم وسيولته وعديد أخرى من المقويات والمهدئات كانت تؤخذ فى مواعيدها المحددة وكان الرجيم القاسى يفرض نفسه على حياتها بطريقة صارمة فلا ملح يوضع على الطعام ولا بهارات ولا مواد دسمة •

وكان الطبيب يأتى للكشف عليها وتغيير بعض أصناف الدواء أو تعديل الرجيم الذى تتبعه كل فترة زمنية محدودة أو كلما أحست

هى · وهى دائما طبيبة نفسها الحقيقية بحاجتها الى ذلك ، كأن تحس بتنميل مفاجىء فى أطرافها أو بصداع حاد فى رأسها أو بانحطاط فى قواها الجسمانية · كانت كل هذه العوامل متضافرة تبقيها على قيد الحياة مجرد زجاج هش قابل للكسر فى أى وقت · كانت تجلس بالساعات فوق كرسيها المتحرك وفوق ساقيها المشلولتين شال من الصوف السميك يدفئها صيفا وشتاءا · ترنو من النافذة المفتوحة الى صديقتها الوحيدة الشمس وهى تبعث لها بدفىء يتسلل الى عظامها الرقيقة فيملؤها حياة وقدرة على المقاومة ·· وعندما كانت ترى البراعم الخضراء وهى تتفتح على أغصان الأشجار الجافة فى بداية الربيع كانت عيناها تلمعان بذلك البريق الهادىء المنبعث من قلبها الملىء بالدفىء ·· وفى الخريف عندما تبدأ الأوراق الخضراء فى الذبول والسقوط على الارض ، وعندما تبدأ الريح تصفر وهى تكتسح أمامها تلك الأوراق الذابلة كان قلبها ينكمش هو الآخر ويحس بالذبول كأنه احدى تلك الأوراق التى توشك على السقوط لتكتسحها ريح الموت فى الخريف ·

وكان الراديو الترانزستور الصغير الموضوع دائما فوق ساقيها هو صلتها الوحيدة بالعالم الخارجى تسعد وهى تحرك مؤشره بحثا عن صوت آدمى يشعرها بأنها ما زالت على قيد الحياة أو مقطوعة موسيقية تريح أعصابها · لكنها أحيانا كانت تلقى بنظرة فضولية على الشارع الذى تطل عليه النافذة المفتوحة التى تجلس الى جوارها وبقدر ما كانت تشعر بالسعادة لانها ترى العالم ولو على البعد فانها كانت تحس بالحزن لانها لا تستطيع أن تشارك الناس حياتهم فى ذلك العالم الصاخب الذى يعيشون فيه · كان عالمها هو تلك الشريحة الضيقة من الشارع التى تراها من النافذة المفتوحة ·· ثم تلك الصور العديدة التى يحملها اليها الراديو

الترانزستور الموضوع فوق ساقيها ·· كان عالما مليئـــا بالانتظار والملل إلى ما لا نهاية · وكان كل شيء يسليها ·· حتى نشرات الأخبار كانت تسليها هي الأخرى · وفي المساء كانت تجلس بالساعات أمام شاشة التليفزيون حتى يغلبها الارهاق فتطلب من ابنهـــا عادل الجالس الى جوارها أن يحملها الى الفراش لتنام ·

أحيانا كان عادل يلمح تلك النظرات الحزينة تطل من عينيهـا

وهي ترنو بهما الى الناس الذين يتحركون في الشارع من تحتها فكان يقول لها باشفاق ومرارة تقطر من بين شفتيه · آه يا أمي العزيزة لو تعلمين كم أنت محظوظة لأنك لا تضطرين للخروج الى الشارع ومقابلة هؤلاء الناس ·· انك لا تعرفين كم هم وحوش وجبناء لا يرحمـون بعضهم البعض · ان العالم الطيب الذي تعرفينه قد انتهى الى الأبد وحل محله عالم آخر شرير محظوظ بالتأكيد من لا يشارك فيه ·

وكان عادل كلما نظر الى أمه المسكينة المتقوقعة على نفسها في عزلة اضطرارية حزينة تأكد لديه الاحساس بأن العالم الـذي يعيشان فيه عالم ظالم وشرير لأنه يكافىء انسانة طيبة مثلها بمثل هذه المكافأة الظالمة ، وكان يحس أن واجبه يحتم عليه أن يغدق عليها مزيدا من الحب والرعاية ·· أن يحافظ بكل ما يملك من قوة عـلى زجاجها الرقيق الملحوم بالأدوية والمسكنات حتى تعيش لأطول فترة ممكنة · لكنه أحيانا وهو يفعل ذلك عن طيب خاطر كان ينتابه احساس غريب يجعله يشعر بالخجل من نفسه اذ كان يحس أنه لا يفعل ذلك بدافع الحب وحده بل أيضا بدافع الأنانية · فهو يريد لأمه أن تعيش ولو في صورة زجاج قابل للكسر في أي وقت ولو تحملت عذابا فوق طاقة البشر ليس فقط من أجل نفسها بل من أجله هو أيضا ، من أجل ألا يعيش وحيدا في هذا العالم المجنون ·

وكان احساسه بالخجل من نفسه يجعله يضاعف من رعايته الشديدة لأمه التى كان يريد لها أن تعيش مهما كانت الدوافع وبأى صورة من الصور لأن الحياة فى رأيه خير من الموت · وكان عادل لا يفتأ ينتهز المناسبات لادخال شيء من السرور على قلب أمه المسكينة · فكان يقدم لها الهدايا البسيطة التى تثلج قلبها بين الحين والآخر ·· الفول السودانى الخالى من الملح الذى تحبه ·· باكو الشوكولاته الكبير الذى كانت تلتهمه بسعادة طفلة عاشقة للحلوى ·

وفى عيد ميلادها كان يبتاع لها هدايا أكثر قيمة · شال من الصوف تضعه فوق ساقيها ·· زجاجة عطر غالية الثمن ·· زوجا من الجوارب الصوفية تدفىء قدميها فى ليالى الشتاء الطويلة ·· وابتسم عادل فى سعادة وهو يتذكر كيف كانت والدته تفرح لهذه الهدايا البسيطة لأنها ترمز الى شيء عميق يربط بينهما · أحيانا كانت تفاجئه قائلة كأنها فتاة فى العشرين من العمر ·· انظر الى الثوب الجديد الذى أحضرته الخياطة اليوم يا عادل أليس رائعا ·· حينئذ كان عادل يشعر بعاطفته تقوى نحوها فكان ينحنى عليها ويقبلها بحنان شديد فوق جبينها أو يمسح بيده العطوفة على شعر رأسها الأبيض الذى أخذ مع الوقت ومع اشتداد المرض عليها فى التساقط بغزارة حتى أصبح أشبه بنسيج قطنى خفيف يكاد يطير من فوق رأسها لكنه بالنسبة له كان أغلى شيء فى الوجود ·

وكان عادل يشعر عندما تضمه والدته بين ذراعيها وذلك الحنان الغامر الذى يحتويه قلبها يتدفق فى حناياه · أو عندما تمسح بيدها الطيبة الحنون فوق شعر رأسه برقة لم يعرفها من انسانة غيرها فى حياته كان يشعر بأنها وهى العجوز الضعيفة قد نقلت

اليه قوة يستطيع بها أن ينازل كل شرور العالم · ومع الوقت تحولت الصلة بين عادل وأمه الى رباط عميق قوامه الحب وحاجة كل منهما الشديدة للآخر بحيث كان عادل يصاب بالرعب عندما يتصور امكانية فقدها يوما ما · وكان عادل يتصور أنه باحتوائه الحنون لأمه قادر على ابعاد شبح الموت عنها · ذلك الشبح الذى أخذ يحوم عن قرب فى الأسابيع الأخيرة حيث كان عادل قلقا على حالة والدته الصحية اذ كان الأعياء الشديد يبدو واضحا عليها معظم الوقت وكانت نظراتها حزينة ساهمة كما لو كانت تشعر بقرب نهايتها ·

أحيانا كان يلمحها تختلس النظر اليه بطريقة غريبة يختلط فيها الحب بالاشفاق كأنها تأسف لأنها ستتركه وحيدا بعد أن تموت· كانت هذه النظرات تفجر فى قلب عادل كل ينابيع الحب والحزن بطريقة تدفعه الى اغداق مزيد من الحب والرعاية عليها · كان يجلس الى جوارها طوال فترة بقاءه فى المنزل يشاهدان التليفزيون أو يقص عليها أخبار العالم الخارجى أو حتى يقول لها بعض النكات ليضحكها ويخفف عنها · وبين الحين والآخر يحضر لها هدية من النوع الذى يثلج قلبها · واليوم قرر عادل أن يبتاع لها هدية ثمينة رغم أنه لم تكن هناك مناسبة لذلك فقط أراد أن يفرحها ويظهر شعوره نحوها ·

وخرج من عمله مبكرا حتى يلحق بالمحلات التجارية قبل أن تغلق أبوابها فى فترة الظهيرة · ومضى يتجول فى شوارع وسط البلد يتأمل واجهات المحال المتخمة بالبضائع ويفكر ماذا يبتاع لعجوز مشلولة فى الخامسة والستين من العمر · انها حقا مشكلة عويصة فالمصانع لم تعد تعبأ بالمتقدمين فى السن بل بأولئك الذين

يبدأون حياتهم . فالبلوزات الجميلة والفساتين الأنيقة وبنطلونات الجينز الضيقة والحقائب الجلدية الفاخرة وأدوات الماكياج والأحذية كلها للشابات فى مقتبل العمر .

وفكر عادل أن يبتاع لوالدته زجاجة عطر ثمينة لكنه سرعان ما استسخف الفكرة اذ كان يعلم أنه لديها أكثر من كفايتها من تلك الزجاجات الصغيرة الغالية الثمن . وفكر أن هديته لأمه لابد وأن تكون ذات نفع معين والا يكون لديها مثيل لها . لكنه لم يستطع رغم ذلك أن يحدد نوع الهدية التى يتعين عليه أن يبتاعها لها . وفجأة وهو واقف يتأمل واجهة أحد محال الأحذية وقد كاد يصيبه اليأس أبصر الشيء الذى جسد الفكرة التى كانت تدور فى ذهنه فى تلك اللحظة . كان خفا جميلا من النوع الذى يستعمل داخل المنزل .. وكان مصنوعا من فراء حيوان نادر وكان الثمن الباهظ الموضوع فوقه يؤكد ذلك .

وأحس عادل بفرحة شديدة لأنه عثر أخيرا على الهدية المناسبة لوالدته . فهذا الخف الصوفى الجميل سيدفيء قدميها فى ليالى الشتاء الذى كان قد بلغ أقصى ذروته فى ذلك الوقت . ولم يتردد ودخل الى المحل وخرج منه بعد قليل وهو يحمل بين يديه صندوقا صغيرا من الكرتون يحوى فى داخله هديته الجميلة لوالدته . ولم يطق عادل أن يتسكع فترة أخرى من الوقت فى الشوارع ذات الواجهات المغرية . كان يريد أن يفتح عينيه فجأة فيجد نفسه قد وصل الى المنزل . وكان لا يكاد يصبر على مشاهدة تعبير الفرحة الغامرة فوق وجه والدته عندما يقدم لها هديته الثمينة . ووصل الى المنزل بسرعة ووضع المفتاح فى قفل باب الشقة وأداره بهدوء ثم

راح يتسحب على أطراف أصابعه حتى لا تحس به والدته فتفسد المفاجأة التى أعدها لها ٠

كانت جالسة كالعادة فوق كرسيها المتحرك الى جوار نافذة كان زجاجها المغلق يسمح لأشعة شمس الشتاء الدافئة أن تتسلل من خلاله وتستلقى فى دعة فوق ساقيها المغطين بشال من الصوف السميك ٠ وكانت ملامحها الهادئة السعيدة تعطى انطباعا بأنها تستمتع بجلستها الوادعة هذه ٠ وبرغم أن عادل كان حريصا على ألا تشعر به قبل أن يصل اليها الا أنها أحست بوقع خطواته وهى تقترب منها فالتفتت ناحيته ٠٠ وعندما رأت ملامحه الضاحكة فى خبث ويديه اللتين يخفيهما وراء ظهره أيقنت أنه جاء لها بهدية ما وأنه يريد أن يفاجئها بها ٠ فنظرت اليه متهللة الوجه وسألته ضاحكة عما يخبئه وراء ظهره ٠ فقال لها عادل حذرى يا أمى ماذا أحضرت لك اليوم ٠

قالت وعيناها تلمعان من السعادة وكيف لى أن أعرف وأنت تخبىء ذلك الشىء وراء ظهرك ٠٠ قال عادل مراوغا لا تحاولى أن تجبرينى على أن أريكى ذلك الشىء قبل أن تخمنى ما هو أولا ٠٠ قالت والدته باستسلام واللهفة تطل من عينيها على الأقل قل لى هل هو شىء يؤكل أم يلبس ٠ قال عادل ضاحكا انك تصرين على افساد المفاجأة يا أمى لكنى سأقول لك حتى أسهل عليك الأمور ٠٠ انه شىء يلبس ٠٠ قالت والدته بفرح وسذاجة أنه فستان اذن ٠ قال عادل بخبث كلا انه أصغرمن ذلك بكثير ٠ قالت والدته وهى تهز كتفيها فى يأس لقد حيرتنى يا عادل هيا قل لى ما هو ٠ قال عادل ضاحكا وهو يقدم لها الصندوق الكرتون ٠٠ هيا افتحيه وانظرى بنفسك ما فى داخله ٠

وفتحت الأم الصندوق وأطلقت شهقة اعجاب وهى تخرج منه الخف الصوفى الجميل • وقال لها عادل ووجهه متألق من السعادة لقد أعجبك أليس كذلك •• كنت متأكدا ان ذوقى سيروق لك •• ونظرت الأم الى ابنها بعينين تفيضان حنانا ثم قالت له بلهجة رقيقة عادل اقترب منى ودعنى أقبلك • وبعد أن أفلتته من بين ذراعيها قالت له بحب عميق عادل اننى لا أدرى ماذا كنت سأصنع بدونك من كان سيفكر أن يقدم لى هدية جميلة مثل هذه •• واغرورقت عيناها بالدموع وبذلت مجهودا كبيرا حتى لا تجهش بالبكاء وتأثر عادل الى أقصى حد من عاطفة والدته الصادقة نحوه واغرورقت عيناه بالدموع هو الآخر ووجد نفسه يقول لها بكل الحب الذى يشعر به نحوها بل قولى لى أنت ماذا كنت سأصنع بدونك يا أمى الحبيبة •

وأحس فجأة بالحزن الذى يشعر به فى كل مرة يفكر فيها فى احتمال رحيل والدته عن هذا العالم وتركه وحيدا من بعدها • لكنه حاول بصعوبة شديدة •• ان يتماسك وان يبدو مرحا حتى لا يفسد عليها بهجة اللحظة النادرة التى تعيشها • وبحنان بالغ طلبت الأم من ابنها أن يدخل الى حجرته وأن يغير ملابسه استعدادا لتناول طعام الغداء • وبينما كان عادل فى حجرته وقد راح يصفر بفمه لحنا مرحا يعبر به عن سعادته البالغة اذا به يسمع طرقات عنيفة على باب الحجرة وانقبض قلب عادل فقد حدثته نفسه بأن الكارثة التى ظل يترقب وقوعها بين الحين والآخر قد وقعت بالفعل • وقفز بسرعة ليفتح الباب • وتأكدت مخاوفه وهو يرى وجه الخادمة الممتقع من الخوف والتى عجزت تماما عن النطق وهو يصرخ فى وجهها يسألها عما حدث •

وأشارت الخادمة الى حيث تجلس والدته ثم انخرطت فى بكاء عنيف جعل عادل يهرول ناحيتها كالمجنون ليفاجأ بمشهد رغم انه

كان يهىء له نفسه منذ فترة من الوقت الا أنه فجر فيه كل ينابيع الرعب والحزن التى كانت تنتظر لحظة كهذه لتنفجر بصورة درامية عنيفة · ووقف عادل للحظات بدت برغم قصرها طويلة ورهيبة يتأمل بمشاعر جامدة المشهد المفزع الذى يراه أمامه · كانت رأس والدته منكفئة على صدرها وقد راحت فى غيبوبة تامة كانت عيناها خلالها زائغتين لا تبصران شيئا أمامهما ·· وكان فمها مفتوحا ينساب منه خيط رفيع من رغاوى بيضاء أخذت تتساقط على ملابسها فى الوقت الذى ارتفع فيه شخيرها عاليا ينبىء عن مدى التدمير الشديد الذى حدث بداخلها ·

وقالت الخادمة ودموعها الغزيرة تنساب من عينيها حدث هذا بينما كنت أضع الأطباق على المائدة سمعت شخيرها المفاجىء فأسرعت اليها لأفاجأ برأسها قد مال على صدرها · هززتها من كتفيها لكنها لم ترد على ·· ما الذى حدث لها يا أستاذ عادل اننى أخشى أن يكون قد حدث لها نزيف المخ من جديد · ثم أخذت الخادمة تنتحب بشدة وهى تردد من أعماق قلبها فى شبه هلوسة آه يا سيدتى المسكينة انك لا تعرفين كم نحن بحاجة اليك · أرجوكى لا تتركينا الآن ·· لا تتركينا الآن ·· وفجأة تنبه عادل لنفسه وبدأ يفكر فيما ينبغى عمله لمجابهة الكارثة التى حدثت · ان ما كان يخشاه طول الوقت قد أصبح الآن حقيقة واقعة تمسك بخناقه وتصيبه بنوع من الشلل النفسى التام ·

ان والدته المسكينة تموت الآن أمام عينيه ويداخله شك كبير فى أنها ستنجو بنفسها كما فعلت فى المرات السابقة التى أصابها فيها نزيف المخ اللعين · ان حالتها الآن تنبىء بأنها قطعت نصف المسافة بين الحياة والموت فى تلك الرحلة الأبدية التى تثير فى كل

مرة نفس القدر من الرعب والحزن · وأدرك عادل أن ما ينبغى عمله الآن يعتمد بالدرجة الأولى على تمالكه لأعصابه فبدأ يحاول السيطرة على مشاعره ويدع لعقله فقط أن يجابه الموقف ·

كان شخير والدته يرتفع مع الوقت ليصيبه بيأس كامل من امكانية انقاذها من الموت اذ كان يدرك من المرتين السابقتين اللتين أصيبت فيهما بنزيف فى المخ ما يعنيه هذا الشـــخير ·· وكانت شفتاها الزرقاوتان عاجزتين عن ايقاف كمية الرغاوى المتزايدة التى تنساب من فمها وتغرق صدرها · وبدأ عادل يحاول أن يفـكر فيما ينبغى عليه عمله لانقاذ والدته من المحنة التى تمر بها · كان الموقف محيرا ومثيرا للارتباك ولم يجد عادل ما يفعله سوى أن يربت خد والدته بشىء من القوة لعله يفيقـــــها من حالة الغيبوبة التى تعيشها · لكنها لم تشعر رغم ذلك بشىء · وظلت عيناها زائغتين ورأسها مائل على صدرها والرغاوى تنساب من بين شفتيها · ورفع عادل ذراع والدته الى أعلى ثم تركها فسقطت دون أن تتمكن من السيطرة عليها · ثم حرك يده أمام عينيها فلم تتحرك حدقتاهما · وأحس عادل من شدة ارتباكه أنه يريد أن يرتمى على صدر والدته ويجهش بالبكاء · لكنه كان يدرك أن الاستسلام للعواطف لن يساعد والدته على اجتياز المحنة الرهيبة التى تمر بها والتى كان يشـــك فى أنها ستتمكن من اجتيازها بســــلام كما فعلت المرتين اللتين سبقتاها ·

كان عادل موقنا أن عجوزا أصيبت بهذا التخريب المدمر فى شرايين مخها لن تتمكن من النجاة للمرة الثالثة فى حياتها ·· فى المرتين السابقتين تحولت هذه السيدة الشجاعة من انسانة قادرة على التحرك فوق ساقيها الى انسانة عاجزة عن الحركة الا وهى

جالسة فوق مقعد ذى عجلات · وفى الشهور الأولى للاصابة كانت أيضا عاجزة عن الكلام · وكانت ملامحها ونظرات عينيها تعكسان الرعب الذى يعيش فى داخلها من استمرار هذه الحالة الميئسة ·· لكن مع استمرار العلاج بدأ لسانها يفك واكتسبت قدرتها على الكلام من جديد بطريقة تدريجية · ولم يكن الأمر سـهلا أو حتميا فى حالتها لكنه كان يعتمد بالدرجة الأولى على ارادة من حديد امتلكتها هذه السيدة الشجاعة ارادة جعلته يقف أمامها مذهولا وفخورا فى نفس الوقت ·

كانت تحاول أن تنطق الكلمات كما لو كانت طفلا صغيرا يتعلم الكلام لأول مرة فى حياته · لم تكن تشعر بالحرج أو اليأس وهى تنطق بعض الكلمات الصعبة أكثـر من مرة لتصـل الى الطريقة الصحيحة لنطقها · وعندما كانت تصل الى هذه النتيجة بعـد المجهود الخرافى الذى بذلته كان وجهها يتألق من السعادة وكانت تنظر الى المحيطين بها كأنها تسألهم رأيهم فى النجاح الذى حققته ·· وكان الجميع يصفقون لها ويتمنون لها النجاح فى نطق المزيد من الكلمات الصعبة · وكان قلب عادل المليء بالحب والاشفاق على والدته يتعلم معها الكلام كلمة كلمة وكان يشعر بنفس الفرحة عندما يفلح فى نطق احدى الكلمات الصعبة ·

وكان الشيء الذى أبهج قلبه وجعله يدرك قيمته عندها ان اسمه كان هو أول كلمة نطقت بها السيدة العجوز بعد أن بدأ لسانها ينطق الكلام من جديد · وحتى قبل أن تستعيد قدرتها على الكلام كانت تنظر بعينيها الى المحيطين بها ثم توجهها اليه · كأنها تستحثهم على الاهتمام بشئونه الخاصة · وبعد أن اجتازت السيدة الشجاعة محنة الكلام بدأ اهتمامها ينصرف الى تقوية قدرتها على النهوض والسير

على قدميها من جديد . ومن حسن حظها ان اصابتها الطولية بالشلل كانت تسمح لها بذلك .

وهنا بدأ معدن هذه السيدة النادر يظهر لعيون المحيطين بها مثيرا فى نفوسهم أقصى درجات الاعجاب والتقدير . كانت تقوم من فوق كرسيها المتحرك وتحاول أن تجر ساقها المشلولة فى محاولة مستميتة للسير داخل حيز الشقة المحدود وذلك لتبعث النشاط فى ساقيها حتى لا تقعدان بها عن الحـــــركة . وكثيرا ما كان عادل يشاهدها وهى تدلك ساقها المريضة بيدها السليمة باصرار يدعو الى الاعجاب حتى تبعث النشاط والحيوية فى خلاياها الميتة . ودائما كانت متنبهة لتناول الدواء فى مواعيد منتظمة كانت تحفظها كالساعة وكانت لا تسمح تحت أى ظرف من الظروف بالخـــــروج عن نظام غذائها الصارم مهما كان الاغراء الذى تتعرض له .

كان كفاحا بطوليا مارسته هذه السيدة الشجاعة منذ أول مرة أصيبت فيها بالشلل كى تبقى على قيد الحياة وتبقى متحــركة وقادرة على الكلام . والآن ها هو كل شىء يوشــــك أن يضيع الى الأبد .. البسالة والاصرار على البقاء على قيد الحياة فى صورة قادرة لا تعتمد فى وجودها على مساعدة الآخرين أو اشفاقهم .. ان والدته تموت الآن لا شك فى هذا وهو يقف أمامها عاجزا عن عمل أى شىء ينقذها من الموت .. انها تغرق فى فيضان الدم الـــذى أحدثه نزيف المخ المفاجىء .. انها تخوض حربا باسلة ضد قوى لم تعرف الهزيمة فى حياتها .. وما يحزنه أنه لا يستطيع أن يخوض معها هذه الحرب الضارية لأنها تدور فى داخلها .. فى داخل تلك الشرايين الرفيعة التى تغلف مخها بل انه حتى لا يستطيع أن يخفف

عنها آلامها الرهيبة التى أصبح يشك فى أنها تشعر بها بعد أن راحت فى غيبوبة مطلقة ·· ما يحزنه أنه لا يستطيع أن يمد اليها يده ليشعرها بوجوده الى جوارها ·

انها الآن فى اللحظة الفريدة فى حياة الانسان التى يصبح فيها وحيدا تماما الا من تلك القوى فى داخله التى تستميت فى الدفاع عن نفسها ·· تلك القوى الحية التى تقاوم الغرق فى فيضان الموت المندفع نحوها · وأحس عادل باليأس المطلق من أن يقول أو يفعل شيئا يخفف من آلام أمه أو ينقذها من الموت · فالنهاية قريبة وحتمية ·· وسيطر عليه حزن فظيع جعله يهذى ببضع كلمات دون وعى منه · ما الذى حدث لك يا أمى تكلمى أرجوكى · كنت طبيعية منذ لحظات قليلة وكنت سعيدة بالهدية التى أحضرتها لك ·· طلبتى منى أن أخلع ثيابى وأن أستعد لنتناول معا طعام الغذاء · والآن ها أنت ترحلين وتتركينى وحيدا من بعدك ·· كيف سأتمكن من أن أعيش دون أن توجدى الى جوارى يا أمى ·· صدقينى أننى أفضل الموت على هذه الحياة ·

وفجأة لم تعد أعصاب عادل قادرة على التحمل أكثر من ذلك انفجر فى بكاء عارم أثار شفقة الخادمة الواقفة الى جواره فوضعت يدها فوق كتفه برفق بالغ وقالت له مواسية سيدى عادل أرجوك ان البكاء لن يفيدك بشىء ·· ان ما نحتاجه الآن هو أن نسيطر على مشاعرنا وأن نعرف ما الذى ينبغى علينا أن نعمله ·· ان كل ثانية تمر لها قيمتها ·· علينا أولا أن نستدعى طبيبا على الفور وعلينا أن نبلغ النبأ الى أخواتك البنات فوجودهن ضرورى للغاية · وأمسك عادل سماعه التليفون وطلب من طبيب والدته الخاص أن يحضر

على الفور بعد أن شرح له خطورة الحالة لكن نفسه لم تطاوعه على طلب واحدة من أخواته البنات ٠ ناول السماعة الى الخادمة وقال لها بضيق بالغ اطلبيهن أنت ٠ وبدأ شريط طويل من الذكريات الأليمة يتوافد على مخيلة عادل ٠

انه لا يستطيع أن ينسى موقفهن المخجل الأنانى من والدتهن العجوز المريضة خلال حياتها الطويلة ٠٠ الفترات الطـــويلة التى كانت تمر قبل أن تزورها واحدة منهن لتمضى معها بعض الوقت كأى ضيفة غريبة ودون أن تكلف نفسها عناء ســـؤال العجـوز المريضة عن الكيفية التى تقضى بها حياتها ٠٠ كيف تتغلب على وحدتها القاتلة ٠٠ من يعطيها الدواء بانتظام ٠٠ ما نوع الأطعمة التى تتناولهـــا والتى لا تتعارض مع نظام علاجها الصارم ٠٠ هل تنام جيدا أثناء الليل وما الذى يحدث اذا ما احتاجت الى شىء فى تلك الأثناء ٠٠ من يدلك لها ظهرها أثناء الاستحمام ٠٠ أشياء عديدة كان اعتمادهن الكلى فى قضاءها للعجوز الوحيدة على تفيدة الخادمة التى كانت تقوم بها باخلاص وتفان يفوق اخلاص البنتين الجاحدتين تجـــاه أمهما ٠

لكن غباء الابنتين الغريزى وبلادة مشاعرهن لم تمكنهن من ادراك أن هناك شيئا لا تستطيع الخادمة الغريبة مهما بلغ تفانيها أن تعطيه لسيدتها ٠٠ انه حب الابنة لأمها ٠٠ انه صلة الدم القوية بين الاثنتين ٠ والغريب أن الأم الطيبة كانت تكتفى دائما بالقـــدر الأدنى من اهتمام ابنتيها بها لأنها كانت تعلم فى قرارة نفسها أنهن غير قادرات على اعطاء المزيد ٠ وكثيرا ما كانت تكلف واحدة من قريباتها الفقيرات ببعض المهام التى كان يتعين على ابنتيها القيام بها بأنفسهن ٠ كتفصيل بعض الملابس أو شراء بعض الحاجيـــات

الضرورية للعجوز مقابل ما كانت تجريه على قريبتها الفقيرة هــذه من صدقة شهرية ٠ بل أن الأم فى الأحوال التى كانت تتوعك فيهــا صحتها دون أن تحس بخطورة حقيقية على حياتهـــــا كانت ترفض استدعاء واحدة من ابنتيها للبقاء الى جوارها خلال فتــرة مرضها خوفا من أن تثقل عليها ٠

وكان هذا السلوك الطيب من جانب الأم يثير حنـــــق عادل الشديد ويدفعه الى الاحتجاج ضده بشتى الطرق ٠ لكن الأم لم تكن تبالى بهذا الاحتجاج بل كانت تبرر اهمال ابنتيها لها بعظم المسئوليات الملقاة على عاتقهن تجاه بيوتهن وأزواجهن فلا ينبغى أن يطلب اليهن أيضــا تحمـــل عبء اضافى تجاه والدتهن العجوز المريضة ٠ وكان عادل يرفض هذا المنطق المسرف فى الرحمة من جانب الأم لأنه يؤمن أن واجب الابنتين قبل أمهما يأتى مفضلا على واجبهما تجـــاه أزواجهن وبيوتهن

لكن الأم كانت تبتسم فى طيبة وتقول لابنها لكنى قانعة بما يقدمانه لى من رعاية فلماذا تشغل نفسك أنت بهذه الأمور ٠ لماذا لا تحاول أن تلتمس بعض العذر لأختيك وتحبهن كما ينبغى أن تفعل ٠ لكن عادل لم يستطع أن يحب أختيه تحقيقا لرغبة والدته ٠٠ كانت الأنانية واللامبالاة تقف حائلا دون نفاذ الحب الى قلبه ٠٠ تذكـر عادل هذا الشريط الدامى والخادمة تحاول الاتصال بأختيه متمنيا ألا يتمكنا من الحضور رغم شدة حاجته اليهما فى تلك اللحظة ٠٠ لكنهما حضرتا مهرولتين وفى أثرهن جاء الطبيب الذى أجرى الكشف على المريضة التى نقلوها الى حجرة النوم وأراحوها على ظهرها فوق الفراش ٠

كانت الأم ما تزال غائبة عن الوعى · وكانت أنفاسها تتباطأ مع الوقت حتى خشى عادل أن تتوقف بين لحظة وأخرى ·· وناول الطبيب روشتة الدواء لعادل طالبا منه احضار ما فيها على الفور على أن يبدأ اعطاء الحقن لوالدته فور وصول الممرضة التى وعد بارسالها من المستشفى · وقرأ عادل بقلب مرعوب كلمة النهاية فى عينى الطبيب دون أن ينطق بها لسانه · أحس أن الطبيب يشعر بالهزيمة مقدما أمام الموت وأنه يقوم بعمل روتينى لارضاء ضميره فحسب · ولأول مرة فى حياته وضد كل مشاعره وأحاسيسه بل ووجوده الحى نفسه تمنى عادل لوالدته أن تموت حتى لا تتعذب بلا فائدة ·

كان يعلم أنها حتى اذا نجت من الموت هذه المرة فانها لن تعود قادرة على الحركة أو الكلام وهو أشد ما كان يرعبها فى المرتين اللتين أصيبت فيهما بالمرض من قبل · كان عادل ممزقا بين شعورين متناقضين تجاه أمه المسكينة · شعوره بضرورة بقاءها على قيد الحياة من أجل نفسها ومن أجله هو أيضا · وشعوره بضرورة أن تموت حتى تتخلص من حياة معذبة لا يعلم أحد سوى هى نفسها كيف عاشتها حتى الآن ·

وسأل عادل الطبيب بلهجة يائسة حزينة هل ستعيش يا دكتور وأجاب الطبيب بأنها اذا استطاعت الصمود للأربع وعشرين ساعة القادمة فانها ستتمكن من النجاة بحياتها · لكنه أردف قائلا لكنى لا أستطيع أن أضمن عودتها الى الحالة التى كانت عليها من قبل · ان جسدها الضعيف لم يعد يتحمل الاصابة بنزيف المخ للمرة الثالثة فى حياتها · وخرج عادل من المنزل كى يبحث لوالدته عن الدواء · وبرغم يأسه من أن تعيش كما كانت من قبل الا أن رغبته العميقة

كانت هى أن يهزم المو ت الذى كان يسابقه رأسا برأس ٠٠ هذا الموت اللعين الذى يريد أن يسلبه الانسانة الوحيدة التى يحبها فى هذا العالم ٠

كانت الأدوية المطلوبة لانقاذ والدته من الموت من النوع الذى لا يتوافر دائما فى الأسواق ٠ واضطر عادل تحت الحـــاح الوقت الذى يمضى بسرعة ورغبته الحميمة فى انقاذ والدته من الموت الذى يخوض معركته الناجحة فى جسدها الى التنقل بين عدة صيدليات متباعدة كى يحصل على بغيته ٠ وعاد بسرعة الى البيت وشـــعور بالراحة يسيطر عليه لأنه حقق مهمته بنجاح ٠ ودخل الى حجـــرة النوم ليلقى نظرة على والدته حيث كانت كل من أختيه جالسة على حافة الفراش معتمدة رأسها بيدها فى صمت بينما الحزن والجمود قد حولا وجهها الى حجر لا ينطق ٠ وأحس عادل أن شيئا عميقـــا وصامتا يجمع بينه وبين أختيه ٠ شيئا ترمز له وتبلوره انســـانة عاجزة تماما عن الوعى والحركة لكنها موجـــودة كأقوى ما يكون الوجود بينهم ٠

وبرغم ذلك لم يحس عادل أن ذلك الشىء العميق والمؤثر قد جعله يحب أختيه ٠ قد يكون متعاطفا معهما لكنه ما يزال يكرههما فى أعماقه ويعتبرهما انتازيتين منافقتين لا أكثر ٠ فالكارثة عندما تقع لن تصيب أحدا سواه فهو وحده الذى سيشعر بفداحة رحيـل أمه عن هذا العالم وهو وحده الذى سيبكيها من قلبه وليس لمجرد أداء واجب ثقيل أمام الناس ٠ كل من أختيه المتظاهرتين بالحـــزن لديها حياتها الخاصة المشبعة والاشخاص الذين يبددون وحدتهـا أما هو فليس لديه سوى الفراغ القاتل ٠٠ الحياة الخالية من المعنى بعد أن ترحل والدته عن هذا العالم ٠

وتذكر عادل باحساس شديد بالمرارة يوما قالت له فيه والدته أنها بعد أن تموت فان أختيه لن تتركاه يعيش وحيدا بل ستعرضان عليه أن يعيش معهما تحت سقف واحد · وابتسم عادل فى حزن وهو يردد بصره بين وجه أمه الغائبة عن الوعى ووجهى أختيـــــه الجامدين اللتين يعلم عن يقين أنهما لن تنطقا أبدا بهذا العرض الذى سيرفضه بالتأكيد حتى لا تتورطا فى شىء · انه يعلم أنه سيعيش وحيدا لأن أختيه الأنانيتين ستعملان على أن يعيش وحيـــدا أو علــى الأقل لن تباليـــا لــو أن ذلك حـــدث له · وأنــه فـــور أن تموت الأم سيكون أول ما تفعلاه أن تنسلخا عنه الى الأبد · ورفعت واحدة من أختيه وجهها اليه وقالت متظاهرة بالحزن لقد انقضت أكثر من ساعتين حتى الآن ولم يحدث أى تغيير ·· انها حتى لـــم تفتح عينيها مرة واحدة ولم تشعر بوجودنا الى جوارها · وقالت الأخرى وهى تتنهد فى حزن لو استطاعت الصمود حتى الصـــباح فربما كان هناك أمل فى انقاذ حياتها ·

ونظر اليها عادل بكراهية فقد كان يعلم أنها تقول هذا الكلام من وراء قلبها وأن حياة أمها أو موتها لا تعنيانهـــــا فى شىء ولا يخالجه أدنى شك فى أنها تفكر متى ستنقشع هذه الغمة لتعود الى زوجها وأولادها من جديد · وقال لها باشمئزاز وماذا سيحدث لها اذا بقيت على قيد الحياة هل فكرتما فى هذا أم أنكما تريدان فقط أن تعيش بأى ثمن ولو جثة عاجزة عن الحركة أو الحياة ·· هـــل فكرتم كيف ستقضى حاجتها فى الفراش لأنها عاجــــزة تماما عن الحركة وأى ألم واحساس بالهوان سيسببه هذا لها وأنتما تعلمان جيدا أى انسانة حساسة خجولة هى ·· ثم العجز عن الكلام وما سيسببه هذا لها من تعاسة تكاد تصل بها الى الجنون · هل فكرتما فى هذا أيضا ·

وأحس عادل أنه لن يستطيع احتمال النظر الى وجه أختيه المنافقتين أكثر من ذلك فأسرع بمغادرة الحجرة لينفرد بنفسه بعيدا عنهما • فى الصالة الصغيرة حيث تعود هو ووالدته أن يقضيا معظم وقتهما جلس على نفس المقعد الذى احتوى والدته قبل ساعات قليلة • كان باردا بلا حياة • وسرى فى داخله شعور لم يستطع التخلص منه بأن أمه رحلت عن هذا العالم وأن حياته أصبحت مجرد ذكرياتينبض بها قلبه بين الحين والآخر لكنها مجرد ذكريات لن تعود على الاطلاق •

وأحس بألم عميق يعتصر قلبه وألقى بنظرة من النافذة المفتوحة على نفس المنظر الثابت الذى تعودت والدته أن تراه طوال العشرين عاما الماضية وأحس أنه لم يشعر أبدا بعذاب هذه السيدة الباسلة وقدرتها البطولية على الاحتمال والصبر كما يحس بها الآن •• لو أنه كان فى مكانها لأصيب قطعا بالجنون أو على الأقل لما بدا هادئا صبورا بالصورة التى بدت عليها طول حياتها • كان ظلام الشارع والمصابيح الخافتة التى تظللها فروع الأشجار الكثيفة التى تتلاعب مع نسمات الهواء التى بدأت تهب مع حلول الظلام والسكون الذى يخيم على العالم •

كان كل ذلك يملأ قلب عادل بالحزن ويؤكد احساسه باقتراب النهاية • وتصور عادل ما الذى سيحدث بعد أن ترحل والدته عن هذا العالم ستأتى أختاه المتظاهرتان بالحزن لتتقاسما معه كل ما خلفته والدته وراءها حتى ملابسها حتى خاتم زواجها الذى لم يفارق أصبعها طول حياتها حتى وهى فى الحمام • وأحس عادل بأنه يود لو يبكى ليخرج كل الحزن الذى يملأ قلبه • اذا كانت هذه هى نهاية الانسان الا ما أحقر الحياة اذن •• دموع هى قطرات ماء من

أقرب الناس اليه ‥ قطط جائعة تلتف حول جثته الميتة وتلتهمها بلا رحمة قطط كانت تتغذى على حب الميت وترضع لبنه ثم تنقض عليه فور أن يموت ‥ يا الهى ما أتعسك الآن يا أمى فى هذه اللحظة التى توشكين فيها على الموت وما أتعسنى معك ٠

وقام عادل متثاقلا من فوق مقعد والدته بعد أن ظل جالسا فوقه مدة لا يستطيع أن يحددها فقد كان زمنها ساكنا سكون كل شىء من حوله فى تلك اللحظة ٠ وتحسس المقعد بيده كأنه يتحسس شيئا نابضا بالحياة شيئا يوشك أن يموت هو الآخر كما تموت الانسانة التى جعلته حيا طوال المدة التى جلستها فوقه ٠ وامتلأت عينا عادل بالدموع وقال يخاطب أمه وهو متأكد أنها ستسمعه فى تلك اللحظة : كلما نظرت الى هذا المقعد يا أمى تذكرتك وسمعت ضحكاتك ترن فى هذا المكان وأحسست بدفء أنفاسك وبدقات قلبك الرتيبة قريبة من قلبى ٠ وسأراكى جالسة فوق هذا المقعد ساكنة كما كنتى دائما تفيضين حنانا على كل من حولك ‥ فى نظراتك تلك الطمأنينة العجيبة التى لم أفهمها أبدا لكنها كانت تأسرنى وتبعث فى نفسى قوة كنت دائما بحاجة اليها ٠

وانحنى عادل على المقعد وقبله فى حنان ٠ وتدفقت الى صدره رائحة أمه الحبيبة مختلطة بذلك الدفء الذى تركته وراءها فوق سطح المقعد ٠ وفجأة وقع بصره على شىء كان قد نسيه فى زحمة الأحداث المتلاحقة التى مرت به ‥ انه الخف الجديد الذى ابتاعه لوالدته اليوم ٠ وبقلب ممزق مد يده ورفعه من على الأرض ونظر اليه متأملا ثم همس قائلا فى حزن عميق أكان من الضرورى أن تموتى اليوم يا أمى وأنا أقدم لك هديتى ‥ تموتى وأنت فى قمة السعادة ‥ وبحرص شديد وضع الخف داخل صندوق الكرتون ثم

وضع فوقه الغطاء وقد أحس بأن هذا الخف ربمـــا كان أثمن شيء سيمتلكه طول حياته ٠ ثم دخل عادل الى حجرة والدته ليلقى عليها نظرة ٠ وأفزعه منظر الوجوه الجامدة الجالسة على حافة سريرها أما هي فكانت لا تزال في غيبوبتها التي استمرت حتى الآن أكثر من خمس ساعات ٠٠ شخيرها يرتفع مع الوقت والرغاوى البيضـــاء تندفع من فمها دون أن تتمكن شفتاها المنفرجتان من السيطرة عليها ٠

همس عادل لنفسه والألم يمزقه ٠ ألم ستتعذب بهذه الطريقة المؤلمة ٠٠ متى ستأتى النهاية التي ستريحها من هذا العذاب الرهيب ٠٠ كانت المرضة واقفة الى جوار السرير وهي تمسك الحقنة بيدها بعد أن ملأتها بمحلول الجلوكوز الذي تتغذى به الأم ٠ قالت لواحدة من أخواته البنات ساعديني لنجد عرقا نافرا نعطيها فيه الحقنة هذه المرة ٠ ونظر عادل الى أختيه مستفسرا ٠ فقالت واحدة منهن ٠٠ منذ أكثر من ساعتين ونحن نحاول أن نعثر على عرق نافر نعطيهـــا فيه الحقنة دون جدوى ٠٠ كل العروق تهرب بسرعة ٠ ونظر عادل الى يد والدته المسجاه الى جوارها ٠٠ اليد البيضاء الرحيمة التي طالما ربتت رأسه وداعبته في حنان ٠٠ كانت عروقها زرقاء مليئة بآثار الابر التي حاولوا ادخالها فيها دون جدوى ٠٠ انها مجـــرد أنابيب يسير فيها الدم ببطىء شديد وكأنه على وشك أن يتوقف ككل شيء آخر في هذا الجسم الذي يفقد حيويته بسرعة رهيبة ٠

وراحت المرضة بعد أن أحكمت رباطا حول ذراع الأم تضغط بشدة على يدها لابراز أحد العروق لتتمكن من وضع الابرة بداخله بسرعة قبل أن يهرب منها ٠ لكن كل محاولاتها كانت تبوء بالفشل ٠ ووقفت المرضة حائرة لبضع لحظات ثم قالت للأخت التي لم تكن أقل منها حيرة واضطرابا دعينا نجرب ساقيها ٠ وفي الســـاقين

أيضا كانت المحاولة فاشلة فالعرق ينفر بسرعة نتيجة الضغط القوى فوق الساق وعندما يأتى وقت ادخال ابرة الحقنة فيه يتلاشى بسرعة كأنه لم يكن • وأخيرا صرخ عادل الذى لم يعد يحتمل ما يجـــرى أمامه يأمر المرأتين بأن تكفا عن تعذيب أمه دون جدوى • قالت له أخته فى ضيق لكنها لابد أن تتغذى • صرخ فيها عادل قائلا •• للمرة الثانية أقول لكم دعوها تموت فى هدوء بحق السماء •• لماذا تصرون على تعذيبها حتى آخر لحظة فى حياتها •• أتركوها ترحل بسلام هل تفهمون • وسكتت الحركة تماما فى الحجرة التى تدور فيهـــا حرب بشعة داخل جسد مسجى على الفراش يناضل من أجل بضع دقائق يكسبها من الموت •

وشخصت جميع الأبصار الى وجه الأم ترصـــد أقل حركة يرتجف بها ذلك الوجه • وكان الجميع يترقب حدوث مفاجأة بيـــن لحظة وأخرى • وقال عادل دعوها تستريح هذا كل ما بمقدورنا أن نفعله من أجلها • ومر بعض الوقت وبدأت أنفاس الأم تنتظم وقل تدفق الرغاوى البيضاء من بين شفتيها • وكان الليل قد أوشك أن ينتصف • وأحس عادل بتفاؤل غريب وهو يرى الطمأنينة تطل من عينى أختيه اللتين بدت أعصابهما تسترخى بعد أن ظلت مشدودة طوال الساعات العصيبة السابقة • قالت واحدة من أختيه أننى أحس أن الحالة آخذة فى التحسن ولن أفاجأ اذا استعادت والدتى وعيها فى الصباح وفتحت عينيها • وأحس عادل بفرحة تغمر قلبه وهـــو يسمع هذا الكلام المطمئن من أخته فمهما كانت الحالة التى ستستيقظ عليها والدته فانها على الأقل ستكون على قيد الحياة •

ومر وقت طويل والجميع فى حالة ترقب وانتظار •• الأختين جالستين دون حراك على حافة الفراش وقد اعتمدت كل واحـــدة

منهما رأسها بيدها .. وراحت فى شبه غيبوبة وعادل جالس على رأس والدته شاخص ببصره الى وجهها يراقب أى تغيير يحـــدث فيه والمرضة جالسة على مقعد الى جوار الفراش تنتظر هى الأخرى فى صمت وترقب . وفجأة حدث الشىء الذى لم يتوقعه أحد . انبثق نزيف حاد من فم الأم .. طوفان من دم أسود يخرج فى شـــكل موجات متتابعة من بين شفتيها ويغرق الفـــراش وملابس الأم . وبرغم أن الممرضة سارعت بوضع أناء من المعدن تحت شفتى الأم الا أن ذلك لم يفد بشىء .. فالاناء سرعان ما يمتلىء حتى حافتـــه وعندما تذهب الممرضة لافراغه فى حوض الغسيل تكون الأم قد قذفت بمزيد من الدم الأسود ليغرق ملابسها وفرش السرير .

ووقف عادل مذهولا لا يدرى ماذا يفعل وهذا المشهد المـــؤلم يحدث أمامه . صرخ فى وجه الممرضة يأمرها أن تفعل شيئا لوقف النزيف لكنها أشارت اليه بالصمت . وفهم عادل من اشارتها أن والدته تموت وأنه يحسن بالجميع أن يتركوها ترحل بسلام فلا أحد يستطيع أن يفعل لها الآن أى شىء . ونظر عادل بحزن عميق الى والدته وهى تفرغ هذا الطوفان من الدم من بين شفتيها .. كانت تحاول أن تبلع ريقها كأن شيئا يقف فى حلقها . وهتف عادل من أعماقه آه يا أمى المسكينة كم تتعذبين الآن .ووضع يده على رأسها فى حنان بالغ وراح يرقبها فى صمت والدموع تملأ عينيه . وشيئا فشيئا بدء نزيف الدم يخف لكن بدأ جسد والدته يختلج بين لحظة وأخرى وبدأت أنفاسها تخفت حتى توقفت تماما . وانبثقت آخـــر دفقة دم من بين شفتيها . وسكن الجسد الذى ظل يقاوم ببســـالة لبضع ساعات طويلة .

وارتفع بكاء حاد فى الحجرة الساكنة . لا أحد يدرى من أين جاءت كل تلك الدموع والصرخات . ووجد عادل الذى تدفقت الدموع

من عينيه بغزارة والذى بدا مذهولا لا يدرى ماذا يفعل أكثر من يد تخرجه بالقوة من حجرة النوم ٠ كان الجميع يعرفون أنه هو الوحيد المفجوع فى موت الأم وأنه وجده الذى سيتحمل الآثار المفجعـــة المترتبة على موتها المفاجىء ٠ وجلس عادل فوق مقعد والدته من جديد ٠٠ هذه المرة أحس ببرودة الموت تسرى الى قلبه ولم يتمنى فى حياته أن يموت كما تمنى فى تلك اللحظة فما معنى أن يعيش بعد أن رحلت والدته عن هذا العالم وتركته وحيدا من بعدها ٠

وأقبل بشر كثيرون فور أن سمعوا بوفاة الأم وأحس عادل بينهم بأنه غريب بمشاعره ٠٠ بفجيعته التى لا يستطيـــع أحد أن يقدرها حق قدرها ٠ وود لو يهرب بعيدا عن البيت ولا يعود اليـــه بعد ذلك لكن كان على عادل أن يبقى الى نهاية المشوار ٠٠ المشوار الطويل الذى يتعين عليه أن يسيره خطوة خطوة والذى يعـــرفه جيدا منذ وفاة والده والذى يبدأ من الآن حتى يطمئن الى وضـــع والدته تحت التراب لتعيش حياتها الأبدية ٠ فى الغد سيمتلىء البيت بنساء متشحات بالسواد سيحولن الشقة الهادئة الى مناحة كبيرة ٠٠ يا الهى ما أفظع ما ينتظره فى الغد ٠٠ ما أفظع ما يعقب الموت دائما ٠ وأضىء نور الحجرة التى يرقد فيها جثمان الأم ليبقى مضاءا حتى صباح اليوم التالى فهذا هو التقليد المتبع فى مثل هذه الحالة ٠

ودخل عادل الى الحجرة والفجر يوشك أن يجىء ووجد الغطاء موضوعا فوق وجه والدته فأزاحه من فوقه بفضول وخوف ٠٠ يا الهى هل أصبح أخيرا يخاف من والدته الحبيبة التى طالما ارتمى عـــلى صدرها وأحس بأنفاسها الساخنة وهى تقبله فوق جبينه بحنـــان وحب ٠ ما الذى فعله هذا الموت الفظيع حتى جعله يخاف من أحب

انسانة اليه فى الوجود · ولم يمضى على وجودها الحى سـوى ساعات قليلة · وارتجف قلب عادل وهو يشـاهد التغير السريع المذهل الذى طرأ على وجه أمه الجميل بعد ساعات قليلة من وفاتها ·· كان وجهها مماثلا لوجوه الأموات الذين يشاهدهم فى أفلام السينما وجه يعلوه شحوب شديد ·· صفرة الموت الخاليـة من الحياة · كان وجهها الأبيض مصنوعا من الطباشير الخـالى من الدفء ·· اللون الذىيميز الانسانالحى·· اللونالذى لا تخطؤه أبدا عين آدمية وفوق بشرتها التى كانت حتى ساعات قليلة بيضاء وصافية انتشرت عشرات من بقع بنية صغيرة أشبه بنمل شيطانى لا يدرى أحد من أين جاء بهذه السرعة ولماذا ·

وكانت ثمة رائحة نتنة تتزايد مع الوقت تنبعث من جسدها الذى كانت تحرص دائما على أن يكون نظيفا ذا رائحة طيبة ·· رائحة جعلت عادل يرتجف ويشعر بأسف عميق من أجـل والدته المسكينة ·· من أجل نفسه من أجل ملايين البشر لا يعرفهم سيلاقون نفس المصير · وانحنى عادل على جبين والدته بعد أن استجمع كل شجاعته بعد أن وضع كل حبه ·· كل لهفته فى شفتيه وقبلها فى حنان لآخر مرة فى حياته ثم وضع الغطاء من جديد فوق رأسها ·

(تمـت)

« لتكن هذه الرواية صرخة احتجاج ضد مجتمع وصل الى القاع »

ر · ع

« قـال ٠٠٠٠ يقــول ٠٠٠٠ ســـيقول »

- من يعش بالكلمة يموت بالسيف ومن يعش بالسيف يموت بالحذاء ٠
- عندما كنت فى العشرين كنت قبيحا فحسب والآن بعد أن تجاوزت الأربعين أصبحت قبيحا وعجوزا معا ٠
- كنت سمكة عاشت بعيدا عن الماء وعندما حاولت أن أقفز فى الماء تحول فجأة الى تراب ٠
- من يبيعنى قلبا وأبيعه كلمات ؟
- الله لخبط العالم وعلى الانسان أن يصلحه ٠
- أحب جسم المرأة وعقل الرجل وأكره أخلاق الاثنين ٠
- الهى لا تغفر لهم فانهم يعرفون ما يفعلون ٠
- الحقيقة تدوى فى داخلى ثم أسمعها بعد ذلك باذنى ٠
- من خوفى من السقوط أرتفع دائما الى أعلى ٠
- اننى بهلوان يسير فوق سلك رفيع اسمه الحياة ٠
- مهما قلت فأنا دائما ثقيل الظل ، ومهما أعطيت فأنا دائما بخيل ، ومهما فكرت فأنا دائما سفيه ، ومهما أحببت فأنا دائما لا أحب لأننى ٠٠٠٠ قبيح ٠
- نحن قوم لا نمل من النفاق اذا لم ننافق متنا ٠

« المصريون »

- ان قلبى لا مكان فيه للحب فقلبى ملىء بالعذاب ٠
- ان قلبى ليمونه جافه امتصها بشر شرهون وأيام أكثر شراهه ٠
- أنا أحلق حيث لا تقدر الطيور الأخرى أن تحلق ٠
- اذا أردت أن تحلق معى فضع ريشا كريشى ، وتزود من طعامى المخلوط بالعذاب ، ودع النار تلسعك ، ثم اصـعد معى الى الفضاء ، فهو طريقنا ٠٠٠٠ عالمنا ٠

● اننى الرجل الوحيد الذى يضطر للاعتذار عن شكله فى كل مرة يرى فيها انسانا آخر ·
● الشباب والجمال وجهان لعملة واحدة لا قيمة لأحدهما بـــدون الآخر ·
● لا شباب بلا جمال ، ولا جمال بلا شباب ·
● يا نيام مصر استيقظوا ···· يا حملان مصر الوديعة استرجلوا ···· ويا نساء مصر تحشمن ·
● اذا لم تكن الحياة بعد الموت هى الخرافة فما عساها تكون ؟
● القوة تستطيع أن تكون حقا لكن الحق لا يســــتطيع أن يكون قوة ·

« مبدأ واقعى »

● اننى أضحك حتى لا أموت من الغم ·
● الحب زهرة يميتها عرق الناس ويحييها هواء الروابى العالية ·
● اذا دخلت الدعارة من الباب هرب الحب من النافذة ·
● رجولتى كجلدى لن تفارقنى الا عندما أموت ·
● أنت رجل بقدر ما تتغلب على العقبات لا بقدر ما تضعها أمام الآخرين ·
● الوطن ليس معبودا ، ولست عبدا ، اننا صديقان ·
● الوطنية رصيدك فى البنك بقدر ما تضع فيه تأخذ منه ·
● عندما يجوع الشعب لا يجد ما يقتات به سوى ···· شرفه ·
● ان من العار أن يؤمن العقل الانسانى الناضج بخرافات العقل الانسانى الطفولى ·
● ويــل للمختلف ·
● ان جريمتى لا أعرفها ، لكنى أعرف قضـــــاتى ···· أعرف جلادى ·

- كان الشعب المصرى يسير فوق ساقين كسيحتين ، والآن أصبح يزحف على بطنه ·
- ليس العار هو ما يعيشه الشعب المصرى الآن لكنه عدم ادراكه لسوء ما يعيشه ·
- كانت مصر فى الماضى تعانى من الاحتلال ، والآن أصبحت تعانى من الانحلال ·
- أفضل أن أعيش فقيرا فى دولة غنية على أن أعيش غنيا فى دولة فقيرة ·
- لا تلوموا من أكل التفاحة بل من وضعها أمام فم خلق ليأكل ···· التفاح ·
- لو لم أكن مصريا لشكرت الله على ذلك ·
- مصر جنة المتخلفين ···· عقليا ·
- ابحثوا معى عن اله لا يوافق على التفرقة العنصرية ، ولا يشعل حروبا ، ولا يرسل صواعق من السماء وأنا أومن به ·
- قولوا لى ما هى الجريمة التى يستحق مرتكبها أن يقضى بضعة ملايين من السنين فى ···· الجحيم ·
- أوافق على القول بوجود عقيدة تصلح لبعض الناس بعض الوقت ، لكنى لا أوافق على القول بوجود عقيدة تصلح لكل الناس كل الوقت ·
- لم يكن القطار وحده هو الذى فاتنى ···· بل المحطة والطريق ·
- كنت دائما آخر من يصل لأجد لا شىء ينتظرنى ·
- من عينى يطل كل جوع العالم وشبعه ·
- رأسى هى سر عظمتى وضعفى ·
- المرأة بالنسبة لى وجبة أتناولها فى أى مكان وأضع النقود على المائدة ·

- كانت المرأة بالنسبة لى ماءا مالحا كلما ارتويت منه أحسست بمزيد من العطش ·
- أنا انسان جميل يتخفى داخل جلد انسان قبيح ·
- لا تظنوا أن طلقات رصاصى ستكون أقل اصابة للهـــدف من كلماتى ·
- ما هى الرجولة ؟ انها ليست ما تراه أنت بعينيك ، لكن ما أحسه أنا فى داخلى ·
- انهم ليسوا ناس ، ومأساتهم ليست مأساتى ، لكنى ملتزم أمام ضميرى ·
- ان مأساتى أننى أستحق الأفضل لكننى أحصل على الأســوأ ···· دائما ·
- فليرحمنى الله من قارىء يســطح كلماتى ···· ومن ناقد بلا ضمير ···· ومن مطبعة لا تدور ···· ومن مجتمع كبحيرة الزيت ·
- أصف لكم نفسى :

أنا المكروه حتى نخاع العظام ···· المطارد حتى آخر حافة فى العالم ···· أنا الضحكة التي لا تدوت على شفاة الآخـرين ···· أنا الذى تمضغه وتبصقه العيون بسرعة المدفع الرشاش ···· أنا الذى يضطر للاعتذار عن شكله فى كل مرة يرى فيها عينا آدمية ···· أنا القمـــر الذى يطـل على لا حقل ···· النجمة الوحيدة التى ترسل بريقهـــــا الى لا عين ···· أنا الانسان الموضوع في برودة ما تحت الصفر لكن قلبي ما يزال ينبض بالحياة وعقلي ما يزال يتوهج بالاشعاعات ···· أنا الشاه التي اذا ما أرادت الاقتراب من القطيع ردتها عصـــا ···· أنا الضائع المضيع ···· أنا الضياع نفسه ·

« رجاء عليش »

جدول تصـويب الكلمـــات

الكلمة الصواب	صفحة	سطر	الكلمة الصواب	صفحة	سطر
فاطمه	٢١	١٣	يتطلع الى عينيها	٦٧	٢١
والاستنكار	٢٩	٢٢	قطعتان	١٠٣	١٦
ليس مهما مايحدث	٣٤	١٧	كستنائى	١٠٥	١١
قلبى	٣٩	١٤	طول	١٠٦	٢٣
يضطرها	٤٢	١١	حدثت	١٠٧	١٦
حنايا	٤٢	١٩	الجياشة	١٠٩	١٠
بما	٤٣	٢	مع	١١٧	٩
ابنها	٤٣	٢	المضيفه	١٢١	٨
ذكيه	٤٩	١١	تحسسه	١٤١	٥
تسليتى	٥٠	٣	بالصمم	١٤٤	٧
النادر لى	٥٠	١٩	نستمر	١٦٧	١٩
المنضدة	٥٣	٢٤	فكانت	١٧٠	٢٥
أنا لا أريد	٥٥	٤	لديك	١٨٢	١٣
المجتمع	٦٣	٨	درجات	٢٠٦	٣
أن يخفيه	٦٣	١١	معنى	٢٠٦	٢٣

الكلمةالصواب	صفحة	سطر	الكلمةالصواب	صفحة	سطر
ما دمت صديقه	٦٣	١٤	آشياء لا أريد	٢٠٧	١
وأوصلها	٦٤	٢٠	بانسيابية	٢٣٤	١
فلماذا	٢٤٨	١٧	جواره	٤٠٠	١
واحد	٣٠١	٢	جعلتها	٤١٧	٧
بالصبيين	٣٢٧	٦	وتأكده	٤٢٠	٦
يرتدى	٣٤٣	١	على أحر	٤٢٦	١٧
يخنقهما	٣٤٤	٢١	استدعاء	٤٨٠	٢
تريدينها	٣٤٩	١٢	المخضب	٤٩٦	١٢
أمام	٣٥٥	٥	ينتظرنا	٥٠٠	١٥
نظر الى الرقم	٣٧١	٢١	الصغيره	٥٠٤	٢
الآخر	٣٧٢	٦	رجال	٥٠٩	٧
لكنى	٣٧٢	١٨	تبتسم	٥٢٥	١٤
غيرهما	٣٨٩	١	انتهازيتين	٥٢٧	١٨

« اننى أعتذر عن أخطاء غيرى »

(ر ٠ ع)

طبعة أولى فبراير ســـــنة ١٩٧٩ م

رقم الايداع بدار الكتب : ١٥١٣ ســـــنة ١٩٧٩ م

مطبعة الجامعات (دار أسامة)
شارع يعقوب بالسيدة زينب

مرثية انسان على وشك أن يموت

أرقد أيها القلب المعذب فوق صدر أمك الحنون واسترح الى الابد .... دع أحلامك الميتة تتفتح كزهرة تعش مليونا من السنين .... أنت أيها الملاح التائه فى بحار الظلمات البعيدة لقد جئت الى أمك الارض لتعيش فى حضنها الى الابد .... القيت بمراسيك في المياه الدافئة العميقة وأمنت من الخوف .... نفضت عن شراعك الثلج والبرودة وأيقظت الشمس فى قلبك واسترحت الى الابد .... نم هانئا سعيدا يا من لم تعرف الراحة فى حياتك ....أحس بالامن يا من عشت دائما بعيون مفتوحة من الخوف .... الموت أبوك والارض أمك والسلام رفيقك والابد عمرك .

رجاء عليش